

BOBST LIBRARY



3 1142 03291 6564



New York University
Bobst Library
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

Phone Renewal:
212-998-2482
Web Renewal:
www.bobcatplus.nyu.edu

DUE DATE

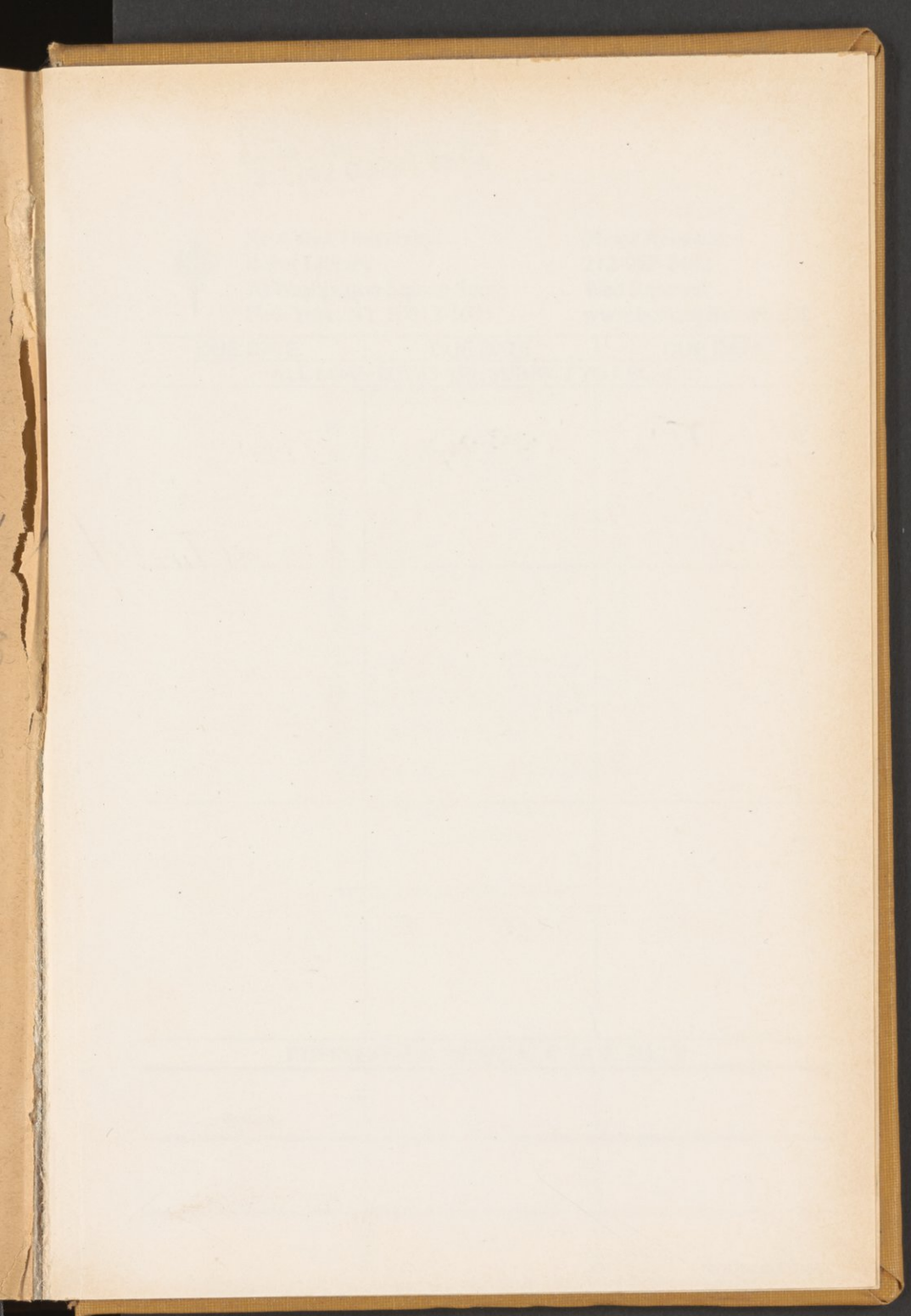
DUE DATE

DUE DATE

ALL LOAN ITEMS ARE SUBJECT TO RECALL

PHONE/WEB RENEWAL DUE DATE





حسين مجيب المصري

المدرس المتدرب بكلية
الآداب في جامعة فؤاد الاول

al-Misrī, Husayn Mujīb

/Tarikh al-adab al-Turki/

تاريخ الأدب التركي

front

مطبعة الفكرة

ش . منشاء الفاضل

ميدان الاسماعيلية

N. Y. U. LIBRARIES

B

PL

205

M 565

1951

Near East

~~PL~~

~~216~~

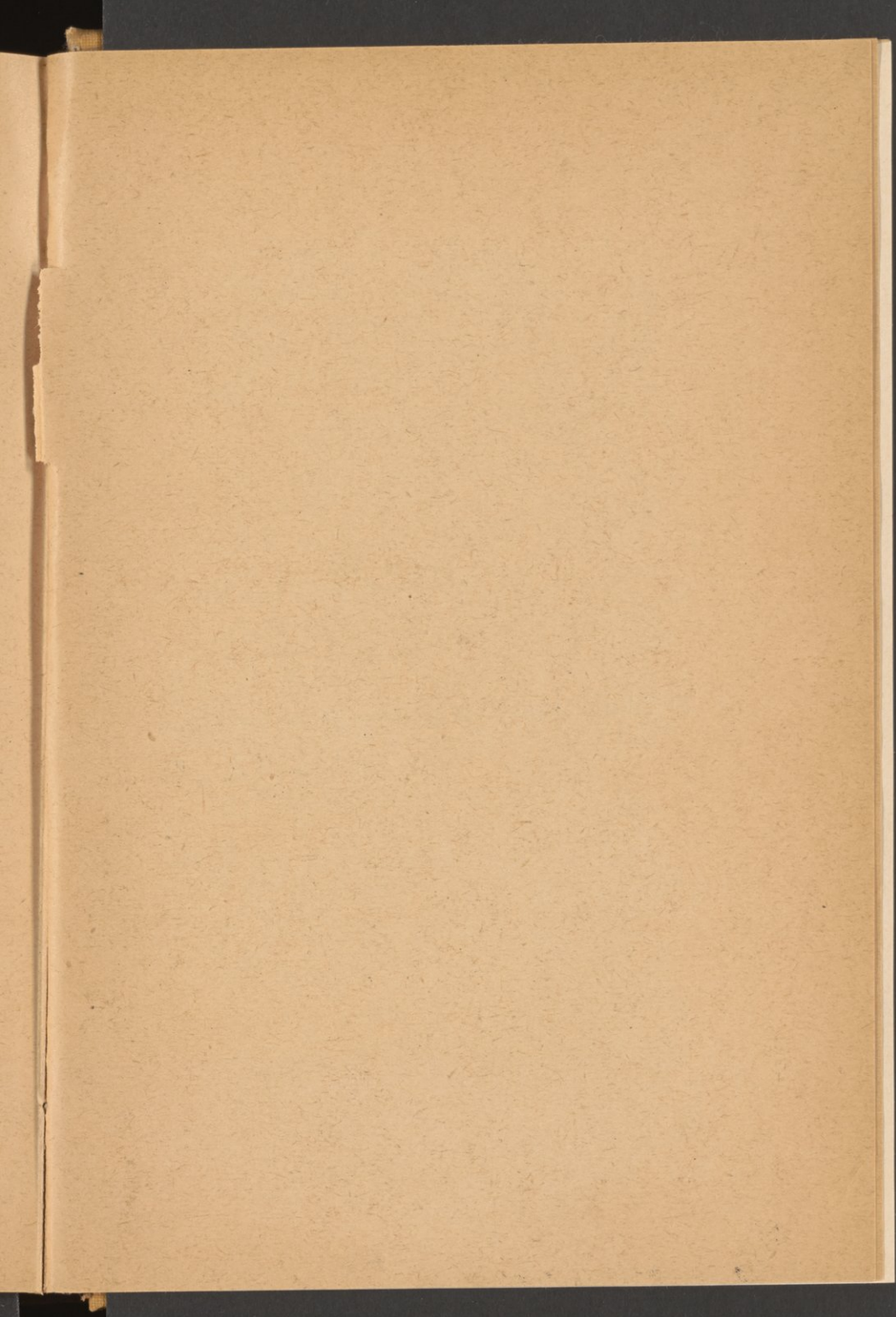
~~M 15~~

~~C. 1~~

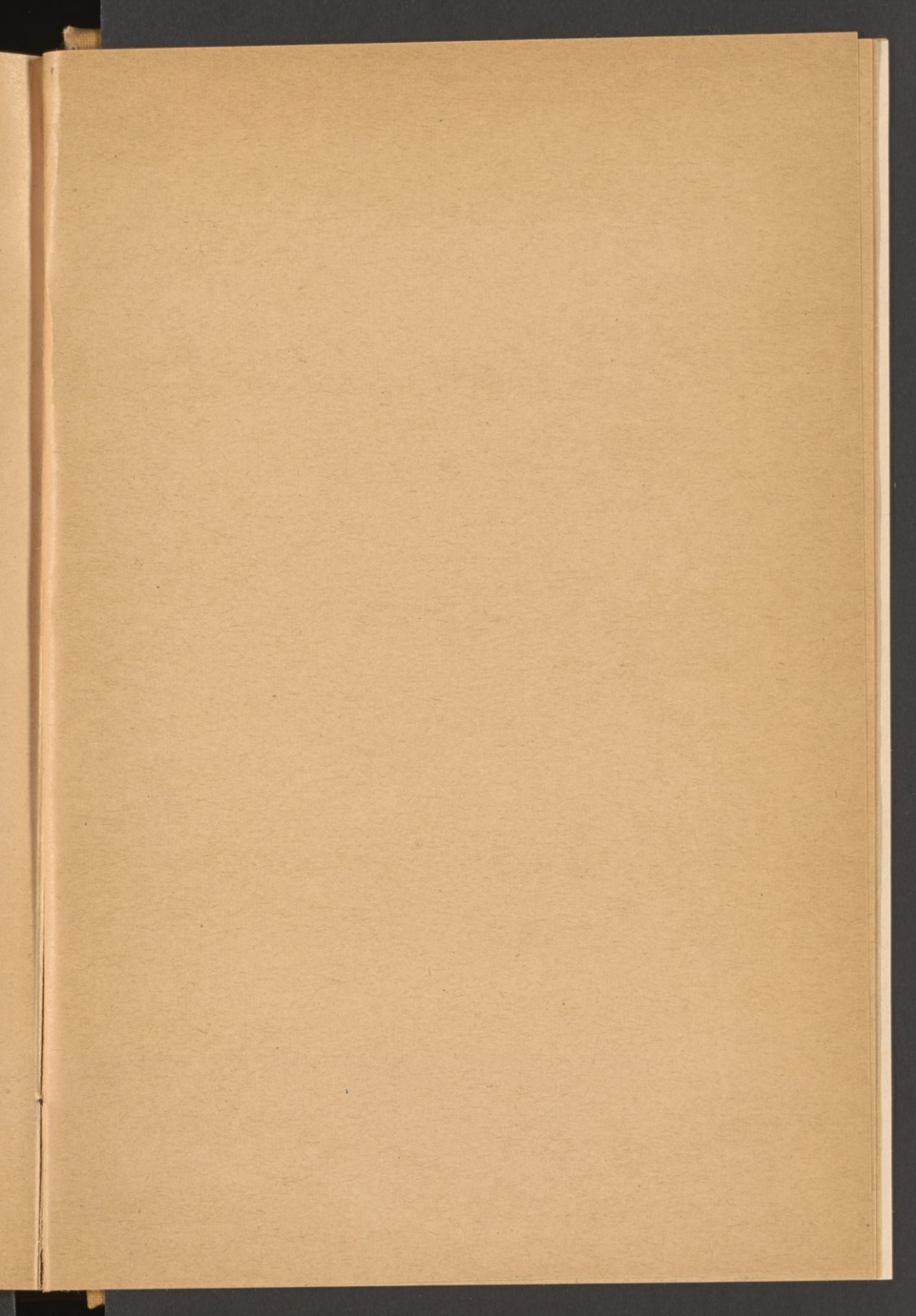
الاهداء

إلى كل محب للعلم من حيث هو علم لا يكرم الانسان إلا
به ، فطلب منه المزيد والجديد ؟

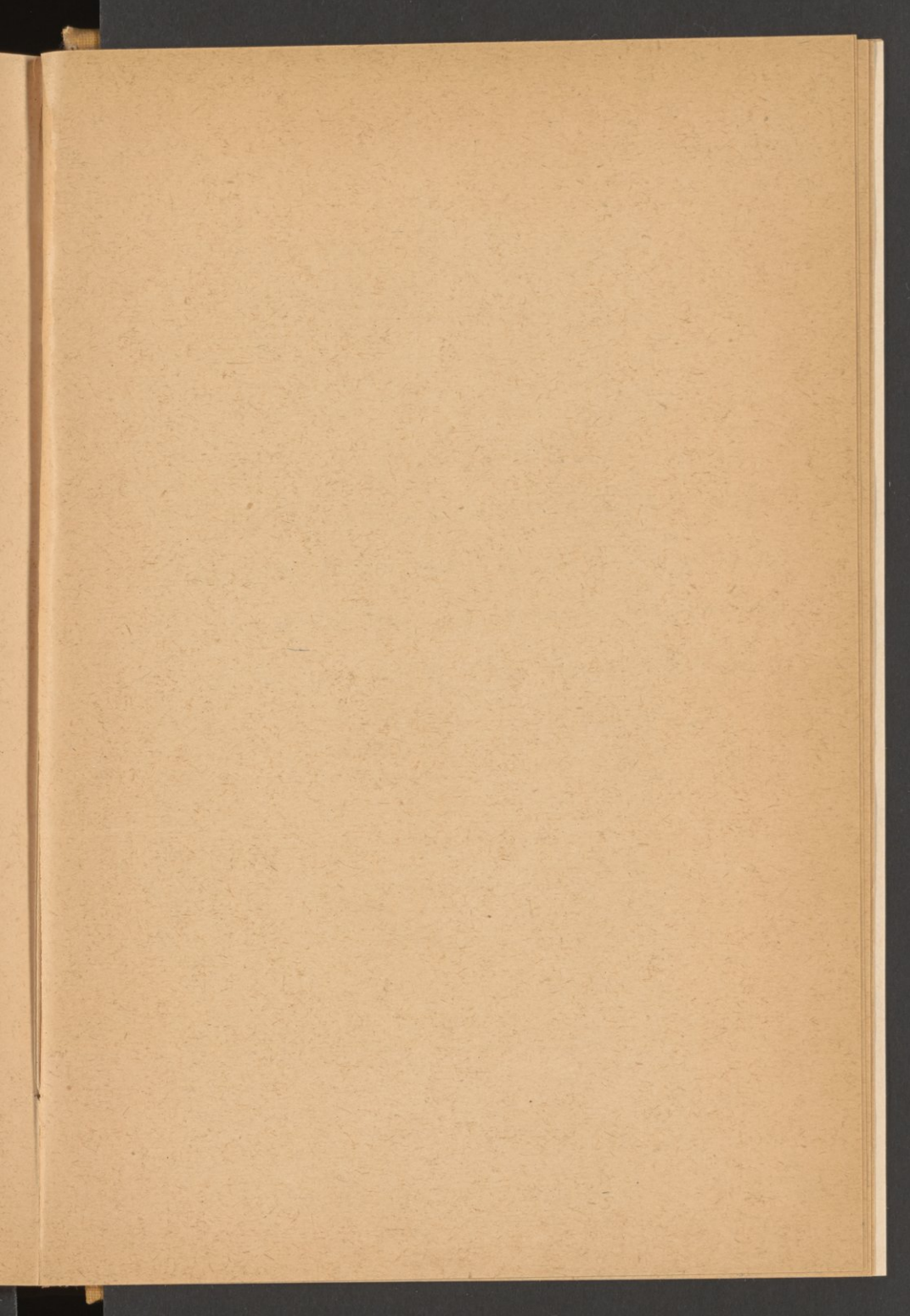
1-21-59
Orient. Library



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إنى رأيت أنه لا يكتب انسان كتابا فى يومه الا قال فى
غده : لو غير هذا لكان احسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ،
ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان اجمل . وهذا من
اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .
العماد الاصفهاني



مقدمة

الترك من نعرف ونألف نحن المصريين منذ الزمان الأطول ،
فقد عهدناهم غزاة فاتحين وولاة وخلفاء وسلاطين ، وعاشوا بين
ظهرنا فكان للخلطة أثرها ، وللعشرة أحكامها . وأصغرنا
اليهم فأنجبت لنا جوارهم وحرائرهم ، وأصبح من بيننا متكلم
بلسانهم ومتسم بصفاتهم ومتميز بملاحظهم ، ولا تمر بنا ساعة
مصباحين ولا مسمين من غير ألفاظ تركية كثيرة أو قليلة تملأ
أفواهنا وأسماعنا . ولئن عرفت مصر الترك ، لقد عرفتهم الشام
وبلاد المغرب وارتبط بهم الحجاز والعراق . وتاريخهم من الأهمية
بمكان عظيم ، وهو موصول بعهد طويل من تاريخ الشرق العربي
فعجب أى عجب أن تفتقر المكتبة العربية إلى كتاب فى تاريخ
الأدب التركى . وان النفس لتذهب فى تحليل ذلك مذاهب شتى ،
وأول إحتمال يعن لنا أن المتأدين العرب لم يأخذوا من أدب
الترك بطرف ، أو أنهم نظروا فيه نظرة عجلى ومروا عليه مر

النسيم ، وإذا صحح هذا على جمهورهم فإنه لا يصحح على بعضهم ممن
توفر على دراسة التركيبة حتى حدقها بكل الحدق بمد أن اسلست
له من قيادها وملسكته ناصيتها وعرف منها صعوبة قد تفوق
صعوبة العربية (١) . أما الاحتمال الثاني فخلو التركيبة من أدب
يستحق النظر ويستلزم التأريخ ، وهذا رأى شائع لا يشعر
الاحصائي تجاهه إلا باليم الأسف لأنه ظلم صراح وباطل زهوق ،
وإن كان الباعث عليه واضحا بينا ، فقراءة التركيبة في أدبها
القديم بخاصة تستوجب الماما كافيا بالفارسية ، وماذاك إلا لورود
ألفاظها وتراكيبها في الجملة التركية ، وقد تبلغ من الكثرة ما لمغا
يجعل بعض الجمل كلاما فارسيا في لفظه تركيا في نحوه . وغنى
عن البيان أن العلم بهاتين اللغتين في آن يعز منالا إلا على القلال .
ومن ثم فترت الهمم عن قراءة أدب الترك خففت روائعه كما
تخفى الدرارى إلا على غواصها . ويفسر البعض قائلهم بأن

(١) هكذا يقول الأستاذ براون ، وهذا القول يعوزه التحديد ،
وتفسيره أن الجملة التركية صعبة التركيب شديدة الطول حتى قد يفصل
الفعل عن فاعله أكثر من عشرة أسطر ، وهذا معزو إلى كثرة الروابط
وقلة أدوات العطف فيعسر الفهم تبعاً لذلك وتنقطع الصلة بين
أطراف الكلام ، وليس كذلك في العربية على صعوبة نحوها .

الترك في أديهم إنما كانوا متبعين لا مبتدعين ، فقد قلدوا أدب
الفرس وأحكموا التقليد ، حتى جعلوا الأدب التركي في واقع
الامر تنمة للأدب الفارسي ، وهذا كلام لا يخلو من الشطط
ولا يثبت على النقد ، لأن الفرق واضح بين التقليد والتأثر
الشديد ، وقد تأثر الترك بالفرس تأثرا توجيها فطرقوا معانيهم
واستعاروا من أخيلتهم وأقروا لهم بالاجادة وفضل السبق
وعلى حذوهم احتذوا ومن بحرهم استفوا ، والأمثلة على ذلك
لا تدخل تحت حصر ، فقد ترجم شريفى شاهنامه الفردوسى
لنفاستها واصالتها ؛ وترجم نحيفى مشنوى جلال الدين الرومى
وهو كنز للشعر الصوفى ، أما من عالجوا الشعر القصصى من
الترك فكان مشاهم نظامى شاعر القصص فى ايران . وكل هذا
لا يغض فى شىء من أدب الترك ولا جناح عايمهم ان سبقهم من
الفرس بعض شعراء كانوا أحسن شعرا منهم ، كما لا ينسبنا أن
من الترك من تميز بالأصالة والعبقرية ، وليس يصح فى الفهم
أن ننفي الشعارية عن شاعر لا حق لأنه تأثر بغيره أو تخلف
عن شاعر سابق ، وليس الأديب هو صاحب الأدب الجيد
فحسب وإنما الأديب من يعرض الأدب وان كان متوسط
الجودة وأدبه يستحق النظر والدرس أسوه بأدب صاحبه
المجيد العبقرى .

وما يذكر أن جوته وهابنه وغيرهما من شعراء الألمان تأثروا
بشعر الفرس فأحسنوا أيما احسان وكان هذا الصنيع منهم موضع
اعجاب ، وتتلذذ الرومان لليونان حتى قيل ان الرومان الاوائل لم
يكو نوافي علومهم وآدابهم سوى ببغاوات اليونان ، وضرب الشعراء
الاسلاميون على وتر الشعراء الجاهليين في أكثر من موضع وحافظ
الكثير منهم على عمود الشعر كما يقولون ، فما عيب عليهم ما عيب
على الترك ومن المأثور عن الترك فرط الولوع بالعلوم والآداب
فقد أسس السلطان محمد الفاتح جامعتين عظيمتين وهما ايا صوفيا
والمحمدية ولم يجر على عادة الغزاة الفاتحين من افناء المكتب
تمزيقا وتحريقا ، فاعتز بخزائنها وابقى على نفائسها وأمر فزينت
أبواب المسكاتب بقول سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (طلب
العلم فريضة على كل مؤمن) ونقلت بمشيئته كتب اليونان
والرومان الى التركية ، ومنها كتاب بلوتارك في التاريخ ، كما
تداول الناس شروح قيصر في عهد ولده السلطان سليمان القانوني
وقرأوا في التركية أرسطو وافليدس . وبرز الترك في كتابة
التاريخ ولم يكونوا رواة وحسب ، بل ثقة مفكرين ، فخلقوا
من مصادره علما وخيرا كثيرا ، ومادة وفيرة هي معاون للباحثين
على تأريخ عصور بتامها ، وفي طليعة مؤرخيهم سعد الدين

المتوفى سنة ١٣٠٠ هجرية وهو صاحب تاج التواريخ ، وهذا الكتاب عمدة في بابهِ ، ويعتبر بحق من أروع نماذج النثر التركي . وكان المؤرخ سعد الدين مؤدبا لمراد الثالث ومن أهل المنزلة عنده ، حتى ان الياسابات ملكة الانجليز طلبت اليه أن يقنع السلطان بضرورة مدها باسطول تستعين به على فيليب ملك أسبانيا . وقد صحب مولاه في حرب المجر ، واليه يعزى فضل النصر في احدى المواقع ، لأنه أشار عليه بالثبات ، بعد أن أجمع الرأى على التعلق بالفرار ، فعمل بمشورته واداله الله من عدوه . ويتلوه في المرتبة مؤرخ آخر يقال له نعميا ، وفي تاريخه تبصرة لنا بشئون أوروبا وتبين لما كان يربطها بتركيا من صلوات ، وهو يعرض علينا وجهة النظر التركية عرضا واضحا كما ينطوى على خبر طويل للترك وفتحهم جزيرة كريت . وقد فطن علماء الغرب الى نفاسة تواريخ الترك فترجموا منها شيئا كثيرا .

وفي تاريخ الأدب التركي ما نعدمه في غيره من الآداب قديمها وحديثها ، فقد كان من السلاطين والأمراء شعراء يبلغون العشرين عدا ؛ وبعضهم دواوين كبيرة وللآخرين أشعار جياذ فقربو العلماء والادباء ورفعو ائمانا لهم واجروا عليهم رزقا حسنا .

وقال شاعر تركي في قصيدة له ان تحت كل حجر في طرقات
استانبول مشوى لشاعر . وهذا كلام محمول على الأغرار وان
كان له مغزاه ، وبما يجرى مجراه قول مؤرخ قديم من مؤرخي
الأدب التركي وهو لطيفي المتوفى عام ١٥٨٢ ميلادية (كل من
تم له نظم بيت رديء الصنعة مسروق المعنى ، ظن نفسه
شاعر العصر وسليمان الزمان ، فلو أوردت بيتا واحدا لسكل
شعور و اتخذت من الأشجار أفلاما ومن المياه مدادا ، لما
أبقيت في الغابات شجرة ولا في البحار قطرة) وفي هذا كثير من
التبسط غير أنه واضح الدلالة على تعلق الترك بالشعر ومعالجتهم
له ، كما يسهفه افتراء فولتير الذي كان يستحقهم لأنه لا يعرف
لهم شاعرا (١) وقد ألف المستشرق النمسي (فون هامر) كتابا
في تاريخ الشعر التركي منذ نحو من مائة عام ذكر فيه أكثر من
التي شاعر مع ايراد شواهد من أشعارهم . وفي هذا ما يدحض
حجة من يقول ان الترك أهل بطش وقتال لا أهل عقل ووجدان .
ولقد اتتنا مذمة الترك منذ قديم ، لأن الأوربيين ظلوا حينما
من الدهر كارهين لهم مشفقين من فتوحهم التي وصلت بهم الى
أبواب فينا ، فوصفوهم بالهمجية والبربرية و ضربوا الأمثال

Navarian, Les Sultans Poètes. (Paris 1936). P.7. (١)

بغلظتهم وصعوبة مراسيمهم حتى قال أحد الكتّاب سنة ١٨٦٠
منفصلاً عن حقه عليهم (انه لآمر عجب في هذا القرن قرن التسامح
المعتدى ، ان تعود الى الظهور أفهى التعصب المحمدي فنشاهد
وهي رفعة رأساً مشجوجاً وان كان غير محطم وتكشف عن
ناب سام يهدد بالموت الزوام . وفي يقيني ان ناراً ستبدو خلل
الرماد القديم لتلفح نصف الشرق ، مالم يتداركها الفرنسيون
والانجليز بوطأة أقدامهم . فأى درس نستفيد من المسيحيين
وحفدة الصليبيين من تلك المذابح إلا انه من عظيم العار علينا
تركنا استانبول هذا الزمان الطويل سمى تستيحه كلاب التتار
وتعميت فيه بالمتنجيس والتدنيس) (١) ومقت الترك والتعصب
عليهم مما ندرکه في يسر ووضوح من قول نولدکه في مجلة الاسلام
عام ١٩٢٤ ان ظهورهم في الحضارة الاسلامية يعتبر نكبة قل
نظيرها في التاريخ منذ سقوط دولة الساسانيين بايران (٢)

ولا حاجة بنا الى تبیان ما في كل هذا الكلام من باطل
وتخرص ، ولست نريد لنقول ان قوما يتجاهلون على الترك
مثل هذا التحال لا يمكن الا أن يحدوا حسناتهم ، ويتكروا
عليهم أن يكونوا أهل علم وأدب وحضارة .

Thornbury, Turkish Life and Character, V. 1. P. (١)
12 (London M. Dccc. Lx.)

Bartold, Histoire des Turcs d'Asie centrale. P. (٢)
112 (Paris 1945)

هذا، ولهم أدب حديث يتناسون فيه الأدب الفارسي
ويستوحون الأدب الأوربي والفرنسي منه خاصة فيبلغون
من سمو شأوا بعيدا، وكان ذلك نتيجة لامناس منها لتقدم
الزمن وتغير الثقافة وتبدل الأحوال، كما كان جميلا أن
يكون أدبهم الحديث ترجمان الواقع وتعبيرا صادقا عما يخلج
في نفوسهم وتاريخا صحيحا دقيقا لمناحى حياتهم، وهو أوضح
مثال لخطتهم التي اختطوها للنهضة والاصلاح ففيه أعراض
شديد عن القديم وإقبال مشوق إلى الجديد، وأدبهم جديد في
معناه ومبناه وخياله وأحاسيسه، وقوميتهم ظاهرة في محاولتهم
تخليص لغتهم من الألفاظ العربية والفارسية، ولهم عناية بتطويع
اللفظ للمعنى، وليس من الأغرار في شيء قولنا ان أدبهم
الحديث أدب رفيع يسير المدنية في تطورها ويوائم النفوس
في تسامياها.

وجدير بنا بعدما أسلفنا، أن نرى لزاما على الاخصائيين
في هذا الأدب التركي أن يدفعوا اللبس ويحلوا الشبهات ويضعوا
الأمور في نصابها، فن وفاة الذم أن يشيروا إلى الترك ولو
بلحظة، ويخصوهم من علمهم ولو بكلمة، ويشيروا الاهتمام بأدبهم
ويضعوه في مكانه بين آداب الأمم، وانها لأمانة في عنقهم

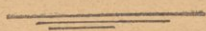
عليهم أن يؤديها كرامة للعلم ولا مجال للريب في أن الفناء
والضياع أخوف ما يخاف على العلم ان ظل حبيسا في صدور
العلماء ، وفي الحق أن العالم بما يكتب لا بما يقرأ ، وبما يعلم لا بما
يعلم ، ومامات رجل ترك علما ينفع الناس .

ولذلك تحرك عزمي إلى كتابة تاريخ للأدب التركي، وتوخيت
عمدا وقصدا أن يكون واضح المعالم ، وجهدت ما وسعني الجهد
أن أحسن التبويب والتقسيم مع ارادة الافهام والتفسير ، لأن
ذلك فيما أرى أبقى في الخاطر واعلق بالحفظ . والملاحظ
اني لم أعمد إلى ترجمة كتاب من تلك المكتب التي تكدمت لدى
في تاريخ الأدب التركي ، بالتركية وغيرها من اللغات الأوربية
على ما في ذلك من تسهيل للصعب وتيسير للجهد وتوفير للوقت ،
وآثرت أن أضيف جديدا على أن أردد قديما ، فاستقرت نيتي
على جمع مادتي من أشتمات المكتب واختيار ما ارتضيه منها
لأضعه في القالب الذي يوافق منهج تفكيري . لست تركيا
فانعصب للترك وأكرمهم فوق مقدارهم ، وليكني أخذت من
أدبهم بطرف فوجدته جيدا يستحق منا أن نرويهِ وتفاوضه ،
وسامني أن يكون منسيا مسكوتا عنه ، ورأيت من أوجب
واجب على أن أقوم هذا الباطل بلسان ولوعيي ، لأعلم بعض

المتعلمين ما لم يعلموا ، وأنبه المستفيدين إلى ما لا يسعهم أن يجهاوه .
وبعد فقد أردت لنفسى أن أكون مجتهدا ما أمكنت الطاقة
واسعفت المراجع ، وقد أكون مجتهدا مخطئا ولكنى مجتهد على
كل حال ولا أتم على مجتهد أى مجتهد كان . وما أملى من كل هذا
إلا أن يستجيب الله دعائى ، فأسمع صدى لدعوتى ، إن فى الحال
أو فى المآل ؟

حسين مجيب المصرى

القاهرة فى ١٠ يناير سنة ١٩٥١



الترك

جميل بنا إذ تصدى للتعريف بالترك توطئة لتأريخ أديهم ،
أن ندير الحديث على أقوامهم وبيئاتهم ومدنيتهم انضعهم في
مكانهم بين الشعوب ، ونرسم لهم صورة واضحة نهتدى بها
وتفهم على أساس منها . والرأى عندنا أن نصطنع الاجمال
ونؤثره على التفصيل ، فعندنا في خبرهم شيء كثير ، والحديث
عنهم يطول ، ولا جدوى من طوله في هذا المقام ، لأنه قد يخرج
بنا عما نحن بسبيله ، خصوصا أن الترك الذين سنعرض تاريخ
أديهم هم العثمانيون ، ونسبة العثمانيين إلى الترك نسبة البعض إلى
السكر والفرع الواحد إلى متعدد الفروع .

فالترك من تلك الاقوام التورانية التي تسمى علميا (أورال
التاي) وهم من جنس المغول والمجر والفنلنديين ^(١) ، والدلالة
على ذلك واضحة من تشابه لغاتهم المعروفة عند علماء اللغة

(١) تنبه ابن خلدون إلى ذلك في القرن الرابع عشر فقرر أن
الفنلنديين من الترك .

باللغات الالتصاقية (١) وموطن الترك قلب القارة الآسيوية ،
في تلك المنطقة التي يحيط بها بحر قزوين وجبال التاي وأورال
والتبت . فبيئتهم جبلية تتخللها الوديان وتكتنفها الأحراش ،
وطبيعتهم شحيحة قاسية في الأعم الأغلب ، تدفعهم إلى التجوال
والترحال طلبا للخير وانتجاعا للرزق . وإن التاريخ ليذكر لهم
هجرتهم في الألف الخامس قبل الميلاد إلى حوض دجلة والفرات
وهي هجرة الترك الشومريين الذين سكنوا هذا الإقليم وشادوا
فيه حضارة زاهرة من أولى حضارات الدنيا ويؤخذ من
تصاوير الشومريين وتماثيلهم أهم يشرون الترك في ملاحظتهم ، كما
أن نحوا من مائتي أصل من أصول الكلمات في لغتهم مازالت في
التركية الحديثة . ويقال إن الحيثيين فرع من تلك الشعوب التركية
التي نزحت نحو الغرب منذ عهود سحيقة قبل التاريخ من برارى
التركستان ، ثم استقرت في الأناضول ، وأسست لها هناك مدينة
عظيمة ، والمعروف أنهم أول من سكن بلاد الأناضول ، وسموا
عاصمتهم حاتوساس سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد . وقد أثبت أحد

(١) إذا أردت أن تقول بالتركية في مصر ومن مصر مثلا
قلت مصرده ومصر دن . فكأنك الصقت حرفين للتعبير عن هذين
المعنيين . ومن هنا سميت التركية لغة التصاقية .

العلماء الاتراك المحدثين وجود كثير من وجوه الشبه بين لغة
العميليين ولغة الترك ، مشيرا بذلك الى ارتباط اللغتين والقومين
بصلة القرابة (١) . وإذا تجاوزنا هؤلاء الشومريين والحيميين
الاقدمين ، وطوبنا ذكر أسماء الشعوب التركية الكثيرة ، أمكننا
أن نقسم الترك تقسيما واضحا قسمين ، كوك ترك والايغور (٢)
وكان لسكوك ترك مملكة واسعة الارحاء في القرن السادس
الميلادى تنتظم منغوليا وتركستان وهم شريقيون وغرييون ، وقد
غلب الشريقيون على أمرهم فضاء استقلالهم عام ٦٣٠ م ودانوا
للصين بالطاعة وداموا على هذه الحال حقبة من الزمان حتى
قام فيهم من يدعى (قوتلوق قاغان) فرفع عن قومه نير الصينيين

(١) نذكر هذا مع شيء من التحفظ فمن العلماء من يحمله على
وطنية المؤرخين الاتراك الذين قد يتعسفون ويتحكمون ليثبتوا قومهم
مجدا تليدا وقد بلغت العصبية بأحدهم إلى أن يقول أن الترك الأقدمين
نثروا بذور الحضارة في مصر حين هاجروا إليها من أواسط آسيا
وسكنوا وادى النيل. أنظر P.3, Revolutionary Turkey, Evernol,
(٢) يظن أن Hougoures أو Hongrois بمعنى المجر من
أويغور. كما يقال كذلك ان منهم Ogures وهم شعب عرف، في
العصور الوسطى بالفظاظه والقسوة حتى اشتق من اسمه كلمة
Ogre وهي في الفرنسية بمعنى الغول .

واسترد منهم كل حق مسلوب ، وعاش الترك سادة في بلادهم
إلى أن ذهبت ريجهم وانقطع ذكرهم سنة ٧٤٤ م . أما الغربيون
فكانوا على صلة بالصين وفارس وبيزنطة ، فارتبطت هذه البلاد
بعضها ببعض من جهة ، وبالترك من جهة أخرى ، ولنا أن
نقول ان اليهم مرجع الفضل في توثيق العرى بين شرق آسيا
وغربها مدة مديدة تبدأ بالقرن الخامس وتنتهى بالخامس عشر ،
فقد اتجروا في حريير الصين وورقها ومضوا به إلى فارس وبيزنطة
كما جلبوا إلى الصين حاجتها من سلع الفرس والبيزنطيين . ويقال
ان كسرى غضب مرة على الترك فأمر باحراق قافلة
لهم تحمل الى الغرب حريرا ، وساءهم ذلك كثيرا فإنا كان منهم
إلا أن اشتروا على البيزنطيين الأيبروا إليهم على فارس .
ويروى أن أحد أباطرة الصين في سنة ٥٤٥ م . أوفد على الترك
رسولا يرحب بمقدمهم فكان من كلامه أن قال (جاءنا اليوم
أهل ملكة عظمت في بشرى لنا ! سيمم الخصب لادنا ، وستغمرنا
أفانين الخيرات والبركات) ، وفي سنة ٥٦٨ م . تزوج الامبراطور
الصيني (ووتى) إحدى الأميرات التركيات ، ولعل ذلك كان
لاشتهارهن ببراعة الحسنة ، ففي الشعر الفارسي الحديث ذكر كثير
لمدن في التركستان يضرب المثل بحسن نساها . ويروى أن رسولا

لملك الروم عاد إلى بلاده من بلاد الترك فأطنب في وصف خيام
الحرير وتحدث حديثا عجيبا عن عرش للخاقان من الذهب
الابرين ، وهذا قاطع بأهم كانوا أهل حضارة وعمران ، ولم
يكونوا جميعا من البدو الرحل الذين لا يعرفون من الحياة إلا
شظفها وخشونتها . وتاريخ الصين في القرن السابع والقرن الثامن
لا تخلو من أخبار حروب متطاولة متلاحقة بين الترك والصين ،
كما أن قدرا كبيرا من تاريخ الفرس في شاهنامه الفردوسى يقوم
على الحروب بين إيران وتوران أى بين الفرس والترك .
ولسكوك ترك لغة عشر العلماء على نصوص منها في منغوليا
وأهمها السكتابات المعروفة بكتابات أورخون (١) وقد كشف
العلمان يادرنثيف وطومسن عام ١٨٨٩ عن نصين يحملان
كتابة تركية قديمة ، أقيم الأول باسم كول تسكين المتوفى سنة
٧٣١ م ، وأقيم الثانى إحياء لذكرى أخيه بلسكه قاغان . (٧٣٥)
ونشر هذه النصوص وفسرها وترجمها العالم الروسى رادلوف
سنة ١٨٩٤ . وتعتبر هذه السكتابات أقدم ما نملك من وثائق للغة
الترك الاقدمين ، وهى تصف لنا الترك فى أيام عصية عسقم

(١) أورخون امم نهر فى منغوليا .

فيها الخواقين عسفا شديدا ، وساءت في الناس سيرة الوزراء
فاختلت أداة الحكم واضطرب جبل الأمن ، وافترص الصينيون
ذلك منهم فاستولوا على بلادهم غير أن الترك وفقوا بعد مدة في
طرد الصينيين وان كان كثير من الترك قد فر إلى الصين من وجه
الظلم . وظهر كول تسكين فرأى أن لاصلاح للحال إلا بقتل
الخاقان ففسد إليه من قتله ، وارثي العرش بلسكه قاغان وكان أخوا
لسكول تسكين ، فحقق الأخوان الأمل ، واستعاد الترك مجدا
قيما . وقد وردت في هذه السكتابات نبذة من قول بلسكه قاغان
وهو يخطب قومه قائلا (ان للصين ذهباً ونفضة وخمرا وحريرا ،
وفي القلوب حر شوق الى التمتع بهذه الطيبات ، ولسكن اعلوا
يقينا أن الرخاء مفسدة للتركي ومجلبة للشر عليه ، لأنه يورثه
خورا في نفسه يجب إليه الكسل ولا يزعه عن السفاهة
والفشل) .

أما الاويغور فسكنوا شرق التركستان وحوض نهر تاريم ،
وهم يختلفون عن كوك ترك في اللهجة والسكتابة ، وفي أهم غير
رحل وأهل حضر ويستدل على ذلك من لفظ (اويغور) فإنه
مع مشتقانه بمعنى الإقامة والتجمع والعيش في وئام ، ولهم مدائن
أشهرها تورفان وقره خوجو ، والعلماء يعثرون دواما على جديد

من آثارهم . وقد تأثروا بما جاورهم من مدنيات وأظهروا لذلك حسن استعداد ، فأخذوا عن الصين والهند وفارس ، وأصبحوا بذلك أعرق الشعوب التركية في الحضارة واستبحار العمران وأعظمها صولة وعزة جانب ، فرفعوا شاهق البنيان ، وشيدوا عظيم الهياكل ، وحذقوا الكتابة على الأوراق والرقوق وزينوا ما كتبوا بتصوير تأفقوا في تنسيقها واختيار البديع المتسق من ألوانها . وقد عثر المنقبون عن الآثار التركية على حروف نقشت في الخشب ، فجعلوا من ذلك برهانا ساقوه على أن الأتراك الأقدمين كشفوا فن الطباعة كما كشفه الصينيون قبل الأوربيين بزمن مديد . وبلغوا أوج عظمتهم في القرن الثامن الميلادي ثم ذهبت دولتهم باستيلاء جنكيزخان عليها في القرن الثالث عشر . وخطهم جميل فيه أثر الصنعة وهو مشتق من الخط المغولي ، أما لغتهم فسميت فيما بعد بلغة چغتاي نسبة إلى چغتاي وهو الابن الثالث لجنكيزخان (١) . كما عرف خطهم عند العثمانيين بخط

(١) ازدهر في الجغرافية ادب تركي اسلامي على عهد السلطان حسين بيگرا (١٥٠٥) في ماوراء النهر فقد كان لهذا السلطان وزير كاتب شاعر يقال له علي شير نوائي (١٥٠٠) عاش في هراة وله

الكافرين . ولدينا في الاويغورية أثر فريد وهو كتاب
(قوداتغو بيليك) الذى الفه من يدعى يوسف خاص حاجب فى
مدينة كاشغر سنة ١٠٦٩ ميلادية . وقد عاش المؤلف فى عهد
بوغراخان واستحق من مولاه لقب خاص حاجب وهو يشبهه
الوزير على هذا الكتاب ، ومعنى عنوانه علم السعادة أو العلم
المسعد والكتاب منظوم وهو فى الأخلاق وسياسة الملك ، ففیه
تبيان لحق الرعية على راعيها ، وواجب المحكوم نحو الحاكم ،
وتحدث الكاتب عن الفضيلة والرذيلة ، وصف أثر كل منهما فى
حياة الجماعة . كما أرشد الى كثير من امور الدين والدنيا ، والروح التركية
البحثة تتجلى فيه من مقدمته الى خاتمته ، والنزعة الخلقية من أخص
ما يتصف به . والمؤلف معتز بما كتب فن قوله فى المقدمة (ان

== ديوان من أدوع الشعر تأثر به الشعراء العثمانيون مدة تبلغ مائة
وخمسين عاما . كما كتب كتابا جامعا عن شعراء الفرس فى القرن
التاسع الهجرى سماه مجالس النفائس . وللسلطان بابر (١٣٥٠) فالح
الهند ومؤسس دولة المغول فيها ديوان من الشعر بهذه اللغة وكتاب
يقص فيه قصة حياته . ونكتفى بذكر هذين المؤلفين فى هذا الهامش
لأنهما ليسا من العثمانيين .

هذا الكتاب أعجوبة الأعاجيب ، فقد ازدان بأقوال الحكماء
الصين وعلماؤها ، وطوبى لكل من تفهم شعره وتدبر معانيه ،
لأنه بذلك لاشك مرتفع درجات . لقد أجمع أهل الذكر في
الصين والتركستان وكل بلاد المشرق على أن هذا الكتاب وحيد
نسخه فريد في بابه ، وإن أقلام بلغاء الترك لتسكبوا دونه ويعز
عليها أن تأتي بشيء مثله ، وقد سماه أهل الصين أدب الملوك ،
وعرف عند أعيان البيان في المشرق بزينة الأمرام ، أما الفرس
فقالوا إنه شاهنامه تركية ، وقال غيرهم إنه نصائح الملوك)

وما جرى به قلم يوسف خاص حاجب قوله (العادل
والقانون متمنى عاقل الحكام ، وإيما حاكم جعل العدالة رائده
فقد أرسى أساس ملكه وأسعد أيامه . يا حاكما يريد الخير لبلاده ،
عليك أن تسوس الرعية بخلوص نية ، وإلا هوى عنك ملكك
وهان شأنك ، فظهر قلبك تملك رقاب من يعاديك وعش في
سلام وانعم بالوثام ، الحاكم يهدم ملكه إن حاد عن الصراط
السوى وركب الطريق على غير قصد . إذا شئت الغلبة على عدوك
فكن حديد البصر مرهف السمع ، واعلم أن العمل يبنى والكسل
يهدم ، فخذ من الكسل حذر ، وإذا تراخيت فمنذا الذي يدفع
عنك عداك)

وما زالت الاويغورية أولغة چغتای لغة حية للشعوب التركية
التي تسكن حوض نهر تاريم وعلباء اللغة المحدثون من الأتراك ،
ينوطون بها أهمية عظمى ويستقون منها ما يبعينهم على تجريد
التركية مما يشوبها من الألفاظ العربية والفارسية ، وهذا مشروع
علی لهم يقومون به بدافع الوطنية ، وجريا وراء نهضتهم التي
ترجى إلى التجديد في كل شيء .

وقد تألفت الشعوب التركية من عشائر تسمى أصغرها
(سميا)^(١) وأكبرها (ایل) واکل عشيرة رئيسها ويسمى
(أغا)^(٢) ويجتمع هؤلاء الرؤساء تحت رئاسة (القاغان)^(٣)
ويعتبر حاکم الشعب العام . ويسمى بجماعتهم (قورولتای) وهو
أشبه شيء بدار الندوة عند العرب ، لانهم كانوا يدبرون فيه
أمورهم ويتشاورون في شئونهم من اعلان حرب أو اتمام صلح
وللخاقان علم تزيينه تسع خصلات من شعر ذنب الخيل

(١) Semia في الروسية بمعنى امرة .

(٢) اطلق العثمانيون هذا اللقب فيما بعد على طائفة من الضباط .

(٣) القاغان والقاآن والخاقان بمعنى ، واصلها في الصينية hu hang .

وتسمى كل منها (توغ) (١) . ويتولى قيادة الجيش امير يقال له (ت.كين) (٢) ويعرف عن كوك ترك انهم كانوا يحملون أعلامهم بحلية من الذهب على هيئة رأس الذئب . ولترك قوانين تسمى بمجموعتها (توره) ويسكن اعتبارها قوانينهم المدنية ، أما قوانينهم الجنائية فتسمى (ياسا) . وللرأة فى الأسرة التركية القديمة منزلة لا تسمى . فالقراية من ناحية الأم والخال اكبر رأس فى الأسرة ، وكانت زوجة الخاقان تشاركه فى التوقيع على ما يصدره من أوامر ومنشورات . ولم يعرف التركي تعدد الزوجات الا من غيره من الشعوب المجاورة ، ومهما يكن من شىء فقد كان للزوجة الاولى من المنزلة مالم يكن للثانية . ومن عاداتهم نحر القرابين على قبور موتاهم ، وتخطيط وجوههم بنصول المدى احياء لذكراهم ، ولابد من احراق خيول الميت ، واذا مات أحدهم فى الربيع فلا يدفن الا بعد ذبول أوراق الشجر وسقوطها ، اما ان كان موته شتاء

(١) اتخذ العثمانيون هذا الشعار الى وقت متأخر حتى انه يقال ان « طوخ » وهى بلدة مصرية بمديرية القليوبية ، انما سميت بهذا الاسم نسبة الى ذلك ، فقد جرت العادة بأن تنصب هذه الخصلات الوزير فى المكان الذى يزوره فتكون ايدانا بمقدمه .

(٢) كلمة فارسية بمعنى الشجاع أو البطل .

فدفنه عند اخضرار الزروع . وكانوا اهل حرب وجلاد فلا تأخذهم
بالضعيف رحمة ، والموت في الحرب عندهم شرف ونخار ، أما
الموت في الفراش فهو العار كل العار (١) . وكانوا يسمون
الأعوام باسماء الحيوانات فيقولون مثلا : ولد فلان في عام الشاة
ومات في عام النمر . وخمرهم من لبن الفرس واسمها (قيمير) (٢)
ولهم شراب آخر يتخذونه من الذرة وهو المعروف باسم (ترسون)
وأطلقوا على الجهات الأصلية اسماء الألوان فالشمال اسود
والجنوب احمر والشرق ازرق والغرب ابيض (٣)

(١) ترجع الى ذلك تلك الاوصاف العييفة التي وصفهم بها
اعدائهم كالفرس في العصور المتقدمة والاوربيين في العصور المتأخرة
في الفارسية والفرنسية أمثال تنسب الى الترك الغباء والقسوة والجفاء
وهذا لا يخلو من تحيز وشطط ، وهو ان صدق على فريق منهم لا يصدق
عليهم جميعا .

(٢) ورد اسم هذا الشراب في شعر نديم وهو شاعر عثماني من
اهل القرن الثامن عشر .

(٣) بقيت هذه الاسماء الى يومنا هذا مميزة للبحار : فالبحر
الاسود في الشمال والاحمر في الجنوب والايض في الغرب .

واعتق الترك اكثر من دين على مر العصور ، فقد كان
كوك ترك شامانيين ، وللشامان اله للسماء واله للارض ،
ويعتقد ان بالسماء سبع عشرة طبقة من الجنات ، وان بالارض
سبع طبقات من الجحيم . وفي اعلى السموات اله خالق . وإذا
مات الميت وكانت روحه خيرة ، صعدت الى السماء على هيئة
طائر جميل ، اما الروح الشريرة فتسيخ في الارض ، وفي المياه
جنيات تسكنها وعلى المؤمن أن يقدم القرابين اليها . وعرف
الترك البوذية التي تسربت اليهم من الهند ، والمسيحية النسطورية
التي حملها اليهم المبشرون ، كما عبدوا اله الخيرو الشر اسوة بغير انهم
الفرس ، ومذهبوا بمذهب الفناء الذي دعا اليه ماني النبي الفارسي .
ثم دخل عليهم الاسلام في القرن الثالث الهجري فدخلوا في دين
الله افواجا ، وليلحظ انهم تقبلوه عن رضا وطواعية ، ولم يقسروا
عليه ببطش الحسام ، كما انهم لم يناقشوا تعاليه ويكثر وامن تناولها
بالتفسير والتأويل . فهم أهل تسنن يطيعون الله والرسول ،
ولا يميلون كثيرا الى ذلك الاجتهاد الذي قد يسوق الى البدعة ،
فالمجتهدون من الترك قليل ، وهم وقافون عند الحدود ولا أدل
على ذلك من منزلة شيخ الاسلام عندهم فقد كانوا على مر ايامهم
لا يبرهون امرا إلا إذا افتاهم ، والعهد بهم يستطاعون رأيه في

الحروب وغيرها من الخطوب . وظهر الترك في التاريخ الاسلامي
يوم استقدمهم الخليفة المعتصم من الترانستان ليستظهر بهم على
الفرس والعرب ، فقد كان الفرس يطمعون في الملك لانهم أصحباب
الدولة العباسية ، فهم الذين أقاموها ، وكان للعرب عصبية قبلية
فرقت كلمتهم وقلقت من صلاحيتهم لتدبير شئون الدولة .

وكان الجند التركي قرما ، ففسدين فقد استعلوا على الخلفاء
وغضوا ومنهم وأذلوهم ما وسعهم الاذلال ، فكثيرا ما خلعوهم
وسملوا عيونهم وقتلوهم . وقويت شوكة الترك حتى استقل احمد
ابن طولون بمصر عام ٨٧٩ م . وفي منتصف القرن العاشر منع
الخليفة الراضي أحد الأتراك من منصب اعظيما هو منصب أمير الأمراء ،
فكانت اليه قيادة الجيوش والاشراف على مالية الدولة ، وزاد
ذلك في الطنبور نعمة فاستكبر الترك وامتلات أعطافهم زهوا
وحكموا احكم ظلم ، ولم يجدوا امامهم احدا من اهل الحول والقوة ،
وضاق الناس بجبروتهم ، فاستعدى اهل بغداد البويهيين عليهم
فقدموا اليهم من فارس وبددوا شمل الترك ، وورثوا عنهم لقب
أمير الأمراء واحتفظوا به فيهم قرنا من الزمان ، ثم ظهر الترك
الغزنويون فاستولوا على ملك السامانيين والبويهيين واتخذوا من
غزنة عاصمة لهم ، واتسع ملكهم حتى شمل ايران والهند .

فأدخلوا في الهند الثقافة الإسلامية واللغة الفارسية (١) . وخلفهم
السلاجقة وهم من الترك المعروفين بالغز . وعظم شأن طوغرل
بك حفيد ساجوق أمير التركستان وثل عرش الغزنويين ثم
استولى على إقليم خراسان الذي كان للبويهيين ، ودخل بغداد
ونال من الخليفة العباسي لقب سلطان وأخرجه من وصاية
البويهيين ليصبح في رعايته ، ونال طوغرل بك لقب أمير
الأمراء واحت سلطة الخلفاء نهائيا وأصبحت مقاليد الأمور

(١) كانت الفارسية لغتهم الرسمية ولهم على الأدب الفارسي فضل
كبير فقد أمر السلطان محمود الغزنوي شاعر الفرس القردوسي بنظم
الشاهنامه وهو كتاب في تاريخ إيران منذ أول العصور إلى الفتح
العربي . والشاهنامه أثر أدبي نفيس يعتز به الفرس كثيرا . هذا فضلا
عن أن هذا السلطان كان نصيرا للعلم والعلماء فقد احاط نفسه بجماعة
من الشعراء والأدباء واعدق عليهم من عطاياها ، وسار أعقابها بسيرته .
ولما دخلت جيوشه الهند امتزجت لغة الفاتحين بلغة أهل البلاد فنشأت
من ذلك لغة جديدة هي لغة الأوردو . والأوردو في التركيب معني
المعسكر أو الجيش . وبذلك نسبت هذه اللغة إلى الجيش الفاتح .
وأصبحت لغة الهند الإسلامية وأحدى لغات الأدب الإسلامي .

في يد السلاجقة ، وفي القرن الحادى عشر كان لهم ملك عريض
في آسيا الصغرى .

وفي اوائل القرن الثالث عشر هاجرت احدى القبائل التركية
فرارا من وجه المغول ويمت وجهها شطر ارمينية تحت لواء
رئيسها سليمان شاه ، ولما مات خلفه ابنه ارطغرل ، وانفق يوما
ان كان ارطغرل هذا يتجول مع فريق من فرسانه فرأى جيشين
يقتتلان فوق مشاهدا ، واثار حميته ان يصرع الضعيف بطش
القوى ، فيذل معونته للفتة الضعيفة حتى غلبت من كاد يغلبها
ثم عرف جليلة الامر وهى ان فئة من المغول اغارت على ارض
لعلاء الدين السلاجوقى سلطان قونية بآسيا الصغرى . فأجازه
السلطان على معونته ومروته بمقاطعة من مدنها اسكى شهر كما
انعم على ابنه بلقب بك . وفي سنة ١٣٠٠ تمزق ملك السلاجقة
ففتح عثمان وولده اورخان شمال غرب آسيا الصغرى ، ومنذ
هذا الوقت نبه ذكر عثمان ابى الترك العثمانيين .

ولعثمان هذا قصة نرويه لرمزها ومغزها فيحكى عنه في
شبابه انه كان محبا لمن تدعى (مال خاتون) فطلب يدها فرده ابوها
وظل عثمان يعاوده واسكن من غير طائل ، فاستياس العاشق
وأوى الى فراشه محزونا مكروبا ، ولما غلبته عينه رأى فيما يرى

النائم كأن الهلال يطلع من بطن مال خاتون فيملاً الدنيا عليه
نورا ثم يلبث برهة ويغيب في صدره . وحانت منه لفته فإذا
دوحة عظيمة تمد أغصانها من ظهره فتلقى على الارض ظلا وارفا
لاتأخذ العين اطرافه ، يمتد على الانهار والجبال ومنها جبال التاي
والقوقاز وطوروس ، ونظر فوجد النيل ودجلة والفرات تنبع
من اصلها وعلى شواطئها جنان خضر ومدائن عظيمة . ثم عصفت
الريح واشتد عصفها ، فاستحالت اوراق الدوحة سيوفا مشرعة
الى المدائن ومنها مدينة القسطنطينية (١)

وهب عثمان من نومه متعجبا من هذه الرؤيا ، وما كان
بأسرع من ان انطلق الى دار مال خاتون ، وهناك وجد اباهما
وكان شيخا من اهل الذكر فقص عليه رؤياه ، فبس له وبش
وارتضاه زوجا لابنته .

(١) ما أشبه هذه الرؤيا برؤيا استياج ملك ميديا . وقد كان لهذا
الملك ابنة تسمى ماندان تزوجها قديم ملك الفرس . ويقال ان استياج
راى في منامه كأن كرمة تخرج من بطن ابنته حتى تمتد ظلها الوارفة
على كل ارجاء آسيا . ولما استفسر عن ذلك قال له علماء المجوس بأن
ابنته ماندان ستنجب ، وسيسمع ملك ابنتها في آسيا بقدر اتساع ظل
تلك الكرمة التي خرجت من بطنها .

وقد حققت الايام مارأى عثمان في المنام ، فبسط العثمانيون
سيادتهم على الاناضول في اوائل القرن الرابع عشر ، واتسعت
فتوحهم فشملت بلغاريا والصرى في القرن الخامس عشر .
ونالوا طريزون وقرمان وارمنية والبوسنة والهرسك والباينا
والقرم في اوائل القرن السادس عشر ، كما ملكوا في اواسطه
تونس ومصر والجزائر والشام وبغداد والمجر . وهم جد غثورين
بعثمانيتهم ، وينعتون غيرهم من الترك بقلة الادراك والتخلف
عن مسارتهم فيما بلغوه من عزة ورفعة شأن .

واذا كان ادب الامة دليلا عليها وتعبيرا عنها ومعيارا لرقياها
الروحي ونضجها العقلي ، فلنجهد ان نقف على خبر هذا الادب
العثماني بسر د قصته ، لنعرف العثمانيين على حقيقتهم من هم .

نشأة الأدب التركي

مر بنا كيف استوثق الامر للعثمانيين ، بعد ان بنوا دولتهم على اطلال دولة السلاجقة في الاناضول ، فخلفوها في ملكها وورثوا عنها سلطانها . غير ان تراث السلاجقة لم يكن سياسيا وحسب ، بل ادبيا كذلك ، فهم وإن كانوا من الترك الا ان الفارسية كانت لغتهم الرسمية ، وقد بلغت الفارسية على عهدهم شأوا بعيدا المدى ، فكان الشعر في الذروة من دقة المعنى وفصاحة المبنى ، واستفاضت شهرة الشعراء الكثرين والشعراء المتصوفين . وكان للتصوف تيار يغمر النفوس ويفيض منه الشعر الفارسي في القرنين السادس والسابع على الخصوص ، وامتلات ارجاء الاناضول بالزوايا والتكياحيث يتبطل المتبتلون ويتعبد الزاهدون ، ويلتمس أهل العقول والقلوب ان يخرجوا بأرواحهم من هذه الدنيا العبوس التي ذهبت ببشاشتها غارات للمغول يشيب من هولها الوليد ، فلم يعد في الناس من يأمن على نفسه ولا على مال ،

وازعج الضعفاء عن اوطانهم فهموا على وجوههم ، واضطربوا
في الارض لا يلبون على شيء .

ودرج العثمانيون في بيئة روحية تميل الى رفض الدنيا
والتأمل في ذات الله وصفاتها ، وممنيتها الفناء فيه والوقوف على
الحقائق العلوية التي لا يلقاها الا ذو حظ عظيم . وكان ذلك
جديدا على التركي خواض الغمرات ، وفارس الهيجاء الذي عرف
الحياة جهادا وجلادا وهدما وتشبيها . كما احاطت بالعثمانيين
بيئة أدبية شعرها الفارسي شعر صوفي كأعلى ما يكون الشعر
الصوفي ، فتأثروا ابلغ التأثر بالادب الفارسي ونظروا اليه نظرتهم
الى مثال يحتذى .

وانه ليقف بنا التأمل برهة فنتساءل لماذا أخذ العثمانيون عن
الفرس ولم يأخذوا عن العرب ، فنحن لانعرف من شعراء
العثمانيين من حذا حذو شعراء العرب في عصر من عصور الادب
العثماني . ومرد ذلك الى انهم كانوا بالفرس اعلم منهم بالعرب ،
فقد جاؤروهم وخالطوهم منذ الزمان الطويل ، ولم تكن بين الترك
عامة والعرب صلة تذكر الا بعد دخول الاسلام عليهم في القرن
الثالث الهجري ، ثم ان السلاجقة الذين عاش العثمانيون في كنفهم
ثم ورثوا ملكهم ، كانوا تركا في جنسهم فرسا في ادبهم وظلت

الفارسية لغة العثمانيين الرسمية في مكاتباتهم ودواوينهم الى عهد مراد الاول ، فما بالهم يتحولون عن ابناء جنسهم ويبدتهم الى غيرهم ، وكيف يصح في الافهام ذلك على قلة خبرتهم بالعرب ولغة العرب خصوصا في أول أمرهم وجزئهم منهم^(١) .

(١) يرى الاستاذ حيدر بامات أن هذا لا يخلو من شطط ، ويقول أن انكار اثر العرب أمر لا يسوغ ، لأن الترك أخذوا عن الفرس المتأثرين بالعرب ، ويذهب مع من يذهب إلى أن التصوف الفارسي نتيجة لالتقاء الدين الاسلامي بدين الفرس القديم . ونحن نرى في هذا القول تحكما ، وهو أن جاز عقلا لا يجوز واقعا . فصحيح أن شعراء الفرس أخذوا عن شعراء العرب ، ولكن الشعر الفارسي الذي عرفه الترك غير الشعر العربي . ولم يكن بين العرب والترك من الصلة ما كان بين العرب والفرس . وحتى الالفاظ العربية في التركية إنما تسربت إليها لامتزاجها بالفارسية ، ولم يتأثر الترك خطى العرب إلا في التشريع والفقہ وعلوم الدين وجدير بالذكر أنهم لم يظهروا من الميل إلى العربية والحذق في تعلمها ما أظهره الفرس مثلا . أما العنصر العربي في التصوف الفارسي فلا محل لذكره هنا ، وليذكر في تاريخ المذاهب ، وإن اختلف العلماء في أصل التصوف كاختلافهم في معنى كلمة صوفي . راجع Haidar Bammate, Visages de l'Islam. P.405

وكانت مدينة قونية عاصمة السلاجقة ببلاد الاناضول ،
وفيهما جماعات الصوفية وحلقاتهم ، وملتقى شياخهم ومريديهم ،
وقد عرفت هذه المدينة شيخا يقال له بهاء الدين ويلقب بسطان
العلماء ، رحل اليها من ايران ومعه ولده جلال الدين ، فتعلم
الصبي وتأدب وشب عن الطوق وكان موضعاً لحب ابيه واعزازه
لغزارة علمه واشتهار فضله . وخلف اياه في مشيخته واصبح
من يدعى جلال الدين الرومي ، نسبة الى بلاد الروم ، وهي
الاناضول ، التي استوطنها . وهو اشهر من ان يعرف لانه اعظم
شعراء الصوفية غير منازع ، وله في الفارسية كتاب المثنوى .
والمثنوى هذا منظومة صوفية في نحو من ثلاثين الف بيت وهي
موضع نظر الصوفية من سور الصين شرقا الى شاطئ البحر
الابيض غربا ، ومرجع لكل من اراد المساما بعقائد الصوفية
ومبادئهم وعقائدهم ، كما ان لجلال الدين الرومي ديوانا كبيرا جيدا
من الشعر ، وكان للمثنوى وهذا الديوان ابعد الاثر في بلاد ،

وزن الشعر التركي

أخذ الترك شعرهم عن الفرس بأوزانه ومصطلحات عروضه ،
والعروض الفارسية عروض عربي تناوله الفرس بشيء من التغيير =

== والتجوير ، فتصرفوا في الزخافات والعلل ، واصطنعوا بحورا قل
فيها شعر العرب كالمجتمث والمضارع والمقتضب ، كما زادوا في الشعر
أجرا واجزاء خاصة بهم ، وعلى ذلك نجد عند الترك الأوزان العربية
القديمة المألوفة إلى جانب تلك الأوزان الفارسية الحديثة المبتكرة ،
وبعض أوزان وانماط من النظم لا عهد للعرب بها ولا للفرس .
وإذا طلبنا تفصيلا لذلك قلنا ان الترك عرفوا عن الفرس ذلك النظم
المعروف بالمشوى نسبة إلى كلمة « مشى » وشرطه أن يكون الشطران
من روى واحد لا يلتزم في بقية المنظومة ، وقد نظم الفرس في هذه
المنشويات شعرهم القصصى وملاحمهم المطولة ، لأن هذا النوع من
المنظومات أطوع ما يكون للشاعر وأعون على إمتداد النفس واتساع
الأفق ، ومن هذه المنظومات الشاهنامة للفردوس والمشوى لجلال
الدين الرومى والقصص الخمس لنظامى ، أما عند الترك فمما ترجمة
الشاهنامة لشريفى وترجمة المشوى لنحيفى ، والقصص الخمس
ليحيى بك .

والغزليات من أحب المنظومات إلى شعراء الفرس والترك
وأوفقها لطبيعتهم ، والغزل منظومة ذات روى واحد لا تقل أبياتها
عن سبعة ولا تزيد على خمسة عشر ، والأصل في موضوعها الغزل
وقد تناول أحلام الصوفية من خمر وغناء للبلبل بين الزهر ، ومما
يلتزمه شاعر هذا الغزل أن يذكر اسمه الشعرى في البيت الأخير أو ==

= قبل الأخير وهو ما يعرف عند الفرس والترک بالتخلص أو المتخلص
 ويسميه الأوربيون Nom de plume ويختار الشاعر تخلصه من اسمه
 كالشاعر التركي المتخلص بباقي واسمه محمود عبد الباقي . أو من اسم
 مولاه ومدوحه كالشاعر الفارسي المتخلص بسعدى نسبة إلى الأمير
 سعد بن زنكي واسمه مشرف الدين مصلح . أو من اسم حرفته أو
 حرفة أبيه وبلده وما يجرى هذا المجرى . وشعراء الفرس والترک
 معروفون باسماتهم الشعرية ومرتبون عليها في كتب سيرهم المعروفة
 بالتذكرة . ومن هذه الغزليات غزليات حافظ الفارسي وفضولي التركي .
 وبما أخذته الترك عن الفرس الرباعي وهو يتألف من أربعة أشطر
 فقط يتفق فيها الأول والثاني والرابع في الروى ويختلف الثالث .
 وهو من بحر الهزج . وهذا الضرب من النظم موافق للشاعر على
 عرض فمكرة بعينها لأنه وحدة مستقلة ، فالرباعية لا ترتبط بغيرها .
 ومن هذه الرباعيات رباعيات الخيام الفارسي والقاضي برهان الدين
 التركي . ويقال ان الرباعي وزن فارسي أصيل .

وكثيرا ما تصادف عند الترك نوعا من النظم يسمى القطعة والفرق
 بينها وبين القصيدة والغزل أن روى الشطر الأول من بيتها الأول
 يختلف عن روى الأبيات التالية وقد تقصر القطعة فلا تزيد على بيتين
 وإذا ما حذفنا البيت الأول من القصيدة أو الغزل ، فالمتبقي هو القطعة
 أما المسطوفية تتوالى أربعة أو خمسة أو ستة أشطر متفقة في رويها =

== ثم يختص شطر بروى تشاركه فيه نظائره .

وترجيح بند وهو منظومة يسمى كل قسم منها خانه بمعنى بيت في الفارسية ويحوى كل من هذه الأقسام أبياتا متفقة في الروى بتلوها بيت مستقل يكرر بعد كل قسم ومثاله ما مدح به الشاعر واصف من يدعى حسين باشا .

ويختلف تركيب بند عنه في هذا البيت المستقل الذى لا يكرر لارويه ومثاله مرثية باقى النى رثى بها السلطان سليمان القانونى .
والمستزاد غزل تزداد بضع جمل أو ألقاظ على كل شطر فيه ولا بد أن تكون فى وزنها ورويها كالشط الذى سبقها .

ومما أواع الترك به التاريخ ، وهو بيت أو أبيات يذكر فيه تاريخ شيء أو تاريخ وفاة فى البيت الوحيد أو الأخير وذلك بحسب الحروف كتواريخ الشعرة لىلى هانم . كما أكثروا من نظم ما يعرف بالنظائر وذلك أن ينظم شاعر قصيدة يعارضها قصيدة لشاعر آخر على أن تكون القصيدتان من نفس البحر والروى . وللشاعر لطيفى نظيرة اردها فى تذكرته معارضاها قصيدة لزىنب هانم ، ولاحد باشا نظائر قلد فيها نيازى .

وللترك منظومات تركية أصيلة تسمى توبوغ ، وهى شديدة الشبه بالرباعيات الفارسية غير أنها من بحور أخرى ولا ينظمها إلا شعراء الشعب وإن كنا نجدها عند نسيمى والقاضى برهان الدين ==

— ولهم ما يعرف بتركو بمعنى أغنية أو نشيد وهي من الشعر الشعبي
كذلك وتتألف من أربعة أشطر ثلاثة متفقة الروى والرابع مختلف
وعما يدل على تركيبها أن الأوائل من شعراء الترك نظموها في بدو
ظهور الشعر التركي ، ولنا مق كمال بك نشيد وطني يسمى (وطن
توركوسى)

وللتوركو ما يشبهها وتسمى (شرقى) ومعناها اغنية كذلك غير
أها أوفر من التوركو حظا من الجمال الأدبى أو أنها الصيغة الأدبية
للتوركو المنظومة على أصول العروض ، وتختلف عن القصائد
والغزليات ببساطتها وقلة العناية بالصنعة فيها وذلك الجور المرح الذى
تموج فيه فيجعلها أوفق ما يكون للغناء والتنغيم ، وقد اشتهر بها
الشاعر واصف الابدرونى . ومن المنظومات الشعبية ما يسمى (مانى)
وتتألف الواحدة من أربعة أشطر لا تزيد ولا تنقص ، وكيفية
إلقائها لا يخلو من طرفة ، فإذا كانت ثلثة من الفتيان فى قارب مثلا
ومروا بقارب فيه فتيات ، ألقى الفتيان هذه المنظومة ، فردت
الفتيات . بأخرى ، وقد تدوم هذه المطارحة بعض الوقت .

وللترك وزن قديم خاص بهم يسمى بالوزن الهجائى أو حساب
البنان وهم لا يظنون فيه على اصول العروض الفارسية وتفعيلاته
وانما يزنون الشعر على حركات الاصابع ، وقد بعثوا هذا الوزن
القديم واصطنعوه فى اواخر القرن السابع عشر حين استيقظ فيهم —

قدر للشعر التركي العثماني أن يظهر فيها ، وتنسب إلى جلال الدين
آيات تركية هي أول باكورة للشعر التركي ، يقول فيها (أنا
اصطفيك من دون الأنام حبيبا كما قد تعلم ، والكمد لاشك قاتلي
ان لم تجد بوصول منك يحييني . لله ما أسعدها لحظة تلك التي اراك
فيها الى جانبي ، سأتعلم لغة الترك ، وأكب على الشراب أرشفه
رشفا)

ولست هذه الآيات من الأهمية بمكان عظيم ، وإنما
الأهمية لصاحبها الذي نشر طريقته الصوفية في الأناضول ثم
مات سنة ٦٨٨ هجرية ، بعد ان اعقب ولدا لقنه تعاليمه واهله
ليشتر دعوته من بعده ، ويدعى سلطان ولد . وقد ادبه ابوه
فأحسن تأديبه وقال له انت اشبه الناس بي خلقا وخلقاً ، وما
ذاك الا لسكونه عالما بتعاليم ابيه ومراميه ، قادرا على تفسير

== الوعى القومى ، ونظم فيه بعضهم حتى عام ١٨٧٩ ثم ظهر عبد
الحق حامدك وادخل على الشعر التركي انواعا من النظم الاوربى .
وفي هذا الوزن منظومة بعنوان الفرسان لانيس بهيج .
اما الوزن العربى الاصيل وهو القصيدة فقد نظم الترك فيه كذلك
ونصافها كثيرا عند فطاحل شعرائهم كنعفى وباقى .

المبهم من معانيه وبذلك أصبح اسلافه خير الخلف ، ونال عن
جدارة منصب جلال الدين الروحي ، فانتسح على يديه انتشار
طريقته المعروفة بالطريقة المولوية وعمرت بها القلوب بعد شرح
غوامضها وحل رموزها . وقد اقام في خلافته الصوفية ثلاثين
عاما .

وله شعر فارسي لا يعنيننا بقدر ما يعنيه اشعره التركي ، فله
منظومة تركية سماها (رباب نامه) اى كتاب الرباب ، وتعتبر اول
محاولة جدية للنظم بالتركية العثمانية ، واقدم اثر شعري نملكه بهذه
اللغة وهو فى شعره هذا لا يورد من الالفاظ العربية والفارسية
الا قليلا الى جانب الفاظه التركيه التى تخفى علينا معانيها لانها
غريبة مهجورة بالقياس الى لغة العصور التالية . واسلوبه ظاهر
السهولة عار عن الزينة خال من المحسنات اللفظية ، وعنايته بالمعنى
قبل عنايته باللفظ ، وقد ترتب على ذلك عدم استنكافه من
تكرار يشوه الجمال الأدبي ويصف شعره بالركاكة فى بعض
المواضع . وهذا محمول على انه اخذ نفسه بالترام منهج تعليمي
لا يرتضى عنه حولا . ومن قوله فى (رباب نامه) . (اعلم ان
مولانا جلال الدين الرومى قطب الاولياء ، فألق السمع الى قوله ،
والزم نفسك ان تعمل به ، فما كتاباته الغر الحسان إلا رحمت من

رب العالمين ، وفيها للعين العمياء نور ترى به معالم طريقها ، وانى
لاستلهم الله قدرة لى على ان اوفيه حقه من مدح وتمجيد . انا خالى
الوافاض من نشب ولا املك من حطام هذه الدنيا شيئا ، فكيف
اجود بما ليس عندى ! وما غناى الا بتلك المكلمات التى تبصر من
عمى وتهدى من ضلال ، وهى النفائس التى لا يرضى العاقل بديلا
بها . زينة الدنيا وزخرفها الى ثراب ، اما المكلمات فالى خلود واللفظ
يبقى ابا ، اما المال فيذهب بددا بددا . فامسك على نفسك ما يبق ،
واقطعها عما يقنى . الا فلتدع ربك فى صلاة باكية ، ولتضرع
اليه ان يمد عليك جناحا من رحمته ، وقل له : اللهم فتح عينى
لرؤيتك واجعلنى كالقطرة تسقط فى البحر اللجى وتمتج بأواجه
وامواجه ، فتخلد خلود البحر الى آخر الدهر) وهو هنا يذكر
اباه بالحسنى ممتدحا تعاليمه داعيا اليها ، ويجرى على عادة المتصوفة
من ذم الدنيا والزراية على مفاتنها وطيباتها ، فغنى المال فقر ومتاع
الحياة غرور ، والسعيد من سمى روحه فطلبت الفناء فى الذات
الالهية ، وامتزجت بالوجود الذى هو فى الواقع مظهر لوجود
فاطر السموات والارض ، ومجال لقدرته تآتى فيه من الاعاجيب
مالا تدركه الاوهام ، وتسمية الموجودات بالموجودات تسمية
رمزية مجازية ، وذلك لانها مظهر للتجلى ، وهى موجودة بوجود

الخالق سبحانه ، اما من حيث ذاتها فعدومة .

وله مقطوعة رمزية بصور فيها صلته بالله على اختصار ،
فيرمز لله بالنور ويشبهه قلبه بالدار ، ونفسه الانسانية الامارة
بالسوء بمن يتلصص ، فيقول (ان نورا يضيء الليلة دارك ،
فكان البدر يسكنها بضياؤه ، وان تعرف الظلام بعد اليوم ،
فلا ظلام مع هذا البدر . اما ذلك المتلصص الذي يعيث في ستر
فسوف ينكشف أمره في النور) .

ومات سلطان ولد سنة ٧١٢ هجرية بعد ان عاش في عهد
السلطان عثمان ، فعاصر من اسس الدولة سياسيا من اسمها
اديبا (١) .

ولدينا شاعر آخر نذكره ولا ننساه لانه يعبر اصدق تعبير
عن الروح التركية في عهد نشأة الشعر التركي وهو يونس امره
ومعنى اسمه يونس العاشق . ومن عجيب امر هذا الرجل انه

(١) من مؤرخي الادب من ينسب شعرا الى السلطان عثمان
باتركية الدارجة ، كما تنسب ابيات الى ولده ارطغرل ، وهذا الشعر
منحول وان نظرة اليه لتكفي في رفض نسبته الى قائله ، لان لغته
لغة العصور المتأخرة ، ولذلك طويينا ذكره وقطعنا النظر عنه .

كان أميا كما تقول كتب التراجم ، فلم يكن جزيل الحظ ولا ضئيله
من تلك العلوم التي يفنى فيها البلغاء اعمارهم ، ويجعلون على
انفسهم ان يحيطوا بشيء منها ، لتسكون ذخرا لهم يستمدون
منه ونورا يستضيئون به . فقال الشاعر منطلقا على سجيته ، وقد
اعانه على ذلك طبع مداد وملكة اصيلة . فكان ملهما فيما يقول
بأجمع معاني الكلمة . وشعره زاخر بالتعاليم الصوفية بلا تكلف
ولا تعسف ولا شحذ لقريحة ، والملاحظ عليه انه يخلو من زينة
اللفظ خلوا يكاد يكون تاما . ويؤخذ من هذا ان يونس امره لم
يكن من علماء الصوفية ، فلا وجه لشيء مطلقا بينه وبين سلطان
ولد مثلا ، وانما كان عارفا ، والعارف عند اهل التصوف ، ملهم
يلقى اليه ، وكل قوله وعلمه وحى يوحى . وهم يفسرون ذلك
بأن العلم علمان : علم الظاهر ويتوصل اليه بالتعلم وكند الذهن ،
وعلم الباطن ، وشرط الاحاطة به صفاء النفس وخلوص القلب ،
والاقلال من الكلام والاعتماد والاعتزال عن الانام ، حتى تنطهر
الروح وترتفع عنها حججها ، وبذلك ترى ما لا تراه عيانا وتسمع
ما لا تسمع الاذنان . فعلمهم لا يستلزم عندهم امعان النظر وإعمال
الفكر ، وانما يستقى من منبع الالهام . وهذا لا ينفي مطلقا ان
يكون يونس امره قد وعى كل ما عرف قومه عن التصوف ،

واحسن التعبير نظما ، لانه مطبوع على الشعر ، فلم تأس حاجته
الى استتمام اداة هذا الشعر ، كما ينهض دليلا على رواج التصوف
وانتشار تعاليمه فى الاناضول . قيل وقد اظهر يونس امره
الكرامات ووعظ وارشد وهز قلوب من جلس منه مجلس
المسترشد المستفيد . وكان تأثيره على سواد الناس ابلغ من تأثير
سلطان ولدوجلال الدين الرومى ، وذلك لوضوح معانيه وسهولة
مراميه . ونظم الدعوة الى الصبر والقناعة ، كما زهد فى محبة الدنيا
وقبح التهالك على حطامها . غير ان هذه المنظومات لاتعد شيئا
بالقياس الى شعره الصوفى المحض كقوله (تعال وامن بنا
الى الحبيب ولنسكن شريكين . تعال وليكن منك دليل ، ووجه
الحبيب قبلتنا . تعال واطرح هموم قلبك ، فهمنا لقيا الحبيب
وزايل معى هذه الدنيا فانها الى زوال . لا لاتفارقنى والى الحبيب
سرى . لادوام للدنيا على حال فاصح من سباتك وانتبه من
غفلتك ، والى الحبيب هيا بنا ولنسكن صفيين) ويلوح انه
بهذا الشعر يدعو الى طريقته ويريد بغير الصوفى أن يكون
مثله صوفيا .

وقال من مناجاة لربه يبوح فيها بذات نفسه ، ويفصح عما
يجول فى قلبه (ان سألتى يا الهى فهأنذا اجيبك ، انان كسبت

خطيئة فما ظلمت إلا نفسي ، ولا قصدت بشيء ذاتك العلية يارب .
الذنوب ارجاس ، واهلها جيف دنسة ، فهلا نزهت موازينك
عن ان تزن ادناسا وارجاسا ، فلو سترتها بفضل من رحمتك ..
وإن كان الشرك اثما كبيرا ففي يدك انقاص الشر ، وزيادة الخير ،
وانقاص الخير في يدك وزيادة الشر ، واذا اردت لي النار فانظر
الي كيف احترق ! وحاشا لله ان يكون ذلك منك يارب الأنام .
وإذا ما امتنى فصرت ترابا ، وامتألت عيني ترابا ، فانت عايم
بنتي نحوك لأنك عليم بذات الصدور ولا يخفى عليك ماظهر وما
بطن ، ولكن هل يستحق إنسان مثلي وهو حفنة من تراب كل
هذا القيل والقال ، يا كريم ما ذا الجلال ، انا لا املك سوى ذلك
من جواب ، وهذا كلامي والله اعلم بالصواب)

وهذا مثال جيد للشعر الصوفي الشعبي ، ففيه نشوة الهية ،
وقد ادى اداء صوفيا فيه اخبات وتوكل ، واظهار لضعف
الانسان امام عزة الرحمن ، كما ان فيه ذكرا للرأى القائل بان
الله لا يريد بأحد شرا ، وان الناس هم الذين يختارون شر لا فسيهم ،
ويذهب البعض الي ان يونس امره كان من البسكتاشية ويوردون
قصة فخوها ان يونس هذا كان يعيش في قرية من صغار القرى
يقال لها صارى كوى ، واتفق في احدى السنين ان احتبس المطر ،

ثياب زرعه وسامت حاله . وكان يونس قد سمع بان حاجي
 بكتاش كريم معطاء لا يرد سائلا فرأى ان ينتجع كرمه ، ومضى
 اليه وهو يحمل هدية من الفاكهة . ثم لبث اياما في ضيافته ، ولما
 هم ان ينصرف ، خيره حاجي بكتاش بن ان يعطيه قمحا وان
 ينفخ فيه من بركته انفاسا على جارى عادة الصالحين الذين كانوا
 يمنحون البركات مريديهم بهذا الصنيع . فاختار يونس القمح
 ومضى . وما مضى بعيدا حتى ادركه الندم وعاد الى الشيخ ، فدفع
 اليه القمح وسأله ان يهبه البركة . وقال الشيخ ما الى هذا سبيل
 لأن (مفتاح رحلته) قد ارسل الى من يدعى طايدق امره . وانطلق
 يونس اليه ، وتخدمه طايدق خادما فكان يونس يحتطب له كل يوم .
 وبعد اربعين يوما عاد الى شيخه الذي استقبله في حفل عظيم .
 واستندى شاعر يته لأن (طريق العودة) قد فتحت له . فانطلق
 يونس امره على سجيته وقال شعرا لاعهد للسامعين بمثله حسنا (١)
 وله تسعة ابيات رمزية في السالك يتبرك در اويش البكتاشية
 بحملها في حزمهم . وقد الغزها فعمى مراده واتى به مشتبهها واضمره
 على خلاف ما اظهره . وقال في البيتين الأولين (طاعت على

Birge, The Bektashi Order of Dervishes. P. 53 (١)
 (Hartford 1947)

شجرة البرقوق واكلت منها العنب ، ونهرني صاحب البستان
قائلا لم تأكل من جوزي ، وضعت لبنة في القدر وأغليتها بالشمال
وانتدمت بلها وقدمته لمن سألتني إمام هذا ؟

وقد شرحها محمد نيازي المشهور بالمصري في القرن
الحادي عشر الهجري . (٢)

ولا يعرف تاريخ وفاته على وجه التحقيق ، والمشهور انه
توفي عام ٨٤٣ هـ

هذا وقد اتم الشعر التركي دور نشأته بفضل جلال الدين
الرومي وسليمان ولد ويونس امره ، فجلال الدين صاحب الفكرة
واول من نظم ابياتا بالتركية ، وسليمان ولد شارح الفكرة ،
وناظم شعر تركي الى جانب شعره الفارسي . اما يونس امره
فعبر عن الفكرة بشعر تركي خالص . وقد تأثر شعراء الترك
بهم اجيالا طوالا كما سنرى في مقبل الفصول .

(١) انظر هذا الشرح وترجمته في (التصوف الشعبي في الأدب
التركي) للاستاذ حمزة طاهر بفضلة من مجلة كلية الآداب ، المجلد الثاني

عشر ، الجزء الثاني - ديسمبر ١٩٥٠

عصور الأدب التركي

إذا شئنا ان نقسم الأدب التركي عصورا أسوة بغيره من
الأداب ، الفينا ذلك امر ليس بيسير ، وراعنا ان مؤرخى هذا
الأدب من علماء الترك وعلماء الفرنجة مختلفون اختلافا لا عهد
لنا به لدى مؤرخى الآداب الاخرى كأدب الفرس والعرب مثلا .
وهم حتى إذا اتفقوا على عصر او عصرين ، لا يتفقون على بقية
العصور ، وان المؤرخ المتأخر الذى يرى ذلك شأن من سبقوه
لواقع فيما يشبه الحيرة ، خصوصا إذا ذكرنا ان اتباع المنهج
العلمى الأقوم يحتم عليه ان يبدأ من حيث انتهى سلفه ، ويستدرك
عليهم آراءهم ، متمما بذلك ما لم يتموا ومضيفا الى قديمهم جديدا .
وهؤلاء المؤرخون إذا راعوا الترتيب الزمنى وهو امر بدهى
لاحيص عنه ، فإن منهم من يجمع حشودا من الشعراء يصعب
ان نميزهم بعصرهم او نميز عصرهم بهم .
وإذا تتبعنا التاريخ الأدبى عند الترك ، وجدنا ان اقدم

آثاره تلك السكتب المعروفة (بالتذكرة) (١) وما هي في واقع
الأمر الامعاجم للشعراء تضم اسماءهم وشذرات عن حيواتهم
وبعض الأمثلة من شعرهم ، ومن التحكم ان نعتبرها تواريخ ادب
بالمعنى السابق الى الذهن . اما السكتب التركية الأحدث عهدا
كسكتب خرابات لضيا باشا (٢) وهو مختارات من الشعر العربي
والفارسي والتركي فإن فيه مقدمة منظومة عن شعراء الترك تعتبر
اول محاولة لتاريخ شعرهم . والشعراء فيها ثلاث طبقات فالأوائل
الى عهد الشاعر باقى والأواسط الى عهد نانى ، ويأتى بعدهم
الأواخر والشاعر فيهم نادر . ولو امتد الزمان بضيا باشا لتحدث
عن شعراء المدرسة الحديثة ، تلك المدرسة التي كان من
أوائل روادها .

ولدينا بعد ذلك فائق رشاد صاحب تاريخ الأدب العثماني (٣)
الذي قسم هذا الأدب اثني عشر عصرا وسمى كل عصر باسم
شاعره ، وتلك العصور هي عصر عاشق باشا وشيخي واحمد باشا

(١) مثل تذكرة لطيفي وهو شاعر تركي من أهل القرن العاشر
الهجري ، وكتابه من أقدم ما ألف في هذا الموضوع

(٢) ضيا باشا - خرابات ٣ ج (استانبول ١١٩١ هـ)

(٣) فائق رشاد - تاريخ أدبيات عثمانية (لم نقف لطبعته على تاريخ)

ونجسني وذاتي وباقي ونفسي وناب ونديم وراغب باشا وشيخ
غالب وشناسي .

ويتلو تلوه عبد الحلیم مدوح في التقسيم بالشعراء فيعقد في
كتابه (١) فصولا ثلاثة يتحدث في اولها عن مميزات الأدب ثم
يجعل للفصلين التاليين عنوانين هما من سنان باشا الى عاكف
باشا ومن عاكف باشا الى العصر الحاضر .

وعندي ان تصور الأدب مقسما على حسب الشعراء تصور
ناقص ، لأن الذهن يتجه اول ما يتجه الى تحديد زمان الشاعر
وتعرف مكانه من بيئة ادبية لها ما يميزها عن غيرها . ولا ريب
في ان فائق رشاد قد ركب الشطط في تقسيمه ، فلم يست الفوارق
بين شعرائه الاثني عشر من السعة بحيث نتصور معها اثني عشر
عصرا ، وسنرى بعد برهاننا قاطعا على ذلك .

اما شهاب الدين سليمان فقد جعل للأدب العثماني عصرا اولاً
وعصراً ثانياً ثم عهداً حديثاً في كتابه تاريخ الآداب العثمانية (٢) .
على حين نراه في كتاب آخر الفه مع كوبريلي زاده محمد فؤاد (٣)

(١) عبد الحلیم مدوح - تاريخ أدبيات عثمانية (استانبول ١٣٠٣هـ)

(٢) شهاب الدين سليمان - تاريخ أدبيات عثمانية (استانبول ١٣٢٨هـ)

(٣) كوبريلي زاده محمد فؤاد ، شهاب الدين سليمان - يكي عثمانلي

تاريخ ادبياتي (استانبول ١٣٣٢هـ)

يسمى التاريخ الحديث للأدب العثمانية ، يطلعنا من مؤلفه هذا على مدخل ودور الأدب يدعى الدور الصوفي ثم دور السراي وبعده دور السكال ثم دور الفكر . والمؤلفان موفقان في اختيار الأسماء على مسمياتها . ومن كتاب (دروس في تاريخ الأدب) لأكاه سرى ^(١) نرى هذا التاريخ مقسما على حسب القرون وللأدب الشعبي ذكر فيه . ونلاحظ على هذا الكتاب انه غير مترابط الفصول والابواب . وعصور الادب التركي عند اوزون ^(٢) ثلاثة ، عصر ما قبل الاسلام وعصر التأثر بالاسلام ثم عصر التأثر بحضارة الغرب . وان يتصور القارئ العربي هذا التقسيم للأدب التركي الا إذا تصور مثله للأدب العربي وهيئات . هذا ما لدى من الكتب التركية التي أرخت الأدب التركي ، اما الكتب الافرنجية فاقدمها كتاب هامر النموسى المعروف بتاريخ الشعر العثماني ^(٣) وهو في اربعة اجزاء وعصور الادب

Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri (Istanbul (١) 1939) 3c.

Mustafa Nehat Ozon, Son Asir Turk Edebiyati (٢) Tarihi (Istanbul 1945)

Von Hammer - Purgstall , Geschichte der (٣) osmanischen Dichtkunst (Pesth1836)

عند هذا المؤلف خمسة كعصور التاريخ السياسي في كتابه (تاريخ
الامبراطورية العثمانية) وما يؤخذ عليه الاطالة وقلة العناية
بتمحيص الآراء . وهذا العالم ظاهر التأثير بالسكتب التركية المعروفة
بالتذكرة . واشهر واوسط ما اخرج للناس عن الادب التركي ،
تاريخ الشعر العثماني للمستشرق الانجليزي جب (١) وهو كتاب
جامع في ستة اجزاء ، وصاحبه كثير التفصيل مستفيض الدراسة
يتحدث عن العلوم الاسلامية ثم يجمع الشعراء المتميزين بطابع
مشترك ويحدد بالقرون وحكم السلاطين .

وفي فصل قصير بكتاب (تركيا) (٢) ذكر لين پول أن
لادب الترك عصرين ، القديم والحديث و اشار الى بعض السكتب
والشعراء ، يميزا كلاً منهم بهمد السلطان الحاكم . وقد نص على
ان عهد سليمان القانوني هو العصر الذهبي للادب التركي ، وعصر
محمود الثاني عصر التحول وبداية التجديد باطرا ح تقليد الفرس ،
والنهج منهج الفرنسيين . غير ان المؤلف يغفل ذكر كثير من
الشعراء ما كان ينبغي لذكرهم ان يغفل .

Gibb, AHistory of ottoman Poetry (London1910) (١)

Lane-Poole, Turkey (London- 1908) (٢)

وللكاتب الارمني باصماجيان تاريخ الأدب العثماني (١) يقسمه
فيه الى عصر قديم ووسيط وحديث ، ويذكر لمحات عن الشعراء
دون ايراد امثلة من شعرهم ، كما ينحو باللائمة على من سبقه من
المؤرخين الذين لم يخصصوا النثر الفنى بقسط وافر من عنايتهم .
وعرض منتزعا لتاريخ الادب التركي ضمن مجموعة تعرف
بالآداب الشرقية (٢) وهو عرض سريع فيه كلام عن الادب
القديم والحديث والشعبي

وفي كتاب (اللغة التركية دراستها وتدرسيها) (٣) جعل
هاختمان للآداب التركي عصورا اربعة ، الأول عصر نشأة اللغة
في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، والثاني العصر القديم
الذي حذا فيه الترك حذو الفرس ، وذلك في القرن السادس عشر ،
والثالث عصر التحول في القرن السابع عشر والثامن عشر
والنصف الأول من التاسع عشر . ثم قال ان الترك جهدوا ان

Basmadjian, Essai sur l'histoire de la litterature (١)
ottomane (Paris 1910)

Menzel, Die türkische Litteratur (Die orientalischen (٢)
Litteraturen) (Berlin 1925)

Hachtmann, Türkisch, wie man es erlernt und (٣)
lehrt (Stuttgart)

يتخذوا لهم ادب قوميا فاحققوا ، اما العصر الرابع فعصر التأثر
بالادب الفرنسي وذلك منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر .
وقد وصف كتيبه هذا بانه نظرة عابرة ، وتمييزه اعصور الادب
جيد لا باس به غير انه لم يوفق في قوله ان الترك اخفقوا في اتخاذ
ادب شعبي خاص بهم . ومن اسف انه ذهل عن ذكر تاريخ
لطبع كتابه ، وان غالب على الظن انه الف في عام من الاعوام
العشرين الاولى من القرن العشرين .

وقسمت الكاتبة التركية خالده اديب ادب العثمانيين الى عدة
اقسام في كتابها (الصراع بين الشرق والغرب في تركيا) فتحدثت
عن فن كتابة التاريخ عند الترك وذكرت المدرسة الصوفية ثم
المدرسة الواقعية التي عرفت في نهاية القرن الثامن عشر ثم المدرسة
الحديثة (١)

وقد خص افرينول هذا الادب بفصل مقتضب في كتاب
(تركيا الثائرة) (٢) فقسمه الى ادب الشعب وادب القصور أو
الادب الديواني ثم الادب الديني او ادب التكايا . وان وجازته

Halide Edib, Conflict of East and West in (١)
Turkey (Lahore 1935)

Evrenol, Revolutionary Turkey (Ankara 1936) (٢)

المخلة لتقلل من قيمته العلمية فهو لا يعتبر تاريخا بالمعنى الصحيح وان كان يطلعنا على رأى تركى من ابناء الجيل الحديث فى آداب لغته. وقد تحدث نافاريان عن الادب التركى فى هامش من كتابه (المسلاطين الشعراء) (١) فقال ان لهذا الادب مدرستين، مدرسة اسيوية تبدأ من سنة ١٣٠٠ ميلادية وتنتهى بموت السلطان سليم الثالث سنة ١٨٠٨. ومدرسة حديثة او اوربية اسسها شناسى وهى تبدأ بعهد عبد المجيد الاول عام ١٨٣٩. وهذا تقسيم صحيح وان كنت أرى أن يلحق بهاتين المدرستين غيرهما.

وتصدى روسى فى كتاب (تركيا الحديثة) (٢) لحياة الترك الثقافية فجعل لها ثلاثة عصور، عصر ما قبل الاسلام وعصر ما بعد الاسلام والعصر الحديث، وميز كل عصر بسمائه. وهذا لا يخلو من موضع للتجريح. فالعصر الذى يسميه عصر ما قبل الاسلام، لانملك من أخباره الا النزر اليسير، وهو لا يكاد يذكر الا فى مقدمات الكتب التى تؤرخ الادب العثمانى، ومن الاقحام ان نعتبره عصرا اوليا، خصوصا اذا جعلنا له عصرا ثانيا يمتد أكثر

Navarian, Les Sultans Poètes (Paris 1936) (١)

Rossi, La nuova Turchia (Firenze 1939) (٢)

من عشرة قرون ، ولا يصح في الفهم ان نضع عصر اديبا واحدا
في هذا الزمن الطويل دون ان نقسمه اقساماً ، اللهم إلا اذا
اكتفينا باللحاح والاشارات .

والادب التركي تاريخ في فصل قصير بكتاب مظاهر الاسلام
لحيدر بامات (١) . وهذا الكاتب يلحق كل شاعر بالقرن الذي
عاش فيه .

هذا كل ما تحصل لي من كتب تواريخ الادب التركي ، ووسيلتي
منقطعة الى غيرها مما ليس في حوزتي . وهذه الأمثلة التي قبستها
منها تدل دلالة واضحة على اختلاف اصحابها في تعيين عصور
هذا الادب . والذي اراه سبباً لذلك ، هو ان اسرة واحدة من
السلاطين قد حكمت العثمانيين واقامت في حكمها من عام ١٣٠٠ الى
عام ١٩٢٢ فترتب على ذلك ان استحال تمييز العصور الاديبة
بأسماء الأسر أو الدول الحاكمة كما هي الحال في الادب الفارسي
والعربي مثلاً . كما كان لتأثر شعراء الترك بالتصوف تأثيراً شديداً
وتهاكهم على تقليد الفرس ، باعثاً قويا لبعض المؤرخين على
اعتبار الشعراء المتصوفين والمقلدين للفرس من مدرسة واحدة

Haidar Bammate, Visages de l'Islam (Lausanne (١)
1946)

وعصر أدبي واحد هو العصر القديم الذي تلاه عصر حديث
طرح شعراؤه التصوف والتأدب بأدب الفرس وتطلعوا الى
الأدب الفرنسي يترسمون آثاره ويحتذونه مثالا .

فعلى اى نهج نسير ، وأى تقسيم نختار ؟ واين يبلغ جهد
المجتهد بعد الذى كان من اختلاف الجهابذة الأعلام ؟

الواقع من الحال اننا إذا نظرنا حق النظر فى اقوالهم ،
رأيناها متكاملة غير متناقضة فليس فيهم من يضع شاعرا قديما فى
العصر الحديث ، ولا شاعرا حديثا فى العصر القديم مثلا ، واختلافهم
اعتبارى لأن مرده الى اختلاف وجهات نظرهم ، والى ميل
بعضهم الى الاجمال وبعضهم الآخر الى التفصيل . ونحن نرى
اجمالا مخلا فى تقسيم الأدب التركى الى عصرين فحسب ، قديم
وحديث ، كما نجد تفصيلا مملا يضل القارىء فى اعتبار كل قرن
من الزمان عصر اديبا قائما بذاته . والجدير بنا ان نتخذ لنا رأيا
وسطا يتألف من آراء من سبقنا بعد تدبرها والنظر فيها مع
التحرز من اللبس والشطط ، والعناية بضم النظير الى النظير
وجعل الجزئيات تحت الكلليات وتقديم الاصول على الفروع .
وإذ كان التاريخ الأدبى جزءا من التاريخ العام ، حسن بنا ان
نحدده تحديدا زمنيا ما استطعنا الى ذلك سبيلا . فمصور الأدب

التركي (١) في نظرنا بعد دور النشأة كالآتي

العصر القديم : وله دوران ، دور يبدأ في عهد السلطان عثمان الأول ويتهى قبيل عهد السلطان سليمان القانوني . فزمانه من القرن الثالث عشر الى النصف الثاني من القرن الخامس عشر أو نحو ذلك .

ودور بدايته عهد السلطان سليمان القانوني ونهايته في آخر عهد السلطان محمود الثاني . فيمتد زمانه من القرن السادس عشر الى منتصف التاسع عشر أو ما يقرب .

العصر الحديث : وفتحته عهد السلطان عبد المجيد ولا خاتمة له لأن زمنه يمتد من القرن التاسع عشر الى يومنا هذا .
الأدب الشعبي : ولا يمكن تحديده بعصر من العصور . كما لا تمنحه من عنايتنا الا قدرا في هذا التاريخ الأدبي ، لأن الآداب الشعبية تنفرد بكتب خاصة بها في الأغلب .

(١) كان الترك العثمانيون قديما يسمون انفسهم العثمانيين فقط ، ويكرهون أن يتسموا بالترك لأن الترك في نظرهم اقوام همجية تسكن اواسط القارة الاسيوية . فكانت كلمة تركي عندهم من الشتائم وهي بمعنى فدم أو غبي . كما دعوا ترك آسيا (اترك في ادراك) أي اترك لاحظ لهم من ادراك . اما اليوم فقد انعكست الآية وطاب للعثمانيين ان يتسموا بالترك رغبة منهم في التفاخر بمجد قديم كان لاسلافهم قبل ان يكون لغيرهم .

الأدب القديم

الدور الاول : من عهد السلطان عثمان الاول الى عهد

السلطان سليمان القانوني

مر بنا كيف شاع التصوف وذاع في ارجاء الاناضول ،
ورأينا ان الشعر التركي مدين بنشأته لهؤلاء الصوفية الذين جعلوه
اداة تعبير لهم ، واتخذوه وسيلة الى نشر افكارهم وتعميم تعاليمهم .
وقد بلغوا بنفوذهم وسمو منزلاتهم اكثر من هذا ، لاهم لم يكونوا
غرباء عن الاسرة الحاكمة ، فالسلطان عثمان الاول صهر شيخ
من مشيختهم يقال له الشيخ اده بالي (١) ، وحاجي بكتاش كان يدعو
الله للسلطان اورخان الذي سعى اليه يوم الف فرقة جديدة من
الجنند ، ماتمسامنه ان يباركها فباركها وباركها ، وسماها (يكي چرى)
بمعنى الفرقة الجديدة (٢) واذا ما فهمنا الادب على انه تعبير عن

(١) راجع ما ذكرناه عن زواج هذا السلطان في ص ٣٥

(٢) حاجي بكتاش من اعظم الاولياء منزلة عند الترك . وقد

الحياة وتفسير في لها ، فليس لنا ان نتلقى بالخرابة ان يكون اول شعراء هذا العصر شاعرا صوفيا او صوفيا شاعرا .

والاجماع منعقد على ان هذا الشاعر الاول هو عاشق باشا الذي عاش في مدينة قير شهر بالاناضول على عهد السلطان عثمان واورخان . وولد سنة ٦٧٠ هـ (١٢٧٢ م) وقضى سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) . وهو سليل اسرة رفيعة النصب عريقة في الحسب ، عظيمة الجاه عريضة الثراء ، ولذلك خلع عليه السلطان عثمان

رحل عن خراسان الى الاناضول في القرن الثامن الهجري ، فكان السلطان يختلف اليه املا في بركاته ودعواته ، وعاش حاجي بكتاش الى عهد السلطان مراد الاول . وقبره مزار يرحل اليه اهل التقوى . واتباعه هم المعروفون بالبكتاشية . ولما قصده السلطان اورخان في كهفه وطلب اليه ان يبارك فرقة من جنده ، مسح بكمه رأس جندي في الطليعة قائلا (ليكن اسم هؤلاء الضيفان الجدد يكي جري ، جعلهم الله يبيض الوجوه شداد السواعد ، ووهبهم سيفا بتارا وسهما مصيبا ونصرا ميبنا) وهذا هو السبب في ان الانكشارية يلبسون قلنسوة بيضاء هي قلنسوة الدرويش يتبدل منها ما يشبه كم حاجي بكتاش .

لقب (باشا) لا لأنه وزير أو امير (١) . ومرت طفولته كما تمر
طفولة اترابه في عصره ، فأخذ عن علماء الصوفية ، وجلس الى
الدراويش ، وتعلم الفارسية والعربية ، حتى إذا ما كبر عن
الصبا عرف فضله وسار ذكره ، وكان جم التواضع معروفا
بالزهادة والعبادة ، حتى قيل انه كان صاحب عز وسلطان ، وصولة
دونها صولة الملوك ، فلم يستعل ولم يفخر ، بل سار سيرة درویش
لا يملك من عرض الدنيا شيئا ، وحي حياة اهل التقوى الخاشعين
المتبتلين ، فتخلي عن الدنيا ، وآثر الفقر على الغنى ، وإذا تحدث

(١) اصل باشا بادشاه بمعنى الملك في الفارسية او باشقاق بمعنى
القائد في الخوارزمية ، وقد اطلق هذا اللقب اول ما اطلق على علاء
الدين وزير اورخان ، ونادى سلطان ولد ربه قائلا (يا باشا) وهذا
اللقب خاص بالامراء والوزراء غالبا ، اما اطلاقه على هذا الرجل
الصوفي في اكبر الظن فن قبيل اضافة لفظ خنكار بمعنى ملك الى
جلال الدين الرومی وساطان الى ابنه ولد . اما عاشق فاسمه الشعري
او مخلصه ، وغنى عن البيان انه يقصد عسق الذات الالهية . والترك
يسمون المنشد المتسول (عاشق) ومن عجب ان يسمى الارمن هذا
الشاعر المعنى Ashug في لغتهم وقد تكون النعمة الموسيقية المسماة عشاق
نسبة اليهم . كما يقال للدرويش عاشق على المعنى الصوفي .

الصوفي عن الفقر او مسدحه ، فانما يعنى قناعة النفس بالقليل ،
فالفقر على ذلك فقر النفس لا فقر المال .

وله مجموعة من الشعر أو منظومة تعرف بغريبتنامه أى كتاب
الغريب ، ويسمىها حاجى خليفة معارفنامه اى كتاب المعارف ،
وقد يجانب البعض الصواب والدقة فيسمونها ديوان عاشق .

وقد كتب لغريبتنامه ديباجة بالفارسية ، ثم اورد في خاتمه
اياتا يذكر فيها ما حدها على النظم بالتركية ، مستشهدا بقوله تعالى
في سورة ابراهيم (وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين
لهم) . فكانه بذلك يوجه الخطاب الى الترك الذين لا يعرفون
العربية والفارسية ، ولهذا مغزاه ودلالته من عاشق باشا ، لانه
مظهر لرغبته في اطلاع قومه على ما يفهمون ، ومشير الى باكورة
ادب تركى خاص بالترك دون سواهم . ولنا ان نفهم من ذلك
أوضح معنى للقومية فى الأدب .

وهذه المنظومة من بحر الرمل كالمثنوى لجلال الدين الرومى
وربابنامه لسلطان ولد ، ونمطها الشعرى هو المثنوى ، وكان
فراغه من نظمها قبل موته بثلاث سنوات ، وقد رتبها على عشرة
ابواب كل باب من عشرة فصول ، وفى مقدمة كل فصل عرض
لفكرة الموضوع ، ثم تذييل على ذلك بال تفسير والتساويل ،

واستشهاد بآيات من القرآن الكريم ، والأحاديث الشريفة .
ويتلو ذلك مختارات من كلام المتصوفة . والمنظومة من ألفها
الى يائها في احكام التصوف وفلسفته واركانه .

وهذه المنظومة تكاد تخلو خلوا تاما من الجمال الشعري ،
فعاشق باشا غواص على المعاني موالع بتوليدها غير انه لا يعرف
الأسلوب حقا . وكان يمكن لهذا الكتاب ان يكون منشورا
لو وجد في عصر متأخر ، غير ان صاحبه جعل على نفسه ان
يتأثر خطي جلال الدين الرومي وسليمان ولد فنظم كما نظم . وقيمته
العلية اكبر من قيمته الفنية ، فقد كان كل همه ارشاد قومه الى
طريق الحق . ومن قوله في الفصل الأول من الباب الرابع .
(الا فانظر الى آثار ما صنع الرحمن وما ابدعته يد القدرة ، لقد
شاء لذاته العلية ان تعرف وملكه العريض ان يمتلي بخلقها . فتأمل
في صنعه وخلقها وابداعه ، لأنك بذلك تعرفه حق المعرفة . لقد
جعل لكل شيء سببا ، فانصلت بذلك الأسباب بين الأشياء . ولم
يخلق شيئا عبثا من غير جدوى ، فلكل شيء اصل يتفرع عنه
فرع . فهذا الذي لا أول له ولا آخر ، هورب العالمين ، فاستمع
الى احدئك عن قدرته . العقل اول ما خلق ، فجعل له اربعة من
العبيد هم للدنيا اربعة عمد ، ومنها كان الجر والنصب والرفع

والسكون ، وسماها الماء والنار والريح والتراب فكانت اس
هذا العالم)

فهو في كلامه هذا متحدث عن خلق الكائنات ووصف ذلك
وصفا صوفيا رمزيا ، تؤدي فيه الألفاظ معنى قريبا غير مقصود ،
ومعنى بعيدا هو المقصود . ويجري هذا الجرى ذكره ما يسميه
اهل التصوف وجودا مطلقا ، فهذا العالم عندهم خيال وهم كاذب
وسراب خادع ، والوجود الحق في نظرهم هو الوجود المطلق
الذي يقول فيه (إذا بدأنا فليسكن البدء باسم ربنا ، فمنه الابتداء
ومنه الانتهاء ، وهو لاشك اول الأول وآخر الآخر الى ابد
الآبدین ، فقد كان جل وعلا ، ذا وجود يوم لم يكن لهذا العالم
وجود ، وفي ذلك الزمان الذي لم يكن فيه زمان ، كان تبارك
وتعالى من غير زمان ولا مكان . كان العالمان في العدم غريقين
وكان العدم في اصل اليم غريقا . والملك ذو الجلال والاكرام ،
على قدير اينما كان)

والملاحظ على شعره انه ليس محكم النسيج ، ولا جيد العبارة ،
كما ان لغته لم تسلم من هنات تشينها ، وذلك معزو الى تقدم عصره ،
هذا العصر الذي لم تسكتمل فيه التركيبة وتتجاوز دور النشأة .
فتسلس للشاعر من قيادها .

ويذكر بعده سليمان چلبى المولود بمدينة بروسه ، على عهد
السلطان اورخان الذى جعل من تلك المدينة عاصمة للملكة ،
وظلت عاصمة للترك حتى فتحوا القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م .
وليس لدينا من اخباره الا النزر اليسير ، فهو من مشايخ الصوفية ،
ومريد درويش خلوتى يدعى امير سلطان (١) . وكان اماما فى
مسجد السلطان بايزيد . وسليمان چلبى (٢) منزلة مرموقة فى

(١) الخلوئية فرقة من الدراويش ينتمون الى الخلوة وهى عند
الصوفية المكان الذى يحتل فيه المريد بنفسه متعبدا ربه بعيدا عن الناس
حتى تصف وروحه . يقول القشيرى (الخلوة صفة اهل الصفوة والعزلة
من امارات الوصلة ، ولا بد للمريد فى ابتداء حاله من العزلة عن ابناء
جنسه ثم فى نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه) والخلوئية يقضون اثنى
عشر يوما على الماء والخبز اكراما لذكرى الائمة وعددهم اثنى عشر
اماما ، ويقال ان ذلك ايضا يسمى الخلوة وان عمر واخلوتى هو اول
من وضع ذلك . ويروى انه خرج يوما من خلوته فسمعها تقا يقول
(يا عمر واخلوتى مالك هجرتنا) فعول على التكفير عن ذنبه بالزهد
والحرمان وتأليف فرقة الخلوئية .

(٢) چلبى كلمة نصادفها كثيرا فى الاسماء التركمية ، واصلا جلب
او جالاب وهو تحريف لكلمة Saliba بمعنى الله فى السريانية . فعناها =

تاريخ الأدب التركي المنظومة له تسمى (مولد) ^(١) او (وسمت
النجات) وهي مشوية في ستائة بيت قالها مدحا في النبي صلى الله
عليه وسلم . والباعث له على نظمها انه كان يستمع يوما لأحد
الواعظ ، فقال الواعظ فيما قال انه لا يفضل محمدا صلى الله عليه
وسلم على غيره من الأنبياء والرسل وهو على حجة من قوله تعالى

== رجل الله او العابد . ويقال انها تحريف لكلمة صليب العربية
فيكون معناها المسيحي . وقد اطلقها الترك في آسيا الوسطى على
النصارى ورهبان النساطرة وذلك في العصر الوسيط . ولما كان هؤلاء
الرهبان اهل علم وحكمة ، اطلقوها على علماء النصارى خصوصا
وعلى العلماء عموما . ثم تطور معناها فاطلقت على المتأدب والكاتب
ورجل الشرع والسيد المذهب ومن اطلقت عليهم جلبي سلطان محمد
وكانت جلبي وعاشق جلبي .

(١) المولد من مبتدعات الصوفية وهو نوع من المدائح النبوية ،
وقد استعملت كلمة مولد بمعنى تاريخ منذ عهد بعيد ، وللواقدي كتاب
اسمه مولد الحسن والحسين . ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم اوصى
في حياته بأن يحتفل المسلمون بمولده بعد مماته . وقد احتفل الفاطميون
في مصر بالمولد النبوي .

(لا نفرق بين احد من رسله) (١) واتفق ان كان بين الحاضرين
عربي من الشام فرد ذلك وصاح على الواعظ قائلاً (ايها الجاهل
لاعلم لك بالتفسير ، وقد ذهبت عن الناسخ والمنسوخ والمنشابه ،
فإن المعنى المقصود انما هو عدم التفرقة بين الرسل في امر الرسالة
والتبوة ، لا في مراتب الفضل . واذا ماصح هذا التفسير فامعنى
قوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) (٢) ورجع
العربي الى بلده واستفتى في قتل الواعظ ثم رحل اليه وقتله .
فتأثر لذلك سليمان چلبى ابلغ التأثر وجاشت نفسه بتلك المنظومة .
وهذه القصة من نسج الخيال كما يلوح ، ويعتبر الشاعر بمولده هذا
اول شاعر تركى عثمانى قال شعرا اصيلا فاض من قلبه ، فلم
يتخذة اداة تعبير يردد بها ما قال غيره . ومن قوله (هذا القادم
للعلوم اللدنية سلطان ، هذا القادم كنز توحيد وعرفان ، هذا
القادم تدور الافلاك بمحبته ، ويشتاق الملائكة والانام الى طلعه -
وتقول آمنة لما حان الوقت لمقدم خير البرية الى هذا الوجود ،
مسنى حر الظماً فاسقوني قدحاً مترعاً ببرود يفوق الثلج في نضاعة
البياض ، والسكر في حلاوة المذاق - فالوداع ياروح الروح

(١) بقرة : ٢٩ (٢) بقرة : ٢٦ انظر في التفاسير .

الوداع ، الوداع يابدر التم الوداع ، الوداع يابلبل روض الجمال
الوداع ياحبيب ذى الجلال ، مهما امتد عمر الانسان فالموت
لاشك مدركه ، آه من الموت ثم آه من الموت ، الامير والحقير
عنده بمنزلة سواء . لقد رحبت بمقدمك ذرات هذا العالم قائلة :
مرحبا بك ايها الشمس المشرقة مرحبا ، مرحبا بك يا روح
الارواح مرحبا ، مرحبا بك يا شمس العاشقين مرحبا ، مرحبا
بك يابدر الصادقين مرحبا ، مرحبا بك ايها الروح الباقي مرحبا ،
مرحبا بك ايها الحب الصافي مرحبا ، مرحبا بك يا رحمة العالمين
مرحبا ، مرحبا بك يا شفيع المذنبين مرحبا ، مرحبا بك يا دليل
الانبياء مرحبا ، مرحبا بك يا سيد الاصفياء مرحبا ، انت الدواء
لدام القلوب ، والآخذ بيد كل عاجز مكروب)

وواضح كل الوضوح ان سليمان چلبى منطلق على سجيته
معبر عن عاطفة متقدة وحس مرهف ، فجاء شعره سهلا شديدا
السهولة ، انيقا رقيق النسيج ، والبون بعيد بينه في مولده وبين
عاشق باشا في رموزه المغلقة ، وسلطان ولد في تعاليمه الميوبة ،
والزعة الصوفية لا تظهر في شعره الا بعض الظهور لتضيق
الروحانية والشاعرية على حبه للمصطفى ، اما تكرار المقاطع فإنه
لا يرب يكسبه الصلاحية للترنم والتغنى .

ولهذا المولد سيرورة عظيمة عند الترك ، فقد جرت عادة
المتقين منهم بأن يجتمعوا في المساجد والمنازل في شهرى ربيع
الاول والثانى للاستماع الى من ينشده ، فيستخذهم الطرب ،
ويقع الخشوع في قلوبهم ، ويترحمون على صاحبه قارئى الفاتحة
لروحه فى عليين . وهم يدومون على ذلك منذ نحو من ستمائة سنة .
وقد ذكر لطيفى هذا المولد فى تذكرته فقال (لقد رأيت من
الموالد مائة ، وامعنت النظر فى كل منها فلم اجد ما وجدت فى مولد
سليمان چلبى من جمال اللفظ ورقة المعنى واتقاد العاطفة ، فولده
على الموالد رتبة وأوسعها شهرة) وهذا دليل على ان الشعراء
جهدوا ان يأتوا بمثله فكلت عن ذلك قرأهم ، وانخطوا عن
رتبته فى البلاغة وجمال الصياغة .

* * *

ولدينا شاعر آخر يعرف بشيخى ومعنى شيخى شيخ الشعراء
وقد ادرك عهد السلطان مراد الاول وبايزيد وچلبى سلطان محمد .
وفى مدينة كوتاهيه كان مولده ووفاته . ورخل الى بروسه وفيها
اشتغل بتحصيل العلوم غير انه طلب منها المزيد والجديد ، فولى
وجهه شطر ايران ، وهناك جالس شيوخ العلم ودارسهم واطهر
ميلا للطلب فتوفر عليه حتى اتقنه احسن اتقان . واشتغل بالسككحالة

على الخصوص ولذلك عرف بحكيم سنان الى جانب لقبه
الشعري (١) وقد وصف عاشق حسن وهو من اصحاب التذكرة
حذقه في السكحالة فقال (لقد بلغ في ذلك شأوا بعيد المدى حتى
كان في قدرته ان يحو الصفرة من عين القمر والحرة من عين
الشمس ا) ومع ذلك كان اعشى ، فحاله مصداق للثل القائل
(من عجب الحال عمش السكحال) ومما يروى على سبيل التندر ،
انه كان يوما يبيع مسحوقا للشفاء من الرمذ فقال رجل ضحك
ان شيخى يذر الرماد في العيون ، واشترى منه بفلسين ثم اعطاه
فلسا وقال اشتر لنفسك فتقطع الطبيب الشاعر ضحكا ، وكان
دائم الذكر لهذه النادرة والضحك منها .

اما التصوف برموزه واسراره فقد تتلمذ فيه لمن يدعى حاجى
بايرام الانقروى (٢) . وبدأت حياته الادبية يوم عرف فضله

(١) ذكر فون هامر في تاريخه للشعر العثمانى ستة عشر شعاعرا
باسم شيخى ولا ريب انهم من الشعراء المغمورين ولدينا امثلة من
تشابه الاسماء عند شعراء الفرس والترک فللفرس فردوسى وخاقانى
ونظامى كما للترك .

(٢) حاجى بايرام من اولياء الترك ، وشيخ فرقة من فرقى

الأمير سليمان وهو ابن بايزيد الأول فأقبلت عليه الدنيا وازدلف
إلى الملوك . ولما مرض السلطان محمد غماو هما لانكسار عسكره
في بعض المواقع ، أمر باشخاصه إليه ، فوقع على معرفة دائه
وقال لادواء له إلا السرور ، وشاء الله لشيخى أن يصدق نظره ،
فدخل البشير على السلطان يزف بشرى انتصار الجند وفتحهم
لحصن من منيع الحصون . فطرب السلطان لذلك وسرعان ما
تمائل من علقته ومسح الله مابه ، واران السلطان أن يكافئه بجائزة
سنية فأقطعه ضيعة . وظهر من بعد أن لتلك الضيعة صاحبها ،
فساء ذلك صاحبها ووقف من شيخى موقف من يدفع عن
نفسه وماله شر المغير المغتصب فقعد له بالمرصد ، ونهب متاعه
وذبح رجاله ، ونجا من فتك خصمه وان أثنخته الجراحات . وقد
نظم شيخى في هذا الحادث منظومة سماها (خرنامه) أى كتاب

— الدرأيش المعروفين بالبايرامية . ولد في قرية من أعمال انقره ، وفي
انقرة قضى الشطر الأكبر من حياته ، وكان يتصدق بكل ما يهدى إليه
فلا يحتجز لنفسه شيئاً منه ، رغبة عن دنيا اقل قليلها يكفيه منها .
قيل ومشى الوشاة بينه وبين السلطان مراد الثانى ، فاستقدمه إليه في
ادرنه ، ولما رآه وجد منه ما بعثه على محبته واجلاله واكباره حتى
سأله دعواته وبركاته . ومات بانقره سنة ٨٣٣ (١٤٢٠ م) .

الحمار ، وفيها هجو مقذع لأعدائه وسخرية مريرة منهم . ويقال
انه احتشم من ان يقدم كتابا بهذا الاسم الى السلطان فاضاف
دالا الى عنوانه وجعله (خردنامه) اى كتاب الحكمة ، كما يقال
ان اضافة الدال كانت من وهم القراء أوجهل النساخ (١) . ويروى
ان السلطان اطلع على هذه المنظومة فاعجب بها الاعجاب كله
وادركته الرقة للشاعر فعوضه عن كل ما فقد .

وفي هذه المنظومة يسمى اعداءه بأسماء الحيوان ويتهم بهم
ويتهزأ ووسيلته الى غرضه اشارات وكنائيات لاتخلو من طرافة
فمن قوله (كان حمار نحيل هز بل انقض الحمل ظهره فأصبح
حطاما محطما . وقد حملوه الحطب تارة والماء اخرى حتى نام بما
حمل وعلته القروح ، ولم يخل موضع من جسمه من جراح وندوب ،
وحرم عليه ان ينعم فى حظيرته بطيب الراحة ولذاذة القرار .
وهو الذى لم ينصب اذنيه يوما لزجاجة ليوث الغاب ،
واستخف كل الاستخفاف بالذئاب فكان يربع الاسد منه اذنان

(١) Von Hammer - Purgstall , Geschichte der
osmanischen Dichtkunst, B,1-S 105

ويرهب الذئب بما يشبه الصولجان ... غير ان الجوع ما لبث
ان اضواه ، وعدم العلف فقل لحمه ورق عظمه ، فادركت
صاحبه الرحمة عليه ، وساقه الى المرعى لينعم بالطيبات . وما
وصل المسكين الى المرعى ، حتى رأى بقرات ترعى منها ماقرونها
كالاهلة ولغيرها قرون كالقسي ، ورأى الحمار ذلك فقال يا عجبها
لهذا الزمان فقد وضع على رءوس البقر التيجان ، وابتلانا نحن
بالفقر والحرامان (١)

واقرب ما يستدل عليه من هذا ، هو قدرة شيخى على التأليف
والابتداع الى جانب قدرته على النظم ، لأنه صور اعسداءه
تصويرا تمثيليا في سياق قصصى ولم يقتصر على وصفهم ووصف
ماناله من اذاهم في قصيدة عادية .

وجرى القضاء بأن يكون هذا الرجل محسدا يكيد له

(١) لم يرد مثال من خزانة في تاريخ الشعر العثماني لفون هامر ،
ولا لجب ، وقد صرح جب بأنه لم يقرأ المنظومة ، اما نحن فاعتمدنا
على ماورد منها في كتاب التاريخ الحديث الآداب للعثمانية لسكويريل
زاده محمد فؤاد وشهاب الدين سليمان . وفي هذا دليل على وجوب
تقدم علماء الخائف خطوة عن علماء السلف .

الخصوم ويكذبون عليه صفاء العيش ، فقد كان من السلطان
مراد الاول ان اكرمه وادنى مجلسه وعزم على رفع رتبته وجعله
وزيرا له ، وعلم عاداته بنية السلطان فكانت شجى في حلوقهم
وقذى في عيونهم فتربصوا به الدوائر ، واسروا الى السلطان
ان ينوط به القيام بعمل ادبي عظيم يشهد الناس على علو كعبه
واتساع باعه ويبرر استحقاقه لرتبة الوزارة ، والواقع من الامر
انهم لم يرغبوا الا في تعجيزه والتهوين من شأنه والشماتة به ،
فطلبوا ان يترجم المنظومات الخمس للشاعر الفارسي نظامى الى
التركية (١) فترجم منها قصة خسرو وشيرين الا انه مات قبل

(١) نظامى كنجوى شاعر فارسي من اهل القرن السابع الهجرى
وهو اعظم شعراء القصص في ايران ، وله خمس منظومات تعرف
بالخمس أو الكنوز الخمسة . وعنوان الاولى مخزن الاسرار وهي
مجموعة من القصص الرمزية تتضمن حكما ومبادئ اخلاقية ، وتعرف
المنظومة الثانية بخسرو وشيرين ، وموضوعها قصة الملك خسرو
بروين الساساني مع جارته الارمنية شيرين ، وخواها ان هذا الملك
كان محبا لهذه الجارية ، كما كان يهاها حفار أو نقاش يقال له فرهاد
وعلم الملك بما بينها وبين النقاش فحزن لذلك حزنا شديدا وحارفي =

إنماها وذلك في سنة ٨٣٠ هـ (١٤٢٦ م) فانجز الترجمة بعده ابن
أخته جمالي زاده^(١). وقد أجاد شيخني في الترجمة كما تجلت روحه

== الامر . واستدعى العاشق وقال له (إذا ما استطعت بمفردك ان
تحفر مجرى نهر في جبل بهستون وتنحت على جانبيه تماثيل في الصخر ،
فشيرين لك ، فانجز فرهاد هذا العمل كاملا غير منقوص . وطار
الخبر إلى الملك فكاد الهم يقتله ، والتمس من يخلصه من منافسه .
فتقدمت عجوز ، وغدت إلى فرهاد ، وهناك وجدته مكبا على صورة
ينقشها لشيرين في الصخر فقالت له (يا هذا ماذا أنت فاعل ؟ لقد
ماتت شيرين منذ ثلاث ليال ، فأثر فرهاد الموت على الحياة وأبى
بنفسه من حائق . والمنظومة الثالثة هي ليليل والمجنون تلك القصة
العربية المعروفة إلا ان نظامي اضفى عليها لونا فارسيا . والرابعة
تسمى الصور السبع ، وهي سبع قصص عن الملك بهرام كور
وزوجاته السبع ، وفيها بعض شبيه من مجنون ليليل . والمنظومة
الآخيرة هي كتاب الاسكندر ، وفيها نزعة صوفية ظاهرة وتصوير
لهذا الملك كفاتح ونبي . (١) كان هذا الشاعر من اتباع امراء
كوتاهية وندما تم وقد اتم ترجمة منظومة خسرو وشيرين وبدأ
شعره هذا البيت (هلموا لشرب الراح في الأقداح ، واستمعوا للقول
الحكيم واطربوا) وله منظومة بعنوان (خورشيد وفرخشاد)
قدمها لبايزيد فأحسن جائزته .

الشعرية أجمل التجلي فاضق عليها الكثير من سبحات خياله
وبنات أفكاره ، ولم يرضى لنفسه أن يكون مترجما وحسب .
وهو فيها ظاهر التأثر بالثقافة الفارسية وأخذ عن شعراء الفرس .
ونزعت الصوفية واضحة ، ويعتبر شيخى مجددا فيها لأنه أول من
نظم المثنوى في بحر الهزج ، نخرج بذلك عن عادة من سبقه من
شعراء الترك الذين نظموا في بحر الرمل كسلطان ولد في ربانامه
وعاشق باشا في غرينامه وسليمان چلبى في المولد . وهذا هو
البحر الذى نظم نظامى فيه منظومه . كما ادخل شيخى الغزليات
فيها وأجراها على لسان أبطال القصة ، وهذا منه تنويع يدفع
السأم والملالة عن القارئ كما يلائم جو القصة ويجعلها أقرب
إلى الواقع لأنه يكسب أفرادها حيوية ويميزهم بالقدرة على
الحس والتعبير .

ومن قوله فيما كان من أمر العجوز التى مضت إلى فرهاد
تفتري الكذب لينظلي الزور عليه (فرهاد يافرهاد . أمالك علم
بأن شيرين قدمضت ؟ ! وارحمتا القوام السرورة المياضين مقره ، بعد
ان ذوى وعصف به الردى . ان تلك الحورية ذات الحسن ؟
بؤسالك يادهر ، ياسوء ماجرت به الأقدار لقد غسلوا الجثمان
بالدمع الهمتون ، واتخذوا الخنوط من عنبر وعبير ، ثم اودعوا

الذوؤة جوف الثرى . وشقوا عليها النفوس لا الجيوب ا
وأبلمت ورفعت صوتها بالآنين والرنين بعد اذمج فوها مثل سم
الشعابين ؛ فيا عجبها لها كيف لم تحترق ولم تذرهما الرياح رمادا
وهى تفوه بمثل هذا الكلام^١ وما للسانها لا يخرس ؛ ولوجهها لم
تعله الغبرة وهى تحكى ذلك عن ذات الخال والشعر الغريب ا .
وما مر هذا القول بسمع فرهاد حتى أحس فى قلبه بمسرى
السام ، وانطلق كأنما انشط من عقال ، فألقى بنفسه من قمة الجبال)
ويعز و كوبرىلى زاده محمد فؤاد تبريز شينخى إلى توفيقه
فى أن يفيد من ثقافته الفارسية أولا وحرصه على أن يضيف
جديدا إلى قديم الشعر التركى ثانيا . وقضى الشاعر بقية أيامه فى
دكان له يتجر فى العقاقير ويشغل بالكحالة ثم مات فى مدينة
كو تاهية بعد أن ادرك عامين من حكم السلطان مراد الثانى . ولشينخى
بيت مشهور وهو (لا قدرة لعقل على تصور العظمة الالهية ، ولا
خبر عن قافلها ، ولن يصل إلى سمع الروح منها إلا رنين اجراسها ا)
ويقال ان من يدعى الشيخ آق شمس الدين^(١) كان جالسا

(١) الشيخ آق شمس الدين رجل صوفى رفيع المنزلة وهو الذى
اكتشف قبر أنى أيوب الانصارى ذلك الصحاح الذى خرج فى
تلك الحملة التى أراد بها معاوية فتح القسطنطينيه سنة ٤٨ هـ . وبني له
مسجد عظيم الحرمه عند الترك .

في جماعة من أصحابه ، وذلك بعد فتح القسطنطينية بزمن غير
مديد ، فظهر عليه الوجد والطرب وغاص في التأمل والتفكير
ثم قال (يا كرميان يا كرميان !) فاستفسر عن ذلك أصحابه
فقال انه ذكر هذا البيت لشيخ شاعر كرميان وهي (كوتاهية)
وإذا ما ذكرنا شيخنا وعزونا اليه الفضل في إدخال فن
القصص على الشعر التركي ، فلا مندوحة لنا عن ذكر احمدي ،
فقد عاش هذان الشاعران في عصر واحد وكانت بينهما مودة ،
وكلاهما من كرميان كما يقول فائق رشاد بك ، وان ذهب
لطيفي في تذكرته إلى أن احمدي من سيواس . واهمدي هو
مترجم اسكندر نامه أو قصة الاسكندر للشاعر الفارسي نظامي ،
فاتحف الشعر التركي بقصة منظومة أخرى بعد قصة
خسرو وشيرين لشيخنا . وقد رحل احمدي في صدر شبابه إلى
القاهرة وفيها حصل العلوم ، ولما قضى من ذلك ما ربا عاد إلى
وطنه وهناك اشتغل بتأديب أحد الامراء . وعرف شيخنا
ففتلذذ له في فنه واعترف من بحره ، واشتهر بالسكياسة والظرف
والصلاحية للمنادمة . ولما ترجم قصة الاسكندر وقدمها إلى
الأمير سليمان بن بايزيد ، لم تقع من نفس الأمير موقعا حسنا
وقبل له ان قصيدة جيدة كانت أولى بالتقديم من هذه القصة

الطويلة ، فحزن وانكسر وانطلق إلى شينخى وهو يشكو مر
الشكوى ، فنظم شينخى من ليلته قصيدة طنانة ذيلها باسم احمدى
ثم دفعها اليه لتقديما للأمر . وما قرأ الأمير بضعة آيات منها
حتى أدرك الفرق بين حظها من الجودة وحظ شعر احمدى ،
فانكشفت له الحيلة وقال للشاعر باسم (ان كانت هذه القصيدة
لك ، فيكتاب الاسكندر ليس لك ، وإن كنت صاحب كتاب
الاسكندر فما انت بصاحب هذه القصيدة !)

ولما أغار تيمور لنك على الأناضول ، تلك الأغارة التي
كاد ينهار لها ملك العثمانيين ، كان التعارف بين احمدى وتيمور ،
لأن تيمور محب للأدب مكرم لأهله . واحمدى صاحب كتاب
الاسكندر ، وسيرة عاهل الروم مما يهتم به عاهل التتار . وهنا
تأتى قصة الشاعر مع الطاغية فى الحمام . فيروى أن تيمور
استدعاه يوما فى الحمام وهو محاط بطائفة من خدامه الغلمان
المرد ، وقال له متبسطا مداعبا (بكم يقوم هؤلاء الغلمان فى
نظرك ؟) فجعل الشاعر قيمة بعضهم ملء الدنيا ذهبا وفضة ،
وقيمة بعضهم الآخر خراج مصر ، على أن خراج مصر مضرب
المثل فى السكثرة والنفاسة ، فقال تيمور متعجبا (ان كان هذا
ثمهم فى حسابك فما يكون ثمى انا ؟) فارتد الشاعر فى أن

يقول (ثمانون اقجه) ^(١) فشدده لجرأة الرجل ورد عليه متهكما
بقوله (ولكن منشفتي تساوى هذا الثمن!) وبلغ من حسارة
احمدى ان يقول (نعم، الثمن ثمن المنشفة، فأنت عندى
لا تمعدل قيمتك بشيء، لأن نفسك الامارة بالسوء لا تساوى

(١) فى سنة ١٣٢٩ م . امر السلطان اورخان بسك عملة فضوية
صغيرة عرفت بأقجة عثمانى . ثم سميت (عثمانى) الى اواخر عهد السلطان
سليم الاول اى فى الربع الاول من القرن السادس عشر الميلادى .
وعرفت بعد هذا الزمان (بأقجه) وهى ما يعرف عند الانجليز Asper
واشتقاق اللفظ التركى من آق بمعنى ابيض واقجه بمعنى مائل الى
البياض . ولعل الغرض من هذه التسمية هو تمييز تلك العملة البيضاء
الفضوية من العملة الصفراء الذهبية ، كما قد يكون (القرش الابيض)
مأخوذا عن الأقجة . وقد تطلق فى التركى على النقود بالمعنى العام
وعلى راتب الجندى بمعنى خاص . والآراء متضاربة فى تحديد قيمتها
فن قائل انها تساوى قرشا وقائل انها لا تساوى الا ١ على ١٢٠ منه،
ومرد هذا الاختلاف فى تقديرها الى عدم ثبات قيمتها . فقد كانت
قيمتها على عهد السلطان محمد الثانى مثلا سنة ١٤٨١ م . غيرها على عهد
محمود الثانى سنة ١٨١٨ .

شيئا () . والعجب ألا يغضب عليه تيمور ولا يفتك به ، ثم
يهبه المال الجزيل .

ويذهب مؤرخو الأدب إلى أن شعر احمدي لم يكن انيقا
ولا طليا بالاضافة إلى غيره من المجيدين كشيخي مثلا ، فلم يكن
الشاعر بالصناعة وترايين الكلام ، وإن كانت ترجمته لقصة
الاسكندر حدثا له أهميته في تاريخ الأدب التركي . ولأحمدي
ديوان من الغزليات والقصائد .

أما قصة الاسكندر فقد غير فيها وبدل وقدم وأخر ، فهاهي بترجمة
دقيقة ولا أمينة ، وكان فراغه من انجازها سنة ٧١٢ هـ (١٣٩٠ م)
وعدد أبياتها ثمانية آلاف ومائتان وخمسون بيتا ومن قوله في
بناء الاسكندر لما يسمى سد يأجوج ومأجوج . (وهضى الملك
في سبيله حتى إذا بلغ جبلين سامقين رأسهما عند بدر السماء ثم
اقرب ، وجد قوما رجالهم كالنساء ضعفا ، وهم عراة أهل قلة
وذلة ، الجوع أجهدهم فساءت حالهم ، وسأهم ما بالهم فقالوا ،
اطال الله أيام الملك ، وابقاه مدار الفلك ، ايد الله ملكك
وشد ازرك ، لاجعل الله الزوال لملك من كمال ، لقد محوت
الفتنة من الأرض برأيك ، وجعلت الدنيا جنة خضراء بعدلك ،
وما دمت سألتنا عن قحطنا فاستمع لقولنا ، علك أن تجد

الدواء لدائنا والحل لعقدتنا . لقد غلب يأجوج ومأجوج على
أطراف هذه الجبال والتلال ، وكلها حرثنا أرضا وعمرنا خرابا
أفسد يأجوج ومأجوج ما أصلحنا وجعلوا أرضنا يابا . فهم
أهل الظلم وأهل العسف وكل ما يعملون شر وخسر ، جسومهم
قدر أنصاف جسوم البشر ، والواحد منهم له الف ولد ، وعلى
أبدانهم شعر كشعر الخنزير ، وأظفارهم قاطعة نافذة ، لا خلق
لهم ولا خلق ، وإن تعد حبات الرمال لا تعددهم . ومن
بين هذين الجبلين يملك الزمان طريقهم التي يخرجون منها علينا
ولا طريق لهم سواها ، وأنا نستعديك عليهم فأعدنا . ولتكن
سعادة الناس في عهدك ، وليذكر بالخير اسمك . ونحن على أهبة
مظاهر تك ، فهلا جعلت بيننا وبينهم سدا)

ومات احمدى فى كوتاهية سنة ٨١٥ هجرية (١٤١٣م) (١)

(١) ولاحمدى اخ يدعى حمزة جمع تاريخ سيدنا حمزة عم النبي
صلى الله عليه وسلم فى اثنى عشر مجلدا ولذلك سمى حمزوى ، ولهذا
التاريخ سيرورة فى طبقات الشعب التركى ، وهو بحق جانب هام من
الادب الشعبى فان المتسولين المعروفين بالمداحين أو القوالين يقصون
كثيرا من قصص هذا التاريخ على المجتمعين فى المنتديات مناغمين ==

وفي اواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، كانت قبائل من
التركمان تتناحر في حروب لا يخمد اوارها ، فتغير على ماجاورها
من اقوام ، ويتنازع شيوخها الرياسة ، وكانت مواطنها بين
انقرة وآذربيجان ، وقد ادت هذه الحال الى ظهور اربع قبائل
انشأت لها اربع دويلات وهي قره قويونلو اى الشاة السوداء
في ارضروم ، وآق قويونلو اى الشاة البيضاء في ديار بكر ، وذو
القدر في مرعش ، وبنو رمضان في أدرنه . (١)

وقد تحدثنا عن هذه الدويلات ووصفنا حالها وبيتهاتوطئة
للإكلام عن شاعر اتصلت اسبابه باسبابها هو القاضي برهان
الدين المولود في مدينة ارزنجان ، والذي رحل الى حلب التي
كانت تحت حكم المماليك ، وفيها درس علوم الدين واحاط علما

== كلامهم بالخان قيثارتهم وهذا التاريخ معروف بحمزه نامه أى كتاب
حمزه وهو منشور يتخلله منظوم ومات حمزوى سنة ٨١٥هـ (١٤١٢م)
(١) الشاة السوداء والشاة البيضاء نسبة الى شعارهما على علمها .
ودام حكم الشاة السوداء سبعين عاما ثم غلبتها الشاه البيضاء على امرها .
وفي اوائل القرن السادس عشر الميلادي قضى الشاة اسماعيل الصفوى
على الشاة البيضاء . اما دويلة ذى القدر فظالت ايامها الى عهد السلطان
سليم الاول ، وامتد عهد بنى رمضان الى حكم السلطان سليمان الاول .

بالشريعة ثم عاد الى مسقط رأسه ليقتضى للناس أو على الناس
بالعدل والقسطاس ، فنال بذلك مكانة دونها كل مكانة . غير ان
الدين لم يكن لينسى الرجل نصيبه من دنياه ، فكان طموحا بعيد
مناط الآمال تنازعه نفسه الى السلطان وتفتمنه من الملك ابته
وصولته ، فاتخذ الوسائل ، واختلس كل نهزة تصل به الى رغبته .
فصادق امير ارزنجان وارتبط معه بأواصر الود والمحبة حتى جعله
الامير نسبا وصهرا ، بيد ان هذا الصفء بينهما لم يدم على حال
لاسباب سمكت المؤرخون عن ذكرها ، فاصبح الحبيب بغيبضا
والصديق عدوا ، وهاج الشر بينهما حتى قتل برهان الدين حماه
الامير ، ونصب نفسه اميرا على ارزنجان ، فنال بذلك ما كان
يصبو اليه ، ثم غلب على سيواس وقيسارية واطلهم بلواته ، واقام
في حكمه نحو من ثلاثين عاما قضاها محاربا لجيرانه مغيرا عليهم .
وفي سنة ٧٨٩ هـ جهزت اليه مصر جيشا عظيما فاقتتل الفريقان
ودارت الدائرة على برهان الدين فطلب الصلح ، وبعد عشر سنوات
انتشبت القتال بينه وبين بعض قبائل التركان ، ولما رأى نفسه
مغلوبا على امره ، استعدى سلطان المماليك فأعداه ، ويقال ان
السلطان بايزيد انفذ اليه جيشا لاسترداد سيواس فوقع الرعب
في قلب برهان الدين واوى الى جبل يعصمه ، ورأى ذلك عدو

قديم له يدعى قره عثمان (١) فشد عليه وقتله سنة ٨٠٠ هجرية
(١٣٩٨ م)

والقاضي برهان الدين وان كان غير عثمانى الاصل ،
لشاعر مجيد له في الشعر التركي اثر لا يسع مؤرخ الادب الا ان
يذكره ، لانه متميز بشخصيته اولا وشعره ثانيا ، فشخصيته
غريبة على شعراء عصره ومعظمهم من اهل التصوف الراغبين
عن زخرف الدنيا ، والقانعين بما يتزودونه منها لآخرتهم ، فلا
امل لهم في ملك ولا صدارة ، وشعرهم ترجمان نفس هادئة حاملة
تسمو عن حياة كل ما فيها الى فناء . اما برهان الدين فحب للحياة
مفتون بنعيمها ، يناضل ويساجل ، ويطغى ويتعدى ، ولا يربأ
بنفسه عن ان يخدع ويبرر وسيلته بما ينشد من غاية . وهو اول
من خرج عن تلك النخمة الصوفية التي ردها سلفه من الشعراء
فأطالوا ترديدها ، فهو واقعي في شعره لا يتغنى به الا اذا فاضت
نفسه انعاما واحلاما ، والفرق بين بينه وبين عاشق باشا الغنى
الفقير والشاعر المعلم ، وسليمان چلبى التقي النقي والرقيق الخنون

(١) قره عثمان هو حفيد اول رئيس للشاة البيضاء ، وكان فظا
غليظ القلب سفاكا للدماء فلقب بالعلقة السوداء .

المتقرب الى الله بحب النبي ، ولا وجه للشبهه يدنيه من شينخي
واحمدى المترجمين المتبعين المبتدعين اللذين لم يخجل شعرهما من
نفحات التصوف وانها لتسكر الأرواح . ولبرهان الدين
الاولوية في الاستيقاظ من احلام الحب الالهى ، كما انه
اول ناظم للرباعيات ، واول شاعر تركى غربى نقرأ له تيوغات .
وله شعر بالعربية والفارسية والتركية ، ومن غزلياته التركية
قوله (شفة من العقيق فى وعاء من السكر تامت فؤادى فانطلق
طائرُه ينوح . لقد طرحت القلب عند موطن القدم ، فلا بد
للزجاجة من ان تمحطم ، وأى جدوى من ان تصان ، بعد
اذ قيمتها على الصوان ؟ فقطبت حاجبيها ورميتى بسهم لحظها ،
وكأنها ترمى قتي الترك فى ميدانها ، ان روحى من غداؤها
وطرتها ، كالصندل فيه اللهب ، ولتحكم كما تشاء ، ولتقل ما تقول ،
فأنا لها سميع مطيع ، الا يا ايها الساقى ، ناو لها من كئوسك ،
ياما احبلى الراح فى يدها واطيبها !)

وهذا الشعر مصداق لما قيل عنه من أنه أول شعراء الحب
فى الأناضول ، وانه كان يرشف الصهباء على الملاهى . وهو
القائل (انظروا يا قوم ما صنع الحبيب بنا ، لقد طلت وجهها
بالحمره ايجرى دمعنا دما ، لقد رأيت ثغرها الدقيق فشككت

في وجودي ، وشاهدت خصرها الرقيق فحسبتني طيف الخيال (١)
لقد ملكت عينها على روحى واسر جبينها قلبي ، اما حديثها
العذب المعسول فسلبني عقلى . آواه لاطاقة لى بفرأقها ولا سبيل
الى وصالها . هى دمية ، بدر التمام هلال إزاء طلعتها . الله حرم
حسنها علينا فكيف يحل لها سفك دماء عشاقها . لقد هام النسيم
وظاف حولها منذ تلعب بشعرها ، وليس هراء كل ما قيل ، واذ
ما كوت القنوب بمحبتها ، فلها برد الندى من ريقتها)

فهل ينسب هذا الشعر وهو صارخ الالوان رفاف البهاء إلا
إلى شاعر يستلهم ملكة اصيلة خصبة وطبعا موأيا مادادا ، ويرهن
بالدليل القاطع على ان صاحبه متفنن من اهل الدنيا لا متكلف
من اهل الدين ؟ ومن رباعياته (عاود القلب شوقه فهو لليلى
مجنونها ، واذرت العين دمعها ، فهذا الدمع جيحونها ، وكأني
بشففتيها قد فتسكتا بفؤادى ، وإلا فما تلك الدماء فيها ؟)

فمذه الرباعية تتضمن صورة حسية عنيفة تذكر بعنف الرجل

(١) يريد ان تنأهى نعرها فى الدقة قد خيل اليه انه لا يهتدى
اليه مع شوقه له فكاد الحزن يقتله ، ونفس الفكرة فى قوله ان خصرها
يجعله طيف خيال فى الضعف والجزال .

وميله الى التهجم ، وكأنا وصف نفسه في احدى توبوغاته بقوله
(الله يعلم كل ما قدمت يدانا ، لقد كسبنا حلالا وكسبنا حراما ،
فيا ساقى الراح ادر على كأسا دهاقا تجلو عن القلب الصدا)
وبالمتحف البريطاني نسخة من ديوانه لا وجود لغيرها ، وقد
طبع ديوانه وقدم له المستشرق الروسي Melioranski سنة
١٨٩٥ . ومن عجب ان يغفل ذكره كل من فون هامر في تاريخه
الجامع وشهاب الدين سليمان في تاريخه المفصل ، على حين اعتبره
جب اول شاعر غنائى من الترك الغربيين ومنحه من التقدير ما هو
اهل له فاحسن بذلك صنعا

• • •

وبعد مقتل القاضى برهان الدين ، استولى السلطان بايزيد
الاول على ممتلكاته وهى ارزنجان وسيواس وقيسارية وتوقات ،
وضمها الى ماسبق له ضمه لتتسع رقعة ملكه . ولما اجتاحت تيمور
للك الاناضول واسر بايزيد في موقعة انقره سنة ٨ هـ (١٤٠٢ م)
هز بذلك مملكة العثمانيين هزا غير انه لم يهورها ، ثم زايلها الى
غير رجعة ، وكل ما عقب ذلك هو ضياع بعض المناطق وفوضى
ضربت اطنابها في البلاد ونزاع قام بين اولاد بايزيد وهم سليمان

وعيسى وموسى ومحمد فلبث احد عشر عاما ثم اعتلى العرش محمد
باسم السلطان محمد الاول . والذى يعنيننا هنا بخاصة هو ما عسى
ان يكون لغزوة تيمور من اثر في الادب التركى . والمسلم به ان
شعراء الترك بعد هذه الغزوة تأثروا بالشعر الفارسى وجعلوا
يقلدون شعراء الفرس ، وذلك ان تيمور كان نصيرا للعلم والعباء
محبا للشعر والشعراء ، فاتخذ منهم حاشية عظيمة ولم يفارقهم في سفر
ولا في حضر ، وكان ندماؤه شعراء من الفرس لحق بهم شعراء
من الترك ، فتأثر الترك بالفرس وحذوا حذوهم في شعرهم . واول
من عمد الى تقليدهم الشاعر التركى نيازى فكان مثالا احتذاه بنو
جنسه الى عصر النهضة الادبية التركية . و نيازى ، من شعراء بايزيد
وهو اول من ادخل (التخلص) على الشعر التركى فذكر الشعراء
اسمهم الشعرى في غزلياتهم وعرف الكثير منها باسمائهم الشعرية .
ويقال ان الانجاه الى تقليد الفرس ظهر قبل غزوة تيمور لئلك
بدليل وجود هذه الظاهرة بشعر هذا الشاعر فى زمان متقدم على
الغزو ، وبذلك يكون مقدم المغول حدثا عرضيا لاصلة له بما
يذهب اليه بعض المؤرخين ، وليس مقدمة لهذه النتيجة (١)

Gibb, A History of ottoman Poetry P. 253 V.1 (١)

Menzel, Die türkische Literatur, S. 288

ومن الشعراء الذين تأثروا بالفرس وظهر ذلك جليا في شعرهم
حمد داعي وهو من كرميان وعاصر شيخي واحمدى ، ورحل
الى مدينة ادرنة حيث انضم الى بطانة الامير سليمان ، ويعتبره
كوبريلى زاده وشهاب الدين سليمان ، فى كتابهما (التاريخ الحديث
للآداب العثمانية) اول شعراء القصور ، ويذكرانه فى مستهل
الفصل الذى تحدثنا فيه عن ذلك العصر الادبى الذى يسميانه
(دور السراى) . وكان يحذق العربية والفارسية وله منظومات
فيها . كما قدم الى الامير سليمان منظومة بعنوان (جنك نامه)
اى كتاب الحرب وهى تاريخ للنزاع والتخاصم بين الامير وبين
اخوته (١) ، والف كتابا لغويا عن الفارسية والعربية اسماه
(عقود الجواهر) وله ترجمة شعرية عن الفارسية لرسالة فى النحو
من تأليف رفيع الدين الوطواط وعدد ابياتها ستائة وخمسون ،

(١) يسمى كل من لطيفى فى تذكرته ، وفون هامر فى تاريخه هذا
الكتاب (جنك نامه) بمعنى كتاب القيشارة ، وتابهما على ذلك
كوبريلى زاده وشهاب الدين سليمان فى تاريخهما للآداب العثمانى ، اما
جب فلا يجعل للجيم الا نقطة واحدة ، ونحن اميل الى رآيه ليمكون
على مسمى .

كما ألف رسالة في أدب الرسائل هي الأولى من نوعها في الأدب
التركي ، ويقول قديما مؤرخي الترك ان ديوانه كان معروفا
متداولاً في الأناضول والروم ايلى . ومن أشهر غزلياته قوله
(الشمس طلعتك والبدر قوامك ، وجمال المشتري جمالك ،
فأى منظر هذا المنظر الطالع ؟ وأى طالع ؟ إنه طالع أنور .
الدينا بستان حسن من حسنك ، وروضة ورد من شفتك ،
فأية روضة تلك الروضة ؟ إنها روضة الجنة ، وأى جنة ؟ إنها
جنة السكوتر . من وجهك آية رحمة ، ومن روحك مظهر قدرة
فأية قدرة هذه القدرة ، إنها قدرة الصانع . وأى صانع ؟ إنه
الصانع الأكبر . سيرة سليمان سيرتك وصورة الاسكندر
صورتك . فصورة من هذه الصورة ؟ إنها صورة يوسف .
ومن يوسف ؟ إنه يوسف الصديق . الفلك غلبته وملك السعد
نلته ، فأى ملك ملكك ؟ إنه ملك الدولة ، وأية دولة ؟ إنها دولة
قيصر . على بابك عبيد لا يحصون ، وأذلهم عبدك أحمد . فمن
أحمد ؟ إنه أحمد داعى . ومن داعى ؟ إنه داعى خادمك) .

فهذا الشعر جميل الإيقاع سلس متمسلس وإن عدمنا فيه
كل أثر للذاتية التي عهدناها عند القاضى برهان الدين ، وعرفنا
فيه تلك الصناعة التي يزين بها المداحون مدائحهم . ومن شعره

السائر هذا البيت (الا يا عين ويحك اصدقيني بحق سورة طه ،
أرأيت فتنة كحبيبي ، ومجنونا مفتونا كقلبي (١)
وإذا ما فسرناه وجدنا جمالا وقبحا ، ففي (فتنة) تورية جميلة
لأن فتنة اسم جارية كان الامير الفارسي بهرام كور كلفا بها ، وقد
تكون التورية قبيحة إذا ما ذكرنا ان لفظ فتنة كان يطلق في هذا
الزمان على جنس من السلاب ، فاطلقها الشعراء على الرقيب
والعدول (١) وكانت وفاة احمد داعي عام ٨١٥ هـ (١٤١٢ م) .
وفي عهد السلطان مراد الاول ظهر من يدعى فضل الله ابن

(١) يذهب فون هامر الى ان صاحبة بهرام كور كانت تسمى
دلارام لافتنة . أنظر Von Hammer- Purgstall, Geschichte
der osmanischen Dichtkunst B, 1. S, 72 ونحن نعلم ان اسمها
دلارام وان وجدنا لها ذلك الاسم الذي ينكره فون هامر . فقد سماها
فتنة كل من براون في كتابه Browne, A Persian Anthologie
(p, 149) وفيلد في (P, 132) Field, Persian Literature . ولم نعر
على فتنة بمعنى كلب في المعاجم التركمية ، وما يتخذ برهانا على هذا
المعنى ذلك البيت (لقد اظهرت الصدر للرقيب وقلت له انبج هذه
الفتنة ، انا كلب عند بابك لاعتبار لي فوا أسقى) .

محمد التبريزى المعروف بالحروفى ، وكان من اهل البدع فقد
اسس له مذهباً يسمى المذهب الحروفى ، ودعا اليه تيمورلنك ،
فلما عزم تيمورلنك على قتله لكفره ، لجأ الى ابن تيمور
ليكون آمناً فى حماه ، غير ان حاميه هذا ضرب عنقه بيده ، ولما
عرف ذلك تيمور امر برأسه وجسده فاحرقا عام ٨٠٤ هـ
(١٤٠١ م) . ولكن مذهبى بقى بعده الى منتصف القرن السابع
عشر الميلادى ، وقد تمذهب به شاعران هما نسيبى ورفيعى (١)

(١) افضل الله مؤلفات بالفارسية وهى جاويدان نامه أى
الكتاب الخالد ومجبت نامه أى كتاب المحبة واستقوا نامه بمعنى كتاب
الاستواء ، وقصيدة عنوانها عرش نامه . ومنها يمكن فهم مذهبى
الحروفى ، وهو يتلخص فى أن هناك علماً خفياً لا يحيط به إلا كل
ذى حظ عظيم . وبه يفسر كل موجود فى الأرض والسماء وتشرح
الروابط التى تجمع هذه الموجودات . وهذا العلم فى القرآن الكريم
غير أن مفتاح خزائنه فى يد فضل الله ثم فى يدمن يخلفه ، وقد خلق الله
الإنسان على صورته وهو معبود الملائكة إلا إبليس الذى أبى أن
يسجد له ، وللقرآن معان سامية ، وكذلك لأركان الإسلام ؛ غير أن
بجرد الوقوف عند المعنى الحرفى للقرآن ، والقناعة بمظهر أركان

وتُسمى أوسع شعراء الحروفية شهرة وهو من ناحية من
نواحي بغداد يقال لها نسيم ، وقد لقي شيخى فى بروسه على عهد
مراد الاول ، وتتلذذ لفضل الله فى مذهبه فاعتنقه سنة ٨٠٤ هـ
(١٤٠١ م) ولم يقنع بأن يكون مريدا ، فالزم نفسه بأن يكون
مبشرا بهذا المذهب وها ديا اليه ، فلقنه صاحبه رفيعى ، ثم بلغ
من حماسته وصدق عزيمته ان يستعذب العذاب من اجله والهلاك
دونه ، فنظر الى الحلاج كمال يحتذى وجعل لنفسه احسن اسوة
فيه^(١) . وما رهب نسيى ان يجاهر القوم بعقيدته ويعالهم رأيه ،

== الإسلام ، لا يجدى نفعا . ولهم تشبيهات غريبة كأن يشبهوا الانسان
بالقرآن فيقولون إن رأسه سورة الفاتحة . كما يذهبون إلى أن بعض
أعضائه معبودات . إلى غير ذلك من أضاليل وأباطيل .

(٢) هو أبو منصور الحلاج الذى قتل فى بغداد عام ٣١٠ هـ
(٩٢٣ م) يوم قال (أنا الحق) وشعراء الصوفية يعتبرونه شهيدهم .
ولفضل الله الحروفى رباعية بالفارسية هذا نصها (فى مطبخ العشق
لا يذبحون إلا حسنا طيبا ، ولا يقتلون دنىء طبع ولا هزيل مروءة
وإذا كنت عاشقا صادقا فلا تنج نفسك من القتل ، وكل ما لا يقتل
فهو جيفة من الجيف) وفى هذا دعوة الى الاستشهاد فى سبيل
الرأى والعقيدة .

فكان يطوف وهو يردد قول الحلاج (انا الحق) . وجهد اخله
ان يثنيه عن ذلك فكتب اليه هذا البيت (اخف السر واحذر
فسوه ، لاتطعم العوام من خوان الخواص)
فرد عليه نسيمي بقوله (تدفقت امواه البحر المحيط ، وللكون
والمكان زفير وهدير ، برح الخفاء وانكشف سر الازل ، فكيف
للعاشق ان يتستر بستر !)

ولقي نسيمي حنقه في مدينة حلب التي كانت في هذا الزمان
تابعة لسلاطين المماليك ، فاجتمع العلماء واعلمو كفره ، وافتي
المفتي بقتله ، وقد قتل شر قتلة لانه سلب حيا . ولموته قصة تستحق
الذكر ، فقيل ان مفتي حلب كان من شهود قتله ، وما شهد الكافر
وهو يلقي الجزاء على كفره حتى صاح عليه غاضبا وهو يقول
(انه نجس يموت ميتة نجسة ، ولو وقعت نقطة من دمه على
جراحة من جوارحي لقطعها !) وكان من عجب الاتفاق ان
يكشط جلد نسيمي فيصيب المفتي رشاش من الدم وتسقط نقطة
على اصبعه ، وتنبه الى ذلك صوفي كان حاضرا ، فالتفت الى
المفتي وقال (لقد سقطت نقطة من دمه على اصبعك فاقطعها كما
وعدت بذلك ايها المفتي) فدعر المفتي وقال (كلا ، انما قلت ذلك
حينما كنت امثل وليس في التمثيل من حرج) ، وثار نسيمي

لتمكذب المفتي وخساسته ، فما منعه هول التعذيب عن ان يقول
هذين البيتين على البديهة وهما (لا بد من قطع اصبع " هذا الزاهد
الذي زاغ عن الحق وراغ ، انظر الى ذلك العاشق المسكين الذي
يمزق اهابه من قمة رأسه الى اخمص قدمه فما بكى ولا شكى ا)
ويقول لطيفي ان نسيمي لم يقتل الا لهذا البيت (قال المنصور
انا الحق ، فما قال الا حقا ولا نطق الا صدقا ، وما كان محزنا
ان ينصبه على الاعواد جهلاء غرباء ا)
فكأنه بذلك لم يقتل على انه حروفي ، وفي هذا نظر . وقد
يصدق هذا الرأي على نسيمي في هذه الحال ، غير انه يجمل بنا ان
نتحفظ من اطلاق حكم واحد على الحروفية جميعا . (١)

(١) الترك اهل تسنن ورسوخ في العقيدة ، فقد تقبلوا تعاليم الإسلام
بصدر رحب يوم أسلموا . وهم في ذلك يغيرون الفرس كل المغايرة
فالفرس يجتهدون بمعنى الكلمة ، يقلبون الرأي ويطيلون النظر ، وهم
أميل الناس إلى ابتداع المذاهب . فايران أكثر بلاد الله مللا ونحلا .
ويؤخذ من هذا أن الترك متزمتون متشددون . تقوم سلطة
سلاطينهم على الدين وبحارون تحت راية الجهاد . فقد حاربوا الفرس
لمذهبهم الشيعي المخالف للمذهب السني . كما قتلوا من الشيعة مقتلة =

عظيمة . وقوم هذا شأنهم لا يمكن أن يكرهوا متسامحين مع الزنادقة والملاحدة .

نقرر هذا لما يذهب إليه جب من أن الترك أهل تسامح . فهم لم يضطهدوا قط طائفة من أجل عقيدتها . ثم يقول إن قتل نسيمي كان في بلد عربي لا تركي، إلى أن يعلل محاربتهم للشيعنة بأنها ستر لمآربهم السياسية . وإذا ما قبلنا تعليل محاربتهم للشيعنة ، فنحن لا نقبل أن تسكت دولة إسلامية عن مارق من الدين يفتن الناس عن دينهم . وليس مدحا للترك ولا لغيرهم أن يتسامحوا بهذا التسامح الذي يعكس الأوضاع ويفسد العقائد وقد أهلك بعض الحروفية ضربا بالسيف واحرقا بالنار في زمان بايزيد . كما اضطهد الترك الحروفية على عهد محمد الفاتح ، ذلك السلطان المحب للحكامم والأدباء الذي قرب إليه بعض الحروفية وهو في قصره بادرنة ليقف على حقيقة مذهبهم . فأكرمهم لسمع منهم تعاليمهم . وعلم بذلك محمود باشا الصدر الأعظم فكرهه وتخوف على السلطان من أباطيلهم . وأحب أن يأنس برأى الشيخ فخر الدين المفتي الثاني للدولة ويستشيره في أمرهم ، فاتفق الصدر الأعظم مع المفتي على دعوة الحروفية إلى مادة يحتج فيها المفتي خلف ستار لسمعهم من حيث لا يشعرون بوجوده وقيمت الولية وحضر الحروفية وخاص متحدثهم في حديث ذي شجون وهو آمن ، حتى جاء ذكر الحلول الذي يذهب الحروفية فيه إلى أن الله حل

ولنسمى ديوان تركى وآخر فارسى الى جانب منظومات
عربية ، ويتميز شعره بأن التعاليم الصوفية والحروفية تلتقى فيه .
وهو يطرق المعانى الصوفية التى يتداولها شعراء عصره . فالانسان
عنده هو المرأة التى يتجلى فيها الجمال الالهى ، وهذا مغاير لرأيه
الحروفى فهو يرى ان محبوبه الله لأن الله حل فيه فيقول

== فى الجميلات ، فعبادتهن فرض على الناس ! وسمع المفتى ذلك فلم يستطع
صبرا عليه ، وبرز من خلف الستار غاضبا مزمجا يلعن الحروفى ،
فهرب الى قصر السلطان ، غير ان المفتى لحق به وتعلق بتلابيبه فى
حضرة محمد الفاتح ، ثم مضى به الى احد المساجد ، وهناك امر المؤذن
بدعوة الناس ولما اجتمعت حشودهم ، صعد المنبر ، فتحدث عن
الحروفية وكفرهم وقال باستئصال شأفتهم ، كما قال ان كل من اعان
على ذلك ائيب عند الله . فسيق الحروفية الى مصلى ، وهناك اضرمت
فيهم النيران ، ويقال ان المفتى الغاضب المهتاج وقف ينفخ فيها حتى
ذهل عن نفسه وامتد اللهب الى حيطته الطويلة !

يقول جب مبررا رأيه ، ان هذا المفتى كان فارسيا ، فهل معنى
ذلك انه كان يرتضى هذا الكفر لو انه تركى ؟ هذه دعوى لانجيل
الها وان كنا لانريد وصف الترك بالتعصب . راجع Gibb, A
History of ottoman Poetry, PP,381,386. V,1,

(منذا الذى يقول لك انك لست الحق؟ من قال انك لست الحق
فهو بمنأى عنه ا)

ولا ينفك نسيبى عن صيغته هذه يرددها من اول الديوان
الى آخره . وفى عقيدته ان من لا يعبد المحبوب فهو شيطان ، لأن
ابليس ابى السجود لآدم ! وهو كثير الذكر لذلك . فيورد قوله
تعالى فى سورة البقرة (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين) ويجعلها حجة له
على ان الانسان يستحق العبادة ، ثم يقول ان من أنكر ذلك
كفر كما كفر ابليس من قبل . ويستشهد كذلك بقوله تعالى فى
سورة القصص (ولا تدع مع الله آخر لا اله الا هو كل شىء
هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) ويقول ان هذا دليل
على سرمدية الوجه الانسانى ! . وهو يقول فى بعض غزلياته (كل
لفظ من حديثك المجهول ذرة يتيمة ، ومحيك شمعة ، الشمس
والبدر فراشتان عليها تنهافتان ، ووجهك ذلك القمر المنير ، ومن
انواره يقبس الشمس والبدر شعلتين لا تنطفئان . اطرح مسبحتك
وسجادتك ايها المدعى ، وتأمل تلك الذوائب وذلك الخال
ما اعجبهما حبة منشورة وحبالة منصوبة ! الحق حبيب المحبين
فهب للحق روحك ومن لا حبيب له لا روح له فلم يبق من غير

روح؟ اسجد لهذه الصورة انها صورة الرحمن ، فما ردقسط ساجد لها . ان نسيمي مصفود في قيود من شعرك ايها الجميل ، ومن لا يقع في حباله شعرك غر جهول)

وهذه رباعية يذكر فيها الأركان التي يقوم عليها المذهب الحروفي (يامن جمالك قل هو الله احد ، ونقش صورتك الله الصمد ، غدا ترك لها طرف في الازل وآخر في الأبد . وشيطان كل من لم يسجد لحسنك مع الساجدين ١)

وشعر نسيمي نمط وحده في الأدب التركي لمعانيه العجيبة ورموزه الخفية . ويعتبر أصدق شعراء عصره القديم لأنه إنما عبر عن ذات نفسه وصور ما يختلج بين جوانحه ، وهو يفضل معاصريه كثيرا في تساق العبارة ونصاعة الديباجة . غير أنه لم يحظ من مؤرخي الأدب بما هو أهله من عناية على كل ما رأينا له من أهمية تاريخية وأدبية وكان مقتله سنة ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) وإذا ذكرنا الشيخ ، فحري بنا أن نذكر المرید ، فكلاهما متمم لصاحبه شارح له ، ومرید نسيمي هو رفيعی الذي لانعرف شيئا مدونا عن سيرته : لأن مؤرخي الترك وأصحاب سير الشعراء يغفلون ذكره إغفالا تاما . وفي مقدورنا أن نلم الإماما ضعيفا بطرف ضئيل من سيرته نستخلصه بعد جهد من ترائه

الأدبي (١) فهو صاحب منظومة تسمى بشارت نامه أى كتاب
البشرى . ويقول فى أواخرها انه كان حائر الروح قبل أن
يتلمذ لنسيمي ، لا يهتدى الى مذهب يتمذهب به ، ولا قدرة له
على اختيار مبدأ يعتنقه ، وهو مع ضربه بسهم فى كثير من العلوم
عاجز كل العجز عن تمييز صالح من طالح . وكان فى هذه
الحيرة الروحية الشاردة سنيا تارة وفيلسوفاً أخرى . وقائلاً
بالتناسخ ، ودهرياً حيناً من الزمن ، حتى أصبح صوفياً يرفض
الدنيا وينهدى ، وكان إذا سمع بعالم من العلماء ، بدر إليه فسبر
غوره وأفاد من علمه ، وما زالت هذه حاله حتى شاء الله أن يجمعه
بنسيمي . فبدد النور الظلام ، واهتدى السارى بالنجم . فعرف
من العلم ما لم يكن له عارفاً . وفهم من القرآن ما لم يكن فاهماً .
وكلفه شيخه نسيمي بالرحيل إلى بلاد الترك لينشر مذهبه على

(١) اعتمدنا اعتماداً كلياً فيما ذكرناه عن رفيعى على ما أورده
جب فى تاريخ الشعر للعثماني ، وليس بين يدينا كتاب غيره يحوى
شيئاً عن هذا الشاعر . وقد ذكر باصماجيان شاعراً يدعى رفيعى عاش
فى عهد السلطان سليم الاول غير انه ليس الشاعر الذى نعنيه هنا ،
انظر Basmadjian, Essai sur L'histoire de la littérature
ottomane, P. 64

الناس ويهديهم من الضلال . فنظم رفيفي (بشارت نامہ) منۃ
۵۸۱۱ (۱۴۰۹ م) .

وبشارت نامہ قصيرة إذا قسناها بغيرها ، وأسألوهما
سقيم مسف . فلاحظ لها من الجمال الفنى اطلاقا ، وهى رسالة
منظومة فى المذهب الحروفى وأركانه . اما تكلف رفيفي مالا
يحسن من الشعر ، فرده الى أن الشعر كان اداة التعبير فى هذا
العصر . ومن المعلوم أن الشعر أسبق الى الوجود من النثر
خصوصا اذا عطينا النثر الفنى أو العلمى الذى لا ينبغى أن تكتب
مثل هذه الرسالة إلا فى أحدهما .

وهو فى بشارت نامہ يشرح مذهبہ شرحا تعليميا ،
ولا يعبر عنه تعبيرا شعريا كنىسمى ، فيبدأ بالحديث عن الأسماء
وحروفها ، ويقول ان الحروف وعددها اثنان وثلاثون حرفا
هى أصول كل الموجودات . والحروف كذلك هى أصول
الكلام . وما الكلام إلا الفكر المنطوق فى خالدة خلود الله .
ولا فرق بين (الفكرة) والله ، كما لا فرق بين الكلام وبين
المتكلم . وفى الانسان كل الأسماء ويستشهد على ذلك بقوله تعالى
فى سورة البقرة (وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة
فقال انبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) . فالانسان للعالم

مرکزہ وبانیہ وسیدہ .

ثم يتحدث عن وجه الانسان فيرى فيه معاني الصلاة والالحج
ويقول (افتح عينك وتأمل ذلك الوجه وجه الانسان ، لا تمكن
من الحق العظيم بعيدا)

فللانسان أربعة صفوف من الأهداب وحاجبان وفروة
رأس ، وعدد كل هذا سبعة فهو إذن أم الكتاب (السبع المثاني)
اما الأنف ، فللأنف أربعة جوانب ، والشفتان وملتحماهما
إذا انطبقتا ، وعدد هذا سبعة كذلك . فلدينا في وجه الانسان
أربعة عشر شيئا ، وضعف هذا العدد ثمانية وعشرون ، وهو
عدد حروف الهجاء . كما أن في القرآن الكريم حروفا في فواتح
السور ، وهي أربعة عشر حرفا . ومن قوله في وصف منظومته .
(هذا الكتاب ينطوي على كلمات قبستها من عرش نامه و ترجمتها
لتبقى تذكارا ونظمت بالتركية مقطوعات فلا تظن اني حدثت
عن الجادة ، فبشارت نامه معظمه مستقى من جاويدان نامه ومن
فهمه وذهنه كان عظيم هذه الدنيا ، واستمددت كذلك من محبت
نامه ، فـكتابي هذا كتب ثلاثة في كتاب واحد)

فما بعد البون بين نسيى الشيخ الشاعر ، ورفيى مريده

الناظم .

ويقول باصماجيان ، ان المذهب الحروفي مذهب ادني اكثر
منه مذهبا دينيا ، فانار بذلك نقطة للبحث ، غير انه تركها مهممة
يعوزها طويل شرح يضيق عنه كتابه الموجز (١)

* * *

وهناك اسرة تتألف من والد وولديه ، ادركتهم جميعا حرفة
الادب ، فالأب يدعى صلاح الدين الكاتب وولداه هما المعروفان
بيازيجي اوغلي (٢) محمد ، ويازيجي اوغلي احمد .

والشيخ صلاح الدين من أهل انقرة ، عاش في عهد بايزيد
الأول وتلك الفترة التي تنازع الأمراء فيها عرش آل عثمان ،
وكل ما لدينا من أخباره أنه كان عالما واسع العلم بالفلك ، فنظم
منظومة من خمسة آلاف بيت سماها (شمسية) نسبة إلى
الشمس ، وأتمها نظما سنة ٨١١ (١٤٠٨ م) . وتسمى هذه المنظومة

(١) Basmadjian, Essai sur l'Histoire de la Littérature
ottomane, P. 30

(٢) يازيجي اوغلي بمعنى ابن الكاتب وما اشبه هذه الاسرة باسرة
من عرب الشام هي اسرة الشيخ ناصيف اليازجي وولديه الشيخ
ابراهيم والشيخ خليل .

كذلك (الملممة) . وقد تناول الشمسية شاعر يقال له جورى
بالاصلاح والتبديل ، فأعاد انشاءها وصياغتها وكان ذلك في
زمان متأخر عنها هو سنة ١٠٤٠ هـ (١٦٣٥ م) . ويقول جورى
في المقدمة ان هذه (الملممة) منظومة ترجمها عن الفارسية الشيخ
صلاح الدين السكاتب ، غير انها لا تسلم من مأخذ ، كما انها مبهمه
مغلقة فأعاد نظمها نزولا على رغبة أحد الصحاب . ولا علم لنا
بشيء عن جورى هذا .

والمنظومة علمية كما يفهم من عنوانها للوهلة الأولى . لم يعن
فيها صاحبها بذوق فني ولا جمال شعري فهو يتحدث عن النجوم
في مسالكها ويشرح أحكامها ، كما يذكر الأرصاد الجوية ويمزج
الفلك بالنجامة مزج لا يمكن أن نستبعده من علماء زمانه . وإليه
يعزى فضل السبق ، فقد قيل ان (الشمسية) كانت الأولى من
نظمها . كما يقال ان لها أهمية علمية تقويمية لما ذكره عن السنة
الشمسية السريانية ، ومن قوله في شهر تشرين الثاني (إذا هبت
رياح الجنوب فخذ حذرک ، ففي الخامس من هذا الشهر تدخل
الحوام بطن الأرض ، وهذا اليوم يوم نحس . أما اليوم السادس
فمن أيام السعد . في السابع منه ، يجتنى زيتون الشام ، وفي الثامن
منه يضرطرب موج البحر ويتلاطم ، وفي الثالث عشر منه يحسن

يُجر الحشَب لأن شجراته في ذلك اليوم تجود أخشابها . وفي اليوم الخامس عشر من هذا الشهر يطول النهار إلى عشر ساعات ، ويبلغ الليل أربع عشرة ساعة . وفي اليوم العشرين منه يهلك الذباب مع العناكب . أما برد الليل فيشتد في الثاني والعشرين من تشرين الثاني (١١)

أما ولدا صلاح الدين فجمعت بينهما أخوة العلم والأدب كما جمعت أخوة النسب ، فقد تلقيا أصول التصوف على حاجي

(١) خص فون هامر الشيخ صلاح الدين الكاتب بست عشرة صفحة من كتابه ونحدث تفصيلا عن الشمسية ثم اورد الكثير من نصوصها ، على حين لم يفرد له جب أكثر من صحيفتين واغفل ذكر الامثلة ، اما مؤرخون الترك فسكوتوا عنه سكوتا تاما . ونحن لانكاد نلبين سببا لسكل هذه المغايرة ، ولا ندرى وجه اهتمام فون هامر بهذه المنظومة الفلكية التي ترجم الكثير من نصوصها نثرا ما عدا نصا واحدا ، وهو الذي جرت عاداته بالترجمة شعرا . وان ملنا الى تعليل هذا الخلاف بين العالم الانجليزي والعالم النمساوي بأن الانجليزي لم يجد لها قيمة ادبية تذكر ، ورأى النمساوي نفاسها العلمية التي تستحق الذكر . راجع Von Hammer-Purgstall, Geschichte der osmanischen Dichtkunst, 1, B. S, 73

بإرام وسكننا إحدى ضواحي استانبول ، وأقاما معا شعاعاً
الدين كما اشتركا في التأليف ، وعرف كل منهما بصاحبه .
وكان محمد أكبرهما وأشهرهما . فلما تلقى العلم في استانبول
رحل إلى إيران مستزيداً منه ، وهناك التقى بالعلماء وأخذ عنهم
ثم عاد إلى وطنه ليحيى حياة هادئة يتوزعها الدين والعلم والآداب
فابتنى له مصلى يطل على هدوء البحر واعتكف . والناس يتحدثون
عن زهده بالأعاجيب فيقولون انه ظل سبع سنوات لا يدوق
طعاماً مطبوخاً ، وكان يجتزىء بأكل الفاكهة . ومن كرمه وإيثاره
على نفسه وهو الفقير الوفير ، ان زوجته خرجت إلى الحمام ذات
يوم مع أطفال لها ، فطلبت إليه أن يرفع قدر الطعام عن النار
عند نضجه ، واتفق لأحد العفاة أن مر بالدار فرأى القدر من
خلل الباب ، ثم هد يده إلى محمد يازيجي أوغلي سائلاً ، فأرده
الشيخ خائباً وجاد عليه بالقدر وما فيها . وعادت الزوجة من
الحمام وعرفت الأمر فسخطت وغضبت وقالت له (أخزأك
الله يا شيخ السوء ، ماذا أردت لأطفال بيتي على الطوى ؟ هبنا
قادرين على الإمساك عن الطعام ، فهل بهم من قدرة ؟) فسأه
ذلك كثير آ من أمر أنه وخرج مغاضباً لها واعتكف في مصلاه
وهناك دعا الله أن يرزق أطفاله ما يقيم الأود . وبينما هو في

دعائه إذ طرق الباب طارق ولما أخبرته زوجته بذلك قال لها
(لقد جاءنا رزق من الله وهو ما تطلبين ، وقد خزيت لطلبه)
وفتح الباب فإذا بغلام للقاضي يحمل عشرة ألوان من أشهى
المطاعم . وذلك أن عينا من الأعيان كان في زيارة للقاضي ،
وكان للشيخ يازيجي أوغلي محمد محبا وبه معجبا . فجاء ذكره ، ولم
يكن ما بين القاضي والشيخ عامرا ، فقذفه القاضي وبالغ في مذمته
أمام الضيف ، فاعضب ذلك الضيف كثيرا وأقسم لا يمس طعاما
في بيت القاضي إلا إذا شاركه فيه الشيخ محمد . ولم يكن في الإمكان
دعوة الشيخ إلى بيت مضيفه ، فبعث إليه بنصيبه في داره . وهذه
الاقصاصة على سذاجتها تدل دلالة أكيدة على تقوى الرجل
وجوده ومنزلته في قومه

ومما يروى عنه كذلك أن الخضر والياس كانا يعينانه على
تفهم العلم وكشف غوامضه والياس حتى انه سمي مسجدا له مقام
الخضر والياس ، وقال في ذلك هذه الرباعية (هو ذا مقام
الخضر والياس فادع ربك وسلم وبارك ، لقد رأهما فيه يازيجي
أوغلي ، ومن أجل ذلك ابنتي هذا المقام العالی) ومن المستطرف
أن يقال انه كان يكتب ذات مرة ، ولما جرى قلبه بكلمة
(زفرة) زفر زفرة حرى من حبه لله فاحترق هامش القرطاس !

أما أخوه أحمد فلقبه (بيجان) بمعنى من لا روح له أي
أن زهده ووجهه لله قد انحلا جسمه وأضوياء فكأنه أشبه ما يكون
بالموتى .

وقد خلف الاخوان تراثا أدبيا يتألف من رسالة منظومة
بعنوان مغارب الزمان نظمها محمد بالعربية ثم ترجمها أحمد نثرا
إلى التركيبية وسماها أنوار العاشقين (١) واستمد كل منهما
ما انطوت عليه مغارب الزمان من معلومات ، فألف احمد
(الدر المسكنون) . ونظم اخوه محمد (المحمدية) وكان فراغه
من نظمها سنة ٨٥٣ هـ (١٤٤٩ م) . وان احمد ليشرح لنا البواعث
على هذه المؤلفات في مقدمة كتابه (أنوار العاشقين) فيقول

(١) لم نجد ذكر الهذين الاخوين فيما بين يدينا من تواريخ الادب
التركي التي الفها علماء من الترك ، اما مؤرخو الاوربيين الذين
ذكروهما فلم يقل منهم عنها انها منظومة الا العالم الارمني باصماجيان ،
اما جب فاشار الى انها منظومة من طرف خفي ، لانه قال ان احمد
ترجمها الى التركيبية نثرا . وصرف المؤرخون كل عنايتهم الى المنظومة
المعروفة بالمحمدية ، ويرجع السبب في اهمالها هذا الاهمال الى كونها
بالعربية فلا مجال لذكرها في تاريخ للادب التركي .

(كان لي أخ يدعى محمدا ، وهو من أهل العلم والمعرفة ، كامل من عباد الله الصالحين وسيد الواصلين ، ومريد لقطب الزمان حاجي ميارام ، وأنا الفقير أحمد كنت أقول له يا أخي لابقاء هذه الدنيا ، ولادوام أطيبها ، فلو كتبت ما يصبح تذكارا للورى . فأجاب طابتي وألف هذا الكتاب المعروف بمغارب الزمان ، وقد جمعه من تناسير القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب الصوفية وأفواه العلماء فتحصلت فيه زبدة اثني عشر علما . وقال ها أنذا يا أحمد قضيت لك سؤلك فضممت المبادئ ومختلف الموجودات في كتاب واحد ، والثوبة نوبتك فدونك الكتاب ترجمه إلى التركية ليفهمه سواد الناس حتى أهل القرى ويتالوا قبسا من نور العلم ، فأتممت هذا الكتاب المسمى أنوار العاشقين . فأنوار العاشقين وقصيدة أخي (المحمدية) تفرعا عن (المغارب) . فالمحمدية منظومة والأنوار منشور . فالحمد لله حق حمده على أن وفقنا إلى إخراج هذين السكتابين للناس . وقد كابدنا الجهد في هذا السبيل ليرحموا على ولدى الكاتب) .

أما المنظومة المحمدية فيقول محمد في سبب نظمها انه كان يوما معتكفا في عز لته فإذا جماعة من صحابه يدخلون عليه ويسألونه لماذا لا يخرج عن الرسول الكريم ما يحيطهم علما بشمائله الغر

وسيرته العطرة فأجابهم بأنه مسبوق إلى ذلك ، والسكرتير المدونة
شيء كثير . غير أنهم رغبوا إليه أن يؤلف لهم في الشروح
والتناسير فوعدهم خيرا . ولما أظله الليل ، رأى فيما يرى النائم
كأن النبي صلى الله عليه وسلم جالس وصحبايته جلوس من حوله
وأمامهم أقذاح من ماء صاف وعلى وجوههم النقب . فسأل
الشيخ أحد الحاضرين عن جلستهم وهيئتهم فقال له (لمن يرفعون
النقب ؟ ومن يفتنون بحسنهم ؟ ومن ذا الذي سيثمل بخمرهم في
مجلس انسهم ؟) فبكى الشيخ وشق ثوبه ، بيد أن النبي طيب نفسه
وقال له (ارفع الحجاب عن قلبك وابحث عن جمالي في روحك) ثم
أمره بتعليم الناس الحكمة واذاعة كلامه فيهم فتوفر يازيجي اوغلي
محمد على نظم (المحمدية) حتى أتمها .

وهي منظومة في تسعة آلاف ومائة بيت وتسعة . وليست
من بحر واحد بل من بحور متعددة تبلغ السبعة . وجمالها الفني
لا يوصف بالبراعة على سيرورتها وشهرتها ، فهي مدروفة متداولة
في طبقات الشعب على اختلافها ، ومن المشاهد أن تجتمع مجالس
للنساء لترتيبها . فيصغين إلى من تلقى عليهن أبياتا منها في تجميع
وتنظيم طلبا للمشوبة والبركة . وشاعرها يتحدث فيها عن خلق
اليسكون والبعثة المحمدية ثم عن نهاية العالم . وهو معنى على الخصوص

بخلق العرش والكرسى والجنة والنار ، وان هذا الكون مخلوق من نور محمد . ومن قوله في خلق الجنة (هلم يا طالب الحق إن كنت طالب أنس وبهجة ، وليكن في هذه الطريق درجانك لتنعم بالسرور وبالخبور ، الق سمعك وتامل ما خلق الرحمن من العدم ، لقد خلق الجنة روضة وجعل الأنوار مصباحا لها . هي جنة عالية قصورها شم منيفة ، وكل جوسق فيها من سبعين ياقوته سكانها آمنون وادعون قريرو العين ، وقد اتكأت على كل أريكة حورية في الحسن آية . جبينها بدر وطلعتها صبح . ولما تم خلق الجنة فقد كمل الكمال فلا نقص ولا إصلاح ولا حاجة إليه . جعل الله لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ثم رفع قصر السماء (الوسيلة) ليسكنه حبيبه ، وكان من أجله غرس طوبى ، وهناك ينال كل نصيبه من يد ابى القاسم)

ومات يازيجى اوغلى سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) ولم تطل بعده أيام أخيه أحمد إلا عامين لأنه مات سنة ٨٦٧ هـ (١٤٥٣ م) .

ومن مشخصات الأدب التركي ظاهرة مختصة به لانجدها شبيهها في غيره من الآداب ، فالكثير من سلاطين آل عثمان

وأمرائهم ، فضلاعن ولوعهم بالأدب وإكرامهم لأهله ، كانوا يقرضون الشعر ، وشعرهم متفاوت في الجودة متفاوت في الوفرة فمنهم صاحب الديوان ، ومنهم صاحب الأبيات المعدودات . وأول هؤلاء الشعراء السلاطين ، السلطان مراد الثاني المتوفى سنة ٨٥٥ هـ (١٤٥١ م) فنحن لانعرف سلطانا سبقه قال شعراً ، وندر من السلاطين الذين خلفوه من لم يقل شعراً^(١) ، وقد عرض هؤلاء السلاطين والأمراء الشعراء كل من عطا في الجزء الرابع من تاريخه ، ومحمد توفيق في تذكرته المعروفة بقافلة الشعراء وكذلك على نور الدين في كتاب كلام الملوك الملوك الكلام ، وإن كان لم يتحدث عن الأمراء^(٢) .

(١) نسب عطا في تاريخه شعرا الى مراد الاول وبنزيد الاول ، وينذهب كوبريلي زاده محمد فؤاد الى ان هذا الشعر منقول . انظر كوبريلي زاده محمد فؤاد وشهاب الدين سليمان - بيكي عثمانلي تاريخ ادبياتي ص ١٩٣ .

(٢) تاريخ عطا (استانبول ١٢٩٣ هـ) محمد توفيق ، قافله شعرا (استانبول ١٢٩٠ هـ) على نور الدين ، كلام الملوك الملوك الكلام (استانبول ١٣١١ هـ)

ومراد الثاني وإن كان مقلا ، أو كان مالدينا من شعره قليلا ، لصاحب فضل على الأدب والشعر لا يحمد ، لأن نعمه جلت على الشعراء الذين كان يدعوهم إلى مجلسه يومين من كل أسبوع ، ليقولوا ما عندهم ، ويأخذوا بأطراف الأحاديث والأسمار بينهم وبين السلطان ، فيستحسن أو يستهجن ، ويختار أو يطرح ، وكثيرا ما كان يسد عوز المعوزين منهم بنائله الغمر وبايجاد حرفة لهم تدر الرزق عليهم ، حتى يفرغوا من هموم العيش ، ويتوفروا على قول الشعر ، وقد انجب عصره كثيرا من الشعراء^(١) ومن شعره تلك الرباعية الجميلة (هاتها هاتها من شراب الأمس يا ساقى . ثم سل هذا القلب عن سرفيه يخفيه ، وإلى بالباب وبالعود وما دمت حيا فحق لى هذا الانس وهذا الطرب ، ولسوف يحل ذلك اليوم الذى يضيع فيه أثرى فى التراب) .

(١) ينوط باصماجيان بذلك كل الاهمية ، ويقرر ان فضل السلطان مراد الثاني على الشعر والشعراء ، اكبر من فضله كشاعر أنظر Basmadjian, Essai sur l'histoire de la littérature ottomane (P. 27)

فهذا الشعر نعمة جديدة على هذا العصر جديدة بأن تسترعى النظر . وما أشبه هذه الرباعية في روحها برباعيات عمر الخيام .

وفي هذا الزمان زمان السلطان مراد الثاني ، دون كتاب له عند الترك شهرة مستفيضة ، يعرف (بحكايت قرق وزير) أى حكاية الوزراء الأربعة لمن يدعى شيخ زاده ، وقد ضاعت أخبار هذا الكاتب تمام الضياع فما يعرف له تاريخ مولد ولا تاريخ وفاة ، وخفيت شخصيته خفاء جعل بعض العلماء في ريب من حقيقة أمره ، فقليل أنه كاتب مصرى لا تركى ، أما كتابه فقصة غريبة بعنوان (اربعين صباح ومساء) ترجمت إلى التركية . شيخ زاده فمن قائل انه رجل مصرى كتب القصة وأهداها إلى سلطان مصر ثم ترجمها عن العربية كاتب تركى مجهول ، وقائل ان شيخ زاده كاتب تركى ترجم هذه القصة وقدمها إلى السلطان مراد (١) . وبين يدي نسخة من هذا الكتاب جيدة الطبع وإن كانت لا تحمل اسم ناشرها ولا تاريخ طبعها . وفي مقدمتها

(١) راجع ما كتبه Deny عن شيخ زاده في دائرة المعارف الإسلامية .

يتحدث صاحب الكتاب عن سبب تأليفه له ، فيمدح السلطان ويقول (انه من الختم على أهل التقوى من رعيته أن يدعوا الله له ، وعلى غيرهم أن يتقدموا إليه بالهدايا من علومهم ولذلك يبيّض شيخ زاده (حكاية أربعين صباح ومساء)^(١) الذي ألف لسلطان مصر ، وهذا الكتاب كان في العربية عاريا عن الزينة لامستطرف فيه ولا مستظرف ، فأضفنا إليه في كل مناسبة آيات وأحاديث وإطائف وبدائع ، حتى أصبح كالعروس المجاورة تروق في عين أهل الظاهر وأهل الباطن . وإذا ما قرأه السلطان عرف أفاصيص الملوك الأقدمين الذين عصف الدهر بهم) .

ويؤخذ من هذا أن شيخ زاده صاحب الترجمة التركية لاصحاب الأصل العربي وإن كنا لانستطيع الجزم بذلك لغموض عبارة شيخ زاده ولا نعلم شيئا عن مؤلفه ولا عن سلطان مصر الذي قدم إليه الكتاب . وأكبر الظن أن قصص الكتاب من قبيل قصص ألف ليلة وليلة فهي هندية وفارسية رويت وجمعت من غير أن يعرف لها مؤلف ولا مصنف .

وقد ترجمه برنهور الى الالمانيه سنة ١٨٥١ ، وذكر ان من

(١) كذا

يدعى احمد المصرى نقله الى التركية ، كما ترجمه جب الى الانجليزية سنة ١٨٨٦ ، وقدمه بمقدمة لم يهتد فيها الى مؤلفه ولا مترجمه (١) وللاكتاب أهمية ومنزلة عند الترك والأوربيين (٢) وإن كنا لم نجد له ولا لصاحبه ذكرا فيما بين يدينا من تواريخ الأدب التركي بالتركية واللغات الأجنبية ، فهل يعزى ذلك إلى خفاء شخصية شيخ زاده؟ وإنا لنذكر مايقال من أن التاريخ العام أحداث وشخصيات ، ولا سبيل إلى فصل الحدث عن محدثه ، وزى مايسوغ تطبيق هذا المبدأ على التاريخ الأدبي ، ومادما نملك اثر شيخ زاده ونعرف الكثير عنه ، فلا وجه لتناسى هذا الأثر من أجل صاحبه المغمور ونحن إنما ندرس المؤلفين والمؤلفات . وتبدأ حكاية قرق وزير ، بأن ملكا من الملوك كان له ولد يعزه وزوجة يحبها ، وشككت الزوجة إلى زوجها من ان ولده يريد لها على السوء ، فاشتد ذلك على الملك واستدعى ولده ، ثم

(1) Gibb, The History of the Forty Vezirs. (London 1886)

(٢) لقد اختاره Bellételet كتاب مطالعة لطلبة اللغة التركية

من الفرنسيين فطبع على نفقة حكومة نابليون عام ١٨١٢ ، وظل

الكتاب الوحيد للمطالعة التركية في اوربا الى اليوم أنظر Wells,

The Literature of the Turks, P. 107 (London 1891)

أهاب بالجلاد ونوى أن يطيح رأسه ، وكان لهذا الملك أربعون
وزيرا . فنادى أولهم وشاوره في الأمر ، فأشار عليه بالروية
وكلبه بكلام لين أسكت عنه الغضب ثم قص عليه من أحسن
القصص ما تلهى به فتلهى عن قتل ولده . ولما اختلط الظلام ودخل
الملك على زوجته . أكثرت له من أراجيفها وأفاويلها وأوغرت
صدره على ولده ، فعاوده الغضب ، ولما كان من الغد استدعى
ولده وجلاده ووزيره الثاني ، فصنع هذا الوزير مع الملك
ما صنع الوزير الأول بالأمس وانتفى الملك عن عزمه ، ثم دخل
مخدعه فاستقبلته زوجته بما استقبلته به البارحة وروت له من
الأقاصيص ما يفسد قلبه . وما زالت هذه حال الملك مع زوجته
ووزرائه وولده حتى مضت أربعون ليلة ، ثم عرف أن زوجته
تفتري على ابنه الأمير كذبا فجاء الحق وزهق الباطل . والكتاب
يضم قصص الوزراء في الأصابع وقصص الزوجة في الأماسي ،
ويعرف كذلك بتاريخ قرق وزير ، وهو سهل العبارة طلي
الأسلوب ، مصور للنفس الإنسانية في خيرها وشرها ، كما أنه
مثال طيب للنثر التركي في ذلك العهد . ومن قصصه قصة عيسى
والمرأة الميتة وهي (مما يروى ، أنه كان في زمان عيسى عليه
السلام ، رجل حائك يحب زوجته حبا ملك عليه فواده ، وتبادلته

الحبة والوداد . فتعاهدا ذات يوم على أن لا يتزوج أحد منهما
بعد مئتين صاحبه ، ويقضى بقية أيامه مكباً على قبر فقيدته
يبلى ثراه بالدمع من الصباح إلى المساء . وجرى قضاء الله بأن
تموت الزوجة ، فبكاها زوجها وأظهر التفجع عليها ، ووفى بالعهد
فكان يخرج في كل صباح إلى قبرها للبكاء والرثاء ، واتفق أن
مر به عيسى عليه السلام ذات يوم ، ولما رأى ذلك من حاله
عرج عليه وقال له في ذلك ، وقص عليه الرجل قصته ، فدعا
عيسى ربه ، وأحيا المرأة بعد موتها . فخرجت من لحدها متلففة
بكفنها ، ثم مضى عليه السلام لسبيله . وقال الرجل لامرأته (لن
تسيرى معي و عليك هذا الكفن ، فتلبثي هنا برهة ريثما أمضى
إلى الدار و آتيك بثوب) وانطلق الحائك إلى داره يبحث خطاه ،
ومر بالمرأة ابن الملك ، فعجب لحسناء في كفن ، ووقع حسنها
من قلبه موقع الإعجاب . فسألها ما بالها ، فقالت انها غريبة ههنا ،
وقد خرج عليها لص سلبها ثيابها . وأمر الأمير خدامه فحملوها
إلى القصر ، وهناك كسيت ثيابا قشبا ، وعاد الحائك من داره
فلم يقف لزوجته على أثر ، فرفع الصوت جازعا مستغيثا ، وما نفعه
ان يسأل المارة عنها ، ولقي خدام القصر ، فاستفسروه عن حاله
وسبب أساه ، فقال ان عيسى عليه السلام أحيا له زوجته بعد

موتها ، ثم تركها ليحضر ثوبا لها وعاد فبا وجدها ،
وقال له الخدام أن هذه المرأة حملت اليوم إلى قصر الأمير .
ومثل الحائك بين يدي الأمير ، وقال ان هذه المرأة حليلته .
وسئلت المرأة فأنكرت ذلك وقالت انه اللص الذي سلبها ثيابها
وطلبت قتله على ان في قتله ثوبا عند الله عظيما . فأمر الأمير
بقتل الحائك ، وقيدت يده خلف ظهره وهو يبكي ويشكو ،
ووضع الحبل في عنقه ، ثم سيق الى حيث يعلق في الأعواد .
وبينا هو في الطريق مع جلاديه ، لقيهم عيسى عليه السلام
فتوقفوا عن سيرهم و يقينهم انه سيدسألهم عن امر الرجل . فسألهم
وأجابوه . ومنهم من متابعة سيرهم بالرجل ، وتوجه الى الأمير ،
وطلب المرأة ، واستوضحها أمرها ثم قال (هذه المرأة زوجة
هذا الرجل ، وقد دعوت ربي واحييتها بعد موتها) ولما رأته
النبي يواجهها لم تستطع الى الإنكار سميلا ، فقالت حقا . ودعا
عيسى ربه ، وماتت المرأة ، كما نجى الحائك من الهلكة وندم على
ذلك الدمع الهتون الذي اراقه على قبرها)

وهذه القصة مثال جيد لتاريخ قرق وزير لأنها تشير الى
اتجاهه ، وتظهر اسلوبه المتميز بالبساطة والعارى عن الزينة ، على
غير ما كان يفهم من قول شيخ زاده في المقدمة ، اما تاريخ تدوين

هذا الكتاب فلا يعلم بصفة قاطعة وان كان الرأى انه دون

سنة ٨٥٠ هـ (١٤٤٦ م .) (١)

* * *

وبعد ان ارخنا الأدب التركى فى قرن ونصف من الزمان ،
يحمل بنا ان نعيد النظر للامام بما قررناه ، فقد رأينا كيف بدأ
الشعر التركى تعليميا موضوعيا يتخذه عاشق باشا أداة تعبير عن
تعاليم الصوفية ، وكيف كان البون بعيدا بين عاشق باشا وسليمان
چلبى فى مولده الذى يفيض رقة وعذوبة ويهتز تنغيبا وتطريبا ،
فينفسح بذلك المجال للعاطفة فى الشعر الصوفى . ثم عرفنا شىخى
ذلك الصوفى الذى لم ينس نصيبه من الدنيا فلم يصبر على أذى
أعدائه وجزاهم (بخر نامه) مجازاة الصاع بالصاع . وترجم
(خسرو وشيرين) وهى أشهر قصص الحب عند الفرس واطاف
الى الترجمة من عنده ، فدلل بذلك على اهمية المحاكاة كخطوة
اولى تتلوها من الابتكار خطوات . واخذ احمدى مأخذه فترجم
قصة الاسكندر ، وان لم يكن الا مترجما محاكيا . وهبط وحى

(١) هكذا قال Pertsch . راجع ما كتبه Deny عن شىخ زاده

فى دائرة المعارف الاسلامية .

الشعر على القاضى برهان الدين ذلك الأمير المظفر الذى لم يتأتم
من ان يحجور ويعنف ، فخلا شعره خلوا تماما من تلك النزعة
الحاملة التى يتميز به شعر غيره ولم يعبر الا تعبيراً صادقاً صريحاً .
ولما تغنى نسيمى بمذهبه الحروفى كان شاعراً غنائياً مبدعاً ، وليس
كذلك مريده رفيعى الذى كان شعره تعليمياً كشعر عاشق باشا .
ونظم الشيخ صلاح الدين منظومه الفلكية فعبر بشعره عن
العلم البحت ، وينظم ابنه محمد (الحمدية) فى عرض تاريخى دينى
لا يمت الى الشعر بصله ، اما (مغارب الزمان) فلا ندرى ما بعثه
على نظمها بالعربية فبعثت عن ادراك الترك ، واضطر اخوه
احمد الى ترجمتها ترجمة نثرية نضمها الى تاريخ قرق وزير لشيخ
زاده ، فوجد ان النثر التركى بدأ ترجمة لاتالياً ، وهو نثر لاعناية
فيه بالزخرف والمحسنات اللفظية ، شأن النثر فى نشأته ، فامشاهد
ان الصناعة لاتدخل على النثر الا فى عصور متأخرة ومنحطة (١)

(١) هذا يشبه ما عند الفرس ، فأول مؤلف نثرى لهم هو تاريخ
الطبرى الذى ترجمه البلعمى وزير الامير منصور بن نوح السامانى
الى الفارسية فى القرن الرابع الهجرى . كما أمر هذا الامير نخبة من
علماء ماوراء النهر بترجمة تفسير الطبرى فترجمه تاريخ الطبرى وتفسيره
باكورة النثر فى الفارسية المتميز بالسهولة والخلو من المحسنات اللفظية

وقد رأينا كيف أثرت الثقافة الفارسية على شعراء الترك
فترجموا عن الفرس ورددوا في شعرهم معظم معانيهم . كما يلاحظ
أن الترجمة النثرية كانت عن العربية لا عن الفارسية .
وفي هذا الزمان كان السلطان مراد الثاني أول الشعراء
السلطانيين الذين سنصافهم في مقبل العصور . وكان شعراء هذه
الفترة من الزمن ينظمون في لهجاتهم المحلية التي تغاير اللهجة العثمانية
بعض المغايرة ، وهذا ما لانصافه إلا نادرا بعد فتح القسطنطينية
سنة ١٤٥٣ . إذ أصبحت هذه اللهجة هي الجارية على السن
الشعراء . ولا يسعنا أن ننسى فتح القسطنطينية لأنه فاتحة
عصر أدبي يخالف عصره سبقة ، وإنما لسكونه فاتحة عصر
استقرار للملك وارتقاء للحضارة ونهضة أدبية سار بها الشعراء
قدما حتى بلغت ذروتها في عصرها الذهبي عصر السلطان سليمان
القانوني ، فخفت صوت الشعراء الفقهاء وأصبح الشعر يحتمل
المعنى الرمزي والمعنى الحسي ، كما اتصلت أسباب أهل الأدب
بالسلطانيين وخرجوا من عزلتهم ، فأقبلوا على الدنيا بعده
اعراضهم عنها .

* * *

وعلى ذكر فتح القسطنطينية لانجد معدى عن ذكر فاتحها

محمد الثاني كراع لهضة أدبية وشاعر مجيد، وقد حكم ثلاثين عاما كانت أعوام خصب ورخاء وبركة ونماء، وعرف بأبي الفتح لأنه غلب على امبراطوريتين. وفتح سبع ممالك واستولى على مائتي مدينة. وشاد دور العلم ودور العبادة فعرف كذلك بأبي الخيرات. كان يجيد اللغة العربية ويداوم على المطالعة في كتبها حتى قيل ان جمهرة السكتب في مكتبته الخاصة كانت عربية، ويروى انه كان يعرف اللاتينية واليونانية والعبرية، وان شك بعض العلماء في صحة هذه الرواية (١).

وقد أعرم بمصاحبة الشعراء والعلماء، واصطفى بعض وزرائه منهم كأحمد باشا ومحمود باشا وجزرى قاسم باشا وكلهم شاعر (٢) ووظف الأرزاق لثلاثين شاعرا، وكان يرسل مالا جزيلا في كل عام إلى الشاعر الهندى خواجه جهان والشاعر الفارسى جامى (٣) ويقول لطيفى في تذكرته (كان إذا سمع بعالم متبجر

(١) Suheyl Unver, Fatih Külliyesi ve zamani ilim Hayati S. 159 (Istanbul 1946)

(٢) ذكرنا بعض افضاله في المقدمة فارجع اليها.

(٣) هو الشاعر الفارسى جامى المتوفى سنة ٨٩٨ هـ والمعتبر من أعظم شعراء الفرس وآخر فطاحلهم فلم يظهر مثله من بعد. وله عند =

متفرد في فن من الفنون ، في الهند كان أو في الهند ، استعماله
بالاكرام ونفحة بالمال ، ومناه من المراتب والمناصب بكل عزيز
التمال ، فحجب إلى العلماء أن يزايلوا أوطانهم ويفدوا عليه ،
ومن المتعارف المشهور أنه استقدم العالم الكبير على قوشجي^(١)
من ديار العجم وقدر له ألف (اقجة) على كل مرحلة من مراحل
سفره ، وأكرمه اكراما ووقره توقيرا^(٢) .

وكان يود الفرس كثيرا ، وذلك كرامة لعلمهم وأدبهم وقيل
ان شاعر تركيا واسع العلم بالفارسية يسمى لآلى تمنى الزلفى إليه
وادعى انه فارسى فنال منه مهتغا ، غير أن حساده وشوابه
وفضحوا أمره فأغضبوا السلطان عليه . وفي ذلك يقول هذا
الشاعر متأسفا (إذا ما صبت نفسك إلى درك المنى ، فكن عربيا

الترك منزلة وتأثر به كثير من شعرائهم . وقد خابره وراسله كذلك
السلطان بايزيد الثاني ولد السلطان محمد الفاتح ، ويقال ان جامى مدح
الفاتح غير أنى لم أوفق بعد الى الإطلاع على مدحته .

(١) هو على قوشجي المتوفى سنة ٨٧٩ هـ (١٤٧٤ م) كان فيله وفا
وفلسكيا من سمرقند ، وله عدة كتب في الفلك وفي علوم أخرى .

(٢) أنظر ، كوبربلى زاده محمود فؤاد وشهاب الدين سليمان -

بكي عثمانلى تاريخ أدبياتى ص ١٩٥

أو فارسياً. لانفاسة للجواهر في معادنها ولا للآلى^١، في قاع بحرهما،
وإذا خرج جوهر من حجر فكذا الفضل من أى رجل. لا يزحف
الفرس إلينا، لا يتسلطوا علينا! كل قادم من فارس يامل أن
تكون له الامارة أو الوزارة)

وهذا كاف حق الكفاية في الابانة عن مدى اعجاب الترك
بالفرس. ولما دخل الفاتح القسطنطينية ظافراً وقف بقصر من
قصورها ورأى الدمار والخراب فتمثل بهذا البيت من الشعر
الفارسى (اليوم تمعق على قباب الأكاسر، والعنكبوت تضرب
نسيجها على قصور القياصر).

فكانت قولة مشهورة لها مغزاهما التاريخي والأدبي
وللسلطان محمد الفاتح شعر رائق، وهو أول سلطان ذكر
(تخلصه) في غزلياته فسمى نفسه (عوفى). وديوانه لطيف
الحجم يتألف من ثمانين صفحة^(١) وهو القائل (أنا عبد لسلطان

(١) لقد شك جب في وجود ديوان لمحمد الفاتح، ورجح ضياعه

إن كان قد وجد. Gibb, A History of ottoman Poetry P,31,V.2
هذا ما ظن منذ خمسين سنة وبين يدي الآن نسخة من ديوانه في
طبعة حديثة Saffet Sitki, Fatih Divani (Istanbul 1944)

من عبيده سلاطين هذه الدنيا ، ونور شمسهِ يبهـر الضحـا ، وإذا
ماقتلني بالسهم أو أهداب العيون ، فسواء على القتيـل فتكـة الحسام
أم قتلة السهام ، لك فرع هو ليلة القدر ، وحاجبك هلال العيد ،
وما وصالك إلا فرحة العباد بحلول الأعياد . أما فراقك ، آه
من فراقك ، فإنه شهر الصيام (١) .

وقال وهو جالس على الشراب ، وقلبه يهيم في الأحلام
ويهتز مع الأنغام (أدر علينا الخمر ياساقى فهذا البستان إلى ذوى
وذبول ، وإذا ما وافي الخريف فلا ربيع ولا رياض . انا إن
شاهدت هذا الجميل ضاع الزمام من يدي فغلبت على تقواى
وزهدى . الا لا يفرنك هذا الحسن يا من تتيه علينا بالحسن .
ومتى دام للجميل جمال ؟ فالوفاء لنا الوفاء) .

ففي هذا الشعر جمال لا يحتمل المرء لأن معناه يسبق لفظه ،
وإن صلح لأن يكون كلاما للناسك وللفاتك شأن كل شعر صوفي
عاطفي جميل ، واننا لنستبعد كثيرا أن يكون الغزل الأول شعراً
صوفيا أما الغزل الثاني فنغمة سوف تطرق سمعنا طرقة رفيقا
رتيبا عند الجم الغفير من الشعراء . وكانت وفاة السلطان محمد
الفتاح سنة ٨٨٦ هـ (١٤٨٠ م) .

ومن شعراء السلطان محمد الفاتح وندمائه ؛ أحمد باشا . أصله من مدينة بروسه على المشهور ، وهو سليل أسرة كريمة تنسب إلى النبي الكريم ، لأنه من حفدة الحسن عليه السلام (١) ، أبوه ولى الدين بن الياس كان قاضى عسكر فى زمان السلطان مراد الثانى (٢) . فعرف احمد باشا بولى الدين اوغلى ، أى ابن ولى الدين وبدأ حياته العلمية كمدرس بالمدرسة المرادية فى بروسه ، ثم تقلبت به الأحوال فاصبح قاضى ادرنة . واشتهر بالعلم والأدب حتى تمكنى بابى العرفان . وعرف السلطان محمد الفاتح أخباره فاصطفاه مؤدبا وندىما ، وما ينهض دليلا على قدرته وحضور بديته ان السلطان كان يترنم ذات يوم بقول الشاعر الفارسى حافظ

(١) قال احمد باشا بيدتين بالعربية فى رسالة من رسائله موضحة

نسيه ، وهما :

سلام كانفاسى إذا كنت ناطقا بمدح رسول الله جدى وسيدى
على خير ابرار البرية سيرة صديق حميمى مشفق ومؤيدى
معلم ناجى ، عثمانلى شاعر لوى ص ٧ (استانبول ١٣٠٧)

(٢) لقاضى العسكر منصب دينى رفيع ، لايسمى عنه إلا منصب

شيخ الاسلام ، وللدولة العثمانية قاضيا عسكرا .

الشيرازى (١) (أولئك الذين يجعلون التراب كيميما (٢) بنظرة عين ، هلا وجهوا إلينا نظرة من جانب العين ١) فرد أحمد باشا ببيت نظمه على الفور بالفارسية وهو (ان الذين يجعلون التراب كيميما بنظرة عين لقادرون على جعل تراب الجواهر تحت قدمك توتيا (٣)) .

وكان أحمد باشا من خاصة السلطان أيام فتح القسطنطينية ، فإرسله إلى الولى المعروف الشيخ آق شمس الدين ليسأله ان كانت هن يمة الأعداء أمراً متيسراً أم لا ، وغرض السلطان من ذلك أن يتعرف ما فى الغيب . فأشار الشيخ بالهجوم من موضع خاص وعاد أحمد باشا إلى محمد الفاتح برأى الشيخ ، فعمل به ، وما

(١) هو حافظ الشيرازى أشعر شعراء ايران وأبعدهم صيتا ، وغزلياته اجمل غزليات فى الشعر الفارسى وقد مات بشيراز سنة ٨٩١ هـ .

(٢) الكيميما هنا حجر الفلاسفة وهو حجر كان الأقدمون يعتقدون انه إذا مس شيئاً تحول إلى ذهب .

(٣) التوتيا دواء يجلو البصر ، والترک يسمون المياسة والاقدام الحكيم توتيا الدولة

أصبح الصبح حتى كان الأذان تتردد اصداؤه في حصن ظفر به
المسلمون من الروم .

غير ان السلطان نغم من احمد باشا امرا فغضب عليه وهم
بقتله . والامر واحد في نفسه وان اختلفت فيه الروايات . فيقال
انه كان يهوى غلاما من غلمان السلطان ، وحدث ان اذنب الغلام
فأمر السلطان بان تقيد رجلاه بالحديد . ورأى ذلك احمد باشا
فرق له واريجل هذين البيتين وهما (لتحترق هذه الدنيا لهذه
الشمعة المعسولة البسمة ، فانها تبكي وفي ساقها قيد الحديد . ولو
انه باع حلوى من شفته ، لكان ثمنها مصر وسمرقند وبخارا (١)
ونمي الخبر الى السلطان فاضطغنها على احمد باشا وأمر بزيجه

(١) يشبه الشاعر الغلام الجميل بالشمعة ، ويشبه شفته بنوع من
الحلوى يعرف بحلوى شيراز . وفي هذا الشعر اشارة الى قول حافظ
الشيرازي في مطلع غزله المعروف (لو ان هذا التركي الشيرازي
رق لقلبنا ، لو هبت سمرقند وبخارا ثمنا لحاله الاسود) ومن طريف
ما روى ان تيمورلنك استدعى الشاعر ولامه على تهوينه من هاتين
المدينتين العظيمتين ، فكان من فطنة الشاعر ان قال انه مسرف متلاف
وهذا سبب فقره وخلو فاضه . فضحك تيمور وعفا عنه .

في سجن البروج السبعة (١) ، وبينما كان الشاعر في سجنه نظم
قصيدته المعروفة بقصيدة السكرم وانفذها الى السلطان ومنها (٢)
(القطرة من بحر كرمك بحر للسكرم ، وروضة الجود يروها
فيض من غمام يدك . وإذا ما أذنب العبد فما ضر ان يعفو الملك ؟
وإذا مالوت يدي بالدم من بعد ، فليكن الدم بديلا من السكرم !
اي كرم هذا الذي تمحوه الجريرة ، وأي جريرة تلك التي لا يمحوها
هذا السكرم ، الماء ان يغرق غرسه ، فأني يغرقني بحر كرمك !) (٣)
وفي رواية اخرى ان السلطان عرف ميله الى الغلام ، واحب
ان يستوثق من الامر ، فامر بالغلام فقص شعره ، او اخفيت
خصلاته تحت قلنسوته ليبدو مقصوص الشعر ، وانفذ الى الباشا

(١) يعرف هذا السجن بيدي قله . وهو قلعة بين نطية قديمة
بالقرب من بحر مرمرية . وكان الترك قديما يعتقلون فيه سفراء الدول
التي تحارب الدولة العثمانية

(٢) السكرم هنا بمعنى العفو لا بمعنى السخاء . وهذه القصيدة طائفة
الشهرة والعجب ان يغفل ذكرها اكاه سرى في حديثه عن احمد باشا ،
ولا يورد كوبريلي زاده محمد فؤاد مثالا منها .

(٣) قال الشاعر الفارسي سعدى (النهر ان يغرق العصا ، فاي
حكمة في ذلك ؟ انه ليحتشم ان يقتل ماربي وأحيا) وقد اخذ شاعرنا

في حمامه حاملا قدحا من الشراب . ولما رآه تحركت ، شاعريته
فقال (قص لهذا الصنم الجميل شعره فما اقلع عن كفره ! وقطعوا
زناره فما دخل في دين الاسلام !)

واحاط السلطان بذلك علما فقطع الشك باليقين ، وقام في
نفسه ان يأمر بذبجه الا انه استبدل بالذبح سجنه ، فسجن في
(حجرة الحجاب) ^(١) ثم كان ما كان من نظم قصيدة السكرم .
وفي رواية ثالثة ان احد حساده وشى به الى السلطان وأسر اليه
ان الشاعر مستهام بالغلام ، فأمر الغلام باخفاء شعره تحت
قلنسوته ولما رآه الباشا قال (اطلق خصلتك الفاتنة من حبس
قلنسوتك ، فلكم على العشق جارت وكم فتنة اثارت !)
كما قيل كذلك ان السلطان خرج متصيدا وصحب الباشا

== التركي هذا المعنى عن الشاعر الفارسي . وسعدى هو الشمشي سعدى
الشيرازي صاحب كتاب كلستان ومنظومة وستان وله شعر نضيد
معظمه صوفي وتعليمي . وسعدى اعظم اخلاقي في الشرق وقد مات
سنة ٦٩٤ هـ .

(١) حجرة الحجاب او (قبو جيلر او طه سي) اسم جناح في قصر
محمد الفاتح .

والغلام ، وبينما كان جواد السلطان مخبياً ، اثار حافره قطعة من
طين اصابت خد الغلام ، ورأى الباشا ذلك فقرأ قوله تعالى في
سورة النبأ (انا انذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا) .

وأيا ما كان فقد أحسن السلطان العفو عن الباشا لما قرأ
قصيدة السكرم وقال (ان أحمد لفصيح اللسان عذب البيان
فلن يمسسه شر ولا أذى من سلطان) غير أنه طرده من خدمته
ثم أسند إليه منصبا صغيراً في مدينة بروسه .

والرأى على أن احمد باشا أول الفطاحل من الشعراء الغنائيين
العثمانيين . وشعره قصائد وغزليات . وقد تأثر بالشعر الفارسي
تأثراً شديداً جعل بعض المؤرخين يقول ان شعره في واقع
الامر محاكاة للشعر الفارسي ليس إلا ، ولم يزد على أن كساعروس
شعر الفرس ثوبا من ثياب الترك^(١) وفي بدو أمره كان له من
كلامه وفضله ما يعتبر به عالما بين العلماء ، إلا أن شعره كان من
النط التركي القديم ، لا ملاحظة في ألفاظه ولا رقة في أسلوبه ،

(١) دفع ذلك عن احمد باشا معلم ناجي وكان دفعه شديداً ، فرأى

من هذا . انظر معلم ناجي - عثمانلي شاعر لرى ص ١٢

حتى أرسل إليه على شيرنوائى ثلاثة وثلاثين غزلا من غزلياته ،
ولما احتذاها حسن شعره . (١) والمعروف أنه تأثر بغزليات
على شيرنوائى الشاعر الأتراكى الشرقى (٢) ، وغزليات حافظ
الشيرازى الشاعر الفارسى . وقد أسلفنا أنه كان متضلعا من
الفارسية كثير النظر فى آدابها وبلغ من اتقانه لها أن يستطيع
النظم بها . ومن قوله فى قصيدة تعرف بقصيدة الشمس (الشمس
كسرى على عرشه فى طاق الفلك ، وعليه قباؤه النارنجى . وهذه
الأنوار من عرشه تفيض . لقد اتخذ سلطان الصبح له مسنداً من سرير
السماء ، ثم نثر الذهب والجوهر من أطباق الفيروز . أما الشمس
فجهزت فلها نوائى الشراع لتغرق زوارق الفضة فى الظلمات (٣)
والشمس طاوس ذهبى الريش ينشر الجناح ويجول كل سحر
فى بيد القمر (٤) فيلقط النجوم حبا . وكان الشمس أنوشيروان

(١) محمد توفيق قافله شعرا ص ٢٧ (استانبول ١٢٩٠)

(٢) راجع ما ذكرناه عنه فى ص ٢٥ ولا يفوتنا ان نقرر ان على
شيرنوائى أخذ عن حافظ متأثر به .

(٣) يريد بزوارق الفضة نجوم السماء

(٤) فى هذا اللفظ تورىة لأن كلمة (خرمن) الفارسية بمعنى البيدر
وهالة القمر

الصبيح العادل يدلى سلسلته الذهبية من القبة اللازوردية (١) وعلى
عرش الفلك سلطان يوسفى الحسن أوزليخا فى يدها نارنجتها
العسجدية . أما حقيقة الأمر فى أن الشمس فتحت لها كوة
من ياقوت لتطل منها وتشاهد ديوان الملك (١) .

فهذا الشعر خياله لا يعاب ، غير أن صاحبه متكلف متعسف
إلى أبعد مدى ، فما قصيدته إلا صورة تراجمت فيها الاصباغ
وفشوه ذلك من جمالها . والناظر فيها لا يجد إلا ما يبهر بصره
فينصرف عنها أما تأثر أحمد باشا بالشعر الفارسى فواضح بين .
شعره تعوزه الرقة والعاطفة فهو براق اللفظ إلا أنه عسير
الفهم (٢) . وكانت وفاته عام ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ م) .

وعلى ذكر أحمد باشا ، يذكر من يدعى سنان باشا لما استنقف

(١) هو كسرى انوشىروان المعروف بالملك العادل ، وكان
من عدله يتخذ فى قصره ناقوسا تتدلى منه سلسلة الى الخارج ، فاذا
اراد مظلوم ان يدخل عليه متظلمًا جذب السلسلة فدق الناقوس وتنبه
الملك لذلك فاذن له بالمشورل بين يديه . والشاعر هنا يشبه شعاع
الشمس بالسلسلة الذهبية .

(٢) انظر كوبريلى زاده محمد فؤاد وشهاب الدين سليمان - يكي

عثمانلى تاريخ ادبياتى ص ١٩٩

عليه من وجوه شبهه ووجوه خلاف بينهما ، فسنان باشا كاتب
شاعر عالم حكيم ؛ نشأ في بيت علم وفضل ونعمة ، فقد كان أبوه
قاضيا مرموق المسكاته غزير المعرفة ، ولاحت على سنان مخايل
النجابة وهو صبي حدث فكان بليغا قبل بلوغه مبلغ الرجال
يصعد المنبر ويعظ الناس أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر (١)
وأظهر ميلا شديدا إلى الفلسفة والنظر المجرد واتخذ الشك مذهبا
له فكان يشك في كل شيء حتى يتحقق منه . وقد أوقع ذلك
الجفوة بينه وبين أبيه . وحدث ذات مرة أن كان الوالد يواكل
ولده فقال له (ياسنان لقد وصلت بك الحال إلى أن ترتاب
في كون هذا الصحن من النحاس) فرد عليه سنان بقوله
(صدقت يا أبت في الحق أنه لا يجوز الحكم بأنه من النحاس
قبل التحقق والتحليل ، والشك في ذلك أهون وأسهل من التصديق)
فغضب أبوه وضرب بالصحن رأسه .

وقد ولاه السلطان محمد الفاتح قضاء استانبول ، وأعجب
بعلمه وأدبه الإعجاب كله ، فاتخذته نديما وجعله مؤدبا له يتلقى

(١) تذكروه لطيفي ص ١٩٣

عنه العلم فعرف (بخوجه باشا) (١) ثم رفعه الى رتبة الوزارة ،
وبعد عام غضب عليه لأمر لا يقول المؤرخون الا انه تافه دون
تفصيل له ، فعزله عن الوزارة وحبس . وقضى في الحبس مدة
حتى شفيع له بعض العلماء عند السلطان فاطلق سبيله الا انه بعده
عن استنابول والحقه بمنصب دون المنصب الذي كان يشغله
درجة ومنزلة .

ولزمه هذا المبدأ الذي اعتنقه وهو مبدأ الشك الى اخريات
ايامه ، فلما تصوف ورق للزهد قلبه ، لم تكن روحه روح صوفي
بل روح متفكر متأمل ينفي ويثبت . وكان محمود المخبر لامطعن
في عرضه ولا مغمز في سيرته ، وهو في ذلك يخالف الشاعر
احمد باشا .

وسنان باشا كاتب بليغ بل هو رائد النثر في الأدب التركي ،
فلم يوجد قبله من كان كتيباً مثله ، والسلاسة والتجافي عن الافراط
في تزيين الكلام طابع كتابته ، كما يتميز اسلوبه بقصر الجمل ،
والتوفيق في اختيار اللفظ من غير تحكم ولا اقحام . وان روحا

(١) خوجه هي الصيغة العامة لخواجه بمعنى السيد او المعلم في
الفارسية .

شعرا يهيم على نثره فيكسبه رونقا وطلاوة ، وان عيب عليه
احيانا عدم الربط بين الجمل ، والثوب من معنى الى آخر .
وله رسائل في الشريعة والرياضيات ، وتذكرة الأوليا ،
وكتاب التضرعات ، ومن قوله في تذكرة الاوليا (ومن يدري
شيئا عن تلك البقية المتبقية لنا من عمرنا ، فإذا كانت بضعة أيام
فلنفرض ان اليوم الأول منها هو آخر يوم فيها ! ولما رأيت
ذلك من احوال الدنيا ، عرفت ان انسياتي لها لا يجمل ، فاتباع
الهوى لا يعقب الاحسرة ونداما . وعقدت عزمي على طي ما بيني
وبين اهل الدنيا ، والاتناس بالوحدة في ركن بعيد . بيد اني
رأيت وفرة الأسباب وكثرة الوشائج فذكرت ان قطعها امر غير
ميسور ، واني يكون لي ان اصرم حبل اهل العلم ، ذلك العلم الذي
الفته نفسي اعواما متطاولة) فهذا مثال من نثره ، وهو كما يلوح
عار عن كل زينة ، يسيطر عليه عقل حكيم يرد النتائج الى مقدماتها
ويجول فيه رأى سديد ونظر مصيب . وان هذا المثال ليصور
لنا من الرجل جانبه العقلي المحض ، اما جانبه الفني ، فهو يتجلى
في كتاب التضرعات ، فقد قال يصف الدنيا (الدنيا عجوز شمطاء
في ثوب كاعب حسناء ، ودار للخراب وان بدت دار عمران ،
ها من الوفاء والصفاء للنساء ! فوافؤها وصفاءها سحابة صيف

اما همومها وغمومها ، فأوراق اشجار وحيات رمال لاتدخل
تحت حصر . يالها هرة تأكل صغارها . وكلها يعض بعد أن
يتلطف ويتملق . إن وعدت نكثت عهدا . وإن عاهدت فلا
إل لها ولا ذمة . كل من عليها لا يسلم صلاحه من فساد ،
ولا رواجه من كساد ، فصعوده إلى هبوط وأمله إلى قنوط ،
وبجانب أوجه حضيض نازل . وفي شهده سم قاتل . من ذا الذي
سلبه من غير حرب ولا جدال . ودولته بلا تغير ولا زوال .
وأى طلوع من غير أفول ، وأى نزول من غير قفول وقدم
لا يتلوه ارتحال ، بعد الفرح ترح وبلاء ، وبعد المحبة محنة وابتلاء .
الفناء بعد البقاء والغمة بعد النعم واللذة ثم الألم) .

هكذا يصف سنان باشا الدنيا وصف كاره لها ضائق بها .
وإن هذه الاضداد المتتالية والاسجاع المتلاحقة لتسدل دلالة
واضحة على علو كعبه في الكتابة وتأنيقه في الانشاء والترسل .
وهو القائل في تضرعاته (العشق جوهر ليس كمثل شئ ، ولا
سبيل إلى تشبيهه لأصابة صفتة ، العشق سر خفي لا يتوصل إلى
تصويره بضرب الأمثال ، وتحت السن العشاق كلام على شفاهم
محرم حرام ، وبين جوانحهم انفاس هي غير ما في افواههم من
انفاس . ان للعشق مرآة لاتصدأ . والعشق هو الذي يضع اعناق

الأحرار في ربة العبودية ، ويطاطء الهام المرفوعة . ليس
العشق سحرا ولا حديث خرافة ، وما كل مدع من العاشقين ،
وما اقل من تحدث عن المحبة فكان من الصادقين) فكلما عن
العشق الالهي الذي ترنم به شعراء الترك في لوعة وحنين ، ولا يكن
قلبا جرت به أقلام كتابهم ، وهذا ما يحملنا على القول بأن هذا
النثر شعر منشور لا يصدر الا عن كاتب له روح شاعر . وما اجمل
قوله وهو يضرع الى الله فيقول (يا عليا ليس لعلمه غاية ، وقادرا
ليس لقدرته من نهاية . انت القديم ، وعن قدمك ترند عقول
المتقدمين والمتأخرين عجزا وقصورا ، وانت الحكيم ، وحكام
الأوائل والأواخر لا يملكون شيئا من حكمتك . ايها القاهر
الذي قهر بسطوته كل موجود ، ايها الرحمن الذي غمر حسنه كل
ذرة بالمسرة . ايها السميع ولا آلة لسمعه ، والبصير الذي لا آفة
لبصره . انت الخالق ولا نهاية لخلقك ، وكل موجود ينال من
كرمك)

ولسنان باشا شعر ، الا ان شعره قليل وهو شاعر نحيل . وما
يستدل به على عدم تعلقه بالشعر ، انه لم يتخذ له (مخلصا) اسوة
بغيره من الشعراء . ومنظومه يشبه منشوره في براعة الاداء وقصر
الفقرات . ونحن هنا لانورد النماذج من شعره رغبة منا في اعتباره

كاتباً للشاعر ا. وتوفي عام ١٨٩١ هـ (١٤٨٦ م).

* * *

ونعود الى الحديث عن شعراء الاسرة السلطانية ، فنتحدث عن الامير جم بن محمد الفاتح ، وحياته هذا الامير قصة حزينة هي الشقوة في اعجب صورها والانسانية في كل عواطفها واحاسيسها ، وليس من الاغراق في شيء ان نعتبرها اروع مأساة في التاريخ العثماني ، وللسكتاب والشعراء ان يستمدوا منها عامر المعاني وسابح الاخيلة . فسيرة جم ادخل في التاريخ القصصي منها في التاريخ الادبي ، وان كنا نجد هنا مس الحاجة الى روايتها على اختصار ، بالقدر الذي يعيننا على فهم حياة جم من شعره ، وشعره من حياته (١) .

فقد ولي اقليم قرمان لايه قبل بلوغ العشرين ، واستقر في مدينة قونية عاصمة السلاجقة القديمة . وهناك هوت افئدة من الناس اليه ، كما خال الشعراء فكان من خاصته شاعران هما سعدى وحيدر ، وكانت حياته حياة ابناء الملوك امثاله ، فخر

(١) المعنا بقصة الامير جم الماما مفصلا في كتابنا (فارسيات وتركيات) تحت عنوان (الامير التمس) ، فللمستزيد أن يطلب ما يريد

وندمان والحان . وظهرت ميوله الادبية فاتقن الفارسية ونظم الشعر بالتركية . ويقال انه ترجم منظومة فارسية اهداها الى ابيه الفاتح (١) واتم تدوين ديوانه في قونيه . ومات السلطان محمد الفاتح فتغير لذلك مجرى حياة جم ، لوقوع النزاع والتخاصم بينه وبين اخيه بايزيد واختلافهما ايها يرث عرش ابيه . فثارت الحرب بين الاخوين والتقى الجمعان عند بروسه وكتب النصر لجم فاعلن نفسه سلطانا وامر بالدعاء له على المنابر وسك العملة باسمه . واوفد الى اخيه من يعرض عليه اقتسام الملك فيحكم جم ولايات آسيا وبايزيد ولايات اوربا . فرفض اخوه وحاربه فغلبه . وهرب جم الى مصر ونزل فيها ضيفا على السلطان قايتباي ثم رحل لقضاء مناسك الحج مع الشاعر سعدي (٢) ولما عاد الى القاهرة نصح له اصفياؤه بمعاودة قتال اخيه ، فشد رحاله الى انقره وهناك

(١) هي منظومة بعنوان خورشيد وفرخشاد . ولا ينسبها اليه الاسمعي وسعد الدين من دون بقية الرواة مما يجعل ذلك امرامشكوكا فيه أنظر (Gibb, A History of ottoman Poetry (p. 72, V, 2)

كما قيل انه نظمها في العاشرة من عمره ، وهذا بعيد الاحتمال .

(٢) هو شاعر تركي يدعى سعد الله وليس الشاعر الفارسي سعدي الشيرازي .

انفذ اليه بايزيد ابياتا من نظمه يقول له فيها (لقد حججت بيت
الله فبلغت بذلك منزلة لا امل بعدها ، فبالله ماشوقك هذا ايها
الامير الى عرش من حطام الدنيا ؟ ان هذا الملك من فضل ربي
فكيف تتسخط قضاءه ولا ترضى لي بمشيئته)

ورد عليه جم بقوله (تنخطر في الحرير وتتقلب على مهاد
الراحة ، وتعيش لتنعم بطيبات الحياة ، فكيف يظل جم محروما
من كل شيء ويندوق الشقاء الوانا ، ويقض مضجعه شوك
القتاد ا)

وينشب القتال وتدور الدائرة على جم فينوى الرحيل الى
الغرب حيث يؤلب الولايات الاوربية على بايزيد لينال رغائبه .
واقاع الى جزيرة رودس ملتصقا العون من حاكمها رئيس فرسان
القدس حنا ، غير ان بايزيد ساوم صاحب الجزيرة على اعتقال
اخيه ، فاستقر الرأي على ترحيله الى فرنسا ليكون في موئل عند
اتباعه . فوافى مدينة نيس وتنقل بين بلدان فرنسا ، وسكن
احد القصور فخفق قلبه لابنة صاحب القصر وتدعى فيليبين هيلين
وبادلتها حبا بحب ، وبعد ان قضى في فرنسا سبعة اعوام ، ارسل
الى ايطاليا واسكنه البابا انوسان الثامن في الفاتيكا . ثم مات
هذا البابا وخلفه البابا اسكندر بورجيا وكان رجل سوء ففاوض

بايزيد في قتل اخيه لقاء مبلغ من المال . ثم دخلت جيوش ملك
فرنسا شارل الثامن روما ، فارغم البابا على تسليم اسيره الامير
التركي .

وقصد ملك فرنسا مدينة نابلي في صحبة الامير . وفي هذه
المدينة هاجت اوجاع الامير وثقلت عليه العلة . وذلك لسم بطيء
دسه له البابا في طعامه فمات سنة ٩٠١ هـ (١٤٩٥ م) .

اما ديوان شعره فقد دون مرتين ، مرة في قونيه بآسيا ،
واخرى في نيس بأوربا ويؤخذ من هذا ان النسخة الاوربية التي
كتبها الشاعر سعدي في حديقة نيس تتضمن شعر جم الذي
قاله في فرنسا مضافا الى مقاله في ارض الوطن (١) . ويقول
الاديب التركي جاويد بيسون ان لجم ديوانا فارسيا (٢) ، غير اني
لم اطالع من شعره الفارسي الا على غزليات اوردها عطا في الجزء
الرابع من تاريخه مع ما اورد من شعر جم التركي (٣) . والمعروف

(١) يقول جب ان ديوان جم لم ينشر وبين يدي طبعة حديثة
له مصدرة بسيرته .

Cavid Baysun, Cem Sultan,

Hayati ve Siirleri (Istanbul 1946)

(٢) أنظر . Cavid Baysun Cem Sultan, Hayati ve

Siirleri, S 74

(٣) تاريخ عطا ٤ ج (٨٧ - ٩٣)

ان الامير جم اشعر امراء آل عثمان ، وهو متميز عن شعراء عصره بالأصالة . وهذا ما يجعله الشاعر الحق ، ولتوضيح هذا نقول انه لم يدخل على الشعر التركي جديدا يذكر ، لافي المعنى ولا في المبنى ، بيد انه عرف كيف ينطق عن ذات نفسه ويصور ما يعتلج بين جوانحه بتلك النغمات التي ردها معاصروه ، فقد درس معاصروه شعراء الفرس ليستعينوا بذلك على قول الشعر ، اما هو فدرسهم لاستكمال الاداة والوسيلة لا للاغارة على معانيهم والتوصل الى الغاية (١) . ويذهب الاديب التركي جاويد بيسون الى ان جم لم يكن فنانا ممتازا ، بل مقلدا متبعيا في كثير من الاحايين ، ومع ذلك لانعدم في شعره ما يؤثر ويحرك المشاعر ، وان وجدنا بجانب شعره الغنائى شعرا تقليديا جافا . ثم يقول ان شعر الامير بعد مفارقتة للاهل والوطن تلوح اللوعة في بعض غزلياته ويظهر غنائيا مبتكرا (٢) ، وينحصر الخلاف بين العالم الانجليزي والاديب التركي في ان الاول يثبت الشاعرية الى جم

(١) راجع . Gibb, A History of ottoman Poetry

P. 85v.2.

Çavid Baysun, Cem Sultan, Hayati ve Siirleri S69(٢)

اثباتا مطلقا ، على حين نفاها الثاني عنه الا في بعض الاحايين .
وقد كان جاويد بيسون اكثر دقة وتحفظا من صاحبه ، لانه اورد
الشواهد على ما يقول ، فعرض النماذج من شعر جم وشعر احمد
باشا ، مشيرا الى تاثر الأمير بالباشا واخذه عنه وان كنا لانميل
الى القول معه بأن الامير جم لم يكن فنانا ممتازا .

اما شعره التقليدي فلا دافع الى ايراد الامثلة منه ، وما دمتنا
نريد ان نتعرف روح الشاعر على حقيقتها فلا مندوحة لنا عن
ذكر شعره الذي يتميز به تميزا واضحا . فننقل قوله في صاحبه
القرنسية هيلين (ابشرى ايتها الروح بمقدم حبيب القلب ، وليهنك
ايها الجسد ان ترد عليك حشاشتك تم سعدى في ليلتي هذه ، ووافي
الحبيب فيكأن بدر التم لاح في علياء سمائه . فهيا يا جم ، جد
بالسويداء اكراما لضيف حل اهلا ونزل سهلا)

فقد عبر هنا عن فرحة اللقاء تعبيرا ساذجا جميلا يناسب
المقام احسن مناسبة ، وإذا عرضنا له هذه الصورة الباسمة ذكرنا
بها صورة له باكية حزينة ، فسمعناه يقول (هو ذا السيل يجري
ضاربا صدره بالحجر حزنا على ، الافتأمل كيف يرثى السكون
بأسره لحالي ، لقد شق الشفق جيبه جزعا ، وفاضت السماء في
الفجر دما ، وبكى السحاب مدرارا وله على الجبال دموع تتحدر

اما الرعد فنشج نشيجا يثير الاسى !

فالشاعر هنا يبكي ويستبكي الطبيعة ويفنى بروحه فيها متحدنا
عن محنته وما لقيه من دهر خوون ، وهو في هذا صادق كل الصدق
لان النفس الحزينة تشع حزنها حتى على الضاحك فتراه باكيا ،
كما تشع النفس الفرحة فرحها حتى على الباكي فتراه ضاحكا .
ومن قوله متحسرا على ماضيه السعيد (اين منى اليوم ايام ، كانت
فيها محلتيك كعبة لي ، وعتبتك موئل قلبي . اين منى اليوم ايام ،
كنت فيها اروى بالدمع بستانك ، كيما يزهر ويخضوضر . اين منى
اليوم ايام ، كان فيها لغبار طريقك ظل كظل جناح طائر الهما (١)
اين منى اليوم ايام ، كان فيه القلب طيرا له عش على بابك . اين
منى اليوم ايام ، كان فيها القلب والروح ضيفين بساحة قصرك بين
اضياف قافلة قصدت اليك . اين منى اليوم ايام ، كان لجم فيها

(١) يقول ان الغبار في الطريق التي بها دار الحبيب كان كثيرا
فاذا نار كانت له ظلال تظل ، ويشبهه ظل هذا الغبار بظل جناح طائر
يسمى هما . وهما بضم ثم فتح اسم طائر خرافي كان الفرس الاقدمون
يعتقدون ان ظل جناحه اذا وقع على رأس رجل ، اصبح الرجل
ملكا . والنسبة اليه هما يوني بمعنى ملكي .

مستقر باعتبارك ، لقد تولت هذه الايام فيا اسقى عليها ، وما عرفنا لها حسنا ولا طيبا (١)

وان وصفه للغبار الثائر لبرهان على خيالي مجنح ، وما قال الا حقا حين ذكر ايامه المواضى وعدم الشعور بالسعد فيها ، فإن النعمة لا يعرف قدرها الا بعد زوالها . وله قصيدة طويلة مشهورة يناجي فيها نفسه متحدثا عن محنته ، واصفا فرنسا (١) ومن قوله فيها (يا جم ، تحس الخمر من جام جم ، (٢) نحن في ارض الفرنجة ،

(١) تضاربت الاقوال في هذه القصيدة فمن المؤرخين من ينسبها الى الامير ومنهم من ينسبها الى رفيقه الشاعر سعدى فعطا في تاريخه وكوبريلي زاده محمد فؤاد في تاريخ الآداب العثمانية وفون هامر في تاريخ الشعر التركي يقولون انها لجم . أما شهاب الدين سليمان في تاريخ الادب العثماني وباصم جيان في كتابه فيقولان انها لسعدى . ولا وجود لها في ديوانه المطبوع . ولا يميل جب الى نسبتها الى جم ، وان ذكرها ضمن اشعاره لاهميتها التاريخية .

(٢) جام جم أو جام جمشيد ، كأس تنسب الى جمشيد وهو ملك من ملوك العهد الخرافي عند الفرس وقد زعموا أنها كأس عجيبة صنعت من معدن خاص ، ورسمت عليها صور الافلاك مع رموز و حروف سحرية يستدل منها على اسرار الكون وما سوف تتمخض =

وسيلق كل ما كتب له الزمان . لقد وافيت هذه الارض وانت في
عافية وخير ، فله الحمد والشكر ، من صح جسمها فهو في نفسه السلطان .
خذ فرصة اللذات قبل فواتها ، كل من على الدنيا فان . افرح
وامرح مع هذا الامير من الفرنجة (١) فهو المليح وسيد اهل الملاحه
وان قوامه لسروة وان اهابه لفضة ، والشمس والقمر من حبه
دائر ان مترنحان . وتقديم كأس المدام اليك بين هذا الحسن والبهاء ،
خير من عرش الصين وافضل من ملك اليمن وايران وتوران .
التذ هذه الصهباء فانت في مجلس الندمان . هذا دف ، ورباب ،
وارغن كالتانون ، وللناى عند الفرنجة نوح وتحنان . المغنون
بلغاهم يشدون ، والراقصون حور وولدان) ويمضى الشاعر في
وصف ثيابهم وما يقدمون من المساكول والمشروب حتى يقول
(ملوك الدنيا شرقها وغربها ضيفان ، وسواء اسكندر وسليمان .

== عنه الايام من احداث ولذلك عرفت في الفارسية بالكأس التي
تظهر الدنيا ويقال ان الاسكندر الاكبر كانت له مثل هذه الكأس .
وفي سفر التكوين أنها كانت كذلك ليوسف عليه السلام أنظر

Nicolas, Les Quatrains de Khèyam (Paris 1867) P. 56

(١) لانعلم من هذا الامير

فالملك لله الباقي خالق الانس والجان . امض يا بايزيد فيما انت فيه
واسترسل ، ان القول بدوام الملك والسلطان زور وبهتان !
فالقصيد في مستواها الفنى لا تشبه شعر جم ، وتوجيه
الخطاب دوما اليه ، مما يؤيد رأى من ينكرون نسبتها الى الامير
الشاعر . ولا نرى بعد ذلك بأسا في ايرادها على احد الرأيين مع
هذا التنبيه والتحفظ .

* * *

وهكذا قدر للامير الشاعر ان يقول شعره الحزين الباكي
معبرا به عن عيش نكد وحياة مرة بعد ان رنق صفوه ذلك
النزاع الطويل بينه وبين اخيه السلطان بايزيد ، وان هذه الجفوة
بين الاخوين لتخطر على البال شاعرا تركيا آخر كان ما بينه وبين
اخوته شبه ما كان بين جم واخيه ، ويدعى (حمدي) . وحمدي
هذا هو الابن الثمان عشر للشيخ آق شمس الدين (١) . وكان
مجفوا من اخوة له ينفسون عليه مكانه عند ابيهم ، واوغر الحسد
صدورهم وافسد قلوبهم فتربصوا به الدوائر وتمنوا له العثار ، وكان
الاب عليا بذلك ، يأسف له ويشفق على ولده الحبيب منه . ولما

(١) راجع ما ذكرناه عنه في ص ٨٣ .

نضجت شاعرية حمدي شاء التعبير عن نفسه الحزينة ، و تصوير
اشد انواع الظلم ايلاما للفؤاد وهو ظلم ذوى القربى . و إذ كان
حمدي شاعرا طويل النفس من شعراء القصص ، فقد اختار
قصة يوسف وزليخا ، وكان اختياره لها بالذات توفيقا عظيما ،
وما ذلك إلا لأن فيها اروع مثال لظلم الاخوة ، فأوجد حمدي
المجال للتشبيه نفسه مع اخوته بيوسف مع اخوته الظالمين ، ونظم
مثنوى يوسف وزليخا الذي يعتبر اوسع المثنويات التركيه شهرة
واكثرها تداولا بين طبقات الشعب التركي التي لم تنل من الثقافة
الخاصة حظا موفورا . وكان اعتماده على منظومتين ، الأولى
للشاعر الفارسي ابى القاسم الفردوسى ، والاخرى لجامى شاعر
ايران فى القرن التاسع الهجرى (١) قيل ولما اجهدته الفاقة كان

(١) الفردوسى أعظم شعراء الملاحم عند الفرس وهو صاحب
المنظومة العظيمة المعروفة بشاهنامه ، أى كتاب الملوك ، وهى تاريخ
لايران منذ ابعد الازمنة الى الفتح الاسلامى . وله منظومة أخرى
هى قصة يوسف وزليخا وتوفى الفردوسى عام ٤١١ هـ (١٠٢٠ م) .
اما جامى الذى اسلفنا ذكره انظر الهامش فى ص ١٣٠ . فهو صاحب
سبعة مثنويات يسميها الفرس (هفت اورنگ) بمعنى سبعة عروش =

يُنسخها و يبيعها فيجد من المشترين كثيرة في العدد و سخاء في الدفع ،
 وعاش الشاعر منطويا على نفسه فلم يكن ذا حظوة عند السلطان
 كما شكى من ذلك في شعره وقال ان اهل زمانه يحسوه حقه
 و غمطوا عبقريته . و يروى انه قدم منظومته يوسف وزليخا الى
 السلطان بايزيد بعد ان مدحه في مقدمتها على جازي عادة الشعراء
 غير ان المنظومة لم تنل من تقدير السلطان ما كان يأمل الشاعر ،
 فغضب و حذف مديحه له منها كما جردها من الاهداء . و مما
 يذكر سببا لذلك ان شعر الرجل كان من السهل الممتنع ، و لم
 يكن في حسه و لافكره اثر لتلك المبالغات التي كان يضيق بها
 و يتجافى عنها ، و لذلك كانت قصة يوسف وزليخا موضع اعجاب
 الجمهور ، اما في القصر فسيبت النفور ! (٣) اما المنظومتان اللتان
 اعتمد عليهما حمدي ، فيبينهما فرق بين ، لأن منظومة الفردوسي
 ضئيلة الحظ من المحسنات اللفظية ، وفيها يتحدث الفردوسي تفصيلا

— وهي ، سلسلة الذهب ، سلامان و اسال ، تحفة الارار ، سبحة الارار
 يوسف وزليخا ، ليل و المجنون و خردنامه اسكندردي . هذا فضلا
 عن مؤلفاته النثرية .

(١) كوبريلي زاده محمد فؤاد و شهاب الدين سليمان ، يكي عثمانلي
 تاريخ أدبياتي ص ٢١٩

عن طفولة يوسف وكيف ناله الأذى من اخوته ، اما جامى فعنى
 بالصناعة مولع ، وكلامه كافواف الوشى ، ومعظم همته تنصرف
 الى ما كان بين يوسف وامرأة العزيز ، فجامى على ذلك أكثر
 تأنقا من الفردوسى فى الفاظه ، وارق ذوقا فى معانيه . وقد افاد
 حمدى من المنظومتين بكيفيتين مختلفتين فنقل عن منظومة الفردوسى
 نقلا ، او ترجم ترجمة حرة فضفاضة لا يلتزم فيها دقة ولا ترتيبا ،
 وذلك من اول قصة يوسف الى ان يباع عبدا فى سوق الرقيق
 بمصر ، ثم يعمد الى منظومة جامى فيترجم منها ما بعد موت يعقوب
 ترجمة دقيقة لا يفلت منها شيئا . فقصة حمدى مزيج من قصة
 الفردوسى وقصة جامى ، وقد عرف كيف يختار قصتين متكاملتين
 فى احدهما ما ليس فى الاخرى ليستخرج من كل واحدة خير
 ما فيها فتألف له قصة خير من قصتين لشاعرين عظيمين . ثم
 اضاف حمدى الى منظومته غزليات ورباعيات وحكايات فى كثير
 من المواضع ، وكان منه ذلك جريا على عادة الشعراء فى تزوين
 المثنويات (١) ، وان ذلك ليدفع الملل عن القارئ الذى قد

(١) أنظر Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri Tanzimata

Kadar, S. 104

تدرّكه سامة ونعسة من تلك المثنويات المتطاولة الرتيبة النعمة .
 اماعادة ادماج الغزليات في هذه المنظومات فتنسب الى شعراء
 الترك في اكبر الظن (١) . والاجماع على ان مثنوى يوسف وزليخا
 لحمدي لايفضله مثنوى قبله . واذا وازننا بينه وبين مثنوى خسرو
 وشيرين لشيخى ، رأينا حمدي اعذب نبرة واسلم ذوقا واكل تكلفا
 من شيخى في الصناعة ، وهذا ينهض دليلا على اكمال اللغة بمرور
 الزمن وسلاستها بعد شماسها (٢) . كما اختار حمدي لمنظومه بحر
 الخفيف فهو بذلك اول من استخدمه في المثنوى ، ولم ينظم في
 المتقارب وهو بحر الفردوسى ولا في الهزج وهو بحر جامى (٣)
 ومن قول حمدي في وصف ما كان من اخوة يوسف (ولماصح
 عز مهم وقر قرارهم ، خرجوا متصيدين ، ليختمدعوا اباهم ،
 ويوهموه انهم ليسوا بيوسف مكترئين . ومضوا في تلال كنهان
 وسهوبها حتى دخلوا صحراءها . وهناك أخذ بصرهم ذئبا يعوى

(١) يقول جب انه لايعهد هذا عند شاعر فارسى متقدم .

Gibb, A History of ottoman Poetry 173 V. 2

Ibid : (147 v. 2) (٢)

(٣) لاذكر لحمدي على اسميته التاريخية في كتاب ، تاريخ ادبيات

عثمانية لشهاب الدين سليمان .

رافعا نحو السماء رأسه . فامسكوه وقيدوه وكل ناب له حطموه .
 وعادوا بالذئب الى مدينتهم ثم دخلوا به على ايهم . فقالوا وهم
 يشيرون اليه ، هو ذا آكل غزالك موضع حبهك واعزازك)
 وهذا المثال يدل على اصله في المنظومة الفارسية للفردوسي
 وهي كما اسلفنا سلسلة قليلة الزينة ، ومنجد نقيضا لهذا المثال إذا
 اوردنا ابياتا ترجمها حمدي عن جامي ، كما في قوله (هو ذا بحر
 العشق يفور ويمور ، وتلك امواجه متعالية متهاوية وللخير العذب
 رسالة . من يغرق فيه سفائنه ، يحد من در البقاء خزائنه .
 امن النار هذا البحر العميق ، فكل غارق فيه هالك بالحريق .
 قلب الخلي بين ضلوعه برية جرداء ، وقلب الشجي للحبيب روضة
 غناء . وما البدن المجرد منه الا جثة للفناء ، اما من خلت منه
 روحه فلن يعد من الاحياء . هو الحب ، يجعل الاحرار عبدانا ،
 ويعصف بالديار واهل الديار) .

ولحمدي منظومة اخرى هي قصة ليلى والمجنون^(١) ، لا يهديها
 الى احد ولا يذكر سببا لنظمها ، وان طلب الى (العاشق) ان
 ان يقرأها لأنها لثار تنور الحب وربيع الروح . ولم يتحدث

(١) لم يتحدث فون هامر عن هذا المشوى في حديثه عن حمدي

مؤرخو الترك عن هذا المثنوى إلا حديثا مقتضبا، وإن كان منهم من يشير إليه عرضا (١) ومرد ذلك في اغلب الظن الى مثنوى يوسف وزليخا الذى بهره بشهرته وجودته . والذى نفهمه هو ان منظومة ليلى والمجنون جيدة كذلك ، ولا يغض منها ان منظومة يوسف وزليخا تفوقها فى الروعة ، والبرهان على ذلك قول طاش كوبريزاده ان كثيرا من شعراء الفرس والترك نظموا هذه القصة فما يخرج عن طاقة البشر ان يوفق حمدى الى اخر اجها فى تلك الحلة القشبية (٢) ومن قوله فى وصف مجنون ليلى (انصدع

Gibb, A History of ottoman Poetry (P173 v.2)(1)

(٢) يصرح جب بأنه لا يفهم المقصود من هذا القول ، ثم يقول انه لا يعرف الا شاعرين تركيين سبقاه الى نظم هذه القصة اما بقية الشعراء فجاءوا بعده . Gibb, A History of ottoman Poetry, . (174. v. 2) والذى يمكن فهمه هو ان يسكون طاش كوبريزاده اراد شعراء الفرس الذين عاجلوا الموضوع وليسوا قلة ، فقد نظم قصة ليلى والمجنون ، كل من نظامى وجامى ، وامير خسرو المتوفى سنة ١٣٢٥ م . وكانى المتوفى ١٤٣٤ م . وهاتفى (١٥٢٠) . وجمالى (اوائل القرن الخامس عشر) ، كما نظمها على شيرنوائى الشاعر التركى الشرقى المتوفى سنة ١٥٠٠ م . فلا معنى لأن يقتصر جب على ذكر شاعرين تركيين عثمانيين . وقد يكون هذا المؤرخ التركى مبالغا ، غير ان المبالغة لا تطعن فى صحة ما يذهب اليه .

العجبر ، ونثرت زرقه السماء تبراً من الزهره الصفراء ، وبسنت
 الأرض كالوردة الحمراء . وتبدي شعاع له من ليلي بهاؤها
 ورواؤها . فكان المجنون كنواره صوحها الخريف ، يسير بوجه
 ذابل وعين تبكي دما . وكأنه وهو بالدمع يشرق ، تحطم فلكه
 فهو يغرق . وقد اصبح من نحوه ظلا فأوى الى دوحه ظلها
 ظليل ، ورأى غربا يحيط على فنن وعيناه ترنوان وتلتمعان)
 فقال المجنون يخاطب الغراب (ما الذى جعل لك لون الليل
 يا من كنت تضى مظلمة الليل ! انت من يقضى صباحه ومساءه فى اسعد
 حال ، ويطير بين الاغصان فى انعم بال ، فما هذا السواد فى جناحيك
 والاسى البادى عليك . كأنك ايها الغراب فى مآتى تلبس الحداد)
 وان هذا المثال من ليلي والمجنون ليبدل واضح الدلالة على
 ان الفرق فى الجودة بين هذه المنظومه ومنظومه يوسف وزليخا ،
 ليس من البعد بحيث يجعل احدهما معروفه مشهوره والاخرى
 مطويه منسية . وقد يكون ذلك باعنا لطاش كوبريزاده على
 الاشادة بها وامتداح صاحبها ، بعدما رأى من السكوت عنها
 وهى ترجمه لمنظومه للشاعر الفارسى نظامى (١) ، فان كان

(١) العالم الارمنى باصاجيان هو الوحيد الذى ينص على هذا،

الأمر كذلك ، فعلى أى معنى نحمل تمجيد طاش كوبر بزاده ،
 مادام حمدى مترجما ليس الا . ومهما يكن من شيء فإن نستطيع
 القطع برأى لانتبا لانملك المنظومة بتمامها ، والقدر الذى اورده
 جب مثالا منها فى كتابه (تاريخ الشعر العثمانى) ، لا يمدنا بالحجة .
 ولا يسمعنا الا ان نعجب لقول حمدى فى ليلى والمجنون ، وهو
 يشكو دهره ووجود اهل زمانه (إذا اقبلت الدنيا عليك ، وجدت
 الدر فى الصحراء منشورا ، اما اذا ولت فلا مصيخ لنظامى وهو
 ينشد خمس منظومات ، ولا ينال الفردوسى على شاهنامه
 دانقا) (١) .

ولحمدى مولد نبى يعتبر المولد الوحيد الذى يمكن افساح
 مجال له الى جانب مولد سليمان چلبى والفرق بين المولدين ان حمدى
 يضمن منظومته غزليات ، وهذا ما لم تجربه عادة الشعراء على عهد
 سليمان چلبى . وليس لمولد حمدى نصيب من الشهرة كبقية

== ولم يشر الى ذلك احد من هؤلاء الذين نستقى من كتبهم فى تاريخ

الادب التركى . أنظر Basmadjian, Essai sur l'histoire de la

littérature ottomane P37

(١) لما قدم الفردوسى الشاهنامه إلى السلطان محمود ، اعطاه عطاء

قليل لم يقبله . وحمدى يشير الى هذا .

منظوماته ما عدا قصة يوسف وزليخا . يقول حمدي في مولده
(وانطلق يوما رحمة العالمين الى حرام للتعبيد والتعبد، وهناك بغته ان
يظهر الحق له ، لأنه رأى عيانا روح القدس . فقال للحبيب بعد ان
حييا ، انا جبريل يانبي الدنيا ، لقد اتم الله نعمته عليك وجعلك
اماما للثقلين . فأنتك خير امة اخرجت للناس ، وقومك يأمرون
بالمعروف وعن المنكر ينهون . ويحفظون القرآن عن ظهر
قلوبهم ، وتلك نعمة لا يشر بهم فيها غيرهم)

والفرق جلي بين هذا المولد ومولد سليمان چلي الذي يفيض
عذوبة ويموج بالعاطفة . وقد تضاربت الأقوال في اسم هذا
المولد فهو عند احد كتاب سير الشعراء من الترك ، المولد الجسماني
والمولد الروحاني ، وعند آخر المولد الجسماني والمورد الروحاني
اما كل من شمس الدين سامي بك وباصما جيان ، فيجعل هذه
المنظومة منظومتين ، الاولى المولد الجسماني والثانية المولد
الروحاني (١)

(١) انظر : شمس الدين سامي بك : قاموس الاعلام ٣ جلد ،

ص ١٩٨٢ و Basmadjian, Essai sur l'histoire de la littérature ottomane, P. 37 ولم يذكر فون هامر شيئا عن هذا المولد .

وله كذلك تحفة العشاق ، وهي منظومة قصيرة نسبيا ، طابعتها
السهولة والبساطة ، وقد ذكر الشاعر في مقدمتها سبب نظمها
فقال انه في صباح مشرق باسم سمع قلبه يدعوه الى العمل ونفض
غبار السكسل قبل انتهاء الأجل ، فعليه ان يخرج في الحب كتابا
يملك على الناس طرا اعجابهم . فنظم قصة من بنات افكاره في
اكبر الظن ، وخواها ان تاجرا عريض الثراء كان له ولد ، ولما
بلغ الولد العاشرة من عمره ، اطلع اياه على رغبته في السياحة
ليتجر وتربح تجارته ، فقلق ذلك والديه ، واحزنهما ان ينصحاه
بالمـدول عن ذلك فلا ينتصح . فشاورا في الأمر وليا من
الأولياء ، ولما استخار الولي ربه ، لم ير بأسا في ان يرحل الصبي
الى استانبول على ان يكون في صحبة جماعة من عبيده . ولما
وافى الصبي مدينة استانبول علم بمقدمه احد الوزراء ، فدعاه الى
زيارته وبذل له القرى ، وكان قصده ان يزوجه ابنته الحسناء التي
شروط على نفسه الا يمـديها الا الى شاب وسيم . وشاهد الصبي
الفتاة وهو ثمل نخفق قلبه لها كما خفق قلبها له . ولما طلب يدها
من ابيها ، رغب اليه في ان يرتد عن الاسلام ويعبد الاصنام ،
فدخل الصبي تحت شرط الوزير ، واحتفظ بالمصحف بعد ارتداده ،
واتفق يوما ان رأته المصحف زوجته وسألته عنه ، فثاب الى

نفسه وحن الى دينه فاعتنق الاسلام ، كما اعتنقه كل من زوجته
وحميه .

ومعنى هذه القصة رمزى محض . فالصبي ما هو الا الروح
الانسانية التى تفارق موطنها الاصلى وترحل الى الدنيا فتجد فيها
من الشهوات واللذات ما يسدل الحجاب عليها ، غير انها تهتمدى
بالقرآن اخيرا وتعود الى موطنها .

يقول حمدى واصفا اعجاب الفتاة بالفتى (وما ان رأت الفتاة
انها نائلة اربها ، حتى رجعت منه البقاء معها ، وتعلقت بأذياله وهى
تقول له يا مضرم النار فى الفؤاد ، كيف فتنت فتنة العشاق ، وهن
طرتها ايلي والكل مجنونها . كان قلبى طائرا يطير آمنا فأرديته ، وفى
حبالتك أوقعته . هو ذا صيدك يا حبيبي بين يديك فلا تتركه ، لقد
أرديته فى البلاء فلا تمض عنه)

ولحمدى رسالة بعنوان (قيافتنامه) بمعنى كتاب الفراسة ، وهى
علم منظوم لاشعر بالمعنى المقهوم ، وقد اقبل الناس عليها وتداولوها
لطرفتها وجدتها ، ويلوح انها أول منظومة فى بابها ، والواقع
ان تعرف طباع الناس من صورهم وتقاطيع وجوههم مسلاة
وعلم عرفه الاقدمون والمحدثون . يقول حمدى فى كبير الاذن
وصغيرها (كل من اذنه كأذن الحمير ، جاهل غرير ! وان كان

يحفظ الكثير ، اما من اذنه كأذن الهر فأسرق من فأر !
وكانت وفاته عام ٩١٤ هـ (١٥٠٨ م) .

وفي نفس الشهر وعين العام كانت وفاة شاعر يقال له نجاتي .
وهناك خلاف على اصل اسمه ، فمن قائل انه نوح وقائل انه
عيسى (١) ، وان هذين الاسمين ليفسران اختياره (نجاتي) مخلصا .
وكان في بدو امره اسيرا من اسرى الحرب ، فيؤخذ من هذا انه
لم يكن مسلما ولا تركيا ، كما يقال له عبد الله او غلي أي ابن عبد الله
لخفاء نسبه . واتخذته سيدة في ادرنه عبدا لها ، غير ان شاعر من
الشعراء ادبه وهذبه ، فقرأ وكتب ونال من العلوم حظا . وتقلبت
به الاحوال فسكن مدينة قسطنطين ثم عرف احمد باشا في بروسه
فأخذ عنه واقتدى به . وعالج نجاتي نظم الشعر ، فظهرت اصالة
ملاسته . كان ذلك في اخريات ايام السلطان محمد الفاتح ، فعزم
الشاعر على الاتصال به والتزلف اليه ، وجعل وسيلته حيلة تشهد
له بالظرف ورقة الذوق . فعمد الى رقعة كتب فيها مطلع غزل
من غزلياته ، ثم دسها في عمامة نديم من ندماء السلطان . ودخل

(١) يسميه آكاه سري عيسى ، اما عند باصماجيان وشمس الدين
سامي فهو نوح

النديم على مولاه الذي طلب اليه ان يلاعبه الشطرنج ، وبينهما
في لعبهما إذ حانت من السلطان التفاافة الى عمامة نديمه ، فرأى
طرف الرقعة المدسوسة فيها ، وتناولها فقرأ قول نجاشي
(ما حيلتي ايامن لاتبالي في السحر زفرتي وحرقتي . فالتة
اسأل ايها الحبيب ان ترق لي وتنصفني) .

واعجب السلطان بمعنى الشعر وحياسة الشاعر ، فأمر بأن
يبوأ منصباً في الديوان . وفي رواية اخرى انه لما قدم الى استانبول
قدم الى السلطان قصيدة في وصف الشتاء منها (وللثلج هبوط من
السماء ، فكان ثوالة من الجرادتهاوى . الاياقلب ويحك لا تؤمل
الصفاء ، انه طائر اخضر القوادم والحوافى . والغمام ابل جنت ،
فقد القت على الأرض اكفانا ، ثم مضت عنها كما تمضى قافلة
السرور والخبور . اما الناس فخرجوا بالمصابيح صباحا يتفقدون
شمسا ، وما وجدوا منها الا شررة خفي لمعها ، انه السلطان محمد
ودارا وكيخسرو (١) يركعان ويسجدان امام باباه عبيدين مطيعين .
والئن ارسلت الشمس شعاعها الذهبي وجعلت الى يوم الحشر تمسح
به بجره وتسبر غوره ، لا تجد له من قاع ولا ساحل) .

(١) دارا وكيخسرو ملكان من ملوك الفرس الاقدمين .

وهي قصيدة مشهورة يظهر فيها تأثير نجاتي بأحمد باشا . وقد
تقدم الى السلطان بقصيدة اخرى في الربيع منها (هو ذا الربيع
يرد على الدنيا هجتها وبسمتها ، فكأنه لقاء العشاق بعد طول
الفراق . يقولون حان وقت رشف الكأس وفرحة الجدلان ،
فحذار ثم حذار ان يضيع منك هباء مع الهواء . انظر الى الغدير
عذب الخريف ، وهو ينساب في الروضة كما تنساب الحية ، لتداعب
وجهه قدم جميلة هناك في ظل الخيالة ! فليسكن لهذه الهناءة في
الارض بقاء كبقاء عيسى ^(١) ، وليدم هذا الانس والطرب دوام
ملك جمشيد وكيخسرو ^(٢) . محمد بن مراد نخر السلطين ، انه
دارا الذي يهب التيجان لملوك الارض . ان النجوم من اتباعه

(١) اشارة إلى ان عيسى عليه السلام ماصلب وما قتل ولكن
شبه لهم . فهو مضرب المثل في طول البقاء . لانه حي ، على حين
ظن صالبيه انه قضي .

(٢) جمشيد من ملوك الاساطير عند الفرس ، وقد حكم سبعائة
عام كما يقول الفردوسي في الشاهنامه . وكانت رعيته من الانس
والجان والملائكة والطيور ، حتى ذهب البعض الى انه سليمان بن داود .
ويقال إن جمشيد اول من احتفل بعيدالنوروز وهو عيد الربيع .
وجم بمعنى البدر ، وشيد بمعنى منير فكأن معنى جمشيد البدر المنير .

والشمس رايته والبدر ركابه . فله رهبة الفناء وقوة الاقدار
وكرم البحار)

ولما تولى بايزيد الثاني ، استبدناه واحسن الالتفات اليه ،
فجعله مؤدبا لولديه الاميرين عبد الله ومحمود . وقام النزاع بين
السلطان بايزيد وبين اخيه جم الذي كان واليا على قرامان ، فخلت
قرامان من واليها . وولى بايزيد ولده عبد الله عليها فصحب الامير
نجاتي وهناك الحقه بمنصب كبير في ديوانه . غير ان عبد الله لم
يعمر طويلا فمات سنة ٨٨٨ هـ (١٤٨٣ م) . وعاد نجاتي الى
استانبول ، وهناك عرض على السلطان مرثيته التي رثي بها الامير .
وعين الامير محمود وهو اخ الامير عبد الله حاكما على صاروخان
فكان نجاتي معه ، وارتفعت منزلة الشاعر فمنحه الامير محمود
لقب (بك) ، فتم سعه ونعم باله ، وفي هذه الفترة من الزمن
اقبل على قرض الشعر فجمع ديوانه واهداه الى الامير . ومات
محمود سنة ٩١٣ هـ (١٥٠٧ م) بعد ان لبث في الحكم ثلاثة اعوام
فعاد الشاعر حزينا منكسرا الى استانبول ، وقد سم الحياة بعد
ان فجعه الموت في الاميرين ، وصحح عزمه على رفض المناصب
والانزواء في داره حتى ينقضي اجله ، ولما حضرته المنية استدعى
اولاده وصحابه ، وقدم اليهم غزلا وهو يقول ان هذا آخر

العهد بالشعر وبهم ، ومطلع غزله (هي الدنيا قصير اجلاها قليل
خيرها ، وفي وهم ابن آدم ان متاعها ابدى . فهو يسمى هذا اللهو
في بستانها الذابل الفانى بالدنيا)

والاجماع على ان نجاتي شاعر مجيد لم يسبقه الذي هو اشعر
منه ، كما يعتبر مجددا لأن اليه فضل ادخال الفكر على الشعر التركي
فهو يطلب المعنى قبل ان يطلب اللفظ ، ويقول جبانه قلدا احمد
باشا غير انه لم يجعل شعره ترجمة عن الفارسية كشعر من يقتدى
به ، وإن يكن نجاتي في شعره أقل قدرة وشدة أسر من الامير
جم ، فإن مرد ذلك الى ان جم كان يسبغ الذاتية على شعره من
شخصيته وما حدث له . أما نجاتي فذاتية وليدة خياله (١)

ويقول فون هامر انه امير الشعر العثماني ، وظل محتفظا
بامارته خمسين عاما ، حتى نالها بعده الشاعر باقى في عهد سليمان
القانونى (٢)

ويرى فيه كوبربلى زاده محمد فؤاد غير هذا الرأى ، فيقول

Gibb, A History of ottoman Poetry, P.104, V.2 (١)

Von Hammer - Purgstall, Geschichte der (٢)
osmanischen Dichtkunst, S, 192, 1B.

ان نجاة مفكر قدير على الموازنة بين الأشياء ، وليس شاعرا
كبيرا كحمدي ، فهو قليل الحساسية سطحيا ، وليس من العظمة
على ما وصف به (١) أما شهاب الدين سليمان ، فيعتبره مخترعا في
ضرب المثل وهو إلى ذلك مدين بشهرته في زمانه ، ولا رقة في
أسلوبه فليس بشاعر فبكر ولا شاعر حس (٢) والذي نراه ،
أن نجاة كان شاعر حس تارة وشاعر فبكر تارة أخرى .
وان نظرة إلى قصيدة الشتاء وقصيدة الربيع ، لكافية في الدلالة
على أنه رقيق الشعور مجنح الخيال ، وهل وصفت الدجنة قط
بمثل ما وصفها به نجاة ، وهو الذي يقول ان الناس خرجوا
بالمصاييح صبحا يتفقدون الشمس فما وجدوا فيها إلا شررة تخفى
وهل أملح من قوله عن الغدير انه ينساب لتغمس الحسناء
قدمها الجميلة في صفحته تحت ظل الجميلة ؟ فهذا يشهد لنجاة بأنه
ذواق رقيق الحس . وإنما لنلح جانبه الآخر في رثائه للأمر
عبد الله بقوله (أيها القلب ! اح اسمك من سجل الصداقة

(١) كوربيلي زاده محمد فؤاد - شهاب الدين سليمان ، بكى عثمانلى
تاريخ ادبياتى ص ٢٤٦ .

(٢) شهاب الدين سليمان ، تاريخ أدبيات عثمانيه ص ٥٢ و ٥٥

والصديق ، وكن من الزاهدين يمدحك الزاهدون . رحمة بالروح
أيها القلب ، فاقطعها قطعا عن هذه الدنيا ، لا تحبس يوسف في
جب البلاء (١) ولا تنظر بعين الطمع اليها ، فمكل من حدق في
الشمس بعينه جري دمه على خديه . ما الجسم إلا ثوب بال
فلا تنخدع به ، انه في سوق البقاء بخس القيمة وصاحبه من
الخاسرين ، ولا تغرنك هذه الحفنة من التراب فان الحجر لا بقي
على الدهر منها (٢) . هذا الفلك خوان لا يصيب الناس كفاتيمهم
من ماعونه المقلوب لقد خرب الملك واختفى السكندر فلا
الملك ملك قرمان ، ولا السكندر كندر قارون) فنتجاني في هذه
المرثية الرسمية للأمير عبد الله مفكر حكيم يتحدث عن حال
الدنيا وصروف الزمان حديث أباؤنا المحتسب والعاقل المجرب
فلاحظ كلامه من عاطفة مشبوبة وحس دقيق ، ولا بدع في
ذلك فإن العاطفة تضعف حيث يقوى العقل ، كما يضعف العقل
أمام قوة العاطفة .

-
- (١) يشبهه الروح يوسف ، وحب الدنيا بالجب ، فكأن حبس
الروح في حب الدنيا كالقاء يوسف في الجب .
(٢) يريد بالحفنة من التراب الانسان الذي خلق من طين .

وإن نجأت لبيدو عاطفيا رقيقة - في ذلك الغزل الذي منه
(لا وجود لمن لاهم له ولا غم في الدنيا ، أما من خلا قلبه منهما
فليس من أبناء الدنيا . إذا القلوب لم تبك مدرارا ، لم يرف
روض الحب ابتهسا - اما واخضرارا . ولولا ذلك الحجر بين
جوانح الحسان ، ما كان للهوى هيكل متين الأركان . أنا كالسروة
التي بسقت أمام بابك ، لا أستطيع ابتعادا ولا أملك تحولا !
قال بدرى ، أنا في هذه الأسمية معك ، ويلاه ! لا عهد انجمي
إلا بظلمات بعضها فوق بعض فأين أمسيته ؟) (١)

والذى نراه هو أن شهاب الدين سليمان وكوبريلي زاده محمد
فواد قد خالفا غيرهم من علماء الترك والأوروبيين ، ولا يمكن
أن تناق رأيهما إلا بشيء من التحفظ ، فمن العجيب حقا أن
يعتبر شاعرا نحيلا فاز العاطفة ، وفي الوقت عينه ينادى به ملكا
من ملوك الشعر . ذلك لأذواق أن تتفاوت ماشاءت أن تتفاوت ،
أما أن تكون على طرفي نقيض ، فهذا ما يحتاج إلى نظر وروية.

(١) يقول ان حبيبه وعده بالوصال في المساء ، غير ان نجمه او
حظه لا يعرف الا ليلا دائما وظلاما طامسا لا صباح له ولا مساء .
فأين هذا المساء الذى ينعم فيه بوصل الحبيب ؟

وقد تأثر بنجاتي كثير من شعراء الترك ، وفي طليعتهم
 الشاعرة مهرى خاتون (١) ، وهي واحدة من كثيرات يزدان
 بهن الأدب التركي ، فيتميز بكثرة الشواعر ، إلى جانب تميزه
 بكثرة الشعراء من السلاطين والأمراء (٢) بلدها أماسيه ، وأبوها
 قاض من حملة العلم وأهل الفضل ، فعلمها وأدبها بأدبه حتى نطقتم
 بالشعر العاجب . وان مهرى لتسترعى منا اهتمامنا بشيئين اثنين ،
 شعر جميل باهت به أهل عصرها ، وسيرة تشوق وتروق لانعهد
 مثلها عند بنات زمانها . فقد كانت ضعيفة القلب مرهقة الحس

(١) في القاموس المحيط : الخاتون للمرأة الشريفة كلمة اعجمية .
 وفي اقرب الموارد : الخاتون كلمة اعجمية ج خواتين والعرب يلقبون
 بها نساء الملوك . وفي معجم ردهاوس التركي انها عربية مأخوذة عن
 التركية (قادين) بمعنى سيده . وفي قاموس شتاين جاس الفارسي انها
 فارسية . وهي تطلق اليوم في ايران على كل سيده ذات سن .

(٢) ورد ذكر خمس وعشرين شاعرة منهن في كتاب احمد مختار
 عن شواعر الترك . احمد مختار ، شاعر خاتلمرز (استانبول

١٣١١ هـ

جائحة العاطفة ، هامت بفتى يدعى مؤيد زاده . غير أنه لم يستجب لها لما أن أصبح عظيما بين العظماء ، فسلمته وكفت قلبها عنه وهي التي قالت فيه (أنت يامن تخونت عهدي ونسيت ودى ، والله ما فى القلوب قلب يهواك مثل قلبى !)

ودارت الأيام فعاوودها الحنين إلى حبيب يملأ قلبها أنغاما وأحلاما ، ووجدته فى اسكندر بك الذى الهمها أروع شعر لها فصرحت باسمه بعد أن يرح الخفاء وفضح العاشق اسمان حالها ، والعجب أن الشك لم يساور أحدا من قومها ، فى عفتها وطهارة ذيلها ، وان قيل انها تفظنت يوما إلى أن بعض الناس من حولها يتحدثون متهاهسين عن حبها لاسكندر بك ، فقالت هذا البيت دفعا للشبهة وقطعا لقالة السوء وهو (كم من اسكندر ورد نبعى من أجل رضاب ثغرى . فصدر عنه وهو ظمآن لطفان !) (١)

وكانت مهرى تغشى مجالس الأمير احمد بن بايزيد حاكم اماسيه ، لتسامر وتناظر ، وتدخل مع الداخلين فى كل فن وادب

(١) اشارة الى ماء الحياة الذى رحل الاسكندر ليصيب منه فارتدخائبا . وهي قصة ردها كثير من شعراء الفرس والترك .

كما راسلت شاعرة يقال لها زينب (١) .

اما شعرها فكانت منطلقة فيه على سجيتهما بكل ما يفهم من هذا المعنى ، لأنها تحدثت عن حبها ، وذكرت اسم من تحب . وان التصريح بأسماء الاحباب لأمر عديم الوجود أو نادره في الشعر التركي ، ولا يمكن ان نفسر هذه الجرأة منها على ذلك الا بشذوذ الفن وعبقريته . وهي صاحبة هذا الغزل المشهور (وفتحت بعد السكرى جفنى ، ثم رفعت رأسى . فاذا وجهه بدر تم يلوح لى . فوالله ما ادري اكننت فى ليلة القدر ام ان نجمى كان نجم سعد ، وانا بمخدعى اشاهد المشتري فى ليلتى . النور فى حسنه يأتلق ، وهو وان كان مسلم السحنة الا انه كافر البزة . وما ارتد الى طرفى حتى غاب عن ناظرى ، فحسبته ملكا او من ابناء الحور . ستعيش مهري ابدا ، انها الى ماء البقاء وصلت ورأت الاسكندر فى ليلة الظلمات) (٢)

(١) لم يذكر احمد مختار من سيرة مهري الا هذه المراسلة ويقول ان هذا كل ما يعرف عنها . ولا شك انه بذلك لم يوف الشاعرة حقها فى كتابه الوجيز . أنظر : احمد مختار ، شاعر خانالمز ص ٥٩

(٢) يقال ان ماء الحياة فى الظلمات .

وواقع الأمر ان مهرى خاتون لم تكن ميمونة الطالع الا
في تلك الرؤيا التي اضغثتها ، لأن اسكندر بك لم يكن لها حجابا .
وانها لتصور شقوتها وتشكو بها في قولها (لى بين احنام الضلوع
فؤاد لا يطيق صبرا عن حبيب ، آه ما حيلتى فيه ؟ لقد اعيانى وغلبنى
على امرى ، انا ان ذكرت من اهوى جفانى وتناسانى ، فكيف
يمكن ان يكون الانسان وحيدا فى دنياه ؟ . وإذا وعدنى بالوصل
يوما اخلفنى ما وعدنى ، فيـاله من قاس لادين له ! وقلت بالله
يا طيب الروح خذ بيدي ، لقد برح السقم بى ، فقال ان قتل
مشاق ديدنى ومذهبي ، أى جميل من غير محب ، واى زهر من
غير شوك لأستطيع نزوعا عن محبته او اکتوى بناره ، ولعاذل
ان يعذلى ، فلن اعيش وعيشى مقفر من حبيب !) .

ويقول لطيفي انها امرأة فى شعرها ونبرات كلامها ، وإن
كانت رجلا فى وصف شوقها وهيامها (١) ، واننا لنجد صدقا
لذلك فى قولها (كان املى ان تكون وفيا بعهدى ، وما دار يوما
بخلى ما اجد من جفائك . انت زهرة جميلة فى روضة من
رياض الجنة ، فليس بدعا ان يحف بك ذلك الشوك الجراح ،

(١) لطيفي - تذكرة لطيفي (استانبول ١٣١٤ هـ) ص ٣٢٠

انا لا ادعو الله عليك ، وقصارى متمناى ان تبغى بحبيب يقسو
عليك كما تقسو على)

فهرى هنا مثال للمرأة الضعيفة التى لاتقابل الاساءة بمثلها
ولما تستسلم ، وتدعو الله باكية ان يقصها من ظالمها .

وكان لمهرى اعجاب شديد بنجاتى شيخ الشعراء فى زمنها
فكانت تنظم نظائر لغزلياته وتنفذهها اليه ، حتى ضاق بذلك وكره
ان يرى من يقلد شعره ، او يدعى القدرة على تقليده ، وبلغ من
كبريائه ان ينظم أبياتا يوجهها إلى مهرى ويذكرها فيها بأنه
السابق الذى لا يشق غباره ، والمبرز الذى تقصر همم البلغاء
عن الاتيان بأية من آياته ، فيقول (يامن يأتى بالنظير
لشعرى ، الزم أدبك ، وحذرك قولك ، ان شعرك
كشعر نجاتى فى الأوزان والقوافى . أرأيت إلى لفظى عيب
وفضل ، فى عدد الأحرف يستويان ، وفى معناهما يختلفان)

ولنا أن نفهم من ذلك أن شعر مهرى خاتون على نوعين ،
شعر تقليدى تحاكى فيه غيرها وتطرق من المعانى ما يطرقتون ،
وشعر تنطق به عن هواها وجواها ، فهو لسان صدق وشاهد
عدل . وان هذا الشعر التقليدى لا يشين شاعريتها ، لابل
انه يدل على قدرتها وعلو كعبها خصوصا إذا حكمتنا عليها حكم

أهل عصرها . ومن قولها (مادامت المرأة ناقصة في عقلها ،
فلتعذر على قولها ، أما ان كانت ذات أفضال ، فانها لتفوق
الفا من الرجال)

فقد قالت مهري هذين البيتين فيما بين أواخر القرن الخامس
عشر وأوائل السادس عشر ، غير أن لها جملة لم يغيرها البلي
على مر العصور وكر الدهور .

وقد سكت المؤرخون عن ذكر عام مولدها ووفاتها .
وماتت ولم تزوج لأنها ردت كل من طلب يدها ، بعد أن تحطم
قلبها وخابت في غرامها . وقبرها في أماسيه مزار للعشاق وأهل
القلوب . وزار قبرها الرحالة التركي اوليا چلبى فقال في رحلته
(حفظت سبعين كتابا من نفيس السكتب ، ودارست العلماء
وحاورتهم فغلبتهم واعجزتهم . وأصل اسمها (مهر وماه)^(١)
فجعلت مخلصها (مهري) . ولها بيان ناصع وديوانها مرتب على
حروف الهجاء ، ولها بحوث في الفقه والفرائض ، وفي النفاس
مسائل ، ورسائل منظومة)^(٢)

(١) مهر وماه بمعنى الشمس والقمر في الفارسية ، ومن معاني
مهر الحب كذلك .

(٢) كو بريلي زاده محمد فؤاد ، شهاب الدين سليمان : يكي عثمانلي =

وهناك شاعرة أخرى ذكرها مؤرخو الأدب على ذكر
مهري خاتون وهي زينب خاتون وكان بين الشاعر تين صحبة
ومكاتبه شعرية ، كما داومت معها على حضور مجلس الأمير أحمد
لمحاورة الشعراء والعلماء. وهي كهري من أهل أماسية تلك المدينة
الجميلة التي عرفت ببغداد الترك تشبها لها ببغداد العرب . وقيل
عنها (انها على شاطئ النهر بين الهضاب والوديان ، فهاؤها
سجسج ، والزروع والبساتين المخصوصة تكسو جبلين يحفان بها
وما أكثر علماءها وفضلاءها وادباءها المتحدثين عن البلاغة
والبلغاء) (١)

ولما شعر أبوها بأن لها ملكة وعميرية ، علمها العربية
والفارسية ، فقرأت شعراء العرب والفرس ، واجتمع لها تمام
الاداة وحسن الاستعداد ، وقيل انها الى ذلك كله كانت مولعة
بالموسيقى متقنة لعلمها . فقالت الشعر بالفارسية والتركية ، وجمعت

= تاريخ ادبياتي ص ٢٥٣. ولنا مقابلة بين حياة مهري وشعرها وحياة
وشعر الشاعرة الفارسية مهستي في كتابنا (فارسيات وتركيات)

Von Hammer - Purgstall: Geschichte der (١)
osmanischen Dichtkunst. S. 190. 2 B

شعرها في ديوان قدمته الى السلطان محمد الفاتح .
ولا يعرف من سيرة زينب سوى انها تزوجت فشققت في
حياتها الزوجية ، وما ذاك الا لأن زوجها كان رجلا متزمتا ضيق
الافق فحرم عليها ان تقول شعرا ، بعد ان حال بينها وبين مجالس
الأمير احمد حيث يدار الجدل ويشقق الكلام . ولها غزل مشهور
تقول فيه (حسنتك ومحبتى ، جورك واصطبارى ، تزداد على
المدى ، ولا تنقص ابدا . ارفعى هذا النقاب وانبرى الارض
والسما ، واخلقى من هذا العالم جنة ذات ضياء . حركى شفقتك
ليوج ماء الكوثر ، فبكى الغدائر العنبرية واثيرها ، لتفعمى دنيانا
عطرا وطيبا . لقد كتبت بخطك الى الصبا (١) آمرة بالتوجه الى
الصين وغزوها ! ايها القلب ، لانصيب لك من ماء الحياة ، ولو
تبعث الخضر وسرت مع الاسكندر الفا من الاعوام (٢) اطرحى
زينة هذه الدنيا يازينب ، فإن لها طبع النساء ، وطهرى قلبك مما

(١) خط في الفارسية لها معناها العربى الى جانب معينين آخرين
وهما الرسالة وشعر الصدغ الخفيف . فتقول الشاعرة ان الحبيب
كتب الى الصبا (بخطه) يأمرها بالذهاب الى بلاد الصين وغزوها .
وليلاحظ أن فى الصين غزال المسك ، والطيب كذلك فى شعر الحبيب
(٢) فى الاساطير القديمة ان ماء الحياة فى ارض يقال لها دار =

يشبهه، وعطلى جسمك مما يزينه ، وكونى كالرجال (١١)
ففي هذا الشعر رقة وجمال، وروح نسوية واضحة كل الوضوح.
وللشاعرة خيال بعيد المحاق ، لم تستطع له الاوزان والقوافي
حبسا ولا تقسيدا، ولا يعلم تاريخ وفاتها وان كان يظن على التقريب

=الظلمات ، مقرها بحر الظلمات ، ويقال ان الاسكندر توجه بجيشه
الى دار الظلمات طلبا لماء الحياة ، ذلك الماء الذى يكتب الخلود
للشارب منه . وقد اتخذ من الخضر دايلا ورائدا ومضى الخضر فى
الظلام الدامس مستضيئا بجوهرة فى يده ينبعث النور منها ، حتى رأى
من الماء ما يشبه خيطا من فضة ، فعرف فيه بغيمة التى يشدها ، وتهافت
عليه يعب منه ، ثم نظر ، فما وجد لهذا الماء من اثر . ولما لحق
الاسكندر بالخضر وتفقده ، لم يشاهد له ولا الماء وجودا ، فاستياس
بعد المشقة وبعد الشقة ، وعاد ادراجه منقلبا الى بلاده . ويذهب
كتاب الفرنجية الى ان الخضر هو سان جورج . كما يقال انه يهدى
التائهين والحيارى إذا ظهر لهم فى صورة شيخ وقور اخضر الثياب .
وكثيرا ما يشبه شعراء الترك نغر الحبيب بماء الحياة ، ووجه الشبه
بعد المنال ، ويفهم من الاصابة من ماء الحياة ، طول البقاء والخلود
(١) يشبه الشعراء الدنيا بامرأة ، على زعم ان النساء غادرات
خائنات ، وان كيدهن عظيم .

انه في سنة ١٨٨٦ هـ (١٤٨١ م) (١)

• • •

ومن شعراء الطليعة في هذا العهد ، شاعر الباني الاصل يقال له مسيحي ، وقد رحل عن بلاده في ريق شبابه الى استانبول وفيها حصل علوم الشرع فكان بمن بسميهم الترك صوفته (٢) . ثم مال مسيحي الى جمال الخط كل الميل ، فعالج تحسينه ، واتقن ذلك اتقاناً بلغ الغاية . وكانت بداعة خطه مما الفت اليه الوزير على باشا ، ذلك الوزير الذي كان يود اهل العلم والفن ويرعاهم ، فاسند اليه منصباً في ديوانه . غير ان مسيحي كان خليعاً يرضى في الغواية مخلوع الغدار ، لا وازع له من دين ولا رادع من ضمير ، فكثيراً ما طلبه الباشا ولي نعمته ليكتب له شيئاً فما وجدته ، فبعث برجاله للبحث عنه في مظانه ، والاتيان به من بين دنان الحان ،

(١) لم يذكرها شهاب الدين سليمان . اما آ كاه سرى فاورد لها مقطوعة قصيرة ولم يتحدث عن حياتها . اما تاريخ وفاتها فما وجدناه الا في كتاب Ottoman Literature, by Gibb (London 1901) (٢) هذه الكلمة محرقة عن (سوخته) بمعنى المحترق في الفارسية ، فكان الصوفته محترق في نار الحب الالهى .

أو من عند رفاق السوء . ومات الباشا ، فساءت حال مسيحي
لنضوب معين رزقه ، وتطلع الى من سوف يكفل عيشه ويعينه
على امره ، فتقدم بقصيدة الى يونس باشا قائد الانكشارية (١) ،
غير انه لم يظفر بحسن القبول ، فتحول عنه الى الامير سليم الذي
اصبح فيما بعد سلطانا ، غير ان الامير كان عنه في شغل بالنزاع
المستحكم بينه وبين اخيه الامير احمد .

ومات مسيحي معدما محروما قبل غروب شمس يوم الجمعة
الموافق للسادس عشر من جمادى الأولى سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢م)
وهو من شعراء الترك الذين اقر لهم النقاد بالتبريز والاجادة (٢) .
ويقال انه تخلص بمسيحي ذهابا منه الى انه احيا الشعر احياء ، كما
احيا المسيح الميت من قبل . ويقول عنه لطيفي في تذكرة (كان
له في الخيال دقة ، وعلى الفكرك البسكرك قدرة ، كما برع في ايراد

(١) هو يونس باشا الذي وزر فيما بعد للسلطان سليم وقد أطاح
رأسه أثناء غزوه للشام ، والى يونس باشا هذا تنسب بلدة في جنوب
فلسطين تعرف بخان يونس .

(٢) لا ذكر لهذا الشاعر عند كوبربلي زاده محمد فؤاد ولا شهاب
الدين سليمان كما سكت عنه آكاه سرى

الخاص من المعاني ، غير ان تناهى خياله في البعد ، والتزامه منها
 خاصا ، لا يحيط به الا الخاصة ، مما ابعده شعره عن ادراك العامة
 وتذوقهم (١) ويقول باصماجيان ان مسيحي شاعر غنائى تغنى
 بالربيع وفي اشعاره سحر وجدة (٢) . ولهذا الشاعر مربع
 مشهور في الربيع ، ومنزلة هذه المنظومة عند علماء الاوربيين
 لاتسامى ، فقد اوردها سير وليم جونز في كتاب له عن الشعر
 الاسيوى كان ظهوره سنة ١٧٧٤ ، وترجمها الى اللاتينية . وهذا
 تقدير لمسيحي لم يظفر به شاعر تركى سواه (٣) . وضمن
 تودرني تاريخه للأدب التركى هذه الترجمة اللاتينية (٤) كما ذكر
 هذا الشاعر بين شعراء خمسة يعتبرهم اعظم شعراء الترك .
 ويوجد لها ترجمة منشورة في كتاب دافيدز (النحو التركى) (٥) وهى

(١) لطيفى ، تذكره لطيفى ص ٣٠٩

(٢) Basmadjian, Essai sur l'histoire de la littérature ottomane P. 61

(٣) Gibb, A History of ottoman Poetry v. 2.p. 232

(٤) Toderini, Letteratura Turchesca, Traduit de l'Italien
 en Francois par l'Abbé de Cournand (Paris, 1789)
 T1. P. 191

(٥) Davids, Grammaire Turke (Traduit de l'Anglais
 par Sarah Davids Londres, 1836) P. i x v iii.

ترجمة لسير وليم جونز الى الانجليزية . وترجمها ويلاندى الى
الالمانية عام ١٧٩٦ (١) ثم فون هامر فى تاريخه للشعر التركى .
وولز فى منتخباته التركىة (٢) التى لم يتحدث فيها عن شاعر غير
الشاعر مسيحي . ومن عجب الا يذكرها من علماء الترك لطيفى
فى تذكرته ولا ضيا باشا فى مختاراته التى تسمى (خرابات) (٣) .
وهذه أبيات من هذا المربع (استمع للبلبل ، انه يزف البشرى
بمقدم الربيع ، فتمتلئ البساتين بالحشود من الورود (٤) ، وحيته
ازهار الموز فنثرت عليه من فضتها . فاشرب واطرب ، ليس
لأيام الربيع دوام ، وتحلت الرياض والمروج من افانين النوار
اما الازاهير فرقدت ناعمة على اسرتها فى البساتين . آه من

(١) أنظر Von Hammer - Purgstall, Geschichte der
osmanischen Dichtkunst B1. S. 299

(٢) Wells, The literature of the Turks, A Turkish
Chrestomathy P. 144 (London 1891)

(٣) ضيا باشا ، خرابات ٣ جلد (استانبول ١٢٩٢)

(٤) بريد ان يقول ، ان البلبل اعلن مقدم الربيع ، فاجتمعت فى
الرياض جموع من الازهار لرؤيته . وهو هنا يشبه الازهار بأناس
تجمروا لرؤية شى عجيب .

يدرى ايضا يمتد به العمر حتى يشهد هذا الربيع قبيل انقضائه ،
فاشرب واطرب ، ليس لايام الربيع دوام ، هي ذى اكناف
الروض مفعمة بنور احمد (١) ، وله من الاعشاب صحابة ومن
الزنايق اهل بيت ، لقد هل زمان السرور والحبور فبشراك
يا امة محمد ، اشرب واطرب ، ليس لايام الربيع دوام . بدت
الورود كما تبدو الحسان حمر الحدود ، وفي الأذان جواهر الأنداء .
لا لا يغيرك ماترى من جمال مآله الى الزوال ، اشرب واطرب
ليس لايام الربيع دوام . ومضى زمان كان فيه العشب اقداعلى
فراش الضنى ، والكم جاعلارأسه على صدره شوقا الى الروض (٢)

(١) اختلاف مترجمو هذا المربع فى معنى نور احمد ، فقيل انه
اسم لزهرة وهذا ما لم نجده فى معاجم اللغة التركىة كما قيل ان عودة
الربيع تذكر بنور النبي صلى الله عليه وسلم . ويذهب فون هامر الى
ان نور النبي من العظمة بحيث ان رداءه الذى يغطى رأسه بذيله ، كان
يبدو كأنه جلد دبغ بالحمرة . ويقول فون هامر انه نقل هذا عن
الربحاني على شروح ابى الفداء . ونحن نستبعد أن يكون الشاعر قد
قصد الى هذا . وما يذكر ان الايرانيين يصنعون بعض العطور من
زهرة ارجة يسمونها الزهرة المحمدية

(٢) الكم وردة لما تفتتح ، فكأنها تجعل وأسها فى صدرها . =

وأتى ذلك الوقت الذى تيسر فيه الازهار ، على الجبال وبين
الاحجار . اشرب واطرب ليس لأيام الربيع دوام . الغمامة
تسكب اللآلىء كل صبيحة ، وتحمل الصبا عن المسك اطيب
النفحات ، فلا تنس ريثة الدنيا ولا تغفل عن متعتها . اشرب
واطرب ، ليس لأيام الربيع دوام ! ان النسيم معطر ، وقد جعله
طيب البستان كالمسك الأذفر . وكأن الندى على الأرض قطرات
نثرت من ماء الورد ، وقد بسط الفلك له فراشا على الرياض من
بخور السحاب . اشرب واطرب ، ليس لأيام الربيع دوام !

فسيحى يمزج روحه بالطبيعة ، ويستلهم الازهار والاطيار
من المعاني ما يصوغ له لفظا براقا ووزنا مرصا ، ولعل نزع
الشاعر المرحه هى التى حببت الى الاوربيين هذا الشعر الراق
الذى نسمع فيه صدى بعيدا لشعر الخيام .

ولمسيحى مشنوى يسمى شهر انكين بمعنى مثير المدينة . ويطلق
هذا الاسم على شعر يوصف فيه مكان من الامكنة أو سكانه من
السكواعب الحسان أو المرء الصباح فيثور الهوى فى القلوب .

ويقول الشاعر ان الاكام تشبه فى انقباضها وانطوائها حزيننا مطرقا ،
يكاد يلبس صدره برأسه .

ويقول جب ان مسيحي يبدو في هذا المثنوى مجددا مبتدعا، فهو
 لم يبتدع مثالا فارسيا، لأن الفرس لا يعرفون هذا الفن من الشعر
 كما انه مخترع المعنى والمبنى المنظومة هي اول ما عرف الترك من
 الشعر الهزلي (١). وفي الحق ان هذه المنظومة لا تعد من الشعر
 العالى فهي سهلة العبارة لا اناقة فيها ولا تزويق، ويلوح انه قصد
 ببساطتها وسهولتها ان تكون في مستوى فهم العامة، اما موضوعها
 فغلمان مدينة أدرنه. وفي ديباجة المنظومة يذكر الشاعر خطاياهم
 ويسأل الله العفو والغفران، كما يتمنى عليه ان يجعل منظومته
 في المدينة شهرة وسيرورة، ثم يصف المدينة مادحا ويخلص
 من ذلك الى غلمانها فيذكر اول ما يذكر انهم يبتعدون في ماء
 النهر. وقد احصى منهم ستة واربعين وخص كلامهم بمقطوعتين
 بعد ذكر اسمه. واسماؤهم تدل على اختلاف جنسيتهم ودينهم
 فمنهم المسلم والمسيحي واليهودى واليونانى والارمنى. ومعظمهم
 من صبية الحوانيت وابناء اهل الحرف. ويتحدث عن اوصافهم،
 ويستدل عليها من اسمائهم، ويقول انهم اجمل من الولدان في
 الجنان ثم يحتتم المنظومة بالدعاء لهم. وواضح ان اشخاص المنظومة
 من خاق خيال الشاعر الذى اراد ان يتبسط ويطرح بهض الوقار

Gibb, A History of ottoman Poetry, V.2, P.232. (١)

على سبيل المطاوعة والمفاغمة ، يقول مسيحي (كلها شاهدت عيني
من قوامه قوام السرو ، القيت بنفسي على قدمه كأنني ظله ،
وإذا رنوت الى من جبينه جبين البدر ، فعلى الخدين انجم من
ادمعي ، وإذا ماشئت ان اقض قصص دموعي ، فمأسعة البحور
لا يغسل السواد عن وجهي . ولقد كسبت من الخطايا ما لورحمت
عليه لكانت الرحمة اثما ! اما اذا كان ذنبا مني ان اكتب هذا
الشعر ، فلا تؤاخذني ياربي ، لأنك لا تؤاخذ على الهنات ، وما دمت
محروما في دنياي ، فلا تدخلني النار في آخرتي ، اليوم لا تمد هذه
السروة الى يداي (١) ، فهب لي طوبى يا الهى غدا ، انا لاحظ لى
من ثغر حبيبي ، فاجعل الكوثر نصيبى ، وقدر لهذا الشعر شهرة ،
وفي المدينة ثورة)

فهذا الكلام يدل على ان صاحبه لا يريد من ورائه الا أن
يتلهى ويتسلى ، وان كان تداعى الأفكار يفتق ذهنه عن ممان
جيدة في الأحياء . ولا شك ان المنظومة لا تخلو من الظرف كما
في قوله فيمن يدعى يوسف (ومنهم مليك الحسن يوسف ، انه

(١) يريد بالسروة رشيق القوام الذى يشبه السروة في جمال القد

واعتداله .

بين الصباح في مصر صاحب التاج ، كل من شاهدني في طريقه
قال ان هذا الذئب في النهاية آكله (١)

فهو هنا يشير الى انه برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب .
وقد قلد هذه المنظومة كثير من الشعراء المعروفين بالتزمت
والوقار ، لغرض واضح هو التنفيس عن النفس وتزجية الفراغ
فيما يسر . وكان في عصره شاعر كبير يقال له ذاق ، فاتهم مسيحي
بالاغارة على شعره وسرقة مهائيه ، واتصلت لذلك بين الشعارين
مراسلات شعرية هي موضع اعجاب ونظر (١)

وقد اشتغل مسيحي بالتأليف الى اشتغاله بالشعر وله مجموعة
من الرسائل تسمى (كل صد برك) (٢) ، تتضمن مائة نموذج
للرسائل ، وقد عرف الكتاب والمترسلون لهذا الكتاب قيمته
فتداولوه وتدارسوه ، ولا غرو فقيه تقييد لقواعد الانشاء
والترسل ، وتبويب لأنواع الأساليب وافانين النثر . كما حوى
تعريفاً بالقباب الناس على اختلاف درجاتهم ، وتبصرة بما يساق

(١) أنظر ، تذكرة لطيفي ص ٣١١ .

(٢) كل صد برك في الفارسية بمعنى زهرة ذات مائة ورقة ، وهو
اسم يطلق على نوع من الازهار ، او على كل زهرة كبيرة كثيرة
الورقات .

اليهم من الفاظ وجمل .

. . .

ونعود الى قصور السلاطين لنتحدث عن شاعر منهم هو السلطان سليم الأول ، فقد كان جنديا عظيما وشاعرا مجيدا ، وله شخصية عجيبة هي جماع المتناقضات من لين وشدة وغلظة ورقة وان كان العنف غالبا عليه فعرف في التاريخ التركي (بياوز) بمعنى الفظ . وهو شديد البطش صعب المراس لا يرحم من يعاديه ، فلما قام النزاع على العرش بينه وبين اخويه ، لم يكتف بقتلهما ، بل عمل الحسام في خمسة من ابناء احدهما ، وصادف ان اسرت زوجة الشاه اسماعيل الصفوى وهو في حرب مع سليم فانفذ الشاه اليه اربعة من الرسل يحملون الهدايا ويطلبون ضارعين ان يطلقها من اسرها ويردها على زوجها ، فما كان منه الا ان امر بسجن الرسل ، وتزويج احد رجاله بالاهيرة الايرانية . كما جرت عادته بأن يعزل الوزير من وزرائه بعد شهر من توليه منصبه ، ثم يقتله في غير جريرة ، فشاعت في عهده بين الناس لعنة رهيبية وهى (جعلك الله وزيرا للسلطان سليم) .

هذا هو الجانب العنيف من نفسه ، اما جانبها الآخر ، فيستدل عليه من توجهه لآخيه قورقود بعد مقتله ، فقد اطلع

سليم على ابيات نظمها اخوه وانفذها اليه قبل مماته ، فأخذه مر
الاسى وبكى مدرارا . كما قيل انه كان جهم التواضع ، يجالس
الذراويش على البساط ، ولا يتعد وهو معهم على العرش . وعرف
بالميل الى الدعابة والمرح ، فلما سأله المفتى لماذا لم يطلق لحيته
قال (حتى لا يجرد الوزراء شيئا يقودوني به ا) (١) ولما كان في
مصر دعا الى حضرته ثلاثة من الشعراء ، فلما وقفوا بين يديه
سلموا عليه بكيفية اثارت حفيظته ، فأمر بضرب اعناقهم ، ولما
هدأت نائرتة خفف الحكم بالقتل وجعله حكما بالضرب ، ثم
سكنت عنه غضبه فتجاوز عنهم .

وكان السلطان سليم مشغولاً بالشعر والشعراء والعلم والعلماء
فقد استصحب الشاعر جعفر چلبى في حملته على فارس ، والشاعر
كمال باشا زاده في غزوه لمصر ، ولما مدحه ذاتي بقصيدة عصماء
يوم اعتلى العرش اجزل صلته وأقطعته ضيعتين ، كما جعل ولاية
کردستان للورخ ادريس . وسليم شاعر رقيق ، غير انه نظم
شعره بالفارسية لغة الثقافة والادب الرفيع في عهده ، وقيل انه

(١) جرت عادة امراء آل عثمان بمحلق لحاهم ، اما اذا اعتلى احدكم
العرش فلزام عليه ان يطلق لحيته . والسلطان سليم الاول هو الوحيد
الذى لم يطلق لحيته .

لم يكن في زمانه من شعراء الفارسية من يجيد مثل اجادته (١) ،
وهو في شعره يتلو تلو حافظ الشيرازي اشهر شعراء الفرس .
وشعره صورة واضحة لنفسه ، غير أنه لا ينبغي لنا ان نتحدث عن
شعر فارسي في تاريخ الادب التركي (٢) . وله ديوان بالفارسية
طبعه المستشرق الالماني پاول هورن طبعة انيقة فاخرة بأمر من
الامبراطور غليوم الذي اهداه الى السلطان عبدالحميد سنة ١٩٠٤
وقد وجد الترك اخيرا مس الحاجة الى ان يتفهم ابناء الجيل
الجديد شعر السلطان سليم ، فترجم الديوان الى التركية الدكتور
على نهاد تارلان (٣) . ولا ينسب اليه من الشعر التركي الا القليل

(١) مير على شيرنواي ، مجالس الزفانس ص ٣٦٠ وهذا
الكتاب مترجم الى الفارسية عن التركية الجغتائية . وقد نشر هذه
الترجمة على اصغر حكمت بطهران سنة ١٣٢٣ ش

(٢) درسنا شخصية السلطان سليم ودرسنا ديوانه الفارسي في
كتابنا فارسيات وتركيات . وقد ترجم حب غزلا فارسيا له في كتاب
Ottoman Literature P 68 وهذا الصنيع منه يناقض قوله في
كتاب تاريخ الشعر العثماني (ولكن ديوانه ليس تركيا فهو لا يدخل
فيما نحن بصدد البحث فيه) Gibb, A History of ottoman Poetry
V. 2. P 261

Prof. Dr. Ali Nihad Tarlan, Yavuz Sultan Selim (٣)
Divani (Istanbul, 1946)

ويقول لطيفي ان معظم ما يعتبر له من هذا الشعر ، ان هو الا من
افتراء العوام (١) . وله بيت جرى على الاقلام والالسن يقول
فيه (لقد تها لك ورقدت ، فيامن قوامك في حسن شجرة
السرو ، اعزز على بأن تقف امامي ، والله ان الحرمان من الصلاة
على بعد مماتي ، لاثر عندي واحب الى) (٢)

وما ينسب اليه كذلك من الشعر التركي هذان البيتان (لست
ادري اي سحر اصاب به الزمان مقلتي ، لقد استدر عيني قدمها
همي ودمها جرى ، ان الاسود لترعدها سطوتي وصولتي ، فالى
عيون الظبي تصويني وتصميني ا)

وان التخالف لشديد بين شعره الفارسي والتركي ، فهو مجيد
ولاشك كشاعر فارسي ، اما شعره التركي فلأما فيه ولا رواء له
ومات السلطان سليم سنة ٩٢٦ هجرية (١٥٢٠ ميلادية)

* * *

ومن اهل هذا الزمان عالم تضلع من مختلف العلوم ، وفقهيه

(١) لطيفي ، تذكرة لطيفي ص ٦٩ و ٧٠ .

(٢) يقول الشاعر إن وقوف الحبيب عند رأسه مما يحزنه ،
لانه يعز عليه ان يتعبه هذا الوقوف ، فعدم الصلاة عليه بعد الموت
اهون عنده من ادنى بأس ينال من يهواه .

شهد الناس عليه بالفقه ، واخذوا عنه صلاح دينهم وديانهم ، وهو إلى ذلك كاتب حسن الترسل وشاعر مذكور ، عرف في الأدب العثماني بابن كمال او كمال باشا زاده (١) . كان جده قائدا من قواد الفاتح ، كما كان ابوه محاربا عظيما ، فانتهج الفتي سبيل ابويه وانخرط في سلك الجندية . ومما اتفق له وهو جندي في معسكر ابراهيم باشا وزير بايزيد ، ان دعي الوزير الى مجلسه ذات يوم جمعا من صفوة القوم ، وكان ابن كمال واقفا ناحية يرمق الحضور ، فرأى عظيما من رجال الجيش هو اورنوس اوغلي بك يدخل ويقعد في صدر المجلس ، وبعد هنيهة دخل رجل رث الهيئة يبدو عليه انه من اهل العلم ، فراع ابن كمال ان يفسح له اورنوس اوغلي بك في مجلسه ، ويستقبله العطاء والامراء بالتبجلة والتسكرمة على ما يظهر من هو ان شأنه ، وسأل من يكون هذا الرجل ، فقيل له انه منلا لطفى العالم الجيهن . وكان لهذا المشهد اروع الاثر في نفس ابن كمال ، فاحب ان يكون من العلماء ليكون في أعلى الرتب مثلهم ، وقدر في نفسه انه لن يبلغ رتبة اورنوس اوغلي بك في الجيش ، ولسكنه بالغ رتبة منلا لطفى في العلم . فتتلذ هذا

(١) كمال زاده في الفارسية بمعنى ابن كمال في العربية .

العالم النجيري ، بعد اذ هجر حياة الجندية الصاخبة ، واقبل على
حياة العلم الهادئة . ودارت الايام فرسخت قدمه في كثير من
العلوم ، واصبح للتدريس اهلا فدرّس . ثم ولي القضاء في ادرنه
وكان قاضى عسكر الاناضول عام ٩٢٢ هجرية (١٥١٦ ميلادية)
فطار في الآفاق صيته .

واذا ما افسحنا مجال القول للطيفي ، رأيناه يسميه سلطان
المتأخرين وخاتمة الفقهاء المجتهدين ، شمس الملة والدين وارث
علوم الانبياء والمرسلين . كما يقول عنه في تذكرته (لقد اجمع
العلماء على أنه مظهر في بلاد الروم ولا ورد عليها عالم يشق غباره ،
لقد كان علامة الخافقين ومفتي الثقلين ، وعى كل علم وفن ، وترقى
في مراتب الكمال . كم مشكلة في العلوم والفنون والشروح والمتون
اصلمح واوضح بفكره الثاقب ورأيه الصائب ، وكم رسالة ومقالة
دبجت يراعته في كل علم وكل فن . وقولة الحق فيه انه مجمع العلوم
ومفخرة علماء بلاد الروم)^(١)

وقد الف كمال باشا زاده بالعربية والفارسية والتركية

(١) لطيفي ، تذكره لطيفي ص ٨٠ (در سعادات

وقيل ان تأليفه بلغت ثلثمائة (١) ، وهو مدين بشهرته العلمية الى ما كتب بالعربية ، وله بالفارسية كتاب نكارستان بمعنى المتحف وقد حذا فيه حذو الشاعر الفارسي سعدى في كتابه كلستان (٢) .
اما بالتركية فله رسالة في فقه اللغة الفارسية بعنوان دقائق الحقائق وتاريخ آل عثمان ، ذلك التاريخ الذي امر السلطان بايزيد بأن يكتبه بالتركية بعد اذ رأى مس الحاجة الى وجوده باللغة القومية الى جانب ما كتب ادريس بالفارسية (٣) . وقد سرد فيه تاريخ العثمانيين الى سنة ٩٤٢ هجرية (١٥٢٦ م) وهي السنة التي احتل فيها السلطان سليمان القانوني بودا . وصحبه السلطان سليم في حملته على مصر ، ولما كان في الطريق اليها امره ان يترجم له كتاب

(١) كوبرلي زاده محمد فؤاد ، شهاب الدين سليمان ، يكي عثمانلى

تاريخ ادبياتى ص ٢٦١

(٢) راجع صفحة ١٣٨ .

(٣) كان ادريس هذا عالما من اشراف الاكراد ، وقد ضاق ذرعا

بتعصب الشاه اسماعيل الصفوى وانضم الى العثمانيين . وكتب تاريخ ثمانية من سلاطينهم بالفارسية ويعرف كتابه بـ (هشت بهشت) بمعنى ثمانى جنات ، كما آزر السلطان سليم الاول في توطيد سيادته بالموصل وديار بكر . ومات في استانبول عام ٩٦١ هجرية (١٥٥٤ ميلادية)

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى فترجمه عن العربية، وكان
في كل يوم يطلعه على القدر الذى ينجز ترجمته من الكتاب،
فما دخل السلطان مصر الا وهو على علم بتاريخها واخبار ملوكها.
وله مثنوى يوسف وزليخا الذى تعتمد فيه الا يستعمل لفظا
فارسيا ولا عربيا طالما وجد فى التركية مرادف له، وهذا خروج
على مألوف الشعراء فى زمانه. وتحكم لم يجب الى المتأدين منظومه
وله كذلك ديوان غزليات (١).

ومن اروع ما قال تلك المرثية التى يتفجع فيها على السلطان
سليم. وقد اورد لطيفى فى تذكرته بيتين منها، وهو الذى يقول
(هو فى عزمه فتى غرير وفى حزمه شيخ كبير، هو صاحب القلم
وصاحب التدبير، هو قائد الجيوش فى الميدان، وفى اصالة
الرأى كوزير سليمان، فلم تسكن به من حاجة لا الى وزير ولا
الى مشير، له خنجر من قلبه وصمصامة من يده، له الرمح من
ذراعه والسهم من بنانه، لقد انجز الكثير من المهام فى القليل

(١) ذكر هذا جب فى الجزء الثالث من كتابه تاريخ الشعر
العثمانى، رواية عن عهدى، وبين يدي نسخة مطبوعة من غزلياته
بعنوان كمال باشا زاده ديوانى (در سعادت ١٣١٣)

من الاعوام ، وامتد ظله بين الخافقين ، واذا كان فخر الملوك
بالعروش والتهيجان ، فان العرش والتاج به يفخران ، كان شمس
العصر ، وشمس العصر طويل ظلها قصير زمانها . مارأت
الافلاك له من ضريب في ملاعب لهو ولا سوح وغى ، فهو إذا
خرج الى ايوان الأانس والطرب شمس تنير ، واذا دخل ميدان
الحرب اسد مصور ، الا فلتذكره الهيجاء ، ولتبيكه السيوف
بالدماء . لقد قضى السلطان سليم فوا أسفا عليه ، وليبيكه السيف
واليراع جميعا)

وهذه المرثية مثال جيد لشعر المناسبات ، الذى يكاد يخلو
من العاطفة خلوا تماما ، فالشاعر هنا معنى بتعداد مآثر السلطان ،
وحديثه عن حياته اكثر من حديثه عن مهاته ، وهذا مانعهد فى
مرأى الشعراء للعظماء .

وقد جعله السلطان سليمان القانونى شيخا للاسلام ، وظل
فى هذا المنصب العظيم ثمانية الاعوام الأخيرة من عمره ، وبولغ
كثيرا فى وصف ما انجز من جلائل الاعمال حتى قيل انه كان
يعطى كل يوم الف فتوى . كما يروى انه كان من احا حلو الدعاية
فلما كان مارا من اقليم قرامان مع السلطان سليم ، راعت السلطان
كثرة الاعاصير التى تهب فى هذه المنطقة وتعجب من ذلك ، فقال

له كمال باشا زاده ان قونيه عاصمة لهذا الاقليم ، وهي التي
سكنها مولانا جلال الدين الرومي ، ولذلك فغبارها وتلاها
واحجارها ترقص رقصة المولوية (١) . ويحكى عنه وهو شيخ
الاسلام ان مدمن مخدرات يتعاطى البنج جاء يوما مستغيثا وهو
يقول : إذا افطر زيد من الناس بالغبار في الفجر الكاذب والشهر
شهر الصيام ، فاذا يسعه ان يسنع . فما كان من كمال باشا زاده
الا ان قال له : انت مثاب على ذلك ! وفي هذا الجواب ظرف
وذكاء وسرعة خاطر . ومات كمال باشا زاده عام ٩٤١ هجرية
(١٥٢٤ ميلادية) ، وبهذا العالم الشاعر نختتم الكلام عن الدور
الأول من عصر الأدب التركي القديم ، لنستشف دورا ثانيا
نستفتحه بذكر السلطان سليمان القانوني . وما تحسن الاشارة اليه
مراعاة للدقة ودفعاً للبس ، ان تحديد بداءة عصر ادبي او نهايته
باسم شاعر أو بعام وفاته ، لن يكون امرا قاطعا بالمعنى المتبادر
الى الذهن ، ولسكننا بهذا الصنيع انما نحاول جهد المستطاع ان
نحدد المعالم ونعين الصوى . فان التاريخ الأدبي كالتاريخ السياسي

(١) رقصة يدور فيها المولوية حول انفسهم كالأعاصير . وقد

وصفناها في كتابنا من ادب الفرس والترک ص ٢٢٠

سلسلة لا انفصام بين عراها ونتائج ترد الى مقدماتها، حتى الثورات
ادبية كانت ام سياسية ، لا تقوم الا بعد ان تهيأ لها العقول
والنفوس شيئاً بعد شيء . ونحن إذا ما اعتبرنا كمال باشا زاده آخر
شعراء الدور الأول والسلطان سليمان القانوني أول شعراء الدور
الثاني، خطر على البال فوراً انهما تماصرا ، وان امتد العمر اثنتين
وثلاثين عاماً بالسلطان بعد شيخ الاسلام . ورأينا ان كثير امن
شعراء الدور الثاني اشبه بشعراء الدور الاول من الماء بالماء ،
فليست التطورات الادبية وليدة التو والساعة ، وقليلها تغيرت
تيارات الأدب واتجاهاته تغيراً فجائياً في عصر من العصور .

الادب القديم

الدور الثاني ، من عهد السلطان سليمان القانوني الى عهد
السلطان محمود الثاني

العصر عصر السلطان سليمان القانوني اعلى السلاطين العثمانيين
قدرا وانهمم ذكرا واعظمهم من عبقرية الحكام حظا . فقد بلغ
بقومه ذروة العلياء مجدا ، واتسعت رقعة ملكه بكثرة الفتوح ،
وقيل انه خاض غمار ثلاث عشرة معركة بنفسه حتى خفقت
بنوده في مياه الهند ، ودخل جنوده بغداد وتبريز في الشرق ، كما
طرقوا ابواب فيينا في الغرب ، واظل عرشه من الممالك مالم يظل
عرش سلطان قبله ولا بعده . فصدر عصره بأن يكون العصر
الذهبي للتاريخ العثماني ، كما خلق هو بأن يكون العظيم عند
المؤرخين الغربيين .

غير ان سليمان القانوني لم يكن عظيما بحروبه وحسب ، ولم
يعرف عصره بالعصر الذهبي لرخائه واستبحار عمرانه ليس الا .

فهذا السلطان كان كذلك ادبياً شاعراً فأقام الألبان دولة وزاد من شأن الشعراء والأدباء رفعة وأصبح رائد نهضة أدبية علمية هي اسمى نهضة عرفها الترك في الآداب والعلوم ، حتى قيل ان مائتي شاعر أو ما يقرب قد نبغوا في أيامه ، الى جانب مائتي عالم شهد لخمسین منهم بروعة مؤلفاتهم (١) ومؤرخو الادب التركي متفقه كتبهم في هذا الصدد . ومنهم فائق رشاد الذى يقول ان شعر العصور المتقدمة كان بدائى الحالة يجرى على نسق واحد ويكرر المعنى المكرر ، وشعر هذا العصر هو الشعر بحق إذا سمي وبلغ شأوا بعيد المدى (٢) اما جب فيشبهه الشعر التركي قبل عهد سليمان بكلام طفل غرير ، يستقيم تارة ولا يستقيم تارات ، ويقرر ان هذا الشعر لا يستدل به على الحدق والألمعية ثم يقول ان شعراء الترك قد شرعوا ابتداء من عهد سليمان في الوقوف على قدم المساواة مع شعراء الفرس المجيدين (٣) وليكن معلوما أن فنون الشعر في هذا العصر لم تتغير عما كانت عليه في

Jouannin et Van Gaver, Turquie (Paris MDcccxl) (١)

P. 154.

(٢) فائق رشاد ، تاريخ ادبيات عثمانيه ص ٢٦٩ . برنجى جلد

Gibb, A History of ottoman Poetry P.1 V. iii. (٣)

العصور السابقة ، وإن كان فن القول قد بلغ أوج الكمال ، وعليه
فكل ضعيف الصيغة ردىء الصنعة أصبح جزلا رصينا مشرق
الديباجة ، فكأن هذه النهضة الأدبية إنما تناولت الشعر في مبناه
لا في معناه وفي عرضه لا في جوهره ، ودار الشعراء حول
عمودهم القديم متناولين تلك الأغراض التي القوا ان يتناولوها
ورددوا ألقانهم ، فطرب الناس لما لم يطربوا لمثله من قبل .
وحققت بالذكر ان أسماء لا معة رنانة لشعراء هذا العصر قد
اضفت عليه رونقا وجلالا ، فن المعلوم أن بعض المتأخرين
قد فضلهم ورجحهم ، غير ان اجتماع المجيدين في زمان واحد له اثره
ومغزاه ، وما أصدق المثل الفارسي الذي يقول ان الربيع لا يكون
بزهرة واحدة .

اما إذا راعينا الدقة كل الدقة فيما نقرر ، فلزام ان نقول ان
فنا شعر يا جديد اعلى الترك ظهر في هذا العصر وهو التاريخ المنظوم
الذي اولاه شعراء الفرس مزيدا من عنايتهم فبرزوا فيه كل التبريز
وعلى رأسهم أبو القاسم الفردوسي صاحب شاهنامه . وقد ابتدع
سليمان منصبا شعريا رسميا ليشغله شاعر يسمى (شاهناجي)
نسبة إلى شاهنامه ^(١) ، وهي ذلك الكتاب المطول المنظوم الذي

(١) هكذا يقول جب في الصفحة الرابعة من كتابه المذكور، =

سرد فيه صاحبه تاريخ الفرس منذ أقدم المصور إلى الفتح العربي
 لايران ، فشاهانجي هو ذلك الشاعر الذي ينظم الحوادث
 التاريخية كما فعل الفردوسي في شاهنامه ، وله راتب كبير ومنصب
 عظيم . وإلى جانب هؤلاء الشعراء الرسميين كان من الشعراء من ينظم
 تاريخ العثمانيين ويسمى منظومته شاهنامه كذلك . كما أن منهم من
 كان يتحدث عن سلطان من السلاطين فيسمى منظومته باسم من
 نظمت فيه . غير أن هؤلاء الشعراء الرسميين وغير الرسميين الذين
 كلفوا أنفسهم هذه المؤونة ، وركبوا هذا المركب الوعر ، لم
 يكونوا من الفحول المشاهير ، والجمال الشعري يعوز ما نظموا .
 وقد أحت هذه الآية فيما بعد ، وأحى معها كل ذكر لهؤلاء
 الشعراء (١)

وكثير عديد شعراء القصص منذ استهل زمان السلطان
 سليمان ، كما بلغوا في الاجادة غاية لا متجاوز وراها لشاعر .
 ولم يكن القصاصون قبلهم من المجيدين اللهم إلا مع استثناء

== وقد يكون غرضه من ذلك ان السلطان سليمان اولي هذا المنصب
 مزيدا من عنايته ، لانه غرف في عهد محمد الفاتح .

Gibb, A History of ottoman Poetry VIII P.4 (١)

شيخي في قصة خسرو وشيرين ، وحمدي في قصة يوسف وزليخا ،
فهذا العهد يعتبر بحق عهد القصة المنظومة الزاهر ، وسنرى
مصادق ذلك في دراستنا ليحيى بك ولامعى وفضولى .

وفي هذا العصر ظهر أصحاب (التذكرة) اول مآظروا ،
وهم شعراء ادباء ترجموا بشعراء الترك فوصفوا حياتهم ،
وسردوا سيرهم ثم ساقوا أمثلة من شعرهم في كتب تعرف
بالتذكرة (١) وأولهم سهى بك المتوفى سنة ٩٥٥ هجرية (١٥٤٨
ميلادية) وهو شاعر له ديوان وصاحب (هشمت بهشت) بمعنى
ثمانى جنات فى الفارسية (٢) . وقد ذكر فى هذه التذكرة شعراء
العثمانيين منذ نشأة الدولة العثمانية إلى أيامه . والثانى لطيفى الذى

(١) التذكرة ما يستذكر الشيء به وهى كلمة عربية . وقد اراد
الكاتب التركى مصطفى جلال الدين ان تكون تركية واشتقها من
كلمتين تركيتين تفيدان معنى الكتابة السريعة . وهذا منه وهم
وتحكم . انظر Moustapha Djelaeddin, Les Turcs, anciens
et modernes (Paris 1870) P. 260.

(٢) لا ينبغي الخلط بين هذا الكتاب وكتاب ادريس فى تاريخ
العثمانيين الذى يحمل نفس العنوان .

أتم تأليف تذكرة لطيفي عام ٩٥٣ هجرية (١٥٤٦ ميلادية) ثم مات بعد هذا التاريخ بست وثلاثين سنة . وكتابه قيم لنفاسته ماجاء فيه . والثالث عاشق چلبی ، كان شاعرا فقيها ، له ديوان ومؤلفات أهمها تذكرة أوسع من التذكرتين السالف ذكرهما ، وأكثر تفصيلا في ذكر الشعراء الذين عاصروه وتأكدت الصداقة بينهم وبينه ، وإن كان ثقیل الأسلوب مفرطاً في تزويق الكلام ويقال إن له قصيدة جميلة في نهر الدانوب . وكانت وفاته سنة ٩٧٦ هجرية (١٥٦٨ ميلادية) .

أما رابعهم فاحمد عهدي ، وهو أحد ثلاثة من شعراء الترك عرفوا بعهدى . كان فارسيا من بغداد ، الا انه رحل الى استانبول واقام فيها عدة اعوام تأتي له خلالها ان يحذق التركية ويعرف كثيرا من الشعراء والعظماء ، ثم عاد الى بغداد ، وفيها الف تذكرته المسماه كلبن شعرا بمعنى روضة الشعراء في الفارسية . ويميزها من غيرها انه لم يتحدث فيها الا عن معاصريه . وقد فرغ من تأليفها سنة ٩٧١ هجرية (١٥٦٣ ميلادية) ثم مات بعد ذلك بثلاثين سنة .

أما السلطان سليمان قلنا ان نعتبره اول شعراء عصره ، وهو أهل لأن يعرف بالقانوني في رأى من الآراء ، بعد الموازنة بينه

و بين اسلافه السلاطين الذين كانوا رجال سيف لارجال قلم (١)
 وقد ذكره ضيا باشا في تلك المقدمة المنظومة لكتاب خرابات
 بعد ذكر ابيه السلطان سليم فقال (لقد ادبه ابوه فاحسن تأديبه
 وهل يخرج من جوهر الا جوهر ، فأرسي من الدولة اساس
 البنيان ، كما نهض بالأدب والبيان . ودان الناس له في سلطانه ، كما
 دان الفصحاء له في كلامه ، ولئن فتح البلاد بحسامه ، لقد اسر
 النفوس بفضله واحسانه) (٢) وله ديوان مطبوع يعرف بديوان
 محي (٣) ، لانه كان يتلخص في غزلياته بمحبي ، وشعره متميز

Lybjer, The Government of the ottoman Empire (١)
 in the time of Soleiman The Magnificent (Cambridge
) 1913 P. 159 . ولست ادري ما الذي بعثه على ابداء هذا الرأي
 فما الصلة بين ان يكون القانوني ويكون صاحب القلم ، خصوصا وان
 بعضا من اسلافه السلاطين كانوا من اصحاب القلم كأبيه السلطان سليم .
 والمعلوم انه عرف بالقانوني نسبة الى تلك القوانين التي اصدرها
 واصلح بها مرافق دولته . راجع نفس المرجع وانظر ما كتبه هيار
 عن قانوننامه في دائرة المعارف الاسلامية .

(٢) ضيا باشا - خرابات ، برنجي جلد .

(٣) ديوان محي (استانبول ١٣٠٨)

من شعر معاصريه بوضوح المعنى وقلة العناية بزخارف اللفظ،
ومن ثم فهو صورة صادقة لنفسه . وهو في شعره يبدو هادئا
الى حد الضعف ، رقيقا الى ما يشبه الخور ، وما ظنك بهذا
الغظيم الذي احب زوجته روكلانا حبا ملك عليه فؤاده ، تلك
الروسية الماكرة العظيمة السكيد ، التي زينت له ان يأمر بقتل
ولده مصطفى حتى يخلو العرش لابنها الامير سليم ، فرضخ لمشيتها
بعد ان سلبته الحول والقوة . والفرق جلي بين الرخاوة والاسى
في شعره ، والشدة والجبروت في شعر ابيه السلطان سليم مثلا .
وقد استتبع ذلك ان يكون متقلب المزاج قليل الثبات على حال
من الاحوال . فينبأ يقول (لما صورك مصور القدرة فابعد
تصويرك ، حار فيك كل وهم وهام كل خيال ، وإذا خطرت في
البستان فلا قد للسرو بجانب قدك ، وان حمر الورود لتنشق
حسدا إذا تحركت شفتاك بكلمة ، لقد خلعت لبي فبأنته كيف
اصيب جميل صفاتك ا) اذ به يخرج من هذا الشعر المشرق الجميل
الى شعر قائم كتيب فيقول (ليس على وجه البسيطة الامن يطلب
الثراء والهناءة ، ولا هناءة الا في برهة من عافية . مها كثر
اعوامك وامتد بك عمرك ، فان يبلغ ساعة من عمر هذا الفلك
الدوار ، واذا ماشئت الحياة في رغد ودعة ، فاقطع الرغبة عن

دنياك ، وان تجدد السلام كما تجده في ركن عزلتك) .
والعجب من شمس الدين سامى بك حين يورد شاهداً من
شعره ، ان لا يورد له الا بيتين من الشعر الفارسي مع ان السلطان
سليمان القانوني لم ينظم بالفارسية جديداً كالسلطان سليم ، وكان
الاحبى ان يذكر شيئاً من شعره التركي الذي جرى على كل
لسان^(١) وقد بلغ من ولوعه بالشعر ، ورغبته في استنهاض همم
الشعراء ، ان يجمعهم في مجلسه ويطلب اليهم ان يعارضوا غزلياته
بغزلياتهم ، كما كان يعارض غزلياتهم بغزلياته . وحكم ستة واربعين
عاماً ثم مات ببلاد المجر في حصار احدى المدن وكان موته عام
١٧٤ هـ (١٥٦٦ م .) وقد ورثه بنوه حب العلم والادب ، فكان
خمسة منهم يقولون الشعر ويكرمون اهله ، كالامير مصطفي ،
والامير سليم الذي عرف فيما بعد بسليم الثاني ، والامير بايزيد
المتخلص بشاهي ، وكان بايزيد منكود الطالع ، فقد قام النزاع
بينه وبين سليم على العرش ، فاحترب الاخوان ودارت الدائرة
على سليم ففر الى ايران وهناك سلم الى اعدائه وقتل . وان رنة

(١) شمس الدين سامى بك ، قاموس الاعلام دردنجي جلد .

الاسى لتتردد فى قوله (فيم اضيع للنفس بطول الامل واتلفها ،
بعد ان صد الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ، ايها القلب ، هاهى ذى
اجراس القافلة تدق ايدانا بالرحيل الى ارض العدم ، وان رنينها
ليملأ منى مسامعى . مادامت لله رحمة تدركك وانت المحزون المذنب
المسكين ، فطب نفسا وقر بذلك عينا ياشاهى .)

وتحدث بعد ذلك عن لامعى وهو شاعر نائر مغمور عند
قوم ومشهور عند غيرهم ، فقد أغفل ذكره كل مؤرخى الأدب
من الترك المحدثين الذين أشرنا إليهم ، الا مؤرخا واحداً فيما نعلم
وهو آكاه سرى ، الذى أفسح له مكانا ضيقا فى كتابه دروس
تاريخ الأدب ^(١) على حين منحه فون هامر حظا جزيلاً من
عنايته ، فخصه بمائة وأربع وسبعين صفحة من كتاب تاريخ الشعر
العثمانى ^(٢) وإن مثل هذا التناقض ليلفتنا إليه ويغرينا بالوقوف

Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, Tanzimata (١)
kadar, S. 193.

Von Hammer — Purgstall, Geschichte der (٢)
osmanischen Dichtkunst ii B
وما يوسف له جد الاسف انى
لاملك منه الا الجزء الاول والثالث والرابع وكم كان بودى ان استطلع
رأى مؤلفه فى لامعى ولكن ما كل ما يمتنى المرء يدركه .

على جليلة أمره . تقول كتب التراجم انه من أهل بروسه ،
ويعرف بمحمود بن عثمان النقاش ، نسبة إلى جده الذي كان
نقاشا رحل إلى مدينة سمرقند ليحذق فن النقش والتطريز ، ثم
عاد إلى تركيا بأول سرج مطرز . ودرس لامعى فى صباه ما كان
يدرس الفتيان من أهل زمانه ، ولما اكتمل عقله واتسع
ادراكه مال إلى التصوف فأصبح من أتباع الطريقة
النقشبندية (١) .

هذا يحمل سيرته ، أما شخصيته الأدبية فيميزها من غيرها
ان لامعى أكثر المؤلفين انتاجا ، ولا يبلغ مبلغه فى ذلك أحد
من أدباء الأتراك . وقد قال لطيفى ان مؤلفاته بعدد ساعات

(١) النقشبندية فرقة من الدراويش تنتسب الى بهاء الدين الملقب
بنقشبند المتوفى عام ٧٩١ هـ (١٣٩٠ م) ونقشبند فى الفارسية بمعنى
النقاش وفى ذلك يقول صاحب الشقائق النعمانية هؤلاء القوم يزنبون
عقولهم بالرسوم والنقوش ، وهم بنجوة من اوضاع الحياة وشروطها
فان تغرهم تلك الدنيا التى تتلون تلون الحرباء ، وقد رسم نقشبند من
العلم الالهى صورا لامثيل لها ونقش نقوشا خفية للخلق الابدى
ولذلك عرف اتباعه بالنقشبندية انظر Ikbāl Ali Shah, Islamic
Sufism (London 1933)P,99.

الليل والنهار فهي أربعة وعشرون مؤلفا ، بينما يرى منتزل أنها
 تربو على ذلك (١) وشبهه بالشاعر الفارسي الكبير جامي فعرف
 بجامي الروم ، غير أن وجه الشبه بين الشاعرين كان موضعاً
 للخلاف فيذهب لطيفي إلى أنه شبه بجامي في وفرة إنتاجه ، أما
 آكاه سري فيرى أن ترجمته لبعض منظومات جامي أكسبته اسمه .
 وإن المخالف بين ماجاء عنه في السكتب التركية والأوربية ليثير
 العجب حقاً ، فبينما يقول لطيفي (ومع كونه صاحب ديوان ،
 ومدونات لا تدخل تحت حصر ، إلا أنه لم يتوخ الأجادة كما ينبغي
 في الشعر ، وقد جره عدم التأني إلى عدم الدقة ، ومع أنه عارض
 قصة خسرو وشيرين بفرهاد نامه ، وضمنها الكثير من روائع
 الخيال والصنعة ، إلا أن ما ينسب إليه من أثر طبعه ووليد قريحته
 قليل نادر . وإجماع الفضلاء والفصحاء على أنه متعدد النواحي
 متصرف في الفنون ، ومع كل فلا ماء ولا رواء ولا روح في
 منظومه ولا في منشوره ، ومعظم ما ألف وصنف مردود إلى
 عباقرة الأقدمين مأخوذ عنهم (٢) .

بينما نرى ذلك في تذكرة لطيفي يقول جب (ويلوح أنه كرس

(١) Menzel, Encyclopedie de L'Islam (Lami)

(٢) تذكرة لطيفي ص ٢٩١ .

كل وقته وعنايته للدرس ، فداوم عليه ونبغ في الشعر نبوغا عظيما ، وان شعره ليطاول شعر باقي في الجمال والاصالة ويفوقه كثيرا في المقدار (١)

وقد ترجم لامعى عن العربية والفارسية ، ومن مترجماته المنشورة (شرف الإنسان) وهي الرسالة الحادية والعشرون من رسائل اخوان الصفاء ، ومدار الكلام فيها على أفضل الانسان ومميزه الله به من دون المخلوقات ، وهذا الكتاب أكثر مؤلفاته سيرورة واوسعها شهرة ، أما ترجمته فحرة مطلقة لا يأخذ نفسه فيها بالتزام حرفية النصوص .

كما ترجم عن الفارسية نفحات الأنس من حضرات القدس لجامى وهو كتاب كبير في تراجم الأولياء والعارفين والصالحين . وقد صدره بمقدمة قال فيها ان جماعة من اخوان الصفاء وخلان الوفاء شكر الله مساعيتهم وبشر بالخير دواعيتهم ، صساروا اليه

(١) Gibb, Ottoman Literature P. 220 (London, 1901)
ومما يذكر ، ان جب قد رجع عن رأيه وانتقض على حكمه ، لانه في كتاب آخر يقرر ان لامعى لا يعدو ان يكون مترجما مجتهدا قليل الحظ من قوة الملكة واصالة الشاعر Gibb, A History of Ottoman Poetry V, iii P. 24

ذات يوم ، وتفرقت بهم شجون الحديث حتى جاء ذكر كتاب
نفحات الانس ، فطلبوا اليه ان يترجمه إلى التركية ، ولم تجد معهم
تلك المعاذير التي اطاها رجا ان يعفوه مما لا طاقة له به ولا قدرة
له عليه . ثم حمد الله حق حمده على نصره للسلطان سليمان القانوني
ففتح قلعة بلغراد ، بعد ان عز مناهسا على كثير من الملوك
الصيد ، فإن لها من نهر الطونة سدا منيعا يحميها ، وكأنه دموع
هؤلاء الملوك الذين ارتدوا عنها منكسرين محزونين . (ثم قال
السلطان المظفر المنصور ، لا عاصم اليوم من أمر الله ، ثم فتحت
له هذه القلعة المنيعة في أدنى زمان بعون الرحمن ، وكان ذلك في
رمضان من سنة سبع وعشرين وتسعمائة ، فضمها إلى ممالكة
المحمية وشرح بذلك صدور المؤمنين بعد إذ كسر قلوب
الكافرين) (١)

ولامعى واضح العبارة سهل الأسلوب يستعمل المحسنات

(١) نفحات الانس ص ٨٧ و ٩٠ . وهذا الكتاب هو المطبوع
الوحيد الذى املكه للامعى . وقد ضاعت صفحته الاولى فاستحوالت
معرفة تاريخ طبعه . اما كتبه الاخرى فبعضها مخطوط بمكتبة جامعة
قواد الاول بالقاهرة .

اللفظية ولكن بمقدار . أما مترجماته المنظومة فيذكر منها أول ما نذكر قصة ويس ورامين ، وهي قصة فارسية قديمة نظمها الشاعر الفارسي نثر الدين كركاني وقدمها إلى عميد الدين نيشابوري وزير السلطان طغرل السلجوقي (١) . ويقال ان لامعى ظل يشناق ترجمة هذه القصة ردحا من الزمن ، ولم ينل بغيته إلا بعد أن ظفر بنسخة غنمها الترك في حملتهم على إيران ومن

(١) نثر الدين كركاني شاعر ايراني من اهل القرن الحادى عشر الميلادى ومنظومته فى تسعمائة بيت تقريباً وهى تتضمن قصة ملك مرو مع زوجته ويس . فيحكى ان ام ويس هذه كانت ملكة ميديا وكان ملك مرو يهاها وهى ذات بعل . ولما عرفت امره ، وعدته ان تزوجه ابنتها ، التى كانت حملا فى بطن أمها . ووضعت ذات الحمل حملا ، ثم اصبحت الطفلة شابة تامة الحسن ، فقسرت على زواج ملك مرو وهو شيخ كبير بعد طول تمنع وتأب ، لأنها كانت تعلم انه ابوها فصرحت بأنها لن تسعد معه فى حياة الزوجية ، وبعد الزواج كانت تخونه مع اخيه الاصغر رامين . والقصة تصور الزوج الشيخ تصويرا مضحكا مع زوجته الشابة التى وهبت قلبها حبيبها الشاب . أنظر

Paul Horn, Geschichte der persischen Litteratur S. 174
(Leipzig 1901)

ترجمة لامعى قوله (ولما انقضى النهار المنير ، طمس الظلام
الافاق ، فانسدل نقاب العنبر على جبين الكافور ، وإذا بالفلك
كصحن ملىء بالقناديل . وبقيت بعض الملاح مع الملك لتبديد
وحشته وابناس وحدته ، فكانت هذه تقبل منه اليمين ، وتلك
تعفر عند قدمه الجبين ، وكل منهن تقص عليه أحسن القصص
منادمة مسامرة ، فطاب نفسا واهتز لذلك طربا . ووقعت عينه
على مليحة منهن معسولة الثغر وردية القد ، الياسمين صدرها ،
والتفاح غبغبها ، وكان رجوع حديثها فتمات السكر ، ولها خد
يبهر الشمس لآلاء ، وإن نسبات الربيع لتستحى من طيب
نسيمها ، والعود الأرج ينكسر من غداثرها ، أما بدر السماء
فياله فراشة تنهالك على شمع وجنتها ، وإذا ما بدا شعرها جنت
شمس الضحى . وتطرب الملك ذلك الحسن فدعاها اليه ، ووضع
كأسا من ذهب في يدها وهو يقول : احورية انت ! عجبنا
لسحرك ، لقد ملسكت فؤادى وسلبت رشادى ، اتريدن الملك
أم خزائن المال ؟ انظرى حولك واطلبي ماتشتهين ، فإن ترابا
وطأته قدمك لا تمد اعينى ، وكهوز الأرض بجانبك هباء عندى)
وترجم لامعى عن جامى قصة سلامان وابسال ، تلك القصة
الصوفية الرمزية الجميلة كما ترجمها من بعد فتزجرالد إلى

الانجليزية (١) ونجزيه بهذا القدر من مترجماته لتتحدث عن مؤلفاته أو منظوماته غير المترجمة .

فمنها مقتل الامام الحسين (٢) وهي منظومة صور فيها تلك المأساة الحزينة التي هزت قلوب المسلمين عموما والشيعه خصوصا وما يروى أن منلا عرب وهو من وعاظ بروسه ، سمع يوما بهذه المنظومة ، وسامه أن تنشد في ملامن الناس ، واعتبر ذلك غضا من حرمة الحسين عليه السلام . فدعا لامعى صفوة القوم ومنهم منلا عرب ، واجتمعوا في المسجد ، ثم انشدهم من منظومته

(١) تدور القصة على الامير سلامان الذي يهوى ابسال مرضعته فيهرب معها الى جزيرة مجهولة ثم يدركه الندم ويعود الى والده الذي يستقبله . غير ان آلام الضمير تنغص عليه عيشه فيتخلص من عذابه بالقاء نفسه في النار مع ابسال . وتحترق ابسال اما هو فلا يناله سوء ، ويحزن عليها ثم يصبح مريدا لأحد الصوفية ، ويعدده الصوفى برد صاحبه عليه . غير ان قلب سلامان يرق للحب الإلهى ويكف عن الحب الارضى . أنظر ما ذكر عن هذه القصة في Field , Persian Literature P. 235.

(٢) لم يوفق باصماجيان في فهم معنى هذا العنوان لأنه ترجمه هكذا

Lieu ou Imam Houssein a été tué. Basmadjian, Essai sur l'histoire de la littérature ottomane P, 46

حتى وقع الخشوع في قلوبهم وفاضت من الدمع عيونهم ، وقد شك جب في اصالة هذه المنظومة ، غير أن البرهان أعوزه ، لأنه قال ان كثيرا من شعراء الفرس قد تناولوا هذا الموضوع وقد بجانب الصواب إذا تصدينا لتعيين ذلك الشاعر الفارسي الذي أخذ عنه لامعى (١) ووصف لامعى مدينة بروسه وضواحيها في منظومة بعنوان (شهر انكيز بروسه) وشهر انكيز في الفارسية بمعنى (مثير المدينة) وهو اسم يطلق على تلك المنظومات التي يصف فيها أصحابها مدينة من المدن بما فيها من عمائر ررياض ونساء حسان ، يثير حسنهن الهوى في قلوب أهل تلك المدينة . ومنظومة لامعى يعتبرها فون هامر احسن ما نظم في هذا الفن ، وقد ترجمت إلى الألمانية (٢)

واللامعى مناظرة الربيع والشتاء ، ومن مؤرخي الادب من يسميها مناظرة الربيع والخريف ، وهي مزيج من الشعر والنثر يتخيل الشاعر الفصول فيها ملوكا يحتربون ويتنازعون . وهذا مثال من هذه المنظومة ، وقد اورده فيكارهاوزر في منتخباته من

Gibb, A History of Ottoman Poetry V. iii P.24. (١)

Pfizmaier, Verherrlichung der Stadt Brusa (Wien 1839) (٢)

الادب التركي (١) يقول لامعى (اقبل ايها الوهان المستهام فالوقت
وقت الغرام ، واقض ساعة الوصال فى نسيم عذب للحقول ،
لقد اطل السفرجل شموسا من غصونه بعد ان انضجته الرياح
واكسبته من الالوان لون التبر ، وتدلى من الكرمه عنقود كهيئة
الثريا ، واتخذت المروج لها حلة معصفرة من الازاهير ، اما
الاشجار التى اشتعلت ذهبا فالقت على الارض من ورقاتها
قلائد العقيان) (٢)

وان هذا المثال من شعره لكاف فى الدلالة على ان لامعى
من شعراء الطبيعة المجيدىن . اما ديوانه الذى قيل عنه انه يحوى
عشرة آلاف بيت فلم اشاهده مطبوعا ولا مخطوطا . وكانت وفاة
لامعى سنة ٩٢٨ هجرية (١٥٣١ ميلادية) .

...

Wickerhauser, Deutsch-Türkische Chrestomathie(١)

(Wien 1853) S.280.

(٢) المناظرات فن شعرى عرفه الفرس عن العرب، غير ان الفرس

هم الذين سموا به وبرزوا فيه . واسدى أول من قال فى هذا الفن، وله
أربع منظومات وهى الأرض والسماء والرمح والقوس والليل والنهار
والعربى والفارسى وكانت وفاة هذا الشاعر سنة ٥٦٥ هجرية . انظر

Paul Horn, Geschichte der persischen Litteratur S.113.

وكان ذاتي شاعرا مكثارا شهر خبره في عهد ثلاثة من
السلاطين وهم بايزيد وسليم وسليمان وقد اعتبره شهاب الدين
سليمان من شعراء عهد بايزيد (١) ، والاقرب الى الصواب ان
ينسب الى عهد سليمان الذي مات فيه سنة ٩٥٣ هجرية (١٥٤٦
ميلادية) .

ولد ذاتي لأب رقيق الحال يحترف بصناعة الأحذية في
احدى المدن ، وتقبل اباه في اول الامر فأخذ عنه حرفته ، الا
انه مال الى الادب وقرض الشعر على ضالة حظله من مختلف
العلوم ، ورأى ابوه ذلك من حاله فانفذه الى استانبول لندنيا
يصيها وشهرة ينالها في حياة الشعر والادب . وكان السلطان
بايزيد الثاني على عرش آل عثمان ، فقصد ذاتي القصائد وحرر
المدائح فيه ، حتى ازلفه ذلك اليه ، كما انعقدت روابط الألفة بينه
وبين عليه القوم كالصدر الاعظم وقاضى العسكر . غير ان نفقته
كانت السكفاف وليس فيها فضل . فرأى ان يتخذ لنفسه صناعة
تدر عليه الرزق ، واختار ان يكون نجاما ينظر في النجوم ويحسب
مواقيتها ليعلم منها احوال الناس . وقبّع في دكان صغير بفناء

(١) شهاب الدين سليمان ، تاريخ أدبيات عثمانية ص ٥٩

مسجد بايزيد لياشر حرفته ويجنى قوت بومه . واصبح دكانه
ملتقى لاهل الشعر والادب ، وهؤلاء المتأدين الشداة الذين
كانوا يعرضون عليه بوا كبر شعرهم مستطلعين رأيه فيها ، واملمهم
ان يفيدوا من تصحيحه وتنقيحه . ويلوح ان الرجل لم يكن على خلق
عظيم ، فقد كان ينتحل ما يروقه من اشعارهم ويثبتها في ديوانه ،
اما اذا اعترض معترض على هذه الشناعة ، فيكان يبررها بقوله
(لست شاعرا ولن تكون مادمت لا تملك ديوانا ، اما انا فلي
ديوان لانسيان له على طول الزمان ، وإذا ما ادرجت شعرا لك
في ديوانى فسوف يخلد خلوده)

ومرت الايام فرق عظمه وضعف سمعه وشح رزقه
وساءت حاله فقضى بقية عمره في عهد سليمان وهو يشكو الجهد
والخصاصة والبلاء . وضيا باشا في (خرابات) يسميه الهاشم الكسير
القلب ولهذا اثر واضح في شعره ، فقد بعثه على ان يقول الشعر
متكسبا ، والجوعان يسد جوعته بطعام اى طعام كان .

ومع كل فلطيفي يقول عنه انه خلاق الممانى وحسان الثمانى ،
ويهجب كيف يقتدر على ذلك مثله وهو لم يتتلمذ للمعلم ولم يضرب
في العلوم بسهم ، ثم يقرر ان عبقريته ان تمكنه الا فطرية (١)

(١) تذكرة لطيفي ص ١٥٨

ويقول آكاه سرى ان الشاعر باقى اعظم من نظم القصيدة والغزل
 فى القرن السادس عشر الميلادى ، ولكن علينا ان نعتبر ذاتى
 الذى ظهر فى اوائل هذا القرن استاذا لذين الفنين من المنظوم (١)
 وقد نظم كثيرا حتى قيل ان له من القصائد والغزليات ما ليس
 لشاعر عثمانى غيره ، وهو صاحب مثنويان يعرف اولهما بشمع
 وپروانه اى الشمعة والفراشة والثانى احمد ومحمود ، عدا القصائد
 والغزليات والرباعيات . وهذا غزل له فى غلام من حلقة الحمام
 وهو واضح الدلالة على روح مرحة ورغبة فى التبسط . يقول
 ذاتى (ياله من حسن الحلقة بض المتجرد فضى الاوصال ، احنى
 الرموس امامه بماله من جمال وكال . وإذا تصاعد البخار فى الحمام ،
 فقد انتشى رأسى من بخار الغرام ، واى عجب بالله ان تجرى
 دموعى جريان المساء فى الحياض البيت جبينى موضع قدمه فى
 حمامه فالتمها والتمها)

اما قصته المنظومتان ، فلا نملك منها الا سطورا معدودة
 لا تكفى ولا تفيد فى تصورهما والحكم عليهما ، فأثرت ان اشير

Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, Tanzimata(1)
 Kadar. S 113

* * *

وكان خيالى بك شاعرا جليد القول للشعر سريع البديهة فيه .
نشأ بالاناضول ثم اصبح مريدا لشيخ من مشايخ الصوفية وهو
صبي حدث ، وقد لازم المرید شيخه ولم يفارقه فكانا يسيحان
معا على عادة الصوفية (١) حتى انتهى المطاف بهما الى استانبول .
قيل وراه قاضى المدينة مع الصوفى فكره له ذلك ، ووكل به من
ادبه فاحسن تأديبه ، ولم يمض طويل زمان حتى اظهر الفتى فى
الشعر عبقرية وبراعة ، وسمع احد العظماء بخبره وعرف منزلته فى
الادب فقدمه الى الصدر الاعظم ابراهيم باشا الذى اكرم وفادته
واعجب كل الاعجاب به ، وكان من يمن طالعه ان يوصله الصدر
الاعظم الى حضرة مولاه السلطان سليمان ، فقد جعله من ندمائه

(١) سائح الرجل سياحة ذهب فى الارض للعبادة ، ولبس أثواب
السياحة كناية عن ترك الدنيا والزهد فيها . وكان من الصوفية من
يسيح تعبدا . قيل وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فى
قوله (لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تقبل ولا سياحة فى الاسلام)
انظر ، دكتور قاسم غنى ، تاريخ تصوف در اسلام ص ٦٦ (طهران)

(٥١٣٦٢)

المقربين، واقطعه ضيعة تدر عليه رزقا حسنا، غير ان هذه الدنيا التي اصابها لم تكن لتمحو من نفسه تعاليم شيخه المتعبد المتزهّد الذي حجب اليه رفض الدنيا وزين له الاعراض عن زينتها، فلم يكن خيالي حريصا على ذلك الثراء الذي اصابه بعد العسر والحمران، فبسط يده كل البسط الى من سألته، ولم يرد من استسلفه مالا، جزيلا كان ام قليلا، وما كان خيالي ذلك الغريم الذي يطالب بحقه فيلحف في المطالبة، بل كان سمحا كريما تجرد للبهدين من العذر مالا يجرد المدين لنفسه، فأتلف بذلك ماله وخلصت وفاضه، حتى الجأته الحاجة الى اراقة ماء وجهه امام السلطان، وطلب (سنجق) او جزءا من ولاية، ليستعين على العيش، وكان له ماطلب، ولعله نال رتبة (بك) بهذه المناسبة (١)

وشعره غنائى جميل، ولم ينظم شعرا قصصيا جريا على عادة الشعراء، كما انه لم يجمع شعره في ديوان بنفسه، بل فرقه بين اصحابه، فجمعه في مجموعة كان يطيب للسلطان سليمان ان يطالعها. وقد امتدصيت خيالي الى ايران، فيقال ان الشاه طمها سب

Gibb, A History of ottoman Poetry V, iii P, 60.(١)

وهو الملك الثاني من ملوك الدولة الصفوية (١) كان يوما في بعض مجالسه ، واتفق لاحد الحضور ان استشهد بيدي خيالي يبدو فيه من هو بنفسه الى ابعد مدى فيقول (انا خيالي ، ذلك الخنير الذي يتضمن الكأس في بلاد الروم . ولقد شرب الخاقان كأسه الخنزيرية على ذكر اى في التركستان) وما نسمع الشاه طهما سب هذا الشعر حتى عرته هزة الطرب ودعا بالشراب ، فشرب على ذكرى شاعر الترك .

وان المخيلة لظاهرة شديدة الظهور في قوله (ان كلامى لدائم الدوران على لسان كل حزين ولهان واللفظ منه قصة عن عالم الهوى والفتون . هذه الدنيا دير اصنام ودمى ، ولها الخمر والالخان من عبراتى وزفرا تى (٢) لقد احدث تصاوير ماني وتهاويله ، ولكن

(١) جلس الشاه طهما سب على عرش فارس بعد ابيه الشاه اسماعيل الصفوى وكان ذلك عام ٩٣٠ هجرية . وقد بعث اليه سليمان القانونى برسالة شديدة اللهجة يتوعده فيها ويتمحش به ، فلم يرد عليه وارسل رسله الى ملك المجر وشارل السابع مقترحا عقد معاهدة دفاعية هجومية . وغزا الترك بلاده واستولوا على تبريز ، ثم اعدوا الكرة بعد اربعة اعوام . وكانت وفاته سنة ٩٨٤ هجرية

(٢) يشير خيالى الى تلك الصور المقدسة التى فى الكنائس والاديرة =

صورتك البديعة في شعري جعلت من كل بيت متحفا لمن هذا
الرسام (١) واثن حكم اليوم ملك يتخذ من الفلك عرشا له ، لقد
اصبح خيالي افرس الفرسان في حلبات الشعر والبيان)
فما اعجب ان تنقلب الاحوال بهذا الرجل الذي كان بالامس
مخطوط القدر خفي المنزلة ، حتى يفاخر السلطان ويظاوله ، وان
حاله مع السلطان في الحاضر لتذكرنا بقصة له معه في الماضي ،
فلما دخل خيالي على سليمان اول ما دخل وقعت الهيبة في نفسه
واطرق اطرافا طويلا واحتبس عليه القول في حضرة السلطان .
وقضى خيالي سنة ٩٦٤ هجرية (١٥٥٦ ميلادية)

...

وبعد خيالي ينفسح المجال امامنا للتحدث عن فضولي الذي

= و يذكر الالحان وهي تصدح اثناء الصلوات والخمر حين يشربها
المسيحيون تبركا في كنيستهم .

(١) هو ماني الفارسي صاحب المذهب المعروف بالمانوية الذي
دعا اليه في القرن الثالث الميلادي . وقد ظهر ماني في عهد الملك شاپور
الاول فقر به اليه واعتنق مذهبه عشرة اعوام ثم ارتد عنه الى
الزردشتية ، فهرب ماني الى التركستان والصين وهناك تبعه خلق كثير
ومات شاپور فعاد ماني الى ايران في عصر هرمز . ولما خلقه =

يعتبر بحق اشعر واشهر شاعر في تاريخ الأدب التركي القديم .
وهو ينتسب الى عشيرة تركانية تسمى بيات ، كما قيل انه كردي
الأصل في رواية اخرى ، والمؤرخون متضاربة اقوالهم في تحديد
مسقط رأسه ، فمن قائل انه كربلاء وقائل انه الحلة ، كما ذكر
بعضهم انه بغداد ، ومهما يكن من امر فقد قضى العمر في بغداد
وعرف بفضولى البغدادي ، وباعد ذلك بينه وبين ان يكون

== بهرام تمذهب بمذهبه ثم اضطر الى قتله مع شيعته بعد ان قويت
شوكته واستفحل امره . وقد ظهر المانوية في عهد العباسيين
واضطهدهم الخليفة المهدي . وبق هذا المذهب الى القرن الثالث عشر
الميلادي فكانه لم يدم اكثر من الف عام ، ولا يعتبر ماني نبيا بالمعنى
الواضح ، فهو حكيم لأن مذهبه تأمل فلسفى دينى . ومذهبه ماتت عدة
ثقافات وديانات اساسها الزردشتية والمسيحية ، ويتلخص في ان
الخير والشر ازيلان في هذا الوجود وهما منفصلان تمام الانفصال ،
وكل شر من اله الظلام ، اما الخير فمن اله النور . ومن تعاليمه ايضا
ان هذا للعالم شر يجب الخلاص منه .

هذا ، ويعتبر ماني كذلك رساما يضرب المثل بحذقه في الرسم ،
وله متحف يسمى ارتنك او ارزنك . واتنا لنصادف ذكره وذكر
صوره كثيرا في الشعر الفارسي . وهاهو ذا خيالي بك يذكره في
شعره التركي ويشير اليه .

تركيا عثمانيا ، فلهجته هي اللهجة الأذرية التي يتحدث بها الاتراك
من اهل اذربيجان في شمال غرب ايران ، والفرق واضح بينها
وبين اللهجة العثمانية وإن كان غير كبير . ولقد شط عليه في الحكم
كاتب تركي حين قال عن لغته انها اخلاط من كلام فاسد مغلوط (١)
وفضولي في الصفحة السادسة من مقدمة ديوانه ، يتوقع ان تقع
الفاظه وتراكيبه موقع الغرابة من بلغاه الروم وفصحاء التتار
فيطلب المعذرة .

وقد اخذ من كل فن بطرف فبلغ في العلم المبالغ ، وهو يشير
الى ذلك بقوله (الشعر من غير علم كالبنيان من غير اساس ، وما
اهون شأن مثل هذا البنيان . وإذا عرفت ان عطل شعري من
حلي العلم يزرى به ، فقد كرهت للشعر ان يكون مادة من غير
روح ، ولبثت حقيبة من الدهر ، وانا انفق ايام العمر انفاق
الدرهم في اكتساب افانين العلوم العقلية والنقلية ولقن الهندسة
والحكمة ، حتى تراخت المدة فتأتى لي ان اجعل من شعري
عروسا تزينها الدرر الغوالي) (٢)

(١) محي الدين ، يكي ادبيات (استانبول ١٣٣٤هـ) ص ٨١

(٢) ديوان فضولي ص ٤ و ٥ (استانبول ١٢٩١هـ)

أما في مقدمة ديوانه الفارسي فيجهد ثنا عن مخلصه أو اسمه
الشعري ، ويقول ان الشاعر إذا اختار له مخلصا ، فإن تطول
المدة حتى يجد ان شاعرا آخر قد اخذه عنه واصبح سمييه ، ومن
ثم آثر ان يتخذ لنفسه مخلصا لا يروق احدا ، رجاء ان لا يسلب
منه ، فتسمى بفضولي ! ثم يذكر أنه اذا اختار اسما مشتركا و اجاد
فاجادته منسوبة الى سواه وهذا ما يسوءه ، كما يظلم سمييه ان كان
غير مجيد . وكان فضولي في ريق شبابه يجلس مجلس التلميذ من
رحمة الله افندي ، واتفق له ان شاهد ابنة شيخه فخفق لها قلبه
اول خفقة وقال فيها اول قصيدة ، فأهلها وانجبت له ، وسمى ولده
فضل الله ، وقد اصبح شاعرا عرف فيما بعد بفضلي ، والمشهور
انه استبدل التشيع بالتسنن بعد هذه الزيجة ، غير ان فائق رشاد
بك يشك في صحة هذا الخبر ، وان كان لم يقطع الشك
باليقين . (١)

(١) يقول فائق رشاد ان هذه الرواية مشكوك فيها دون ان
يبرر وجهة نظره . ثم يقول ان ترجمته لكتاب في استنشاء آل البيت
اذا اتخذ دليلا على تشيعه ، فكامل مسلم يجب آل البيت يعتبر شيعيا
على ذلك . واني وان كنت لا اقطع برأي في ذلك ، اقرر ان اختيار
فضولي لترجمة كتاب شيعي يمكن ان يكون دليلا على تشيعه . راجع ،
فائق رشاد ، تاريخ ادبيات عثمانية ص ٣٠٢

وقد نجس هذا الشاعر حقه من التقدير في زمانه ، وان عرفت
افضاله فيما بعد ، ووضع المتأخرون في منزلته . وبذلك تعوض
خيرا من جحود معاصريه (١) . فأصحاب التذكرة لا يخلصونه
الا ببعض عبارات منمقة يسوقونها كلها تحدثوا عن شاعر من
الشعراء مظهرين بها تضلعهم من علوم البلاغة ، اما المحدثون من
علماء الأترك ، فاجماعهم منعقد على ان فضولي اعذب شعرائهم
نبرة واصدقهم لهجة . يقول محي الدين انه اكثر شعراء الشرق
رهاقة حسي واصالة شاعرية بكل ما تنسع له الكلمة من معنى (٢)
ويذهب شهاب الدين سليمان الى ان فضولي هو الشاعر التركي
الواحد في الادب التركي القديم الذي استمع الى خفقات قلبه
فترنم بشكواه وآلامه (٣) اما فائق رشاد فيراه نسيج وحده
ودنيا شعر وادب (٤) . واذا ما استعرضنا آراء علماء الغرب فيه
الفينا جب يقول ان السلطان سليمان القانوني قد شارك في الاعلاء

(١) محي الدين ، يكي ادبيات ص ٨١

(٢) المصدر نفسه ص ٨٢

(٣) شهاب الدين سليمان ، تاريخ ادبيات عثمانيه ص ٧٥

(٤) فائق رشاد ، تاريخ ادبيات عثمانيه ص ٣٤٦

من شأن الادب التركي يوم فتح بغداد عام ٩٤٠ هجرية (١٥٣٥ ميلادية) ، لأن فضولى اصبح بذلك معدودا من شعراء العثمانيين (١) ويقرر باصماجيان ان فضولى لم يقلد شاعرا قبله ، ومن الخطأ ان يسمى حافظ الترك ، لأنه لم يتل ولو حافظ الشيرازى امير الشعر عند الفرس ، ولقد استلهم قلبه وعبر عن عواطفه بعبارة لانعهدا عند شاعر سابق ولا لاحق (٢) اما كارادوفو فيعقب على رأى باصماجيان بقوله ان فضولى تغنى بالحب الانسانى وكان فى هذا التغنى اصدق لهجة من حافظ ، واقل عناية برسم الصور الرمزية الصوفية ، وعدم ذكره للخمر الا فى الندرة دليل على ذلك . فهو بذلك يخرج من زمرة شعراء المتصوفة والشعراء المتفلسفين ويعتبر شاعرا غنائيا غزلا . ثم يعده من المتشككين والملاحدة كهمر الخيام (٣)

ويفاضل منزل بينه وبين شاعر الترك السكبير باقى قائلا انه

Gibb, A History of ottman Poetry V. iii. P. 9. (١)

Basmadjian, Essai sur l'histoire de la littérature ottomane P. 42. (٢)

Carra de Vaux, Les Penseurs de l'Islam, (Paris (٣)
1923) V.1 P. 290

يفضله في ذاتيته وقوة شاعريته ثم يعتبره اعظم شعراء المدرسة
القديمة عند الترك (١)

وعلى ذلك ففضولي شاعر الوحي والسجية ، يقول ما يحس
ولا يتبع شعراء الفرس اسوة بجمهرة شعراء الترك ، وكان من
اثر ذلك ان امتاز بوحدة القصيد وتدفق كلامه من نبع واحد
آخذاً بعضه برقاب بعض (٢). واذا تحفظنا في الحكم قلنا ان قصائده
اقل جودة من غزلياته ، لانه يريد في القصيدة ان يتباهى بجزالة
اللفظ ورونق العبارة وهذا ما يسوق الى التعمل والتصنع ،
والضرب على تلك الاوتار القديمة التي الف الناس ان يطربوا
لانغامها ، اما في الغزل ، وهو ذلك القالب الذي يضمه الشعراء
ارق ما يتغنون به ، فقد اتى فضولي بالأعاجيب ورقم اسمه على

Menzel, Die türkische Literatur. S. 286 (١)

(٢) هذا لا يعني انه لم يتأثر بحافظ وسعدى وكاتبى من شعراء
الفرس ونوائى من شعراء الترك فقد اورد كوليچينارلى في طبعة جديدة
لديوان فضولى ، شواهد من شعره وشعرهم مشير الى ما قبس منهم. انظر
Gölpınarlı, Fuzulî Divanı S,xxxviii xlii (Istanbul 1948)
ولن يغير هذا من وصفنا لشاعريته بالاصالة . فليس يصح في الافهام
ان لا يتاثر شاعر بغيره . وما اكثرت المعانى التي الف شعراء العرب
والفرس والترك ترديدها .

جبين الدهر . وهذا الشاعر لا يصف شيئا إلا ذكر نفسه به فعبّر عما يعتلج فيها من خوالج . وقد التفت جب الى هذه الحقيقة فقرر أن مدح العظماء بالقصائد فن من فنون الشعر يتجافى عنه طبع فضولى ، اما شعر الغزليات الغنائى ، فقد اودعه قلبه وزفراته وبسماته (١) وما اجملها صورة تلك التى رسمها له شاعر من شعراء العصر الحديث فقال (فى عينه قبس من نار شمس العراق ، وفى نظره حزن واستغراق ، وللذكاء والدهاء فى ناصيته اشراق . اما ارتعاش شفته الذابلة فأغنية الفراق . وان وجهه هذا الساهم الخالم لباد فى اشعاره ، وهو وجه الاسى ووجه الهوى . انه يحب وحبه هموم وغوم ، لانشوة له ولا بهجة فيه ، واذا تحرك منه اللسان فبالشكوى . ولما جاء الى هذه الدنيا ادركه الندم المرير ورفيقه فى سفرته حورية دمعها يجرى ، لا يماشها إلا فى الخراب اليباب ، وبعينها يبكى وهو يرنو إلى السحاب) (٢)

وإن فضولى ليطالعنا من شعره على نفس موهلة وقلب وجميع فيقول (جيبى صدعنى ، والفلك والدوار لا يرحنى ، اما الزمان فكأنما اغرى بى الله فى آلامى . ما أكثر من يعادبنى وما اقل

Gibb, A History of Ottoman Poetry V. iii P.83. (١)

(٢) توفيق فكرت بك ، رباب شكسته (استانبول ١٣٢٦م) ص ٣١٠

من يسعدني ويواسيني . شائئى شديد بأسه وجدى عائر انكس ،
لى أمل ، ولما كنته ظل ليسرله من دوام ، ولى شوق ، هوشمس
ذات ضرام . نحسى فى درجات للصعود وسعدى فى دركات
للهبوط . انا الغريب فى هذه الدنيا . من سلك طريق الوصول
رصدته الحيلة والخديعة ، دهرى ختال ختار وأنا سليم دواعى
الصدر . وإذا تخطر ممشوق القوام ، فخلوته فيضى من طوفان
المحن ، أما هلالى الحاجب فكأن حاجبه أول سطر فى سجل
المجائز الممكاته فى العلم كورقة الزهرة فى مهب التكبير ، أما
تصاريق الزمان فتمكسة كخيال سروة على صفحة القدير ، سمر
الدموع تحدرت على خد شاحب فضولى ، الا فتأمل هذه
الألوان من البلاء ، التى منى بها من فلك السماء ()
غير أنه لا يدوم على هذه النعمة الحزينة الدامعة ، فقد
يغفل الدهر من غفلاته ويرد عليه ما سلب منه ، فيتغنى بفرحة
الوصول ، بعد طول الوجد والهجران (يا طيب أيام كان حسنك
فيها ملء ناظرى ولى من سراج وصلك نور يملأ عين املى ، أما
الشوق إلى قربك فيا طالما شفانى من سقامى ، والفرحة بك
اسعدت ذلك القلب المتيقن المهجور ، كانت هناك شمع منيرة ،
وانجمى فى سماء السعد مضيئة ، انال ما تصبو اليه رغبتى وقد اكتملت
بهجتى . فالعذول ساكت عنى ، والحسود بعيد منى ، كنت آدم

الذي نال حسن القبول عند اعتبارك ، وكانت الجنة ما وى ،
من كوثرها مداى ومن حورها ندمانى ، إذا رجوت فلى رجائى ،
وإذا تمنيت تحققت منيتى . كان الهجر وهما لا يخطر على قلبى
فيعكر صفوى ، مع كل ما عرف عن غدر الزمان ! فكيف إذا
جرى القضاء بأن يلقى فضولى فى حرقه الهجران ، وهو الذى
غتر بغفلات العيش فى تلك الأيام)

وشاعر ناموكل بالحسن يتبعه ، فإذا وصف الحسنة أصاب
صفاتها ، وجلاها فى صورة حية تراحمت الوانها الزاهية ، ثم
عبر عن وقع ما يرى من جمال على حسه الأدبى كشاعر ، وعاطفته
الجياشة كعاشق ، فيقول (قوامك الفضى فى الحرير ، كماء الورد
فى البلور ، وصدرك البض صفحة الغدير ، إذا زانها الموج
والحباب . يا حسنك الفتان ! لا طاقة لعين الدنيا بالنظر إلى اشراق
نوره . اما إذا تجردت من غلاتك وطرحت هذا النقب ،
فتلك فتك بأهل الأرض تجعلها يبابا ! إن قلبى الدامى ليذكر
حجلتك فى حمرتها ، وشفقتك فى عقيقتها القانى ، فتستمع له أذنك
الوردية . واحر قلباه من هذا المشط الذى يضل فى غدائرك ،
وينعم بلشمها فى تلافيفها ، ومداعبة ثناياها ، وانا عنها بعيد بعيد .
ان روحى لتأمل كندا وحسدا . يامن وجهها الورد ، تمسين فى

حمر ثيابك فتحرقيننا بالنار إحراقاً . لم تولد بعد التي هي مثلك ،
 فما للشمس ولا للقمر بعض حسنك ، فكأن لك أما من شمس
 الضحى و ابا من بدر الدجى يا قاسية على من يهواك . عينك
 بالآثم مكحلتيان ، وراحتك بالحناء مخضبتان ، مالك شبه بين الملاح
 في البهاء والرواء . حاجبك القوس ونظرتك السهم : وفضولي
 في شوق اليهما فيا عجباً لطائر يقبل عليهما ولا يفر منهما !
 ومن أوسط منظومات فضولى قصة ليلي والمجنون ، وهى
 آخر ما نظم لأن فراغه منها كان سنة ٩٦٣ هجرية (١٥٥٦ م)
 وهى السنة التى مات فيها . وهذه القصة مشهورة فى أدب الفرس
 فقد نظمها نظامى وجامى وغيرهما ، كما نظمها من شعراء الترك
 قبل فضولى بهشتى وحمدى وخيالى ومير على شيرنوائى . ومن
 عجب ان يغفل فضولى ذكر من سبقه اليها من شعراء الترك ،
 فقد ذكر فى مقدمتها سبب نظمها فقال انه كان فى مجلس انس
 مع رفقة من ظرفاء الترك ، فاقترحوا عليه ان ينظمها (قالوا
 بالله يابديع القوافى ، إلا كشفت للدنيا عن هذا السكز الخفى .
 انها قصة طالما تداولها الأعيان ، ولا وجود لها عند الأتراك .
 اسردها على حقيقتها ، واعد لهذه الروضة نضرتها)^(١)
 وهى من ٣٤٠٠ بيت ، غير أن فضولى لا يروى قصته

(١) فضولى بغدادى ، دستان ليلي ومجنون ص ٢٠

رواية تبعث في النفس الملاحة ؛ واسكنه يضمها كثيرا من رقيق
غزلياته التي يجريها على لسان أشخاص القصة ، وهذا ما يضفي
عليها لونا غنائيا جميلا ، ويخرج بها عن السر القاصي الرتيب .
ومن قول ليلى عند موتها (الآن قد اذف الرحيل ، فليبرح
الخفاء ، وليظهر السر بعد الإفشاء . لي حبيب في حسن البذور
تيمنى وادفنى ، وجرت محبته على كل سقاء وبلاء ، ياطالما حن اليه
حنيني وإن كنت لم انعم معه يوما بالوصال . الآن ارضى وفي
قلبي آثار من معسول كلامه ، وهذا نصيبي منه ، ونصيب كل من
له مثل حظي . اماه ! انت من يؤنس وحشتي ويواسيني في بليتي ،
هأنذا ازايل دار الفناء إلى دار البقاء ، فالوداع الوداع . إذا
جزعت لافتقادي ، وبكيت لموتى ثم جزت بهذه الصحراء وعجت
بتلك الديار ، فبالله إلا ما خبرته ما صنع الهوى ، وذكرته بتباريح
الجوى ، وقولى له ان ليلى في سبيك قد قصت يا ذا كرا للعهد
وباقياء على الوفاء . وإذا ما كنت مخلصا في هواك ، فعجل بالرحيل
إلى من تهواك ، لنكن سسويا ، وليسعد قلبانا حيث لا عدول
يرانا . ولما اتمت ليلى وصيتها ، مضت لطيتها ، بعد أن ذكرت
حبيبها ، واسلمت املا في وصله روحها .)

وقد حل نظمها منذ سبعة أعوام كاتب تركي هو وصفى فوجه ترك

وقال في مقدمة كتابه ان لهذه القصة قيمة ادبية وانسانية ، لأنها تصور لنا كثيرا من التقاليد والاحاسيس والشخصيات ، ففيها ام ليلى الواهبة الشكلى ، وابو قيس يموت اسى ولوعة، وابن سلام يطلب يد ليلى ، وذلك الصياد الذى يجنى قوته فى الصحراء الجرداء ، وان بكاء المجنون على قبر ايلاه ليندكر به بقية شكسبير فى تمثيلياته (١) .

ولفضولى منظومتان اخريان وهما (ساقى نامه) اى كتاب الساقى و(بنك وباده) بمعنى البنج والخمر والمنظومة الأولى بالفارسية ، فلا وجه للتحديث عنها فى هذا المقام . اما بنج وباده فمثنوى صغير يتألف من ٤٤ بيتا ، وهو مناظرة شعرية بين انواع من المخدرات والوان من الشراب ، يظهر فيها البنج والخمر كملكين متعادلين متحاربين . وقد نظم فضولى هذا المثنوى فى مطلع حياته وقدمه الى الشاه اسماعيل الصفوى اول ملوك الدولة الصفوية فى ايران وذلك أيام كانت بغداد من ممتلكاته ، وهذه المنظومة ضئيلة القيمة الأدبية ، وان كانت تاريخيا لتعاطى الخمر والمخدر فى زمان شاعرها . وفى رأى ان فضولى انما ذكر البنج والخمر على سبيل الرمز والايماء ، فأراد بالبنج السلطان بايزيد الثانى وبالخمر الشاه

Vasfi Kocatürk, Leyla ile Mecnun (Istanbul 1943) S.5. (١)

وله كتاب حديقة السعدا ، وهو ترجمة حرة عن الفارسية
لكتاب روضة الشهداء ، الذى الفه حسين واعظ الكاشفى ، وصور
فيه استشهاد الحسين وغيره من الأئمة تصويرا عاطفيا بنثر فى
مرصع بأبيات من الشعر (٢) . وفى حديقة السعدا مرثية مؤثرة
بكى فيها فضولى آل البيت ومنها قوله (لقد دبرت قتل آل العباء
ايها الفلك ، فياسوم ما صنعت ويا قبح ما اقترفت ايها الفلك . وسللت

Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri Tanzimata (٢)
Kadar. S. 133.

(٢) هو حسين واعظ الكاشفى ، الذى عاش فى كنف مير عايشير
نوائى وزير السلطان حسين بيقر التيمورى وقضى سنة ٩١٠ هجرية
(١٥٠٥ ميلادية) وحسين واعظ من اشهر كتاب النثر الفنى عند
الفرس وله عدة مؤلفات منها تفسير للقرآن ، وكتاب فى الاخلاق
يعنون اخلاق محسنى . كما ترجم كتاب كليلة ودمنة وسماء انوار
سهبلى . اما كتابه روضة الشهداء فله عند الشيعة فى ايران منزلة لا
تسامى ، فاذا احتفلوا فى المحرم من كل عام بذكرى استشهاد الحسين ،
قرأوا منه فقرات فى مجلس عزائهم ، وتسمى القراءة روضه خوانى
بمعنى قراءة الروضة ، ويعرف القارى بروضه خوان أى قارى الروضة

سيوفاً من سحاب البلاء ، لتعمل كلا منها في شهيد ايها الفلك .
واردت لحرمتهم أن تتهك ، ولعصمتهم ان يذهب بها ، وصرعتهم
فوطنهم اقدام العداة ايها الفلك . فما ادركتكم رحمة بكمبود دامية
واشباح تيم في ارض غربة ايها الفلك) .

وقد اجرى عليه السلطان سليمان راتبا ، ولما توجه الى ادارة
الارواق وطلب وظيفته ، سخر منه القائمون بالامر ولم يكثرثوا
به ، فاغضبه ذلك وكتب رسالة الى محمد نشانجي باشا متولى
الارواق ، يتظلم ويشكو ، وهى معروفة بشكايتنامه اى كتاب
الشكوى ومن قوله فيها (وحييتهم بتحية فما ردوها ، ولو كانت
رشوة لقبواها . وتقدمت اليهم بالقرار ، فما التفتوا اليه لخلوه
من شيء ينفعهم . وتظاهروا رياء بالاطاعة ، الا انهم اجابوا على
كل سؤال بلسان الحال . فقلت يا ايها الصحاب ، ما هذا التصرف
المعكوس ، و اى معنى لهذا الجفاء والعبوس ، فقالوا تلك عادة
لنا ، لا مملك المحيد عنها . قلت ولستكنهم رأوا رعايتى واجبا عليهم
فمنحونى براءة التقاعد ، لأنال بها نصيبى من الارواق وادعوا لله
للسلطان ، قالوا ايها المسكين ! لقد ظلموك ، ووهبوك ماسوف
تغدو به وتروح ، ومادمت تجادل عبثا وتشاهد وجوها تفيض
خبثا ، فلسوف تسمع من الكلام ما يؤذيك . قلت كيف لاثمققون

ما جاء في هذه البراءة ، قالوا هذه زيادة لا يمكن صرفها . قلت
وهل تخلو الاوقاف من مثلها . قالوا إذا تبقى من مال الوقف في
الاستئانة شيء فهل يتبقى شيء عندنا ؟ قلت اتلاف مال الوقف
وبيل العاقبة . قالوا شريتنا بما لنا فهو حلال لنا . قلت سيفضح
الحساب امركم . قالوا هذا الحساب في يوم الحساب . قلت في
الدنيا حساب كذلك قالوا لقد سمعنا به ولا نأبه له . ولما رأيت
اننى لم أظفر منهم الا بأجوبة على اسئلة ، وانهم لم يقضوا الى
حاجتى عملا بما جاء في براءتى ، كفتت عن السؤال والجدال ،
وشعرت باليأس والحрман فقبعت فى ركن عزلتى ، بعد ان غضبت
لما لحق البراءة من اهانة ، كما خجلت لأنى عذبتها معى من غير
طائل واستولى على شعور شاهد الزور إذا ندم على ما قال ،
والمدعى الكاذب إذا شنعوا عليه البهتان . فيالها آية مذوخة
ممنوعة العمل ، ويالى من أمة ممسوخة مقطوعة الأمل)

ولهذه الرسالة شهرة فى ادب الترك بأنها من اجود النماذج
للنثر الفنى فى العصر القديم . وهى بالتركية العثمانية لا الأذرية ،
وان تهكم فضولى المرير بموظفى الاوقاف ليضفى عليها طرافة
وجدة ، وقد علق عليها ابو الضيا توفيق ويؤخذ مما قال ان فضولى
اكتب كاتب و اشعر شاعر فى اللغة التركية لو قد اوتى من انتظام

التفكير بقدر ما أوتى من سمو الوجدان (١)
وله رسالة صغيرة بالفارسية تتألف من خمس عشرة صفحة
وعنوانها (صحت ومرض) وفيها حوار يدور بين جوارح
الجسم يستدل منه على اسباب العلل . وان مثل هذه الرسالة لتشهد
لفضولى بالامام بعلم الطب كما عرف في ايامه ، وبذلك يكون قد
برز في العلم الى جانب تبريزه في الشعر والنثر .

• • •

وكان يحبى بك آخر شاعر تحدث عنه لطيفى في تذكرة ته ،
وهو من اولئك الشعراء المشهود لهم بالإجادة . وقد اختطفه
جند الترك من بين عشيرته فى البانيا ، ليصبح جنديا من الانكشارية
وتلك كانت عادتهم فى جلب الفتيان من بلاد يفتحونها ليتأدبوا
بآداب الاسلام وينخرطوا فى سلك الجنديية . وقد قال يفخر
بقومه (انا البانى ، من قوم يمتشقون الحسام ويصرعون
الضرغام ، ويتخذون بيوتاهم فى الصخور شأن الصقور . تلك
صفة الألبانى وفضيلته ، فما أشبه بالجوهر فى ذاك الحجر)
وضرب يحبى فى العلوم بسهم حتى امتكمل اداة الشعر ،

(١) ابو الضيا توفيق - نمونه ادبيات ص ٢١ (استانبول ١٣٠٨)

ووصل اسماءه بأسباب كثير من أدباء عصره وعظمائه فاصبح
مرموق المكانة مستفيض الشهرة ، كما نال في الجديش رتبة عالية
وللجنديّة أثر في نفسه ، فهو شديد البأس صعب المراس يقول
ما عن له من غير ما خشية ولا اشفاق ، وينهض على ذلك دليلا
أنه رثى الأمير مصطفى ابن السلطان سليمان القانوني ، ذلك
الأمير المشكود الطالع الذي قتله ابوه بغير حق ، ووجرت هذه
المرثية على كل لسان فتعرض الشاعر بذلك لسخط السلطان .
وما ان علم الصدر الاعظم رستم باشا بهذه الحال - وكان شديد
السكر اهية للشعراء - حتى انهى الخبر الى سليمان ، وجه - مد ان
يستصدر منه الامر بقتل يحيى بك ، غير انه لم يجب الى رغبته .
فاسرها الصدر الأعظم في نفسه وعمد الى الحيلة ، ثم استدعى يحيى
بك الى حضرة السلطان ، وما موله ان يوقع به ويستوجب قتله
فقال له (الى اى شىء تقصد بتقبيح حكم السلطان على مصطفى
وكيف تستهجن فعله وتعلن استهجانك على الناس !) فكان من
المعية يحيى ان يقول (لقد رأينا فيه رأى السلطان وان بكيناه مع
الباكين) فاسقط في يد رستم باشا بعد انقطاع وسيلته الى تحقيق
رغبته . واكتفى باقالتة من منصبه العسكرى .
وتعرف مرثيته بالمرثية المصطفوية ، ولها في ادب الترك من

الشهرة قدر ما لها من جمال ومنها (ويلاه ويلاه ماذا دهانا ، لقد
انهار جانب من دنيانا ، بعد ما كان من زبانية الردى الذين قتلوا الامير
مصطفى ، فـكسفت شمس طلعتة ، ومنى آل عثمان بالبلاء والوبال
بما كان من لؤم وخسة واحتيال ، ان حقد الحقود واثم السكذوب
وغدر الفاجر ، ما اشعل للفراق نارا ، واستقطر من عيوننا
امطارا . فياليت هذه العيون لم تكن ولم تشاهد هول ما كان .
هو بدر السكال وبحر العلوم . ورد المنية ، واورده طالعه المشوم
موار التلف ، ان النجوم الطوالع خفقات وحرقات وبلاد الشام
والترك تفيض بالعبرات . هو ذا الشعبان الرهيب يطوق عنقه
واحر قلباه (١) فكأنه الهلة ! وقد ارتضى ماجرى القضاء به كيفها
كان . والله انه برىء الساحة ما عرف عنه من سوء ، ياله شهيدا
سعيدا وملكا مظلوما ! قتل في الأرض اتصعد روحه إلى مقرها
وتلقى محبورة وجه ربه . افسح الله له في رحمته واسكنه جنته
ودامت أيام مولانا السلطان في عز واقبال)

وهذه الموثية تعجبني غير أن خاتمها لا تعجبني ، فقد جامل
الشاعر السلطان ودعا الله له ، وهو كأب قاتل لا يستحق إلا

(١) الشعبان هو الحبل الذى شتى به على التشبيه .

دعاء الله عليه ، ولعاذر ان يعذره في مثل هذه الحال ، غير أن ذلك لا يمنع من وصف وقع شعره على حسنا الأدبي .

ولم يذكر يحيى بك الا في بعض تواريخ الأدب على ما ذكره من أهمية ، فقد كان الرجل صاحب مذهب أدبي لو قدر له أن يشيع لتغير مجرى تاريخ الأدب عند الترك ، وأصبح لشعرهم من الخصائص والسمات ما لا نعهده حتى في القرن التاسع عشر ، يوم جدد الترك أدبهم وانصرفوا عن تقليد الفرس إلى تقليد الفرنسيين . فيحيى بك أول من دعا إلى ضرورة أن يستلهم شاعر الترك روحه التركية ، ورغب عن إحتذاء الشعر الفارسي على حين تباهى شعراء عصره بترجمة آثار الفرس وأخذ معانيهم والنظم بانغتهم . فقال في منظومة يوسف وزليخا (هذا المؤلف المستظرف لي ، وتلك الدرر درر المعاني وهي من بنات خيالي ، وتلك قصة لا يذبحى أن تترجم . كلا كلا ، لا أذوق حلوى الموت !)

فنسكف عن ان يكون مترجما ، وشبه الترجمة بأكل الحلوى التي يتصدق بها أهل الميت ، وهو تشبيهه عجيب . كما ردد هذا المعنى في (كتاب أصول) فقال (انا ما ترجمت كلام غيري . وما مزجت قولي بما قال الغرباء ، فما كان لساني ترجمان الفرس ،

ولست بأكل حلوى موتاهم (١)

ويقول في خاتمة كتاب له يعرف بشاه وكدا (انه عار من ثوب العارية ، لا أثر فيه لأوضار الترجمة ، ولم آخذه عن أحد والله على ما أقول شهيد . وقد تتوارد فيه الخواطر كما يقع الحافر على الحافر)

أما آثاره المنظومة فنذكر منها أول ما نذكر قصة يوسف وزليخا ، ويقال في الباعث له على نظمها انه خرج للحج فمر ببلاد كنعان ، وهناك ذكر القصة وتحركت فيه الرغبة إلى سردها (١) . كما قيل ان مشاهدته للقاهرة التي يسميها مدينة يوسف كانت ذات أثر في ذلك (٢) وقد نظم هذه القصة أكثر من شاعر فارسي وتركى كما أسلفنا ، وكان الظن بهؤلاء الشعراء ألا يغادروا متردما لشاعرنا ، غير انه دلت على عبقريته بتناول الموضوع تناولا جديدا لانشاهده عند أحد منهم . اما أشهر منظوماته فهي (شاه وكدا) بمعنى الملك والشحاذ ، وتدور على المحبوب وهو الملك والمحب وهو الشحاذ . ويلاحظ أنه يجعل محبوبه غلاما

(١) فائق رشاد ، تاريخ ادبيات عثمانية ص ٣٣٧

(٢) Gibb, A History of Ottoman Poetry V. iii P. 125

امرد ، وهذه نقطة تحتاج إلى فضل تفسير ، فقد درج كثير من شعراء الترك على التغزل في المذكر ، وليس هذا بأثم ولا عار ، لأنه خيال لا حقيقة ، ورمز مهموس لا واقع ملموس . وذلك أن قدماء اليونان وعلى رأسهم حكميمهم أفلاطون كانوا ينظرون إلى علاقة الصداقة بين شاب وشاب نظرتهم إلى عاطفة كريمة وأصرة نبيلة . فحب الذكر للذكر حب روحى عفيف وهو أسمى من حب الذكر للأنثى الذى لا يمكن الفصل بينه وبين الشهوة ، وفي الأساطير اليونانية أمثلة للحب بين الذكران من الآلهة . ويقال ان هذا اللون من الحب ظهر أول ما ظهر فى وسط آسيا ثم فى جزيرة كريت وانتقل منها إلى اليونان (١) . ومهما يكن من شىء فنحن لانتحدث هنا عن اليونان إلا على سبيل المثال ، من غير رغبة فى الاستطراد . فهذا المعنى تحدث الترك أو معظمهم عن الغلمان فى شعرهم ، وهمهم أن يرمزوا إلى حب طاهر سماوى هو الحب الإلهى . فإذا نظرنا فى قصة الملك والشحاذ رأينا يحي بك يتحدث عن ثلة من الاخوان يأخذون بينهم بأطراف حديث الأدب ، فيمدح أحدهم فرهاد عاشق شيرين والمجنون صاحب

Tennebaum, The Riddle of Sex. P. 266.

(١)

ليلي ، غير أن يحيى يعترض عليه بقوله إن هذين العاشقين غير
مخلصين ولا صادقين في حبهما لأن كل همهما هو امتلاك المرأة ،
ثم يقترح عليه صحابه أن يكتب لهم قصة في ذلك فيحقق رغبتهم
ويستهل قصته بوصف ميدان من ميادين استانبول يعرف بآت
ميداني أو ميدان الحصان ، وفيه يجتمع الغلمان المرء . فيذكر
منهم واحداً هو (احمد) ويجعله (الملك) أو المحبوب في القصة
أما حبه أو (الشحاذ) فرجل من أهل العلم والورع والتقوى .
ويرى الشحاذ الملك في المنام . فيرحل إلى استانبول وأمله أن
يلحقه الملك بخدمته ، إلا انه لا يصادف إلا خيبة الأمل ، لأن
الحبيب يعرض عنه ولا يلتفت إليه . ثم يسمع الشحاذ هاتفا
يقول له ان كل حب على وجه الأرض بالغاً ما بالغ من الطهارة
والروحانية ، لا يعقب إلا أسفاً وندماً . فعليه أن لا يشغل القلب
إلا بالحب الإلهي . وتنتهي القصة بهذه الفسكرة . ومن قوله
(حدثينا أيتها البيغاء ^(١) باللسان الفتيق العذب ، وأذبي قلبك
في نار الهوى أذبي فان النقطة منه سفر من الأسفار ، أما الذرة

(١) تذكر البيغاء كثيراً في شعر الترك والفرس ، وتشبه بها الحسنة
لإلحاح شكلها وصوتها ، كما تستعار لكل قاص أو متكلم معسول الحديث

فشمس في رابعة النهار ، السكون والمسكان يفرقان في قطره ،
والعالمان يضلان في ذرته . بالحلب الطهور يصبح ابن آدم كآدم
المرشد الكامل المسكرم ، وبعد المذلة يسود ، فكأن الشمس
تخلق اليواقيت من أحجار سود (١) ان الهوى نور لعين العاشقين
وبراق للسالكين . عمده ملك الدنيا ، والشقي في اتراحه سعيد
في أفراحه)

وهذا المثال يدل بما لا مجال فيه للريب على أن يحكي بك يتحدث
عن الحب الصوفي دون سواه .

وله كذلك كتاب الأصول ، وهو مجموعة من الأقاويص
المنظومة تتميز بالمغزى الاخلاقي ، كأقصوصة العدل التي يجعل
فيها من السلطان مراد الأول مثلاً يسيره فيقول : (ولما وافى
الربيع تهلل وجه الأرض فكأنه قلب شرحه الإيمان . وبدت
الأشجار كطور سيناء ، وعليها من أزهارها كنور الله .
فاتقدت في مصابيحها نيران حمر ، وارتدت ملاح المرج الحلل
الخضر ، وشاء الغازي مراد أن يخرج إلى البستان . وهو ذلك

(١) يعتقد القدماء ان اليواقيت احجار سود انضجتها حرارة

الشمس .

السعيد في حياته الشهيد في عاته (١) ليشمل زينة الربيع ورونقه ،
ويتفكر في صنع الله وقدرته . فقطف أحد عبداً نه زهرة حمراء
قدمها إليه ، فقال ويحك اقبض يدك عنى ، لقد كنت سبياً في
هلاكها ، يا أسقى عليها . كانت تسمي بحمد الرحمن ، فأسكتها عن
التسبيح أيها الشيطان ، إنما مثل الملك العادل لهذه الدنيا كفصل
الربيع ، ذلك الفصل الذى تبسم فيه السكائنات ، ويغمر الصفاء
كل الجنبات)

فالشاعر في مثل هذه الأقصوصة إنما يقصد إلى ذكر العدل
بالات ، أما وصف جمال الربيع وما وقع للسلطان مراد مع
عبده فأشبهه شىء بحاشية على متن واطار يمسك الصورة . ومات
يحيى بك عن سن عالية سنة ٩٩٠ هجرية (١٥٨٢ م) .

• • •

أما أعلى الشعراء قدرا وارفهم منزلة في عهد سليمان القانوني
فبناقي المولود سنة ٩٢٢ هجرية (١٥٢٦ ميلادية) والمتوفى سنة
١٠٠٨ هـ (١٦٠٠ م) . كان أبوه مؤذنا بجامعة الفناح لا يجد
إلا السكفاف من الرزق ، فوجد حاجة ولده إلى حرفة يستعين

(١) هو السلطان مراد الاول الذى قتل في بلاد الصرب عام ١٣٨٩ م .

على العيش بها ، فارسله إلى من علمه السراجة ، وصنع باقى
السروج ، غير أنه آنس فى نفسه شوقا إلى العلم والأدب ،
فاسترسل على سجيته واصاب من المعارف ماشاء الله ان يصيب ،
وتردد على حانوت الشاعر ذاتى الذى كان يشتغل فيه بالنجامة ،
ويجعل منه منتدى للمتأدبين يتناقلون فيه الأخبار ويتناشدون
الأشعار ، ويعرضون على صاحبه ماجادت به قرائحهم مستطلعين
رأيه ويروى أن باقى دفع مرة إلى ذاتى رقعة تتضمن غزلا
جميلا له ، فلك الشعر عليه اعجاباه ولم يصدق أن يكون لغتى
فى حدائة سن باقى ، ثم التفت اليه وقبح انتحال الشعر وحذره
منه ، بيد أن باقى أكد له ابوته للشعر ، واتاه بساطان مبين حين
أحسن الأجابة على كل سؤال وجهه اليه وهو يختبره فى الشعر
والأدب ، وأصبح باقى منذئذ تلميذا لذاتى يعترف من بحره ويقر
بفضله . ودارت الأيام وبلغ باقى مبلغ الرجال فغزر علمه
واتسعت مداركه ونال نصيب كل مجتهد ، وعين قاضيا لمكة
وقاضيا لاستانبول ، ثم أصبح قاضى عسكر الأناضول وقاضى
عسكر الروم ايلي ، وكانت سنة قد انافت على السبعين فاعتزل .
وعاصر باقى اربعة من السلاطين وهم سليمان القانونى وسليم
الثانى ومراد الثالث ومحمد الثالث . ومامنهم إلا من عرف له

قدره وعظيم منزلته . وكان الرجل محسدا شـ أن كل ذى نعمة
وناله من حساده شر عظيم ، فيقال انهم دسوا عليه بيتا لشاعر
يسمى نامى بعد أن تناولوه بالتبديل والمسوخ ، وغرضهم من
ذلك أن يلقوا به إلى التهلكة ، فانهوا إلى السلطان مراد الثالث
ان باقى يقول (ان سكيرنا الذى مالت برأسه الصهباء فى وليمة
الفناء ، تخير من ذلك المغرور الشقى فى احضان الثراء) وظن
مراد ان الشاعر يعرض باييه سليم الثانى وكان شريب خمر (١) ،
فاستشاط غضبا وعزله عن القضاء ثم امر بنفيه كما جاء فى بعض
الروايات . غير ان الله لم يخز الشاعر فسرعان ما عثر على اصل البيت
المنحول فى مجموعة لشعر نامى (٢) ، واخبر السلطان مراد بحقيقة

-
- (١) هو السلطان سليم الثانى المتوفى سنة ١٥٨٢م (١٥٧٤م) ولقبه
(مست) بمعنى السكران فى الفارسية ، ويقال انه اباح شرب الخمر
وبيعها علانية يوم جلس على العرش وكان سلفه سليمان القانونى قد
حرم ذلك على الناس ومنعه منعاً باتاً . وقد تمك به اهل عصره فقالوا
(اين نذهب لنجد خمرنا ، إلى المفتى نذهب أم إلى القاضى) ويروى
ان السكروم التى اشتهرت بها جزيرة قبرس ورغبتة فى فتحها .
(٢) هو شاعر مغمور ضعيف الشأن . اما البيت فهو (يكفيننا
من نعم الدنيا الماء والحب ، ومن القصور المنيفة كوخنا الحرب)

الأمر فاصدر عفوه عن باقي . وقد ساء شيخ الاسلام بوستان
زاده محمد افندى مثل قوله (انا لا اعرف يوسف الحسن ولكنى
اعرفك يا بارع الجمال) وكاد ينسبه الى الكفر (١)

غير ان شيخ الاسلام صنع الله افندى صلى على جثمانه في
جامع الفاتح وذكر قوله في بعض غزلياته (سيعرف الخلان
قدرك يا باقى إذا وقفوا عليك صفا صفا وايديهم على صدورهم)
وكان باقى مسنون الوجه شديد السمرة ، فشبهه احد خصومه
من الشعراء بالغراب وعرف (بقارغه باقى) وان هذا اللقب
ليذكرنا بقصة له مستملحة مع احدى النساء . فقد اهدى اليه
السلطان سليمان جارية اديبة تسمى (طوطى) بمعنى الببغاء ، وانتهى
خبر هذا الى صديق من اصدقاء باقى هو الشاعر نوعى ، واحب

(١) لقد اشتط الشاعر في التعبير ، وان كان غرضه انه لم يشاهد
يوسف الصديق وليس غرضه انكار المعرفة به عليه السلام . ويقول
معلم ناجى في كتابه (عثمانلى شاعرلى) ان شيخ الاسلام غضب وكاد
يعلم كفره . اما كوپر بلى زاده محمد فؤاد وشهاب الدين سليمان فيذهبان
في كتابهما (يكى عثمانلى تاريخ ادبىاتى) الى ان شيخ الاسلام اعلن
كفره ، ونجا الشاعر من عقوبة القتل ولم يكذب .

ان يزف اليه التهنئة على تلك المنحة السلطانية التي لا تتطلع الآمال
الى اعظم منها ، كما شاء ان يمازحه لدعابة كانت بينهما فقال له
(ليهنك انك قارنت البيغاء) فقال (على رسلك يا أخى لمكى
لا تعلقو كثيرا فى طيرانها ، انها غراب) (١) وسمعت طوطى بما
وقع بين الشعاعين ، فعمدت الى بيت لنوعى وحورت فيه فاذا
هو (ولما وجد الغراب نفسه بختة مع البيغاء ، شكامر الشكوى
فيا عجباً كل العجب !)

هذا يحمل سيرته ، اما منزلته الأدبية ، فأرى ان يكون
تصورها باستعراض آراء الشعراء والعلماء فيها ، مع الاستدراك

(١) يشير الشاعران هنا الى قصة فى كتاب كلستان للشاعر الفارسى
سعدى ، وخواها ان بيغاء وضعت فى قفص مع غراب ، فتأذت
بقبحه وقالت فى نفسها ماهذه الطلعة القبيحة والهيمية المقيمة ، يا غراب
البين ياليت بينى وبينك بعد ما بين المشرقين . واعجب من ذلك ان
الغراب على قبحه ضاق بمجاورة البيغاء على حسنها ، فشكاه من تقلبات
الزمان ، وتمنى ان يتبختر مع غراب مثله على جدار بستان . ثم يقول
سعدى انه ضرب هذا المثل ليهين ان العالم ينفر من الجاهل ، بقدر
ما يستوحش الجاهل من العالم . كلستان سعدى ص ٤٩ ، كليات سعدى
(بمبى ١٣٣٥ هـ)

إذا انفسح المجال لاستدراك ، ومن حتى وواجب بعد ذلك
ان اصرح برأيي . ولنا ان نبدأ بقول باقى عن نفسه (لقد تعلم
الغزل شعراء الروم ، يوم تغزل باقى فى عين غزال له يهواه)
وقوله ايضا (انا ملك الكلام فى هذا الزمان ، فقدم الشعر الى
قصائده وغزلياته)

وباقى هنا انما يجرى على عادة بعض الشعراء فى الفخر بأفئدتهم
وقلما اقر انسان بعبية ، والذى اراه ان فضولى كان ارق منه غزلا ،
اما ان كان يعنى شعره فى الغزليات ، فقد قرر فون هامر انه فى
غزلياته اقل اجادة منه فى قصائده (١) . ويقول عنه الشاعر
نفعى (الا بذكر كلام باقى يدوم اسم سليمان ويبقى الى يوم بيعشون ،
فانما كلامه ماء الحياة) وقد ذكر الشاعر نديم ثلاثة من الشعراء
فى قوله (ان نفعى فارس الميدان فى قصائده ، غير انه لا يتعلق
بغبار باقى ولا يحيى فى غزلياته) وما يجرى هذا المجرى فى مدح
باقى قول الشاعر ثابت (من قال ان باقى نقاد ، اصاب شاكلة
الصواب وانصف ، ولو كانت افكارنا من لجين ، لما كانت اشعاره
الادراهم الفضة !)

فهذه الأشعار لا يخرج معظمها عن كونه كلاما براقا رنانا لا يفيدنا

Joseph Von Hammer, Bak's Diwan (Wien 1828) S. 13 (١)

في تعرف شاعرية باقى الا اقل فائدة ، وان دل دلالة واضحة
على اتساع شهرته في عصره ، وان الشهرة وحدها لا تصلح مقياسا
للاجادة على الدوام . وقد مر بنا ان فضولى كان مغمورا ولم
يعرف فضله الا في زمان متأخر .

اما كتاب (تذكرة الشعراء) الذين عاصروه ، فلم يذكره
بعبارات التمجيد وصفات المدح التي افرغوها على غيره ، ويعزى
هذا الى انهم انما عرفوه في اول امره قبل ان يصبح شيخ
الشعراء وبعد من اعيان البيان . وإذا ما نظرنا في كتب المتأخرين
من اصحاب التذكرة ، رأينا منهم من ينسب اليه الآيات والمعجزات
كمحمد توفيق^(١) الذي قال عنه انه سيد شعراء الروم . وجعل
عنوان الفصل الذي عقده عنه (مولانا باقى ملك الشعراء في عصره) .
أما مؤرخو الأدب التركي من الأتراك ، فبعضهم يعتبره
اعظم شعراء عصره ولا يتحدث عنه الامادحا ، وبعضهم يذكر
ماله وما عليه ويوازن بينه وبين فضولى مترددا في الاقرار
بامارة الشعراء لاحدهما . فضيا باشا مثلا يقول في مقدمة كتابه
(خرابات) إن الشعر التركي القديم اصبح له كيان بفضله فهذا

(١) محمد توفيق ، قافله شعرا (استانبول ١٢٩٠هـ) ص ٥٦

الشاعر جدير بأن يعتبر رائد التجديد (١) ويجعله كوبريلي زاده محمد فؤاد اول شعراء دور الكمال ثم يقول انه خير من يمثل الحالة الروحية لعصره ، ومن ثم وجب اعتباره من ساهموا في انشاء الأدب وتهذيب اللغة (٢) ولما تحدث عنه فائق رشاد في كتابه (تاريخ الآداب العثمانية) قال انه سلطان شعراء عصره ، وقد اقترن اسمه بالتبجيل وذكر بالحسنى على مر العصور (٣) ويذهب اكرم بك في كتاب له بعنوان (بعض الشعراء الاقدمين) إلى أن باقى جدير بأن يعد من المجددين فى الشعر التركى لأن شعراء الترك قبله كانوا يشدون الالفاظ ويضغظونها كأنها من مطاط ، حتى توافق أوزان الشعر ، فخلا شعراهم من البهاء والرواء . وشعر باقى براء من هذا العيب . ثم يقول ان غزلياته غنائية فى جملتها ، وعلى ذلك فهو عند الترك كحافظ الشيرازى عند الفرس (٤) .

(١) ضيا باشا . خرابات (استانبول ١٢٩١) ربحى جلد .

(٢) كوبريلي زاده محمد فؤاد - شهاب الدين سليمان ، يكي عثمانلى

تاريخ ادبىاتى ص ٣١٢ .

(٣) فائق رشاد ، تاريخ ادبىات عثمانيه ص ٢٧٧

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٨٥

وقد خصه معلم ناجي باحدى عشرة صفحة من كتابه (الشعراء العثمانيون) وقال ان الامالة في شعره أكثر من الزحاف . والغلط نادر ، وقد يشاهد عدم الارتباط كذلك اما استعماله لبعض كلمات وتعبيرات قديمة فليس موضعاً للتجريح ، بل ان سعيه إلى التقليل منها في زمانه ايمستحق الشكران ، وقد يأتي حين من الدهر يعتبر فيه اخلافنا الفاضلنا وتراكيننا قديمة بالية (١) ويقول آكاه سرى ان أهم مزية لباقي هو اقتداره على التصرف في اللغة التركية، وتقديمها الينا عالية خالية من كل شائبة . وهو متميز بسلاسة الأسلوب ورنين العبارة كما أنه اول من ادخل لهجة استانبول في الأدب التركي . ولم يكن لباقي أى ولوع بالتصوف وفلسفة وحدة الوجود ، ولا أثر في شعره للجذبات الدينية ، وقد خلا ديوانه حتى من المناجاة والتوحيد والنعمة ، وغير ذلك من موضوعات دينية لانعدامها عند كل شاعر تركى . أما ديوانه فيتألف من قصائد قالها في مدح السلاطين والوزراء ومرثية أو مرثيتين وغزليات . وبقى رجل واقعى وشاعر ذواقة وفنان قدير (٢) وآخر من نستطلع رأيه فى باقى من مؤرخى الترك ،

(١) معلم ناجى ، عثمانى شاعر لرى (استانبول ١٣٠٧ هـ) ص ٢٥

(٢) Agah Sirri, Edebyat Tarihi Dersleri, Tanzimata (٢) Kadar, (Istanbul 1936) S. 143.

محي الدين الذي لم يذهب في تمجيده مذهب القدماء ، وإنما نظر في شعره حق النظر فقال انه لم يكن من عباقرة الفكر والروح ، وقد عنى أكثر ما عنى بالشكل والصورة ، وجهد ان ينظم شعرا متسقا جفزه ذلك إلى التلاعب بالألفاظ على عادة الشعراء في زمانه ، ومع هذا ينبغي اعتباره اول شاعر عثماني عظيم لفصاحة اللغة في شعره ، غير ان روحه الأدبية لم تكن سر عظمته . فإرفعه إلى تلك المنزلة السامية التي بلغها إلا عصر السلطان سليمان القانوني (١)

ومن تسمية القول أن نأنس برأى علماء الغرب فيه بعد أن عرفنا منزلته عند علماء الترك . ولنبدأ بالعالم النمساوي فون هامر الذي ترجم ديوانه إلى الألمانية وصدره بمقدمة قال فيها ان حافظ الشيرازي وجد منافسا له في سلمان ساوجي (٢) كما ساجل المتنبى

(١) محي الدين ، يكي ادبيات (استانبول ١٣٣٠هـ) ص ٩٢ و ٩١
(٢) هو الشاعر الفارسي سلمان ساوجي المتوفى سنة ٧٧٨هـ . كان مجيدا مبرزاً في الغزل والتشبيب ، وقد تطلع إليه حافظ الشيرازي وتلا تلوته في كثير من غزلياته . انظر رضا زاده شفق ، تاريخ ادبيات ايران (طهران ١٣٢١ ش) ص ٣٢٥

كل من أبي تمام والبحترى ، أما باقى فلامنافس له ولا مساجل (١)
وقد اعتبره أعظم شعراء الترك وقال فى الصفحة الخامسة عشرة
من مقدمة ديوانه ، إن له اربع عشرة قصيدة ومائتى
غزل واربعة . ويرى جب ان فون هامر انما ذكر هذا
لاعتماده على نسخة ناقصة لاتحوى إلا نصف شعر باقى أو
اقل (٨) ويرى باهماجيان ان باقى كان ملك الشعر الغنائى فى رأى
معاصريه ، الا أن النقاد المتأخرين خلعوا هذا اللقب على فضولى
فبما بعد (٣) ، ثم يقول ان باقى اكمل فنا من فضولى والطف ذوقا ،
وان كان اقل منه حساسية واضعف شاعرية ، اما جب فيقول
ان باقى شاعر يقلد شعراء الفرس وفى طليعتهم حافظ الشيرازى
غير أنه متين السبك ، ولا نظير له فى جودة العبارة بين
المتقدمين والمتأخرين ، ثم يقول ان معاصريه نظروا اليه كأمر
للشعراء على حين صرح المحدثون بأنه لم يكن سوى مجدد فى اللغة
والشعر . ولو كان جب من اهل ايامنا هذه لاقتنع برأى محي الدين

Joseph Von Hammer, Baki's Diwan (Wien 1825) S.5 (١)

Gibb, A History of Ottoman Poetry V. iii P.147. (٢)

Basmadjian, Essai sur L'histoire de la littérature (٣)

ottomane (Paris 1910) P. 96

وآكاه سرى اللذين غضا من شاعريته وعبقريته ، ولم يقتصر على ذكر لغته واسلوبه كما صنع من سبقهم من نقاد الأترك ، ثم يعلل جب اختلاف رأى القدماء والمحدثين فى باقى ، بأن القدماء كانوا يحكمون على الشعر بالجودة مادام جيد اللفظ ، أما المحدثون فاعظم منهم عناية بروح المعانى (١) . وهذا حسبان جائز . وان كنا نجد شيئا من الغضاضة فى اعتبار فون هامر من هؤلاء المتعلقين بروق اللفظ دون سواه . فنعلم بدورنا اعجابهم الشديد به وتمجيده العظيم له ، بأنه ترجم ديوانه ، فليس عجيبا ان يحب العالم النسوى كل عظمة ومجد لشاعره التركى . ومنزل يصرح برأيه فيقول ان العثمانيين يلقبون باقى بالخان والخانقان والسلطان لجمال اسلوبه الا ان فضولى يفضله كثيرا بقوة الملمكة واصالة الشاعرية (٢)

فيؤخذ من كل تلك الآراء فى باقى ، ان باقى امير الشعر التركى عند الأقدمين ، غير ان فضولى يزاحمه على هذا اللقب عند المحدثين . وان هذه النتيجة لتحدونا على النظر فى مقدمتها ، فالشعر لفظ ومعنى والشاعر الشاعر هو المجد فيهما جميعا ولكن لا جناح

Gibb, A History of Ottoman Poetry V.iii P.144.145(١)

Menzel, Die türkische Literatur, S. 289. (٢)

على فضولى ان يتحدث بلسان قومه ، ولا يعيب لغته الأذرية ان
تكون غريبة في استانبول . اما الا يبلغ في المدح مبلغ باقى ،
فدليل على انه الشاعر بحق الذى لا يقول الا ما جاشت به نفسه .
ثم ان فضولى اكثر فنونا من باقى لأنه نظم قصة ليلي والمجنون
وله ديوان بالفارسية ، ومثنوى آخر بالتركية عدا مؤلفاته النثرية
على حين نظم باقى قصائد وغزليات وترجم عن العربية بمجموعة
من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذا كل ما جادت به
قريحته ، وعلى ذلك فكثير فضولى خير من قليل باقى .

ومن قول باقى فى مدح السلطان سليمان القانونى (وقب
لليل ، وازدانت للسماء شرفات بنجوم مشرقا ، وبدا القمر ،
فيا له مشعلا بين كواكب لا تحصى . وتالألات المجرة فى الفضاء فما
اشبهها بطريق لاجب . فرنت عين العبرة ، والقمت الروح السمع
للـكشـف عن سر مكنون . فاذا هذا البهاء منحة منحها اليمين والاقبال
فى دولة مالك الدنيا ، ذلك المتربع على عرش ذوى التيجان ،
جمشيد اللهو والصبوة (١) ، دارا سوح الوغى (٢) كسرى العدل

(١) جمشيد ملك من ملوك الفرس فى العهد الخرافى ، وهو فى
الشعر مضرب المثل فى حب اللهو والشراب .

(٢) هو الملك دارا من ملوك الدولة السكيانية وقد اتسع فى

والرحمة ، اسكندر الزمان وسلطان الشرق والغرب والبحر والبر
 وصاحب هذا الدهر . ان كان العدل ميدانا فهو فارسه ، وعلى
 الملوك ان يسيروا امام فرسه ، انه رب السباحة والندی . وما في
 بطن الأرض من جوهر وما في قاع البحر من اؤلؤ ، الطاف على
 خوان جوده . الربيع عطار ، وهو في شوق الى عطر خلقه
 والخريف عظيم المال الا انه في حاجة منه الى نوال^(١)
 فهذا شعر لاروح فيه ، ومبالغاته تبعث في النفس الملاحة ،
 وذكر اسماء ملوك الفرس برهان قاطع على تأثر باقي أدب الفرس .
 وهذه المدحة مثال لشعر المديح الذي يردد فيه الشعراء تلك المعاني
 التي قلما يجدون عنها حولا . غير ان باقي يرق في بعض غزلياته
 فيقول (روحى من هواك كالتأى إذا نفخ فيه ، آه من آلام قلب
 لا حبيب له يواسيه ، ليت اسياف لحظك مزقتنى تمزيقا كأنها
 أسنان المشط (٢) ، في سبيل ان اسعد مثله بغدائك ! وانما مثل

== الفتوح وكانت مصر والهند من البلاد التي فتحها .

(١) يشبه الخريف برجل غنى ينثر الذهب ، لأن الأوراق الصفراء
 تتساقط فيه من اشجارها .

(٢) الشاعر هنا يتخيل اسياف اللحظ المشرعة مشطا ، ويفيط
 المشط إذا جال في شعر الحبيب .

الكائنات في بحر حبيك ، كحفنة من غشاء على امواج الدأماء ،
والعاقل العاقل من لم تغره الدنيا بزخرها ومتاعها ، فما اسرع
الافلاك في دورانها ، وما اقصر عمر هذا الانسان ، فلا تحزن
يا باقى لما تلقاه فتلك شيمة الزمان . ونصيب الأشواك ورود
تجاوزها ، اما نصيب البلايل فاقفاص تحبس فيها)

اما احسن ما قال باقى فتلك المراثية التي رثي بها السلطان سليمان
ويعتبرها فون هامر اجمل مراثية في الشعر التركي (١) ويقول جب
لو ان شعر باقى كان في مستوى هذه المراثية لاعتبر من اعظم
شعراء العالم (٢) . وفيها يقول (انت يامن تنشد الصيت البعيد
وتطلب المجد التليد ، فاصبحت من حرصك هذا في القيود ، الام
بزخرف الدنيا تعلقك ، وحتام على متاعها تهالكك ؟ لا بد للحمرة
في خد زهرات الربيع من صفرة كورقات الخريف ، ولا بد من
ان يكون مقرك الاخير كهذه الثمالة التي تلقى ، وذلك التراب الذي
ينفض ، ولسوف يصدع الزمان كما سا تدار على الندامى فيتصدع
الشمع الجميع . اما آن لعين ان تسمع عنها نعاس الغفلة . اليس

Joseph Von Hammer, Baki's Diwan (Wien 1828) (١)
S. 13.

Gibb, A History of Ottoman Poetry, V. iii P. 146 (٢)

لك عبرة في حكم الزمان على سيد الحكام وفقى النتيان وفارس
الميدان ، راكب الأغر المحجل الذي كانت الدنيا على اتساع رقعتها
مسيبها له يجول فيه ويصول ، ويعدو ملء فوجه شامخاً برأسه
ذلك الذي رفع السيف الحسام الملتمع ، فانخفضت امامه رموس
المجر ، وعرف الفرنجة من خبره ما عرفوا . لقد جعل وجهه في
التراب كورقة الوردة فتسلم خازن الأرض جوهره . كانت ادنى
عطاياها تجعل من فقير وقير غنيا مليا ، هو كريم الكرام وعظيم
الحكام . وعلى اعتابه كان الشعراء والعلماء يرقبون مناهم لا تحسبونه
ضاق ذرعا بجدنان هذا الفلك الخؤون ، لقد كان خروجه عن
ملكه وزهده في عزه ومجده تقربا منه لرب العالمين واختيارا
لجواره) .

فباقي يصف سليمان القانوني بالعظمة في سلمه وحر به ، بعد
ذم الزمان على عادة الشعراء في مراثيمهم ، غير انه يلتفت الى نفسه
فيعبر عن وجدده به ، ثم يطلب الى الكون ان يشركه في بثه واساه
فيقول (كأن سحائب الربيع حزنتم لموتكم مثلي وامتنع قرارها
فهامت في الآفاق تدرى ادمعها لها ، فلتندبك اطيوار السحر ، ولتنح
عليك وتملا الدنيا نواحا ، ولتشرق ازهار الروض جيوبها الى جانب
الهمزار ذى الحنين والرنين ، وإذا ماتناوح الزهر في مآتمك فليبك

ما شاء الله ان ييگی اما الجبال فلتنحدر دموعها على سفوحها. ايها القلب ، انت من يسعدنى وعلى بلواى يعينى ، تعال نرفع من صوتنا ما يرفع الناي من صوته ، وليسر بثنائى نفوس المحزونين
من امثالنا)

وباقى بعد ذلك يذكر مية السلطان ويصورها تصوير اشعريا عاطفيا جميلا بقوله (لقد تنفس الفجر وانصدع عمود الصبح فهل لسلطان السلاطين يقظة من رقدته او خروج كعادته من خيمته ، تلك الخيمة التى كان يزينها ما يزين قبة السماء ؟ لقد وقفنا وطال وقوفنا ، وامتد الى طريقه بصرنا ، غير انه ارتد حسيرا ليلا ، فلم نشاهد له اثرا ولم نسمع عن موكبهِ العظيم خبرا . ويلاه ان هناك مشواه وقد يدست شفتاه وذبل خداه)

وان الفرق لبين بين كمال باشا زاده فى رثائه للسلطان سليم وبين باقى ، فالأول يرثى السلطان رثاء رسميا تفرضه المناسبة فرضا أما الثانى فلا يغفل التحدث عن نفسه وتصوير وجدانه ، فكانت مرثية كاملة عامرة .

ولنا أن نعتبر تاريخ وفاة باقى ، فاتحة عهد يمتد قرنا من الزمان ويتميز تميزا واضحا بشفاق سوق الأدب الفارسى فيه ، فما ينبغى الاشارة اليه ، ان شعراء الترك قبل هذا العهد كانوا يتناولون

المادة التركیة بالطريقة الفارسیة ، اما إبانئذ فاقبلوا اقبالا شديدا على التباهى بثقافتهم الفارسیة العالیة ، وانصرفوا عن التركیات الى الفارسیات ، فافعموا لغتهم التركیة بكثیر من الالفاظ الفارسیة ، وكان من أثر ذلك ان تبرقشت عبارتها واشرفت ديباجتها وورقت حواشيتها ، غير ان هذا الرواء لم يكن خيرا محضا ، لأن التركیة أصبحت بذلك لغة تستبهم على عقول السواد ، ولا يفهمها الا قوم من الخواص يكتبون وينظمون لأنفسهم دون سواهم ، فما كانت فارسیة لا ولا تركیة (١) وفي ذلك يقول شمس الدين سامی بك وهو عالم لغوى من أهل المدرسة الحديثة . (لقد اعتدنا على ادبنا المعاصر فإنه يلوح لنا طبعيا موافقا . ونحن إذا ما عمدنا إلى نص لويسی (٢) او تركسی (٣) ، او رسالة لفريدون (٤) ، ثم قرأنا

(١) Menzel, Die türkische Literatur, S. 289, 290

(٢) هو ویسی المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٧ م) . ولى القضاء سبع مرات وكان شاعرا كاتبا ، ونثره افضل من نظمه الا ان لغته التركیة كثیرة الالفاظ والعبارات الفارسیة والعربیة فلا يفهما من الترك الا اعلام ثقافة وأوسعهم علما .

(٣) كاتب شاعر خطاط توفى سنة ١٠٤٤ هـ (١٦٣٤ م) . وشهرته

بنثره اعظم من شهرته بشعره .

(٤) هو فريدون بك الشاعر الاديب الخطاط صاحب منشآت =

شيئا من ذلك على تركي لا يحنق العربية ولا الفارسية ، أو سيدة
اصابت من العلم حضا ، او فارسى يجيد لغته ، او عربى واسع العلم
بالعربية ، وجدنا انهم جميعا لا يفقهون شيئا مما تلونا عليهم . ويؤخذ
من هذا ان تلك السكتب لم تسكتب بالتركية ولا الفارسية ولا
العربية . ولقد درج الناس على القول بان لغة العثمانيين تتألف
من ثلاث لغات ، هي العربية والفارسية والتركية)

هذا هو شعر ذلك العهد من حيث صورته ومبناه ، اما اذا
عرضنا بالوصف لغرضه ومعناه ، فالذى يتبين لنا ، ان ركودا
نسبيا طرأ عليه طوال ثلاثين السنة التى اعقبت موت السلطان
سليمان ، فكان صدق العاطفة يعوز معظم الشعراء ، وان تمت
اداتهم و حسن تعبيرهم ، كما سيطرت النزعة الدينية صوفية وغير
صوفية على شعرهم اكثر من ذى قبل ، وظهرت عناية الشعراء
بقصائدهم ظهورا واضحا حتى بلغت القصيدة غاية الاتقان لدى
بعضهم . ويعزى هذا الاقبال على نظم القصائد فى رأى جب الى
ظهور عرفى الشيرازى فى ايران ، ذلك الشاعر الفارسى الذى نظم

== السلاطين ذلك الكتاب المعروف فى الادب التركى بصعوبة
الاسلوب وزخرفة العبارة ، توفى سنة ٩٩١ هـ (١٥٨٣ م) .

القصاصد الرنانة ، ونظر شعراء الترك الى شعره كمثل يحتذى ،
ففقوا على آثاره (١) . اما المثنويات فزهد فيها ورغب عنها ، ولم
يعالج نظمها الا الاقلون على مر الزمان ، فامتنع شعراء الترك عن
تقليد الفرس في مثنوياتهم المطولة ، ويلحظ ان هذه المثنويات القليلة
كان اغلبها اخلاقيا او تعليميا لا قصصيا . وفي عهد السلطان مراد
الرابع نظم الشعراء مثنويا قصيرا يقال له ساقى فامه اى كتاب
الساقى ، وقد اخذوا هذه المثنويات عن الفرس الذين كانوا يتغنون

(١) هو عرفى الشيرازى ، الذى استفاضت شهرته فى عهد الدولة
الصفوية بايران ، وإن كان قد نال مجده الادبى فى الهند . رحل الى
الهند فى شباب سنه على عادة كثير من شعراء الفرس فى ذلك الزمان
واصبح من اصحاب المنزلة عند السلطان المغولى اكبر ، وله خمس
منظومات قصصية عدا ديوان وتركيب بند ورسالة منشورة فى التصوف
وشعره كثير البديع براق اللفظ كشعر أولئك الفرس الذين رحلوا
الى الهند واتخذوها دار اقامة . وهذا المذهب الشعرى معروف فى
تاريخ الادب الفارسى بالمذهب الهندى ، والفرق ظاهر بينه وبين
مذهب شعراء خراسان الذين يعنون بجودة المعنى أكثر من عنايتهم
بزينة اللفظ . ومات عرفى الشيرازى بلاهور سنة ٨٩٩٩ (١٥٩٠م) .

فيها بالخمر والجمال والغرام رامزين الى معان صوفية (١)
 واول من يستحق الذكر من الشعراء الذين عاشوا بعد عصر
 سليمان ، روى البغدادي وهو شاعر مجيد له طابعه الخاص ،
 وشعره مرآة نفسه ، وان لم يحظ من عناية الباحثين المحدثين
 بحقه عليهم ، فما خصوه ببحث وكأنهم نسوه (٢) ولد روى في
 بغداد لأب تركي عماني رحل اليها في حاشية اياس باشا الذي
 وليها من قبل السلطان سليمان القانوني . واظهر في صدر
 شبابه ولوعا شديدا بالشعر والأدب ، فكان يذاكر الشعراء
 ويشاور الأدباء ، ثم اندمج في زمرة الصوفية فتهاقت روحه على
 مذهبهم وتلا تلوهم في كل ما يصنعون ، وساح في الأرض حتى
 بلغ استانبول ثم شد رحاله الى مدينة قونية لزيارة قبر جلال الدين
 الرومي . وبعد ان بلغ من ذلك أربه ، حج البيت وعاد ، ومات
 في عودته بدمشق سنة ١٠١٤ هـ . (١٦٠٥ م .)

ولم تؤثر بيئته البغدادية في لغته ، فنظم باللهجة العثمانية
 لا الأذرية كما صنع فضولي ، وذلك معزو الى انحدره من اصل

Gibb, A History of Ottoman Poetry V. iii, P. (١)
 165,166,167.

(٢) شهاب الدين سليمان ، تاريخ ادبيات عثمانية ص ١٢٤ .

عثماني وتطوافه بالبلاد تطو افاطويلا . وروحي كما يدو في شعره
فارغ القلب من هموم العيش ، يقنع من دنياه بأقل قليلها ، ولا
يأبه لسعادتها ولا لشقوتها ، فهي اهون عليه من ان يقيم وزنا لها
وابتسامها رعبوسها عنده بمنزلة سواء ، لأنه لا يكلفها ضد طباعها .
وهو في هذا المعنى يقول (السعيد السعيد في دنيا الى فناء ، من
تساوى عنده الهناة والشقاء)

فروحي يرتضى من الحياة ان تكون كماهي لا كما يريد لها ان
تكون ^(١) ، وهذا استسلام يائس ولد في نفسه التشاؤم والهزم
والسخرية ، فهو يتهمكم بكل راغب في الدنيا بمثل قوله (اني لأرني
لحالك يا من جعلت الحرص والطمع رائدك ، فصنعت ما يسمج
في القالة ويقيح في الذكر ، من اجل حبة ما هونها ! انت لا تقنع
ابدا يا جائع العين ، الا يسد الخبز جوعتك حتى تصلح اساعته
بلحم !)

وقد ترددت أصداء كثيرة لهذه النغمة في قدر كبير من
شعره ، فدعا الى الزهد ، وانحى باللائمة على كل من ناط املا بتلك
الحياة فقال (تبكي بكاء بعد بكاء إذا ما انتزعوك من اهلك وولدك

(١) هذا يذكر بمذهب فلسفي حديث يسمى Pantagruélisme .

وذهبك ونشيك ! ولسوف تعلم قدر عالم فان قدمت اليه من
العدم ، يوم رحيلك عنه . وإذا ما اتخذت لك ترسا من تبرك
ولجينك ، فلا تحسبن انك مترس به من نبال الردى)

وان السخط ليملاً نفسه على كل شيء ، فاذا نفس عن صدره
ما يعتلج فيه ، تأفف وزفر واستولت عليه من الغضب نوبات
عاصفات بخير الحياة وشرها فقال (أفا لشوك الدهر أفا ، ولزهره
وروضه أفا . أفا للغريب وأفا للحبيب الجاني . العدم صحراء مقر
اهل هذا الوجود فيها ، فأفا للقافلة وأفا لحاديها . امور العالم الى
الادبار ، وامور الجاهل الى اقبال ، فأفا للادبار والاقبال على
حد سواء . الا لعنة الله على الافلاك فى سعدها ونحسها ، وأفا
وتفا للسكواكب سيارها ونابتها !)

وروحى فى شعره لا يغوص على اللفظ البراق ، ولسكنه يورد
الفاظه كيفما اتفق ، فلا تنمو كلمة عن موضعها ولا يفسد المعنى
لاصلاح العبارة . وقد اخترنا كل هذه الايات السالفة الذكر
من (تركيب بند) يعتبر خير ما قال ، وشهرته فى الادب التركى
مستغنيضة لجودته ، واعجب به شعراء الترك كل الاعجاب فقلده
ثلاثة من القدماء واثان من المحدثين وهو يحوى مائة وسبعة وثلاثين
بيتا تموج بمعان ليست من المعار ولا المسكرور .

وفى كلياته كثير من المدائح قالها فى العظماء ، غير انها فاترة

إذا قيست بشعره في الفنون الأخرى ، ومرد ذلك الى روحه
 الساخرة وعاداته في الغض من قدر كل شيء ، فضعفت رغبته في
 المدح ، لضعف عقيدته فيمن يمدح . وكان الرجل مرتابا حتى في
 مذهبه الصوفي فلم يتبع مذهبا بعينه ، بل ظل حائرا لا يهتدى إلى
 ما تظمن اليه نفسه ، وهو يبدو صوفيا ويتحدث بلسان صوفي
 في منظومته المشهورة غير أنه في الواقع ، إنما أراد أن يقبح
 الرياء واهله ، ويزع عن الخداع والخادعين المتسترين ، وليس
 صحيحا أنه كان مولويا أو بكتاشيا كما قال بعض أصحاب التذكرة (١)
 أما في غزلياته فليس بالشاعر العظيم كباقي مثلا ، وإنما هو صوفي
 له فكر وروح على حدة (٢) وله قصائد مبتكرة تشبه الرسائل ، يحن
 فيها إلى بغداد ويذكر خلانه بأسمائهم ، متحدثا عن كل منهم في
 بيت شعر ، وقد اورد أسماء كثيرة هي نكرات إلا عند من يعرفها
 حق المعرفة ، وعلى كل فروحى يعرض علينا سجلا يمكن ان
 نعرف به كثيرا من صفوة القوم واعيان بغداد في ذلك الزمان .

(١) كوبربلي زاده محمد فؤاد ، شهاب الدين سليمان - بكى عثمانلي

تاريخ ادبياتي ص ٣٢٠ و ٣٢١ .

(٢) Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, Tanzimata (٢)
 Kadar, S. 151.

ومن قوله في إحدى هذه القصائد (تلك الفراريج أما زالت
في المجلس مغردة ! وكيف هذان البلبلان الصداحان أنس الحفل
وبهجته ، ومعين الاسلام مفتى بغداد ، وارث علم النبي ونائب
لقمان ما حاله ، ووسائل السرور ، أما زالت مقيدة كالعهد بها)
فمن مثل هذا الشعر الذي يظهر فيه صاحبه متبسطا طارحا
للتكلف ، نعرف البيئة البغدادية ، وما اتصل بين أهلها من أسباب .
وكل ذلك مما يجعل لروحي البغدادى طابعه الخاص في الأدب
التركي .

وبعد روعي الذي قفي على آثار الصوفية في شعره يذكر
خاقاني الذي مدح النبي صلى الله عليه وسلم بوصف شمائله الغر
الحسان ، فكان لشعره عند الترك من القداسة ، شبه ما كان
لشعر سليمان چلبي صاحب مولد النبي . وتسمى منظومته حلية
خاقاني أو الحلية النبوية ، وهي في واقع الأمر تعقيب وتعليق على
كل ما عرف من أوصافه الشريفة ، فاذا ذكر أنه صلى الله عليه
وسلم أزهر اللون . وصف ذلك خاقاني وتحدث عنه في عدة
آيات ، وهذا صنيعه مع كل وصف حتى يفرغ من منظومته .
وهي من أقسام متعددة تفصل بينها عناوين بالعربية كما تخللتها
آيات قرآنية وأحاديث نبوية . وقد تبرك الترك بها فراجت أعظم

رواج بين طبقات الناس على اختلافها ، وهي قليلة القيمة الفنية ،
غير أن معانيها المتساوقة في ظاهر ألفاظها السهلة الواضحة التي
لا تعزب كثيرا عن الفهوم . وما يدل على اشتهار الشاعر بها ،
وهم ذلك الخطاط الذي رقم اسمه على قبره ، فقد جرى قلبه بقوله
(الفاتحة لروح حله خاقاني) وإنما أراد أن يقول الفاتحة لروح
حلية خاقاني ، فأطلق اسم المنظومة على صاحبها .

ولما فرغ خاقاني من نظمها سنة ١٠٠٧ هجرية (١٥٩٩ م)
قدمها إلى الصدر الأعظم الذي أعجب بها الاعجاب كله ، ودفعها
إلى الوزراء والعظماء ليطلعوا على روعتها ، وأراد أن يجزيه بها ،
فأمر بقدمه إلى ديوانه . وقدم خاقاني إلى أنه لم يركب فرسه
مراعاة لشروط التقاليد التي كانت تفرض ذلك فرضا على أمثاله
من ضعاف الشأن ، ولما سئل عما يتمنى قال (لقد أطردتني السن
وبلغت من السكر عتيا ، فلم تبق في منة أقوى بها على المجيء من
باب أدرنه إلى باب الباشا ، ومتمناى أن يسمح لي بركوب فرسي
في قدمتي وعودتي)

وإذا لم يكن إلى ذلك سبيل ، منح الشاعر دارا على مقربة
من مقر الحكومة ، فكانت بديلا من داره البعيدة في طرف من
أطراف استانبول . ونال خاقاني هذه المنحة العظيمة بعد أن كني

عنها ، وتلطف في إظهار حاجته إليها .

ومن قوله تحت عنوان (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
أزهر اللون) ، لقد أجمعت جميع الأمم ، على أن نخر العالم ، كان
أزهر اللون . فوجهه خالص البياض والنقاء ، وخدها أبيضان
في صفاء . كان لون وجهه كلون الزهرة مائلا إلى الحمرة . وقد غشيه
نور السرور ، فكان سورة النور أو مطالع النور . انه مصحف
الحسن هذا الوجه الجميل ، والزغب في خده نص التنزيل . لقد
استحى ماء الحياة من شمسها فاستقر وراء الظلمات . وأصبح هذا
الوجه الصبيح شمع المجلس في حرم عليين . وأكمل زينته مصور
الفكرة باسط الوجوه . وإذا ما عرق هذا السلطان ، فياله من زهرة
مطلولة في البستان . وإذا سطع عطره الزكي ، تنسجت المشام ربح
العنبر والمسك الأذفر . وفي سبائه الشريفة بدت نباته ، كانت
نورا مرآة وجه النبي لأظهار رضاه والغضب . ذلك الصريح
النسب لم يسم من أجل نفسه إلى أحد قط . وما تقلصت هاتان
الشفتان الياقوتيتان عيظا من إنسان كائنا من كان)

فهذا كلام نفيس يهز القلوب في أعماقها ، وله طلاوة تترشفها
النفوس المؤمنة ، وحلاوة تلقى الخشوع في الأرواح وتهمي بها في
عوالم علوية . وقال خاقاني في موضع آخر من حليته (ذلك أن

المملك القيوم مالك المملك السرمدى ، عالم سر الخفيا ، فاما من
ذرة فى هذه الدنيا ، إلا وله علم بها . قصت إرادته أن تخلق هذه
الموجودات . وفى تلك البرهة بعينها ، ظهر العشق وبرز نور ،
فأحب الحق هذا النور ، وقال النور حبيبى . وهام بطلعته كل
الهيام ، وسخر له عالم الشهادة ، فجاء إلى الوجود بالعز بالاقبال ،
وتردد فى الدنيا صيت أحمد ، واختلجت فى الحب الإلهى لوعة
الوجد . ورونا الرب الغفور إلى هذا النور ، فامتسكته خجلة
وتفصد عرفا ، واندفق هذا اللؤلؤ الرطب على عالم الأرواح ،
فكان من كل قطرة نبى . ونظر الله إليه كرة أخرى من فرط
المحبة ، فغرق النور فى بحر من الحياء ، وأصبح وردة تساقطت
عليها الأنداء . ثم رمقه الله بعين المهابة ، فذاب هذا الجوهر وكان
بحرا . وسكنت سحابة لطفه البحار ، فظهر الموج والبخار . ثم
خلقت الأرض من زبده ، والأفلاك من بخاره)

وقد تداول كثير من شعراء الترك هذه المعانى الروحانية
السامية ، وجعلوها فاتحة لدواوينهم ، متقربين بها إلى الله ورسوله ،
ومستلهمين الخير والبركات . وكانت وفاة خاقانى سنة ١٠١٥ هـ
(١٦٠٧ م) .

والآن نكف عن حديث الشعر والشعراء إلى حين ، لننتحدث

عن التاريخ والمؤرخين . ولقد يكون من المفيد أن نعرض
بالبیان لكتابة التاريخ عند الترك مع إرادة الاجمال ، على ان
نجعل من ذلك توطئة قبل الكلام عن سعد الدين وپجوى وهما
مؤرخان من اهل هذا الزمان الذى نؤرخ نهضته العلمية والادبية
فمجال لاجمال الريب فيه ، ان العثمانيين يوم رحلوا عن ديارهم
بقلب آسيا الى الاناضول ، كانت لهم اغان شعبية ، يتغنون فيها
بمناقب اسلافهم ومآثر ساداتهم . ويقال ان شعراء العوام كانوا
يترنمون بها وهم يوقعون على آلة موسيقية تسمى (قوپوز) . ويقال
ان اجزاء من كتاب اوغوز مازالت الى اليوم فى اغاني الشعب
بالاناضول . وهذا الكتاب باللهجة التركية الشرقية ، وهو
يتضمن ذكر اوغوز جسد الاترك العثمانيين مع ذكر اولاده
ووصف سلاحه وعتاده (١) .

أما أول مؤرخ عثمانى ، فيخشى فقيهه صاحب (مناقب آل
عثمان) الذى عاش إلى عام ١٤١٣ م . (٢)
ولنا أن نقسم مؤرخى الترك فريقين ، فمنهم (كتّاب الوقائع)

Babinger, Die Geschichtsschreiber der Osmanen (١)

(Leipzig 1927) S. 8,9

Ibid, S. 10.

(٢)

وهم رجال رسميون ينوط بهم قصر السلطان هذه المهمة ، وغيرهم
مؤرخون يتوفرون على كتابة التاريخ بصفتهم العلمية أو الشخصية
لا الرسمية . وفي الحق أن هؤلاء المؤرخين الرسميين لا يعبرون
عن وجهة نظرهم ، وكيف لهم بشيء من هذا وهم يرسمون في
صفاد الوظيفة ، أما غير الرسميين فمتطلقون من قيودهم منطلقون
على سميتهم (١) .

ويمكن أن نلحق بالمؤرخين الرسميين أصحاب شاهنامه ،
ويسمى الواحد منهم (شاهناجى) كما أسلفنا (٢) وقد عرف هؤلاء
المؤرخون أول ما عرفوا في القرن الخامس عشر الميلادى ، يوم
أنشأ السلطان محمد الفاتح هذا المنصب الأدبى ، الذى دام إلى
القرن السابع عشر ثم ألغى حين استبدل به محمد الرابع منصبا
آخر هو منصب (كتابة الوقائع) . وما يذكر أن أصحاب
الشاهنامه كانوا يعملون مع شذمة من السكتاب والرسامين
والمجلدين ، ليستعينوا بهم فى إخراج الشاهنامه أجمل لإخراج .
وكانت الشاهنامه منظومة من ألفها إلى يانها ثم أصبحت فيما بعد

(١) Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, S. 181.

(٢) انظر ص ٢٠٨

شعرا يتخلله النثر . ومن هؤلاء المؤرخين الشعراء فتح الله عارف
المتوفى سنة ٩٦٩ هـ (١٥٦٢ م) وهو رجل فارسي رحل إلى مصر
مع أبيه في فتاة سنه ثم عاد إلى وطنه إيران ، وقد رله أن يزور
استانبول ، وفيها نال منصب (شاهناجي) كان كاتبا حسن الترسل
وشاعر افي الفارسية و التركية فأجرى عليه السلطان سليمان القانوني
راتبا يوميا . وقد سرد تاريخ العثمانيين في شاهنامه من ثمانية آلاف
بيت بالفارسية وأشاد بذكر السلطان سليم الأول على الخصوص
وله ألفا بيت بالتركية تحدث فيها عن حروب الصدر الأعظم
سليمان باشا في الهند . وقد مات فتح الله عارف في مصر . وخلفه
في منصبه أفلاطون شيرواني ، وهو تركاني الأصل ، رحل إلى
استانبول كسلفه فتح الله عارف ونظم للسلطان سليمان شاهنامه
تسمى هنرنامه بمعنى كتاب الفضل . وتعتبر أجود ما جادت به
القرائح في هذا الفن . وقد صور أفلاطون في منظومته حياة
سليمان الخاصة أحسن تصوير ، كما تحدث عن حياته الرسمية فأحاط
بكل شيء علما ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها حتى أحلام
السلطان . ولهذه الشاهنامه نسخة بديعة التلوين والتصوير ، يمكن
الوقوف من تهاويلها وشكولها على كثير من الحقائق التاريخية في

ذلك العصر (١) غير أن السلطان غضب في شيء فأمر بضرب عنقه
سنة ٩٧٧هـ (١٥٦٩ م) .

هذه هي التواريخ المنظومة ، وما لا يتداخله الشك أن معظمها
يتقلب في المعنى الفسل لسكرة ما يتغشاه من ألوان البديع . كما أن
كثيرا من أصحابها شعراء مغمورون لاماء لشعرهم ولا رواء .
وإذا ما أرخينا النظر إلى التواريخ المنشورة ، ألفينا أن للعثمانيين
مؤرخين آدب واكتب من مؤرخي العرب (٢) . ونذكر منهم
سعد الدين صاحب تاج التواريخ الذي أشرنا إليه في مقدمة هذا
الكتاب . وهو فارسي الأصل . وقد نزح أبواه إلى استانبول
مع السلطان سليم الأول بعد موقعة چالديران التي انهزم فيها
الشاه اسماعيل الصفوي ، وأقبلت الدنيا على أبيه فأصبح خادما
خاصا للسلطان سليم . ثم ولد له سعد الدين سنة ٩٤٣هـ (١٥٢٦ م) .
ولما شب سعد الدين عن الطوق طلب العلوم وبرز فيها واشتغل
بتأديب الأمير مراد أيام كونه واليا بمغنيسيا ، فعرف بخوجه
سعد الدين ، أي سعد الدين المدرس . ولما اعتلى مراد العرش

Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, S. 182. (١)

Carra de Vaux, Les Penseurs de l'Islam, (Paris, (٢)
1923) V. i. P 228.

وأصبح مراد الثالث ، أكرم مؤدبه واستشاره فيما حزب من
أموره . وأصبح سعد الدين شيخا للاسلام قبل موته بعامين ،
فقد مات سنة ١٠٠٨ هـ (١٥٩٩ م) . والسلطان مراد الثالث هو
أمره بتدوين كتاب تاج التواريخ ، ذلك الكتاب الذى ذهب
لصاحبه به ذكر وبعد صيت ، والكتاب فى مجلدين ، وينتظم
فصولا يخص كل منها سلطانا من السلاطين ، كما تحتوى خاتمه
تراجم لعلماء وشعراء وكتاب ، عرفهم سعد الدين وعائشهم .
وقد كتب تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها إلى عام وفاة السلطان
سليم . ويعتبره الترك أول كتاب الوقائع الرسميين . وإذ كان
سعد الدين صنيعة القصر السلطاني ، لم يقتدر على التعبير الصريح
والرأى الحر كما أقر بذلك فى تاريخه^(١) . وهذا المؤرخ يحبس
عنايته على تزويق العبارة ، ويستعرض تمكنه من ناصية اللغة
وتفقهه فى أساليبها . قال يصف فتح استانبول (ووضع الترك
مدافعهم فى مواضعها . وبعضها على هيئة الشعابين ، والأخرى لها
رموس الثنانيين ، وتحصنوا فأنعصموا ، وقام الانكشارية
والعزب^(٢) بما وكل اليهم أن يقوموا به ، فأطلقوا على البروج

Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersler, S. 182 (١)

(٢) العزب اسم فرقة من البحارين فى الاسطول التركى

والقلاع مدافع تدق الحصون فتدكها، وتنابع الضربات والطلقات،
حتى تصدع البنيان وتحرق الجدران كأنها قلب عاشق ولهان،
ووسعوا الصدوع والشقوق توسيعا. أما النيران التي انبثقت من
تلك الأجسام الحديدية والأفواه النارية فقد خطف سناها أبصار
الكفار وملأت نفوسهم حيرة ورعبا، وارتفع الدخان فكفت
العين عن الأبصار، ووقب الليل بعد ان انحأت آية النهار، وأصبح
وجه الدنيا كحظ هؤلاء الكفار، وكأنما السهام رسل تنطلق
من قسيها لتقول في آذان العداة المهوتين بأعلى صوتها: أينما
تسكنوا يدرككم الموت. وان قذائف المدافع والبنادق التي
انهالت من جانب الكافرين الظالمين، قد اقتلعت من أبدان المجاهدين
قلاعا من أسسها. فامتلاّت ساحة الوغى من دماء الغزاة وأشلأهم
بحمر الأزهار، واصطبغ وجه الأرض بالحمرة، وانتثرت المغافر
والخوذ ههنا وههنا)

فهذا كلام يتعمى على الترجمة لكثرة السجع والازدواج فيه،
وتلك المحسنات البديعية التي تستكره استكرها وتستهلك الغرض
المقصود. ولسهل الدين مؤلف آخر يسمى سليم نامه، أى كتاب
سليم وفيه تاريخ السلطان سليم الأول. وهو كتاب شعبي أكثر
منه تاريخا بالمعنى الصحيح وشهرته لا تذكري إلى جانب تاج التواريخ

الذى قدره علماء الغرب حق قدر، فترجم إلى عدة لغات أوربية
منها اللاتينية والفرنسية والانجليزية والإيطالية والروسية والمجرية،
وقد أحصى بابنجر أسماء المترجمين وعناوين ما ترجموا، فليرجع
من شاء إلى كتابه (١) الخاص بالمؤرخين العثمانيين ومؤلفاتهم لأن
كتابنا هذا لا يتسع لذكرها برمتها.

أما يچوى فمؤرخ عرف بتحرى الصدق والدقة في روايته،
وتوخى السلافة في كتابته، والتعبير عن وجهة نظره التي لا يشركه
فيها غيره، فكان من خيرة المؤرخين في ذلك الزمان (٢). ولد
بمدينة (بج) ببلاد المجر في بداية عهد السلطان مراد الثالث واليهما
نسبته. وعرف الأسي والحرمان في ريق شبابه، فقدمات عنه
أبوه وهو في حدود الرابعة عشرة من عمره فكفله عمه، ولم تطل
أيامه فليجأ إلى من يدعى لالا محمد باشا ليعيش في كنفه وكان
قائدا من القواد، فشاهد معه حروبا كثيرة شارك في بعضها كما
ساهم في تدوين المذكرات و أبرام المعاهدات بين المتحاربين لعلبه

Babinger, Die Geschichtsschreiber der Osmanen, (١)
S. 126

(٢) كوبريلي زاده محمد فؤاد، شهاب الدين سليمان - يكي عثمانلي

تاريخ أدبيات ص ٣٢٨

بلغه المجر . ومات لالا محمد باشا ، فوجد بجوى ألوانا من الجهد والعناء . ورحل إلى الأناضول ، وفي تاريخه ذكر للنبأصب التي شغلها ، فكان (دفتردار) (١) في أكثر من بلدة . وفي عام ١٠٥١ هـ (١٦٤١ م) عاد إلى مدينة (بج) وفيها دون تاريخه ، وقضى ماتبقى من أيام عمره ، ولا يعلم عام وفاته على التحديد ، وإن كان يظن أنه مضى سنة ١٠٦١ ميلادية .

وقد أظهر بجوى منذ حداثة سنه ميلا إلى دراسة التاريخ ، وتزايد ميله هذا على المدى . وتاريخه يتناول المدة المنحصرة بين سنة ٩٢٦ هـ (١٠٤٩ م) وسنة ١٥٢٠ هـ (١٦٣٩ م) . ويبدأ بعهد السلطان سليمان القانوني ثم ينتهي بموت مراد الرابع . وهو في جزين ، وما يميزه قلة السجع وخلوه من تكلف الصنعة ، كما تشاهد فيه بعض ألفاظ مجرية . وقد ترجم قدر منه إلى الألمانية والمجرية (٢) .

* * *

ونظوى حديث التاريخ والمؤرخين لنعود إلى حديث الشجر

(١) أى صاحب الدفتر وكانت وظيفة يدير صاحبها المشئون المالية

Babinger, Die Geschichtsschreiber der Osmanen, (٢)

S.295

والشعراء فنذكر الشاعر نفعى ذلك العبقرى الخبيث اللسان الذى
قال شعرا سويا بحكم النسيج ، وكان بين الشعراء العثمانيين معجزة
من معجزات الفطرة ، وصاحب قدرة ليس كمثلها كل قدرة (١)
وقد تحدث عن نفسه بقوله (فيض طبعى فى عالم المعانى لمعان
الشمس فى الضحى ، وان لفكرى عينا نيرة كأن عين الشمس
سوادها)

وقد قصد نفعى القصائد فكان فى طليعة المجيدين ، والإجماع
على أنه أشعر من قال قصيدة من شعراء الترك . وله مدائح فى
السلطان مراد الرابع والوزراء والعظماء ، وقد جره المدح إلى
المبالغة فى الأحايين ، كقوله من قصيدة طويلة فى مراد الرابع (يا من
غزوت ، فأبهجت النبى وجبريل على السواء والله أعلم بالرشاد .
وقتل ذلك الجبار ، فأبطلت طلسم الفتنة وحكمت بالسكسادة على
سوق الفساد)

ووصف نفعى الخيل فأصاب صفاتها ، وجعل من حديثه عن
كرانمها توطئة جميلة لبعض قصائده كما فى قوله (يا حسن هذا
الفرس السلس الذى يرى العاشق مشيئة فيمنى مشية الحبيب ،

(١) أبو الضيا توفيق - نفعى (استانبول ١٨٨٧) ص ٥

لو كان غادة حسناء ، اطأطأ الناس الر موس لحسنه والبهاء) .
غير أن نفعى إذا انصرف عن شعر المناسبات ، وتبسط فلم
يعن كثيرا بالرصانة والجزالة واللفظ الرنان فشاعريته تتجلى
فى أسهل لفظ وأرق معنى ، وفى هذا الصدد يقول أكرم بك ،
ان ما يعبر عنه بالسهل الممتنع هو أن تؤدى المعانى بطلاقة وحرية
بعد أن تعرى الألفاظ من زينتها ، وهذا يلوح سهلا بادية الرأى ،
وإن كان الأتيان بمثله عسير أو متعذر أحيانا (١) ثم يسوق مثلا
لذلك من قول نفعى (يالرتك يانسيم الريح ، إن القليل منك كثير
وفيض عميم . السكون زهرة تفتحت لأنفاسك ، فوجه الأيام
طلق بسيم . أمررت بالصين فى مسراك (٢) ، أم أن نفسك يحوى
نافجة للمسك ؟ لك نكهة مسكية خافقة بالشذا تصوعت الدنيا
منها عيبرا . وما كان ذلك لولا مرك بطرة الحبيب . فكيف حال
ذى القلب المستهام ، الا يحزنه هذا المشط ويشير فيه تباريح
الأسى ؟ (٣)

(١) محمود اكرم بك - تعليم ادبيات (استانول ١٢٩٩)

ص ١٥٣ - ١٥٦ .

(٢) ينسب المسك الاذقرالى بلاد الصين فى الشعر الفارسى والتركى

(٣) لهله يريد ان المشط يثير الحسد والسكد فى نفس العاشق

لانه ينهم بشعر الحبيب .

ولسكن شاعرنا قبل كل هذا هجاء يذكر المثالب والمعائب ،
 طعان في الأعراض ، عياب لا ينظر الى الناس الا مستخفا ، فهو
 حطيثة الترك لانه اهيجى شعراهم . وقد هجا بأشد من وقع
 الأسننة ، ولم يفلت من بذاته وسفوه شريفا ولا وضيعا . بيد ان
 ادبيا تركيا هو ابو الضيا توفيق درس هذا الشاعر حق الدراسة في
 كتيب قيم فقال ان من سماه هز الألم يصب ، لأن الهزل خفة
 تسيطر على مزاج الشخص فتجعله ميالا الى المزاح والهزل ،
 وسواء في ذلك قادر على النظم وغير قادر . والهجاء ليس من
 هذه الخفة في شيء ، ولا كنهه سلاح يقتدر به على دفع الطغاة والبغاة .
 وهو مذموم ، الا انه شبيهه بالسم فيه الشفاء والفاء . وقد اضطر
 نفعى الى هجاء بعض العظماء في زمانه لما ساء من أفعالهم وأقوالهم
 اما ذلك التهاجى بين الأدباء والشعراء فمن قبيل المداعبة ويسمى
 ملاعبة الشعراء (١)

ويجرى مجرى المداعبة ما وقع بين نفعى وبين شيخ الاسلام
 يحيى افندى . فقد قال فيه شيخ الاسلام بيتين وهما (واليوم افى
 الشعراء كنفعى شاعر ؟ ان شعره المعلقة السبع ، وامرؤ القيس
 نفسه كافر !)

(١) ابو الضيا توفيق - نفعى ، ص ١٨ و ١٩ .

فما كان من نفعى الا قوله (قال المفتى ان نفعى كافر ، واذ
ماقلت انه من المسلمين ، فكلانا يوم القيامة من الكاذبين ا)
ويروى ان من يدعى طاهر افندى شبهه بالسكب النباح (١)
فقال ردا عليه (لقد قال عنى طاهر افندى انى كلب ، والالتفات
فى هذا الكلام ظاهر ، فأنا على مذهب مالك ، والسكب عند
المالكية طاهر ا) فهذا هجاء غير بذى وهو اشبه شىء باضحك
الكلام . وكان نفعى يزدرى قدر الناس ويتهاون خطرهم ويتلمس
الفرصة ليهزأ بهم ويسخر منهم ، فقد صادف ان اتقد اليه
السلطان مراد الرابع كتابا ذات مرة مع خصى اسود ، ولما
تسلمه ارخى اليه نظرة فاترة ولم يكثرث لما جاء فيه ، واتفق ان
كان الخصى يكتب شيئا فى صحيفة ، فسقطت عليها نقطة مداد
من قلبه ، ولم ينتبه الخصى الى ذلك حتى رأى الشاعر يتقطع ضحكا
فسأله ما يضحك ، وكان الجواب قول نفعى (ان عرق مولانا
المبارك قد سقط على الصحيفة ا)

وله مجموعة تسمى سهام القضاء ضمنها شعره فى الهجاء .
ولهذه المجموعة من شعر نفعى قصة مع السلطان مراد الرابع

(٣) من عجائب المصادفات ان يقال فى العربية نبح الشاعر بمعنى هجا

يقصها علينا المؤرخ نعيما فيقول (في يوم الثلاثاء الموافق للربيع
عشر من شهر ذى القعدة سنة ١٠٢٩ ، انهالت السماء بالمطر
وقصف الرعد وخطف البرق ، فاختلعت القلوب رعبا من كثرة
الصواعق . واعتكف السلطان مراد خان في جوسق المغفور له
السلطان احمد الاول ببشكطاش . وكان بين يديه مجموعة من شعر
نفعي في الهجاء ، كما حضر مجلسه امير چلبى رئيس الاطباء .
وسقطت على مجلسه السلطان صاعقة عظيمة تتطاير النيران منها ،
فاصاب وجوه مدرسي الاندرون وكان هولا عظيما . ومزق
السلطان ما بين يديه من صحائف ، كما انحى على نفعي باللائمة ،
ثم استغفر وتاب واناب وتصدق بمال جزيل . وفي ذلك قال أحد
الظرفاء يبيكت نفعي ويتهمك به (لقد هبطت من السماء نظائر اسهام
القضاء ، فوجد نفعي بلاء الله من حيث لسانه) (١)

ويقال ان السلطان استدعاه واستتابه من الهجو ، فاغظ
الايمان على التوبة ، وان غلب عليه طبعه واعياه ان ينطلق من
شيشنته فقال لمولاه هذا البيت (على عهد الله لا هجوت احدا
ابدا ، اما ان اذنت لى ، هجوت الحظ العاثر وحده)

(١) نعيما - تاريخ نعيما ، او جنحى جلد ص ٤١

وقد جرت عليه مقدماته ما يكره ، لأنه بغض بغاضه واصبح
موضع سخط عارفيه وغير عارفيه ، وقيل فيه بيتان من الشعر
دارا في عصره على كل لسان وهما (هذا الشاعر الهجاء المسمى
نفعي ، قتله جائر في المذاهب الأربعة كقتل الأفعى)
ورجل كنتفعي لا يمكن الا ان يكون شكسا غليظ الطبع
شديد البأس ، وهذا واضح شديد الوضوح في معظم غزلياته ،
فشعره الغزلي مليء بالمبالغات بين التعسف والتكلف ميت العاطفة .
ولم يكن متصوفا ، لأنه لا يحمل بين جنبيه قلب متصوف . وكيف
يكون زاهدا متواضعا متساحا من قال (ليعلم كل من خاصمني
فن القول بأن حملتي عليه شر وبلاء ، فشعري رستم ذلك البطل
الرامي عن قوسه (١) ، وكنانته سهام القضاء)
ولما هجا الصدر الأعظم بايرام باشا بعد ان نسي العهد ووقع
في الحبس ، غضب عليه السلطان مراد الرابع وامر بقتله سنة
١٠٤١ هـ (١٦٣٢ م) . ولما سبق للقتل وكان قتله في مخزن
للأخشاب قال له الجلاد متهمكا (سر بنا يانفعي الى الغابة لتبرى

(١) رستم بطل من ابطال الفرسان الاقدمين الذين اورد الفردوسي
قصصهم في شاهنامه .

من خشبها سهاما ١) فزجره الشاعر بقوله (اخشأ ايها التركي ١)
انجز عملك ولا تبسط في لسانك)

والمؤرخون يستذكرون هذا من مراد الرابع ، ويقولون
ان السلطان كان ينفس على نفعي شاعريته واجادته، وكان شاعرا
مثله ، فأوعز اليه ان يهجو الصدر الاعظم، وافترض ذلك ليتخلص
منه بالقتل .

• • •

وبذكر نفعي يذكر شاعر عاصره وهو شيخ الاسلام يحيى
افندي . وقبل ان ندير الكلام على شيخ الاسلام ، يحسن بنا
الوقوف عند اسمه حين يقترن باسم نفعي ، لأن في ذلك تبصرة
لنا بمذهبين فنيين ، او تعريفا بمدرسيتين ادبيتين كانت رئاستهما
لهذين الشاعرين . فنفعي شيخ مدرسة ادبية ، شعر أتباعها ادنى
شعبها الى شعر الفرس ، لأنه يتقلب في المعاني الفارسية ويحتفل
بالألفاظ والتراكيب الفارسية . اما يحيى افندي ومن تلاه
من الشعراء ، فكانوا واقعيين اكثر منهم خياليين، وهوضوعيتهم
اوضح من ذاتيتهم ، يصفون ما يقع تحت الحس وما يهيم في الخيال

(١) اذا قال عثمانى لعثمانى ياتركى ، فكانما قال له ايها الغبي الرقيع

جميعا ، ولا يقتصرون على ترديد ما تردد في مسامعهم . ولم يقدر
البقاء الطويل لمدرسة التصنع التي رأسها نفعي ، امام مدرسة الواقع
والفطرة فدامت واطردت بها الايام حتى مستهل عصر التحول
في الشعر التركي (١) .

ونعود الى يحيى افندي فنقول انه كان في مؤتلف الصبايزاحم
ليله بنهاره في تحصيل العلوم والفنون حتى رسخت قدمه في علوم
الشرع وفنون الأدب . ثم انخرط في سلك العلماء وأصبح قاضي
عسكر الروم ايلي وشيخ الاسلام ، وقد شغل هذا المنصب الرفيع
مدة مديدة تبلغ عشرين عاما . وكان عظيم المنزلة عند السلطان
مراد الرابع الذي صحبه في حروبه ليأنس به ويعمل بمشورته ،
كما كان رفيق النفس رقيق الطبع لا يرى الا مهمل الوجه . وقد
عرفت عنه صلابته في الحق وتجافيه عن الباطل ، ومثال ذلك
ما يحكي عنه ايام كونه قاضي عسكر الروم ايلي ، فيقال ان يحيى
كان من المجتمعين بالصدر الأعظم درويش باشا في الديوان ذات
يوم ، واصدر الباشا امره بقتل رجل . ولما سأله يحيى افندي عن
موجب الحكم بالقتل ، اجاب بقوله (هذا ما لا يعنك) ، فنهض

Gibb, A History of Ottoman Poetry, V, iii P246, 247(١)

وتولى مغضبا . وكان احمد الاول سلطان هذا الوقت ، فر هذا
الخبر بسمعه ، واستجوب يحيى افندى الذى قال له (تلك هي
الامانة ، لقد نصبنا السلطان قضاء عسكر للاستماع الى الدعاوى
واحقاق الحق وحماية المظلوم ، ولم يكن فى ذلك اليوم موجب
شرعى للقتل ، ولم يسر لى ان احكم وادلى برأى ، فلم اجد عن
الاستقالة محيدا) وتسبب عن موقف يحيى افندى قتل
درويش باشا .

ولئن نسب الى نفعى فضل الاجادة فى القصيدة ، لقد بلغ
الغزل غاية الحسن بفضل يحيى افندى . وفى الحق ان اثر الصنعة
يتوضح فى غزليات باقى فهو متمنع ، اما يحيى افندى فيسيطر
طبعه المداد على غزلياته (١)

وقد ركب مركبا وعرا لجرأته فى التعبير عن رأيه ، ورغبته
فى ان يكون شعره لسان صدق ، فنطق بكلام رمزى صوفى
يغضب المؤمنين معناه القريب ، وان قصد منه معناه البعيد .
ويروى ان احد الوعاظ انشد فى المسجد بيتا له ذات يوم ، وكان
السابق الى الفهم من معنى البيت ، ان من فى المسجد اهل ريام ،

Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, Tanzimata (١)
Kadar, S. 235.

ما احلاس الحانة فأهل صفاء . ثم قرر ان صاحب هذا الكلام
من الكافرين وان تصدر للفتيا .

ولما خرج مراد الرابع الى بغداد محاربا ، وتلبث جيشه
ببعض الطريق ، وجد مس الحاجة الى الراحة ، فدخل بستاناً في
ثلة من اتباعه ويحي افندي يرافقه ، وطاب مجلس الانس في مساء
عذب النسيمات ، فجاشت بالشعر نفس السلطان وكان شاعرا طبع
البدئية ، وعمد الى نافذة من نوافذ جوسق هناك فكتب عليها
هذين البيتين (هذا المتنزه روضة من رياض الجنات ، من دخله
حي وان كان من الاموات . ولما انتهى مرادى ^(١) عن فتح
ايران وعاج به ، نعم عيشه وترشف من كوثره خمرة لذة
للشاربين)

وطلب السلطان الى يحي افندي ان يقول شعرا في هذا المعنى
فقال (ياطيب هذا المكان ، انه ليحي النفوس حبورا وصفاء ،
لو طعم الطائر من نباته لا يصبح يبغاه ناصعة البيان . أما اذا قلت
انه روضة من رياض الجنة لا تقطع نظيره في الحسن ، فان
الجنة لتمسده على زيارة السلطان له . وقال السلطان العدل في

(١) مرادى هو مخلص السلطان مراد الرابع .

شعره ان ماهه كوثر ، فما اطيب الماء وما اعذب الشعر . واذا
مادعوت له رب العالمين ، فليقل اهل الارض وملائكة السماء
معي آمين آمين)

ولاشك ان يحيى افندى لم يطرق فنا لاعهد لشعراء الترك به ،
كما انه لم يبتدع في غزلياته شيئا ، ويقرر معلم ناجي ان شعره
لايسلم من التراكيب القديمة والضرورات الشعرية ، غير انه برى
من الاسفاف ، لا يقلد شاعرا ، ويقلده كثير من الشعراء . وهذا
غزل له نسوقه مثالا (انسان عيني ران الى عذار حبيبي ، فعيني
من تلك السكوة ترمق روض زهر ^(١) . ولقد يحين وقت ترفع
فيه الترجمسة كاسها الذهبية وتشاهد الربيع في الروض الأريض .
القلب فلك ينتظر منك نسيم لطفك ، بعد ان لبث طويلا على
ساحل المحنة ، ورأى هوج الرياح تلعب به كل ملعب يا حبيبي ،
هو ذا الياسمين قد تسلق الجدران ، لما سمع بجيئك الى البستان ،
فيه شوق الى طلعتك ورؤيتك في مشيتك . يا يحيى ، انما الرجل
حق الرجل من لا ينظر الى قدر وان علا ، ولا الى جاه وان سما)

(١) المراد بالعين في الشطر الثاني انسان العين المذكور في الصدر

الاول ، وكان العين كوة ينظر منها الى عذار الحبيب

فمثل هذا الغزل يشهد ليحيى افندى بأنه على الحظ الأوفى
من الشعارية ، كما ان فيه تلويحا الى سمو رتبته وعزة جانبه . غير
ان شأنه هان بعض الهوان في أوائل عهد السلطان ابراهيم الأول
ذلك السلطان الذى سيطر على نفسه وملك زمامه ساحر يقال له
جنجى خوجه (١) ، فشى بالنيمة بينه وبين شيخ الاسلام ، وتعاضمه
هذا من السلطان وهو الذى قضى عمره الطويل معززا مكرما ،
فاخذ ، مر الأسى واعتل ومات فى الثالثة والتسعين من عمره
وكانت وفاته سنة ١٠٥٣ هـ (١٦٤٣ م) .

ومن الشعراء الذين عاشوا فى عهد مراد الرابع و ابراهيم
الأول ، شاعر لم يحظ من عناية المؤرخين الا بقدر ضئيل على

(١) هو حسين افندى الملقب بجنجى خوجه ، و جنجى فى التركية
بمعنى الساحر او مستخدم الجن . كان دجالا يدعى القدرة على شفاء
المرضى بالتعاون والتأمم فقر به السلطان ابراهيم الأول وركن اليه
وسمى رتبته فاصبح قاضى عسكر . وكان رجل سوء يكيد ويدس وتسبب
فى قتل الصدر الاعظم قره مصطفى باشا كما كان خسيسا فاخذ الرشوة
وأثرى وابتغى لنفسه قصرا . وساءت عاقبته فسجن وصودر ماله ثم
قتل سنة ١٠٥٨ هـ .

ما لدراسته من الأهمية ، لأنه أنشد شعره في مستهل عصر ثحول
ادبي كان الشعراء قبله يلزمون انفسهم طرق المعاني الصوفية ، ثم
تحرروا من هذا التصوف بعض التحرر ليصفوا انفسهم وما
يختلج فيها ، وتحدثوا عما يقع تحت حسهم بعد ان كانوا يهيمون
في كل واد من اودية الخيال والاحلام . هذا الشاعر هو فهم
الذي وفد على مصر مع واليها ايوب باشا يوم زایل استانبول
لتسلم ازمة الحكيم فيها فلم يفته ان يصحب نديمه الشاعر .
ولم يكن فهم صاحب حرفة وانما كان يعيش في كنف العظام
مستدرا رزقه من فيض خاطره . ولم تذكر مصر في شعر شاعر
تركي قبله بهذا التفصيل الذي ذكرت به في شعره ، فقد
كان لبعض من شعراء الترك وفادات على مصر قبل الفتح العثماني
وبعده . غير انهم لم يذكروها في شعرهم الا ذكرا عابرا وقلبا
تجاوزوا الاشارة الى العبارة (١) . اما فهم ، فقد مدح ايوب
باشا بقصيدة طويلة استهلها بوصف النيل ومنها (انظر بعين
العبرة الى حسن ما صنع الرحمن ، لقد جاش هذا النيل وفاض
فكانه من تخالجه شوق اللقاء . حمدا لله لقد سقطت على المقياس

(١) انظر كتابنا من ادب الفرس والترك ص ٢٤٧

نقطة من قلم القدرة ، فكأنها انسان عين غمرها مع الحنين . ونال
من الوصال ما ينال العاشق الوطمان ، وارتسمت موجاته حلقات
حلقات ، ولسان حاله يقول : انا من جن حبا ، وتلك اغلالى
واصفادى . وما دام فى قلب النيل للهوى خفقات ، فأى عجب
ان ينطلق الى البرارى والصحارى شأن محب ذهب عقله ؟

وإن تكن له هيئة من به جنة ، فان لقلبه صفاء مرآة ينعكس
فيها الوجد والوجدان . لقد طغى النيل وفاض كأنه الطوفان ،
وهاهى ذى امواجه ترتكض ، ويلوح عليها انها على اسنمة نياق
تمضى بها ، وانسابت الحيات العظيما من ركن خفى الهى وهى
تثنى وتلوى ، حتى انسلت الى منعطفات المزارع ومجت اعابها .
ما اعظمها حكمة واعجبها معجزة ، فان لهذه الحيات لعابا يحيى
الأرض بعد موتها . لقد انكشف السر الذى يخرج الحى من
الميت ، فتأمل ماء الحياة منبجسا منها . وبدت فى وسط النيل
نخلات ما اشبهن بسرب من الحسان يتردن ، وقد ثارت
رءوسهن وتفرقت شعورهن . وما رأى الزراع للنيل تيارا حتى
نثروا الحب ، فنصبوا بذلك الحب شبا كالطير الرزق . ولما فاض
وكثر ماؤه ، طفح وعاؤه ، فخرج عن طوره وثارث نائثرته
وبسط فى البحر لسان القدح ، فهذا شعر يعجبنى لأنه من البلاغة

في منزلة عالية ، وهو تصوير جميل للنيل زمن الفيضان يتحلى من
خيال الشاعر بأحسن التشبيه . فما اجمل النيل اخا شوق وتبريح
يرتجى وصل الحبيب ، والعجب للزراع ينصبون شبا كم لاصطياد
طائر الرزق . وفهم يخرج من وصف النيل ليـدخل على مدح
ايوب باشا ، غير ان النيل يملك عليه نفسه فسرعان ما يعود الى
وصفه والتحدث عن الاحتفال بوفائه فيقول (ومضى باليمن والاقبال
فشرفت بمقدمه مصر العليا وعز القصر والايوان . وتحلى للنيل
بالزخارف والزين ، فكما تمازى بنت زليخا للقاء بدر كنعان هذا المستوى
على عرشه . وأصبح النيل عروسا تمشط المواشط شعرها ، وما
أشبه القوارب على صفحته بامشاط والمجاديف اسنانها . وبدت
عروسان في الوشي كما يبدو ذيل الطاوس ، فهما حوريتان من حور الجنة
تتخطران وتنظران ، لتخبرا رضوان بأن في الدنيا ما يشبه الجنان !)
ولاشك في ان شاعرنا و صاف موفق في رسم الصورة
الشعرية . ويبدو أن هذا الشاعر شديد التأثر بالنيل لأنه كثير
الذكر للأمواج والبحار في شعره .

ولم يشر مؤرخو الادب التركي من اترك واوربين الى
هذه القصيدة ، إلا باصباحيان الذي قال انها معروفة مشهورة^(١)

Basmadjian, Essai sur L'Histoire de la Littérature (١)
Ottomane P.125.

ومرد ذلك في الغالب الى انهم لم يطلعوا على ديوان فهم ، وبمكتبة
جامعة فؤاد الاول بالقاهرة مخطوطة منه (١) .

وقد ساءت في مصر حال فهم ، لأن جفوة وقعت بينه وبين
الوالى فانقطع بينهما كل سبب ، وتعاقبت عليه الايام بالنحوس
بعد السعود . غير ان المؤرخين لا يذكرون باعثا اثار الشر بين
الباشا وشاعره . وسخط فهم على مصر واهلها ، ويتجلى هذا
السخط من شعره في مظهر وضاح ، فهو الذى يقول برما مغضبا
(على عهد الله لادخلت بعد اليوم من باب لمصر ولو قيل لى انه
باب الجنة . ولا شربت لها ماء وان امرنى الخضر بأن اشرب منه
ماء الحياة ! ولو جعلت شمسا ما اخترت البروغ فى افقها ، ولو
كنت بدرا ما استمددت النور من شمسها . ان اليأس يخرس
البلابل فى رياضها ، وللغربان نعيق يرن صداه فى طولها . لقد
رأيت كثيرا غير انى لم أر فيها رجالا ، وما ذاك الا لأن عينى غائمة
من خمار خطوبها ، وعلى بصرى غشاوة من ترابها . من دخل
النار وصف لأهلها ما يخلع قلوبهم رعبا من عذابها . فلأداوم على
أكل الخشخاش حتى تأخذنى سنة ولا افيق من غفلتى عنها !)

(١) ديوان فهم ، مخطوطة رقم ١٤٨٨ تركى .

غير أن ظنه السيء بها وبأهلها لم يصدق ، فلما عقد النية على
الرحيل عنها اعوزه المال ، فلاذ برجل سمح كريم يقال له معالي
بك ، وانتجع سخاهه بالمدح ، فاجزل صلته ثم الحقه بتلك القافلة
التي كانت تحمل الخراج في كل عام من مصر الى استانبول . وقفل
فهم مع القافلة الى وطنه ، بيد انه اصيب بالطاعون في احدى مدن
الاناضول ، فمات غريبا فيها كما عاش غريبا في مصر . وكان ذلك
سنة ١٠٤٤ هـ (١٦٤٥ م .) ومن غزاياته الجميلة قوله في غلام
مولوى راقص (آه منك ايها المولوى الصبيح آه ، فان لعينك
الوظفاه من اهدابها خناجر تسفك دمي . ايها الكافر القاسى ،
ما كنت اعلم قبل رؤية ذؤابتك الفاتنة ان المنطقة في وسط
المولوى كالز نار عند المجوسى ، واذا ما حركت ذراعيك ،
واختلبت القلوب بنظراتك في رقصاتك ، ففي صميم روحى أسنة
من لفتاتك) .

• • •

وكان نانى شاعرا مرموقا المسكنة عند الترك يضربون المثل
ببلاغته ولسنته ، فاذا وصفوا متكلما بذلاقة اللسان والتناهى في
الفصاحة قالوا انه مثل نانى . كان متصرفا في فنون الشعر الى
تمرسه بكثير من فروع الادب ، وهو صاحب ديوان كبير من

الشعر ، كما ان له في النثر رسائل وتاريخا ورحلة وسيرة . ولذكرة
اهمية في تاريخ الادب التركي ، لانه آخر شاعر من شعراء الترك
المتأثرين بشعراء الفرس . ولد في الرها وقدم استانبول في زمان
السلطان محمد الرابع ، ثم انعقد الود بينه وبين قائد يدعى مصطفى
باشا فلزمه واختص به ، ورافقه في حرب الموره . وبعد موت
مصطفى باشا حج ناي البيت ، واتخذ من حلب مستقرا في عودته
وسمى منزله عند واليها بلطجي محمد باشا الذي اكرمه اعظم
الكرام ، فلما انتقل الى استانبول لرئاسة الوزارة ، انتقل ناي
معه ليشغل منصبا كبيرا . وعمر طويلا ثم مات سنة ١١٢٤ هـ
(١٧١٢ م) .

وشهرة ناي في الادب التركي المع من حقيقته ، فليس لشعره
من الجودة ما لشعر الفحول امثال باقي ونفعي . ويمكن وصف
هذا الشاعر في بعض المواضع بجمود الحس وصمم الشعور .
قال ضيا باشا في خرابات (لقد تعمل ناي وتكلف ، فكأنه تحكم
في الطبيعة واستكره الواقع ، غير ان شعره يخلو خلوا تاما من
التعقيد والركاكة ، ويشير كامن الشعور)

وقد انبرى له نامق كمال بك برد منيف في كتابه تخريب
خرابات فقال (لا يشكر احد ان لناي غزليات جميلة ، وايانا

كثيرة غاية في الجودة ، ولو قرأت ديوانه من فاتحته الى خاتمته
لما قلت ان شعره يخلو خلوا تاما من التعقيد والركاكة (١)
ويقول آكاه سرى وهو آخر دارس لهذا الشاعر (لا يعتبر
الخيال ولا الحس من العناصر القوية في شعر نابی وان تميز الى
جانب هذا بالفكر المخصاب . واذا ما أمعنا النظر ، رأينا ان
افكاره لاتنسجم الا فلسفيا ، وما تحدث شاعر من اهل زمانه
كما تحدث عن الله والكائنات والقضاء والقدر والرضا والتوكل
والقناعة والاختبات وما أشبهه) (٢)

اما جب فيرى ان تصرفه في كثير من فنون الشعر قد ضره
ولو ركز جهده وشاعريته في فن واحد ، لقدر له ان يسمو الى
مرتبة الفحول ، وان اضعف ذلك من شهرته بالبلاغة عند
سواد الناس (٣)

ونرد على جب بأن نابی هام في كل واد ، غير انه اجاد في

(١) نامق كمال بك ، تخریب خرابات . ص ٧٩ و ٨٠

(قسطنطينيه ١٣٠٤)

Agah Sirri, Nabi'nin Surnamesi, S.17 (Istanbul (٢)

1944)

Gibb, AHistory of Ottoman Poetry, V.3. P.327 (٣)

فن خاص من الشعر هو الشعر التعليمي ، فهو صاحب (خيريته)
تلك المنظومة التي اهداها الى ولده ابي الخير ، واجتمعت الآراء
على انها اروع ما قرض من شعر . وهي من الاهمية التاريخية
والادبية بمكان عظيم ، لانها مرآة صافية تظهر فيها أخلاق القوم
وعاداتهم وكل ما بينهم من اسباب . فنقف منها على الفضائل
والرذائل عند الجماعة ، ونميز الخير من الشر في الأعمال والأقوال
لدى الترك في القرن السابع عشر . وهذا ما جعلها من تلك
المنظومات التركية القليلة التي ترجمت الى لغة اوربية ، فترجمها
دوكورتاي الى الفرنسية سنة ١٨٥٧^(١) . نظم نابي هذا المثنوي
ايام مقامه بحلب كما يقول في المقدمة ، واهداه الى ولده ولما يبلغ
التاسعة من عمره . وهو في هذه المنظومة سهل العبارة لا يحتفل
بالمحسنات البديعية كدأبه في منظوماته الأخرى ، وای حاجة به
الى ذلك وهو لا يطرق معنى شعريا يتطلب لفظا طليا ، وانما
يبذل نصحا ويسوق حكمة ويهدي الى سواء السبيل . والمنظومة
في عدة ابواب للتغيب والترهيب . فمن دعوة الى الاحسان
والصبر والسخاء ، الى زجر عن المزاح والبخل والرياء . وقد

أوصى نأى ولده بتعلم الطب والنظر فى الأدب وحسن له أن يقرأ شعر باقى ونفعى . كما ارشده الى المهنة التى تصلح له بعد ان بصره بعلات المهن الاخرى . فحذره من ان يكون باشا او واليا ، لأن هذا المنصب العظيم يتطلب من صاحبه ان يكون من الظالمين والاحببت أعماله وسقط شأنه . وزهده فى المناصب الشرعية فمن رجال الشرع من خبثت دخلتهم ، ثم حجب اليه ان يكون من كتاب الديوان . كما قبح عليه ان يشتغل بالسحر والنجامة ، ويجرد صدرا كبيرا من الوقت للعب الزرد والشطرنج ومن عجب أن ينصح ولده بالتسرى ويحجب إليه الجورجيات خاصة . أما الزوجة الشرعية فعيها عنده كثرة نفقاتها . وأن الفصل المعنون بمتاع الباشوية يحوى قطعة تمدنا بقدر كاف من المعلومات عن الحياة فى ذلك الزمان (١) ومنها قوله (ايك والاحلاح فى طلب المنصب والجاه ، وحذار ثم حذار من الذلة فى سنبل العزة . فاهل المناصب فى تعب ونصب ، وقصارى مناهم ألا يعزلوا . ان عزة السمو الى المنصب لا تفى بذلة العزل منه . ومن للواصل اليه باغتصاب كل ما انفق للحصول عليه . لا تتجول

(١) شهاب الدين سليمان - تاريخ ادبيات عثمانية ص ١٧٥ .

في البلاد من أجل الولاية ، ولا تدخل نفسك النار بالطبل
والمزمار . لا تطرب لطنطنة الطبول ، فانها أحسن ماتكون وهي
على مبعده منك . الباشوية محنة تبقى بقاء العمر ، ولا حاصل منها
إلا الألم والهموم والغموم . فقد يبلغ النجم اسم صاحبها ، ويعلو
جاهه العظيم غير أن مصيره الجحيم . ان ظلم هدم الدين ، وإن
لم يظلم فليس له من الأمور تمسكين . وإذا ما دامت على ذلك
حاله ، فلا خير في ولاية مصر ولا بغداد مع هذا البلاء ، وهو
ينفي العمر في ضجيج وعجيج ولا نصيب له إلا الأسى والشقاء (١)
ففي هذه الآيات يتهم نأبى بالعطاء والولة ، ويشير إلى هؤلاء
الذين يبدلون المال الكثير في سبيل الحصول على المنصب العظيم ،
فاذنانوا مبتغاهم أكلوا السحت ليجمعوا ما قد أنفقوا . ثم يسخر
من طبول الولاية ومزاميرها وكل مظاهر عظمتها . ويقرر أن
الوالى لا بد أن يكون من الظالمين والظالمون في النار .

وقد أظهر في شعره ولو عا شديدا بالحكم والمواعظ ومثال
ذلك قوله (لا يستقر لهذه الدنيا أمرها ، ولا تصلح أحوالها من
غير هياج وارتطام أمواج . فساء البحر إذا سكن ، أصابه
الأسن) .

وأخذ الشعراء بأخذه من بعده ، فتضمنت أشعارهم كثيرا

من الحكيم والأمثال . ولتأني مشنوي آخر يسمى خير آباد بمعنى موضع الخير ، وهو يسميه باسم ولده أبي الخير كما صنع في المشنوي المعروف بخيريه . وهذا المشنوي قصة فارسية أخذها عن الشاعر الفارسي فريد الدين العطار (١) وهو فيه معنى بالمحسنات اللفظية وإيراد التراكيب الفارسية ولم يوفق في هذه المنظومة كما وفق في خيريه ، ولا يخلو هذا من دلالة على أن أدب المعنى خير من أدب اللفظ . وقد عثر آكاه سري آخرًا لتأني على سورنامه بمعنى كتاب الاحتفال بين مخطوطات جامعة استانبول ، وطبعه سنة ١٩٤٤ ، وقد أضاف بذلك جديدًا إلى العلم ، فلا ذكر لهذا المؤلف في كتب الأدب التركي (٢) وقد نظم ناني هذه المنظومة سنة ١٠٨٦ هـ (١٦٧٥ م) ليصف فيها تلك الاحتفالات العظيمة التي أقامها السلطان مراد الثالث بمدينة أدرنة يوم ختن ولده . وهي تتألف

(١) هو الشاعر الإيراني الصوفي فريد الدين العطار وله مشنوي يسمى منطق الطير ، ومنظومتان تعرف الأولى بالهينامه والأخرى بجواهر نامه عدا ديوان القصائد والغزليات ، وكتاب منشور يسمى تذكرة الأولياء . ومات العطار سنة ٦٢٧ هـ (١٢٣٠ م) .

Agah Sirri, Nabi'nin Surnamesi, S. 5 (Istanbul, ٢) 1944)

من خمسمائة وسبعة وثمانين بيتا . مدح بها السلطان وصور فيها كل ما رأى وسمع في تلك الحفلات التي أقيمت خمسة عشر يوما تباعا وكانت مضرب الأمثال في بهائها ورونقها . ومن قوله (مامن وال ولا حاكم ولا وزير ولا أمير ، إلا دعى إلى هذا الحفل البهيج . وفيه اجتمع شملهم وانتظم جمعهم . ولقد ذهب ذكر هذا الحفل في البلاد ، ففرح له كل فؤاد . ونالت به أدرنه من الرفعة وسمو الشأن ، ما حسدتها عليه جميع البلدان . فكم مقعد مطرز بالذهب ومسند مزركش عجب ! واحتفل المكان بالحضور فكان الهناء والسرور) .

أما منشورات ناني فتحفة الحرمين وهي وصف لرحلة إلى الأقطار الحجازية ، وذيل سيرة ويسى ، وهو تمة لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، لويسى وتاريخ قناچه التي استولى عليها الصدر الأعظم كوبريلي زاده حمد باشا سنة ١٠٨٣ هـ . ثم المنشآت وهي رسائله التي جمعها بعد موته صديقه حبشى زادة عبدالرحيم بك .

ولقد دب في الدولة ديبب الضعف وبدت عوامل الفساد والفوضى منذ عهد السلطان مراد الثالث ، ولا يتسع هذا المقام لبسط القول في ذلك ، وكافينا أن نورد بعضا من قول سفير

انجليزى وهو يتحدث عن الدولة العثمانية سنة ١٦٢٧ . قال (لن يكتب لهذه الدولة طويل دوام ، والله على كل شىء قدير ، غير أنها فى نظر المرء مشفية على نهايتها المحتومة) (١) . أما وجه الاشارة إلى ذلك . فظهور كاتب تركى يدعى قوچى بك برسالة يتناول بالنقد فيها سياسة الدولة . ويعرض لأسباب النهضة والسقوط شارحا مؤرخا ، فهو كاتب سياسى اجتماعى بالمعنى الأخص . وإذا اعتبرنا سنان باشا رائد النثر التركى ، فقوچى بك يتلوه فى الفضل والمنزلة (٢) . وان رأى فيه آكاه سرى رأيا غير هذا فقال انه ليس بشاعر من أصحاب الدواوين ، ولا كاتب شهر بالانشاء فى زمانه (٣) . ويرجع هذا الخلاف فى نظرى إلى أن الأول يرى فيه رأيه الخاص ، أما الثانى فيطلعنا على رأى الغير فيه . وليس قوچى بك بكاتب حسن الترسل متمق العبارة ليعجب معاصريه وهم يظربون للسجع والازدواج وطنين اللفظ الاجوف

(١) Von Sax, Geschichte des Machtverfalls der Türkei (Wien 1913). S. 60

(٢) Basmadjian, Essai sur l'histoire de la littérature ottomane, P. 6.

(٣) Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, Tanzimata (٣) Kadar, S. 569

فنثره من السهل الممتنع والمعنى فيه على قدر اللفظ ، وقد حاز
الاعجاب من بعد . كما عرف علماء الغرب لرسالته قدرها ، فترجمت
إلى الألمانية والمجرية والروسية (١) وشبهه بمونتسكيو كاتب
الفرنسيين .

وقوحي بك من أصل ألباني ، قدم استانبول وهو حدث
قربى فى قصر السلطان وتآدب ، ثم لحق بخدمة السلطان أحمد
الأول ومصطفى الأول وعثمان الثانى ومراد الرابع . وقد حظى
عند مراد الرابع فاستمع من نصحه وعمل بمشورته ولم يفارقه
فى سفر ولا حضر ، وقدم اليه رسالته فى أسباب تدهور الدولة ،
وهى تخلو من الملق خلوا تاما ، وان ذلك لو اوضح الدلالة على
اتصال الود بينهما وارتفاع الكلفة . ومن قوله فيها (ليس بخاف
على الملك السعيد العادل المجيد ، وهو الحازم التفكير ذو العقل
المنير ، أن الديوان السلطاني كان مصدر العدالة ، وأن أجداده
الأبجاد قبل السلطان سليمان القانونى ، كانوا لا يتركون صغيرة
ولا كبيرة من أمور الدولة وأحوال الرعايا والبرايا وشئون المال
إلا أمروا بتقييدها . أما السلطان سليمان فلم تجر عادته بالحضور

Babinger, Enzyklopaedie des Islam

(١)

في الديوان . غير انه كان إذا خرج بنفسه للغزو وتخبر الاخيار
في طريقه وعرف جليلة الأمور . أما في القسطنطينية المحروسة
فكان ينصت إلى ما يقال في الديوان وهو جالس على عرشه خلف
(قفص) (١) . وبذلك يقف على الاحوال . أما إذا وجد في نفسه

(١) كان الديوان اداة الحكم الرئيسية عند العثمانيين ، وكان اعضاؤه
يمقدون جلساتهم كل صباح في قصر السلطان ، كما جرت عادة السلاطين
بأن يرأسوا الاجتماع بأنفسهم ، ودامت الحال على ذلك الى ايام
محمد الفاتح ، غير ان حادثا وقع لهذا السلطان في الديوان ، جعله يكره
الظهور بين المجتمعين . فقد صادف ان دخل الديوان ذات يوم قروي
جاف وهو يقول بصوت جهسوري وبرة خشنة (ايكم السلطان ؟
فان لدى ظلامة اريد ان اتقدم اليه بها) فتأذى محمد الفاتح بجرأة
القروي عليه ونصح له الصدر الأعظم بالجلوس وراء حجاب يشبه
القفص كي لا تراه العيون ، ومنذئذ كان الصدر الأعظم يرأس الديوان .
كما قيل ان السلاطين من بعد كانوا يسمعون ما يدور في الديوان وهم
جلوس في مقصورة خاصة جدرانها على هيئة القفص . وبما يروى ان
السلطان سليمان القاو في لم يحضر جلسات الديوان في اعوامه الاخيرة
بايعاز من الصدر الأعظم رستم باشا الذي كان يفضل غيابه على
حضوره ليفعل ما يريد من غير حرج . أما خلفاء سليمان فما كانوا
يحضرون الا إذا استدعى حضورهم امر على جانب من الاهمية
كتوزيع الارزاق على الجنود واستقبال سفراء الدول وما أشبهه .

فترة من فرط اشتغاله بتدبير شئون مملكته ، فكان يخرج متصيذا
كما يخرج محاربا إلى مصاده في أدرنه أو يانبولى . وهناك يجد
المظلوم سبيله إلى حضرته من غير صاد يصدده ، ولا صحيفة يتقدم
بها . وهذا ما أحاطه بالأمور علما .

ونراه في موضع آخر من رسالته يوضح أسباب السقوط
ويعدها بقوله (لا يخفى أن حل السلطان سليمان للديوان ، كان
أول سبب للخلل وفساد الأمر . أما السبب الثاني فاختياره
السلحدار ابراهيم باشا وهو خادمه الخاص وزيرا أعظم من غير
نظر إلى القاعدة . فكان كل سلطان يرفع رتبة خدامه الخواص
ياستناد هذا المنصب العظيم اليهم . ولم يكن لهم علم ولا تجربة ،
كما اغتروا بجاههم ورضا السلطان عليهم فنكفوا من أن يسألوا
أهل الذكر ، وتخبطوا في جهالتهم وغفلتهم ، فعم الفساد ودب
الوهن في أمور البلاد) .

ويعتبر قوچى بك أستاذا للمؤرخ التركي نعيما الذى يعد أشهر
مؤرخى العثمانيين بعد سعد الدين ، وقد تأثر به كل مؤرخ جاء بعده .
ولد في مدينة حلب ثم حصل العلوم واشتغل بالتاريخ والنجماء ،
فصحت نبوءته وأنس به كثير من العظماء . ورحل إلى استانبول

وله من العمر ثمان وعشرون سنة. وهناك عين كاتبها بالديوان. وأصل
اسمه نعيم أما نعيما فمخلصه . وفي تاريخه وصف لما وقع من حوادث
بين سنة ١٠٠٠ إلى ١٠٧٠ هجرية (١٥٩١ إلى ١٦٥٩ م) وهو
فيه يدلي برأيه ويصرح بوجهة نظره ، ويمكن القول بأننا لانملك
تاريخنا أصدق منه وصفا لزمانه ^(١) . ولنعيما من جمال العبارة
وروعة اليمان ما يأخذ بالألباب ، وقلبه أشبه شيء بريشة الرسام ،
لأنه يهب الحياة كل ما يتناول بالوصف ، وكلامه متسق آخذ ببعض
برقاب بعض ، وكل جملة في موضع هو لها لا غيرها ، فتأخيرها
أو تقديمها أو حذفها لا يرب يفسد المعنى ^(٢) ومن قوله في وصف
العثمانيين وهم يفتحون جزيرة كريت (وفي تلك الأثناء ذاع الخبر
بوصول الأعداء ، فأطلقت النيران حتى ظهر أن هذا مكذوب .
وفي الغد بين الصلاتين ، نزل المسلمون على التلال بالقرب من
الجسر الحجري إزاء قلعة خانيمه ، فإذا بالسكفار في السكروم
والبساتين ، يلهون ويقصفون ، وقد لبسوا من صالح ثيابهم وبدوا

(١) كوبريلي زاده محمد فواد ، شهاب الدين سليمان - يكي عثمانلي

تاريخ ادبياتي ص ٣٨٥ .

(٢) Basmadjian, Essai sur l'histoire de la littérature ottoman, P. 130.

كانهم لا يحسبون لشيء حسابا ، فحمل الجند المنصورون على
هؤلاء المقهورين في ساعة أنسهم وبهجتهم ، فغنموا منهم ما لا يدخل
تحت حصر ، ووقع في يدهم مال جزيل وكثير من الأسرى . وجمى
بالأسرى من النساء والأطفال وأهل القرى ، فكان من حسن
تدبير القائد أن أحسن جزاء الجند وأطلق الأسرى . كما نهى
عسكره عن إحراق الديار وقطع الأشجار ، وقتل الأئخذ .
وتسامع الناس بذلك من مروته وأريحيته ، فجاؤا إلى معسكره
من كل صوب ، وقدموا الأزواد ومالوا إلى معسكر الإسلام
وقالوا إن الجزيرة لهم . ومات نعيما عام ١١٢٨ هـ (١٧١٥ م)

وبعد مصطفى الثاني تملك أحمد الثالث ، ذلك السلطان المرفه
الحسن المشبوب العاطفة ، الذي كان موكلا بالحسن يتبعه ويتملاه
في الوجه الصبيح والزهرة المتسقة والشعر الأنيق . فأقام العمائر
وشاد أربع مكتبات ، وقرب الشعراء والأدباء ، كما عرف الترك
فن الطباعة في عهده أول ما عرفوه ^(١) وكان عصره عصر رخاء

(١) يرجع الفضل في انشاء المطبعة التركمية الاولى الى رجل مجرى
الاصل يدعى ابراهيم متفرقه . وقد وقع في أسر الترك عام ١٦٩٣ وله =

وصفاء، فعرف - وأصدر منه - بعض زهر اللاله (١) وقد اشتمد ولوع الناس به حتى تنافسوا في اقتنائه ، فكانت تزرع أنواعه المتباينة في الرياض ، وأطلقت عليه أسماء شعرية جميلة ، وإذا ما آن أو ان تفتحته ، هرع أهل الذوق من أهل استانبول لمشاهدته في منابته ، كما كان الاتجار فيه حرفة فنيصة كالاتجار في الجواهر النفيسة (٢) فأصبحت استانبول مدينة غاية في الحسن كما قال

== من العمر عشرون سنة، فقدم استانبول واعتنق الاسلام . ثم اشتمل بنسخ الكتب ، وقدم الى الصدر الأعظم ابراهيم باشا كتابا بما نسخ فاعجب به الاعجاب كله . وعرف كثيرا من عليه القوم وفي طابعهم سعيد محمد افندى الذى كان قد شاهد المطابع أثناء مقامه في باريس فزين لبراهيم ان ينشئ في استانبول مطبعه . واتصل هذا الخبر بالعلماء والفقهاء فغضبوا وحرموه تحريمًا غليظًا . غير ان الصدر الأعظم كان غزير العقل واسع الافق ، فاستفتى شيخ الاسلام في المسألة فافتاه واستأذن السلطان فأذن له . وباشر ابراهيم متفرقه عمله في مطبعته عام ١٧٢٨ . أنظر Ahmet Refik, İlk Türk Matbaasi, S 8,10 (Istanbul 1929)

(١) لاله في الفارسية هو اسم الزهرة المعروفة Tulip في الانجليزية وقد درسنا هذا العصر تفصيلا في كتابنا من ادب الفرس والترک .

(٢) Ahmet Refik, Lale Devri, (Istanbul 1932) S.46

الشاعر نديم (تلك هي استانبول التي لم يخلق مثلها في البلاد حسنا
وطيبا ، إن الحجر فيها ليفديه ملك العجم بما وسع . يالها جوهره
غالية بين بحرين ، وإذا ما أردت لها وزنا ، فإن يعادلها في الميزان
إلأشمس الضحى ، كل أرض خضراء فيها روضة فيماتة ذات بهجة ،
وكل ركن من أركانها مجلس أنس وصفاء ، وأظلم الظلم أن تؤثر
عليها الدنيا بأسرها ، ولست موقفا ان شبهت رياضها برياض
الجنات) .

وشاعر هذا العصر أحمد نديم الذي اشتغل في أول أمره
بالقضاء ، ثم نادى العطاء وتوصل بكل أسبابه إلى عليية القوم ،
وكان معوانه على ذلك حديثه الطلي وأدبه العالى وروحه المرحه ،
فقال الزلف عند الصدر الأعظم ابراهيم باشا ولم يفارقه في مصيف
ولا مشق ، ثم قويت بينهما روابط الألفة على المدى ، فجعله خازن
كتبه وكان يحشو فاه درا بعد أن ينشده مارق وراق من شعره (١)
وهو أصدق شعراء الترك الأقدمين لهجة ، فقد صور بيئته أدق
تصوير ، وعبر عن نفسه بصراحة لا عهد لنا بها عند سواه ، أما
ذاتيته فلا يزاحمه عليها شاعر تركى . وقد وازن محي الدين

(١) عبد الحلیم بمدوح - تاريخ ادبيات عثمانیه ص ٤٥ .

بينه وبين فضولى فقال أن فضولى شاعر الإنسانية إلا أنه ليس
 شاعر عصره كنديم . وللإنسانية المعذبة المحزنة قلب شديد
 الخفقان في شعر فضولى ، أما نديم ففي شعره كل ما في عصره من
 لهو وصبوة وشوق ولذاعة وفتنة ومجانة (١) ولم ينظم في التصوف
 لأنه ليس بعباد ولا زاهد ولا تعس ولا محروم ، فقد تقلب في
 الرغد والنعيم ، وعاش العطاء في القصور ، فلم يشاهد من الحياة
 إلا وجهها بساما ، وإذا ما أبكى الحبيب عيوننا وأحزن قلوبنا ،
 فحبيبه ملء العين والقلب ، وأئن قنع غره بطيف الخيال ، لقد
 أفن نديم في متعة الوصال فقال (بنا إلى البستان يافتته الخريف
 وسرورة المروج ، فالوقت وقت بهجتنا ونزهتنا . هو ذا البلبل
 يناديك (٢) فإن له من ثرك وردة يهاها ، بنا إلى البستان .
 ما أطيب أن ننسى لحظات عابرات نسعد فيها قبل أن يأتي الشتاء
 فتذبل البساتين . ولتسكن كأس المدام في يدك عوضا من زهرة
 حمرام . ما أشبه هذه الدنيا بحمة المأوى ، فما أكثر الثمار التي تقدم

(١) عجي الدين يكي ادبيات ، ص ١٠٨ .

(٢) في شعر الفرس والترک ، ان البلبل يعشق الوردة ولا يصدق
 إلا بجانبها كأنه يتغزل فيها ويثما الشكوى .

الينا ! أنحرميني ثمار حسنك الفنان ، وتضمنين بقبلة لا تراها
العيون ! تعالى يا حيتي يا فتنة الخريف)

وقد أنشد هذا الشعر في حضرة السلطان أحمد ، ذات أمسية
من أماسي الخريف الحزينة ، وللرياح أنين وحنين بين الأشجار
العارية في بستان القصر . فأى عاشق أسعد وأى شاعر أفصح
وأى محب للحياة حبه أقوى وأشد ؟ ولا تخلو نفسه من أمل في
البهجة ورغبة في النعيم وهو اذا كابد الشوق احس لوعة الوجد
وقال (عودي إلى نجدد عهدنا الخالي ! تعالى ان من حاجبيك
هلال عيد ، فلنقض معا يوم عيد . ولا جعل منك شمسا للضحى
بكأس من عقار . تعالى ان لي من حاجبيك هلال عيد فلنقض
معا يوم عيد)

فالرقة والعذوبة طابع لمثل هذا الشعر الذي لا يجيش به إلا
نفس مشرقة مستبشرة ، ونديم يتغنى دوما بفرحة الحياة وسعد
الزمان ، وله أغان مما يعرف في التركية باسم (شرقى) دارت على
الأسنة وترددت اصداؤها في أحياء استانبول وأنحائها ، وهي
التعبير الصادق عن حال هذا الزمان وناسه ، والصورة الحية
لحصر الزهر ، التي لا تبلى على الأيام جدتها . ومنها هذه الأغنية
(تعالى ، لنفرح هذا القلب المحزون ! تعالى ياسرورة تهادي ،

سيرى معى إلى سعد آباد . هاهى ذى القوارب بمجاذيفها
السكثيرة على أهبة حملنا ، لنضحك ونمرح ونأخذ من هذه الدنيا
نصيدينا . لذشرب ماء تسنيم من عين تفجرت لنا ، ولنشاهد ماء
الحياة يمجه التنين . تعالى ياسرورة تهادى ، سيرى معى إلى سعد
آباد . وليكن سيرنا وئيدا عند حافة الحوض ، لنرفع البصر
بالإعجاب والعجب إلى قصر الجنان إذا دونا منه ، لنتشاد وترنم
بشعر الغزل ، تعالى ياسرورة تهادى ، سيرى معى إلى سعد آباد .
أستأذنى أمك فى الخروج ، وقولى إنك خارجة لأداء صلاة الجمعة !
ان غفلة الدهر عنا نهزة فلنختلسها يا حبتى ، والدهر دهر ظلوم .
وإذا وصلنا إلى فرضة البحر مضيئنا فى طريق يخفيها عن العيون .
تعالى ياسرورة تهادى ، سيرى معى إلى سعد آباد . ستكوينين
معى ، أما نالشنا فطرب صوته بلبل رخيم ، وإذا ماشقت فليكن
معنا نديم ! وليغب بقية الخلان فى هذا اليوم . تعالى ياسرورة
تهادى ، سيرى معى إلى سعد آباد)

ففى هذه الأغنية وصف لمتنزه جميل يسمى سعد آباد نسبة
إلى اسم قصر منيف من قصور السلطان احمد الثالث وقد تعلق
وصف الشاعر بكل شىء ، فوصف ركوب البحر إليه ، وذكر
نافورته التى على هيئة التنين ، وتلك العين التى تفيض من العذب

التميز، أما أسباب اللهو والطرب فحدثنا عنها ولا حرج. ويقول
 باصهاجيان ان شعر نديم غريب عن عصره المتقدم، ويمكن أن
 ينسب إلى شاعر من المحدثين، ولو كان من أهل عصرنا - كان
 شاعرا عظيما بيننا (١) اما جب فيقرر أن ترجمة شعره أشبه
 شىء بإعادة رسم صورة ملونة صغيرة بالحكك، ويشك في قدرة
 شاعر انجليزى له مثل شاعرية نديم على أن يترجم شعره ترجمة
 دقيقة مع المحافظة على رقة الأصل وموسيقاه (٢) وينهب بانبجر
 في الفصل الذى عقده عنه في دائرة المعارف الاسلامية، إلى ان
 مؤرخى الأدب يختلفون فى الحكم عليه، ولم نجد مصداقا لهذا
 إلا فى قول فون هامر ان قصائده وغزلياته ليست من الجودة
 على حظ كبير (٣)، وتشبيهه نامق كمال بك لديوانه بصورة الحسناء
 العارية التى لا يجوز النظر إليها تأثما (٤). وقد فند جب فون هامر
 ورماه بضعف ملكة النقد. اما نامق كمال بك، فنرى انه حام

(١) Basmadjian, Essai sur l'histoire de la littérature ottomane, P. 134.

(٢) Gibb, A History of ottoman Poetry, V. 4, P 38

(٣) Von Hammer — Purgstall, Geschichte der osmanischen Dichtkunst, 4B, S, 311

(٤) ابو الضيا توفيق - نمونه ادبيات ص ٣٩ .

وماورد ، لأن راسم العرايا فنان كراسم القديسين ، وليس للناقد
الفنى أن ينصب نفسه حكماً إلا على الفن من حيث هو فن مخافة
أن يتكلف ما لا يحسن ، فأدب الرذيلة كأدب الفضيلة يصور
النفس الإنسانية فى منازعتها ، والخير والشر فى حياة البشر
صنوان متلازمان . وقد ترجم نديم تاريخ منجم باشى عن
العربية تحت عنوان صحائف الأخبار ، وساخ فيه عشر سنين
حتى أنجزه سنة ١١٤٢ هـ (١٧٣٠ م) . وأسلوبه الثرى متميز
بحسن الإيجاز ، وعنايته بالمعنى العامر لا اللفظ اللامع ، فنتره
فى ذلك شبيه بشعره (١) .

وقد ألف كاتب تركى محدث تمثيلية غنائية عن نديم وعصره ،
فأصاب صفاته وأورد نماذج من شعره (٢) .

ولما قامت الثورة وقتل الصدر الأعظم ابراهيم باشا ، كبس
الثوار دار شاعره ونديمه وضيقوا الحصار عليها ، واضطر نديم إلى
التعلق بالفرار ، فوثب من سطح داره إلى سطح الدار المجاورة

(١) هو تاريخ عام يبدأ بخلق آدم وينتهى بسنة ١٦٧٢ . وقد
ألفه احمد دده بالعربية .

(٢) Musahipzade Celal, Late Devri, Sarkiili Tarihi
Operet (Istanbul 1936).

غير انه سقط قتيلًا بين الدارين سنة ١١٤٢ هـ (١٧٣٠ م) .

* * *

وإذا ما ذكر الشيخ غالب ، فقد ذكر من أجمع مؤرخو
الأدب التركي على انه أوسع الشعراء الأقدمين خيالًا وأدقهم
تصويرًا . فحق له أن يقول مفتخرًا بنفسه (أنا من شأوت
أسلافي فيما قالوا ، وكان كلامي غير ما عهدوا)

ولد الشيخ غالب في استانبول ، وانتسب إلى الدراويش
المولوية ، ثم رحل إلى مدينة قونية مهد الطريقة المولوية . ولما
عاد إلى استانبول أصبح شيخًا من مشايخ هذه الطريقة ، ولذلك
عرف بغالب دده ، ودده في التركية بمعنى الجد أو الشيخ ، وهي
لقب للدراويش ، وقد قرض الشعر في مقتبل عمره ، فكان
مخلصه أسعد ثم (غالب) . وهجاه على ذلك شاعر مزاح يدعى
سرورى بقوله (لست أدرى أيها المنحوس ، أسعد انت أم
غالب ؟ عرف نفسك من أنت والى من تنتسب . وإذا ما قلت
في شعرك انك غالب ، فأنت عند أهل الأدب مغلوب في
الغالب !) .

ولا نعلم عن حياته أكثر من ذلك . أما شعره ، فديوان كبير
من القصائد والغزليات وقصة منظومة بعنوان (حسن وعشق)

وهو في غزلياته ظاهر التأثير بمثنوى شيخه جلال الدين الرومي
وشعره في الغزليات والقصائد جيد لا بأس به ، الا انه في مستوى
شعر غيره من شعراء الدراويش المجيدين ، فلا ينسب إليه فضلا
ليس لسواه ، ولا يدل على عبقرية أدبية تميزه عن الشعراء كافة ،
ومن قوله في إحدى غزلياته (وصلنا إلى باب الحبيب فما وجدنا
من حبيب ، ودخلنا الجنة فما شاهدنا وجهه يا أسفا ! وصعدنا
إلى السماء الرابعة نلتمس الشفاء لدائنا فما صادفنا عيسى ليمرىء
قلبنا . الا فانظر ماذا صنع الفلك الدوار بنا . ما أصبنا كأسا
دهاقا حتى في حفل جمشيد ! لقد سمعنا كالمجنون إلى حرم السكرية ،
وانتهت صلواتنا ، ولكن لم تستجب دعواتنا . واحي هذا القلب
وبدا صورة في المرأة ، فحرت في أمرى لأننا لم نشاهد صورة
الحبيب !).

اما منظومة حسن وعشق فيها نباهة ذكره وعلو قدره ، وفي
ذلك يقول ضيا باشا (كأنما جاء هذا الشاعر الوحيد . إلى الدنيا
من أجل ذلك السكتاب الفريد) وقد عقب نامق كمال بك على
ذلك بقوله ان هذا كلام يناقض بعضه بعضا ، فالمفهوم ان حسن
وعشق أحسن آثار الشيخ غالب ، وعلى ذلك لاتعد آثاره الأخرى
شيئا مذكورا ، فيكيف يوصف شاعر بالعظمة لآثر واحد . وما

الحكم على هذا المنطق السقيم الذى ساق إليه ضيق القافية (١) .
ولا يخفى تزمّت كمال بك وتحامله على الباشا ، فوصف قصيدة
لشاعر بالجودة مثلا ، لا يعنى وصف كل اشعاره بالرداءة
والفسالة ، فبين الحدين مراتب بعضها فوق بعض . والرأى
ان هذه المنظومة أروع ما قال ، وان لم تخل من هنات يشبهها
عبد الحلیم مدوح بقطع الغمام المتناثرة فى سماء الليلة المقمرة (٢)
وقد نظمها وهو على رأس الحادية والعشرين من سنه قبل أن
ينظم شعر ديوانه . وان دل ذلك على شىء فإنما يدل على انه كان
يعتمد على ملاسكته ويستوحى قريحته شأن العباقرة الذين أتخفوا
الإسانية بروائعهم فى حدائث سنهم . فتمار الروح والخيال أسبق
إلى الوجود من تمار العقل والتجربة . وكان الشيوخ غالب أكثر
توفيقا واجادة وهو منطلق على سجيته ، منه وهو متكى على
دربته واداته التامة . وقد ناقض جب كلامه فى كتابيه تاريخ
الشعر العثمانى والأدب العثمانى فيينا يقول فى الأول ان الشاعر
نظم قصته قبل ديوانه إذا به يقول عكس ذلك فى الثانى (٣) اما

(١) نامق كمال بك - تحريب خرابات ، ص ١٠٧ .

(٢) عبد الحلیم مدوح - تاريخ ادبيات عثمانيه ، ص ٦٤ .

Gibb, Ottoman Literature, P. 243

(٣)

تلك المنظومة فقصة صوفية رمزية فحواها أن يظهر في قبيلة بئى
المحبة فتى يقال له (عشق) وفتاة يقال لها (حسن) ويشدوان
معاً شيئاً من الأدب على (مرلانا جنون). ثم يخفق القلبان
بالمهوى، وينعم الحبيبان بالوصل في بستان (المعنى)، أما صاحب
هذا البستان فيدعى (اللفظ). وينتهي خبر العاشقين إلى شيخ
له الحكومة في القبيلة فيفرق بينهما. إلا أنهما يتكاتبان
ويتشاكيان. ويعصف الأسى والوجد بقلب حسن، فتبدي
الذى لم تكن تبدي وترى ظئرها ذلك من أمرها فتسألها عن
بئها ولوعتها، فتجيب حسن أو يجيب الشيخ غالب على إصانها
بقوله (لا تسألن فراشة عن حالها، وأعرف هواها من احتراقها)
ثم يطلب عشق يد حسن من أهلها، إلا أنهم يطلبون إليه
الدخول تحت شرط، وشرطهم أن يرحل إلى مدينة (القلب)
ويأتهم منها بحجر الفلاسفة. فيركب عشق لذلك كل متعبه،
ويمضى في طريق موحشة تسكتنفها المخاوف. وتتكاثره العقبات،
وتخلع المعاطب قلبه رعباً، ويكاد يقع بين أنياب الضياغم في
القفار، ولا ينجو من فتسكة المردة والشياطين إلا بأعجوبة
الاعاجيب. ثم يجوز بوديان تطمسها ظلمة الليل وتراكم الثلوج
كما يعبر بحراً من نار في زورق من شمع! حتى يوافي مدينة

(القلب) ، فيصدق أمله وينال بغيمته لأنه يجد هناك من يهوى .
فغرض هذه القصة صوفي محض ، وفيها تصوير لتلك المشقة
التي ينبغي للصوفي أن يتكبدها حتى يصل إلى ما ينشد من فناء في
الذات الالهية . والشيخ غالب عظيم التوفيق في التشبيه والتصوير ،
مما أكسب منظومته جمالا شعريا تتفرد به . فننقل قوله في وصف
طريق عشق (وضل الطريق في أرض قفار جرداء ، يغمرها
الهلول وليل الشتاء . عوذ بالله منها ! انها ملعب للجن يتلاعبون
فيه ماشاءوا أن يتلاعبوا . اليأس والهلوع فيها متلاحقان ، والثلج
والظلام يتساقطان . وامتزجت دياجي الليل بالثلوج ، فسكأنما
أفرغ الظلام والنور في قالب . وحمد نور القمر من كلبة البرد ،
اما قطرات الندى فقطرات زئبق رجراج . وأصبحت الظلماء
غزالا أبيض ، والصحراء مسكا في كافور . وبدا الظلام في
الثلوج كسواد العين في بياضها !)

فمثل هذا الوصف الدقيق الذي يخرج الحقيقة من الخيال
ويجعل الموهوم ملموسا ، كثير التدوار في هذه المنظومة . ومن
قوله على ذكرى بشاشات من العيش مضت إلى غير رجعة
(ياطيب أيام لي مضت ، كان الفؤاد فيها بهيجا ، والانس والمسرة
ملء الروح . ان ذكرها تخطر على بالي ، فرق لي أيها الفلك من

بلبالي ! أنا من كان زينة الأيام . كانت النفس روضة زهر ،
وكل كم من أكامها جنة ! وجاءت النوى بؤسا للنوى فانقضى كل
شيء وانطوى . واني لأجد اليوم في قلبي لذاذتها ونشوتها . أنا
من أسكرته خمر الخيلاء . مارفعت إلى السماء كفا للدعاء . فقد
كنت في نعيم وهناء وجدل وغناء . ولي من حبيبي سرورة تماشيني
فما اطلعت أحدا على مكنون سري . انا من حسده الربيع تحميذا .
أما ففي غموم وهموم ، أنوح ماناح البلبل إذا استهل الربيع .
وكأى من نار مضيت فيها ثم وصلت إلى الشط . ثم تهالكت
فكأن كأسا هوت فالتحطمت . أنا من كان يرشف العتاب شرابا ،
واحر قلباه ! لقد انقضى ذلك الزمان ليله ونهاره ، وتصوح
الربيع أفنائه وأزهاره ، واختفت بسات هذا الوجه الصبيح ،
وبقيت الروح ظمأى بعد أن ذهب الخنار . أنا من كان يتادم
الحبيب على المدام . يا طالما هوت مع من أهوى ، وكنت في
فرحى ومرحى كذلك الماء الذى يدور ويمور ويرسل الخريز .
ولبست الشعلة الحرام في مجلس الصهباء (١) وأسكت البلبل الشادى

(١) يريد أن يقول انه يلبس الثياب الحمر في مجلس الشراب ،
وفى هذا إشارة إلى (شعلة السكرم) وهو اسم من أسماء الخمر فى
الشعر الفارسى .

بانشادى . أنا من سعدت أيامه (كغالب) وطاب له العيش
الخفيض .

وقد اعتبره شهاب الدين سليمان شاعرا رمزيا كالرمزين من
شعراء الأوربيين ، وغلط هؤلاء النقاد الذين شهوه بفيكتور
هوجو والفرد دو موسيه (١) وتوفى الشيخ غالب فى الثانية
والأربعين من عمره القصير سنة ١٢١٠ هـ . (١٧٩٥ م) .
ولو ترجم شعره مترجم له الماعية فترجر الد مثلا ، لأطرب
الدنيا كما أطربها عمر الخيام . (٢)

* * *

وكافى من هؤلاء الشعراء الذين ذهب لهم فى الترك صيدت
وذكر ، وحقه على مؤرخ الأدب أن يخص شخصيته وشعره
بازدياد بسط وتكثير أمثلة ، لأنه ضحك صاحب دعاية ، فسيطر
الهزل على نفسه وشعره ، وأكسبه ذلك الطابع الخاص الذى
يتفرد به . وهو من أهل مدينة توقات بشمال شرق الأناضول ،

(١) شهاب الدين سليمان . تاريخ أدبيات عثمانية ص ٢٣٠

Halide Edib, Conflict of East and West in Turkey, (٢)
P.180 (Lahore 1935)

وانخرط في سلك دراويش المولوية شابا فأقام بتسكينهم حتى بلغ
الثامنة والثلاثين . ولما استدعى حكيم علي باشا والى طربزون إلى
استانبول ليرأس الوزارة ، مر بمدينة توقات ، فتقدم إليه كافي
بمدحة ماسكت عليه إعجابه ، وانصلت المودة بين الشاعر والباشا
فرحلا إلى استانبول معا . وهناك بهرته الحضارة برواها وخرقها ،
ورأى الناس يلبسون من فاخر الثياب مالا غاية بعده وينعمون
بالطيبات ، وهو الذي عاش في قلة وحرمان ، كما عرف الرياء
والمداجاة والمداهنة من شيم نفوس القوم ، وهو الصريح الضحوك
المتهمك ، فسخط على حياسته الجديدة وأهلها المتكلفين المنافقين .
وجعله الصدر الأعظم كاتباً في الديوان ، إلا أن كافي كان ملولا
سؤوما بطبعه ، فسرعان ما برم بعمله وكره قيود منصبه ، فاستعفى
منه يوم استعفى حكيم علي باشا من رئاسة الوزارة .

وتقلبت الأحوال بكافي ، فقام في نفسه أن يزيل استانبول
إلى بلد آخر ، وشد رحاله إلى بوخارست ، وهناك أصبح الكاتب
الخاص لأحد الأمراء ، وكأما كان من المحال أن يدوم كافي على
حال ، فاجتوى بوخارست ، وما سمع بأن يكن محمد باشا أصبح
الصدر الأعظم ، وأنه يدعو إلى الحجى ، حتى انطلق راجعا إلى
استانبول . وكان من أصفياء الصدر الأعظم وأهل أنسه منذ

طويل زمان ، فسقط التكلف بينهما كما يسقط بين متحابين متوادين ، غير أن كافي كلمة مرة بما أغضبه وأنساه كل ما كان بينهما من صفاء ، فأمر بقتله ولم يثنه عن عزمه إلا شفاعة خيري أفندي رئيس الكتاب ، واستبدل بالقل نفيه إلى إحدى الجزر . وسامت حال كافي في منفاه ، نخلت وفاضه حتى ضاقت يده دون شراء تبغ يدخنه ، فحرم من نارجيلته وكان إذا رأى خرطومها الذي يشبه الأفعى ، تأذت نفسه وتخيله حية تسمى ، كما يقول في كتاب له إلى أحد خلانته . وهذا كل ما ذكر المؤرخون عن حياته بعد أن قالوا انه تاب عن حياة الهزل ، وعاد إلى حياة الجد والزهد التي كان يحياها في سوائف الأيام .

وكان كافي مزاحا مولعا بإدخال الفكاهة على كل شيء ، ولم تفارقه هذه النزعة حتى في آخر عهده بالحياة ، فقبل انه أضحك عواده وهو يجود بنفسه فقال (لست متسولا أسأل الفاتحة ، فلا تكتبوا على قبري إنى أسأل الزائر قراءة الفاتحة لروحي أسوة بغيري من أصحاب القبور) وعرف الناس ميله إلى الهزل فكان منهم من يكتب أبياتا من الشعر ويتوجه بها إليه ليتمها قصيدة هزلية تضحك الثكلى . وليس كافي بالشاعر المجيد فشعره لا يسلم من عيوب القافية ووعورة اللفظ . بيد أنه في الهزل نسيج

وحده، ولا يشق غباره أحد من شعراء الترك . وقد شبهه براسم
الصور الهزلية الذي يحسن رسم الصورة القبيحة ، كما يحسن غيره
رسم الصورة الجميلة (١) ومن قوله (هو ذا البدر في قبة السماء ،
فكأن شحاذاً يمد يده بالوعاء ، الا إن الفلك خسيس دنى فهل
يبسط درويش يده متكففا ان كان له أباء وكبرياء ؟)

فهو يتخيل البدر وعاء تمتد به يد الفلك الشحاذ ، وهذا وصف
جميل وتهكم مرير ، كما أنه واضح الدلالة على أن الرجل يخلق
الفكاهة خلقة ، ويجد ما يضحك حتى في شيء لا يضحك . ويقول
في نؤوم (هذا النائم لا يستيقظ ولو قرعت عند رأسه الطبول ،
ياله من غر جهول لا يعلم أن عينه النائمة ستبكي دما على السكسل
غدا ، يامن ينام كالخمار السكسلان واسمه اسم إنسان ، سر إلى
الحقل لتشهد الثور يرعى وهو واقف يقظان)

وكان كاتب حسن الترسل ، وقد اتفقت كلمة النقاد على أن
نثره يفضل شعره ، وقد برز في كتابة الرسائل الهزلية كتملك التي
كتبها إلى الصدر الأعظم يكن محمد باشا وقال فيها (إذا ما ابتلى
القلب بتباريح الهوى فكان شديد الخفقان ، وشغل العقل

(١) محي الدين - بكى أدبيات ص ١٣٤

بمختلف الأفكار فكان دائم الغليان ، أيمكن أن يؤثر في صاحب
مثل هذا القلب والعقل عزل وانفصال ، أو لوم ونكال ؟ ياسيدي
الباشا على المرء أن يعرف نفسه حق المعرفة قبل أن يتصدى
لنصح غيره ولأصارك بمرامى ، فأنا كأديب متبطل بكفيني
من المال ما أقضى به ضروراتي ، لا كون كالباشا غنيا عن غيري .
وأحيا وأنافارغ القلب من هموم العيش ، وما حاجاتي إلا حجرة
فيها خمسة أو عشرة كتب متناثرة الأوراق ، وقبينة أو قبينتان من
اخمر أرجوانية صافية ، وأقداح أديرها في الأحياء على خلان الوفاء
الذين نزهوا نفوسهم عن النفاق والرياء . ولدى اليوم كل هذا ،
أما ما يزيد عليه فبين يدي ربي وهو المنعم الكريم ذو الفضل العميم)
ولا يخفى ما في هذا الكلام من جرأة وتناول ومخاشنة ،
وعبارات لا ذعة لا يوجهها مثل كافي إلى مثل الصدر الأعظم . ومن
مضحكاته قوله في إحدى رسائله (سلامي إلى كل من عندكم من
دلال وجمال وبقال ، وفلاح وملاح ، ونمام وذمام ، ومفسد وماحد ،
ورمال ونجم وحجام ، وسمسار وخمار ، وسؤال عنكم جميعا) .
ونختتم الكلام عن كافي بقول جودت باشا (لقد رأى هزله
الخلان ، وسمع بهجيب قصصه سنج الإخوان ، فما عرفوا فضله
ولا وضعوه في منزلته ، وكان بعض الهزئين يلتفون حوله فيقول

فأثلهم . لقد وجدت بيتا أوقافية أو مصراعا ، وتلك قافية ضيقة ، فكيف يكون التخميس أو التضمن ، وبذلك هيجوا طبعه ، وجعلوا شعره في الهزل أكثر منه في الفنون الأخرى . غير أن لكان أشعارا لا نظير لها بالمصرية والتركية في النعت الشريف ، وهي عند أهل النظر موضع اعجاب (١)

وهذا الرأى في كائن الذى يخالف غيره من الآراء ، يذكرنا بقول بعضهم عن الشاعر العربى أبى نواس إنه فى طبيعة المجيدى ، إلا أن المجون غلب عليه فرغب الناس عن شعره .

ومضى كائن سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩٢ م) . فأرخ وفاته الشاعر سرورى (٢) بقوله (فليتكف أهل الظرف عن ضحكهم وليندروا

(١) جودت باشا - تاريخ جودت ، بشنجهى جلد ص ٢٣٤
(درسمات ١٣٠٩) .

(٢) هو سرورى المتوفى سنة ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م) كان شاعرا هزلا مزاحا ، له ديوان كبير وهزلياته بين دقتى كتاب على حدة . وقد أحبه الناس لظرفه فراجت بضاعته وأقبل أهل الدعاية على شعره إقبالا شديدا ، فكأنوا يتفكحون به فى مجالسهم ويجعلونه سلواتهم وقت الفراغ . وله فى الأدب التركى شهرة بنظم التواريخ ولعل شاعرا تركيا لم يحسن فى هذا الفن كما أحسن سرورى ، فقد كانت له قدرة =

ذمغ عينهم ، لقد مضى معدن اللطافة كاني إلى مأدبة الصمت. كان يضرب بالدفوف وهو بالمدينة يطوف ، فيكأنه في عرس. وكان يرقص كأجمل ما يكون الرقص (١) لطائفه ونوادره ما أكثرها ، ولو قد دونها كلها ، خلعت دكاكين المداد من مدادها ! كان متبسطا في كلامه ، أما إذا صمت فإن صمته يخجل أركان الأدب. مارغب يوما في تلك الجيفة التي يسمونها الدنيا ، فلينل في العمي منزلة الاطهار والابرار .

* * *

ومن شواعر الترك ، وما أكثر شواعرهم ، فطننت خاتم (٢)

== عجيبة على التأريخ بحساب الحرف فيرتجل ارتجالا ما يكلف غيره أعظم العناء . وبلغ من ولوعه بهذا النظم من الشعر أن يؤرخ كل حادثة سمع بها ، وقد تجاوز حاضره الى ماضيه فذكر ذكريات الطفولة والصبا . كما نظم تواريخ اسلاطين العثمانيين .

(١) كان في الفارسية بمعنى المعدن والمنجم وكان نسبة اليها . وصروري يشير اليها بقوله معدن اللطافة . أما أن كان يضرب بالدفوف ، ويرقص ، فبإعارة يراد بها أنه كان يسر الناس بهزله ودعابته .

(٢) خاتم مؤنث خان بمعنى الحاكم والسيد في التركية ، ويقال أنها مأخوذة عن Khang في الصينية . والتركي ينطقون الخاء هاء .

وقد نماها أبو كريم هو أسعد أفندي الذي كان شيخ الاسلام
في عهد السلطان محمود الأول ، كما أسند هذا المنصب العظيم إلى
أخيها شريف أفندي في أيام عبد الحميد الأول . وكان الشيخان
شاعرين فتأدبت بأدهما ووجدت قدوة حسنة فيهما . ولما بلغت
سن الشواب وتها لها أن تكون ذات بعل ، زوجها أبوها من
يقال له درويش أفندي ، وكان رجلا ساقط الهمة جاني الطبع
راكد النسيم ، فأساء عشرتها ونغص عليها عيشها ، ولم يوافق
شن طبقه فدام الشقاق وعز الوفاق . وطالت بها الأيام في هم
واكتئاب وشقوة وعذاب ، فكانت تلتهمس عن كرتها تنفيسا في
قرض الشعر . وانما لنجد وجه شبه بين ملاح من شخصيتها
وملاح من شخصية كافي ، فقد عرفت فطنت خانم بنزعتها إلى
الدعابة والفكاهة ، وليس هذا بعجيب من مثلها ^(١) كما اجتمعت
الآراء على أنها أشعر شواعر الترك ، وقبل أن نورد الامثلة من
شعرها ، نروي لها قصصتين مع شاعر من أهل عصرها يدعى
حشمت . فيقال انها خرجت في عيد الأضحى لشراء أضحية ،
فوقفت عند جامع بايزيد وهي تجمل البصر في قطع لشراء كبش

(١) انظر كتابنا من أدب الفرس والترك ص ١٨٥

من كباشه ، وكان من محض المصادفة أن تكون وقفتهما إلى جانب
حشمت . فالتفت إليها وسألها عما جاء بها وغرضه أن يجاذبها
أطراف الحديث ، فقالت إنها إنما جاءت لبراء أضحية ، وأحب
حشمت أن يداعبها فقال (لا أقدم نفسى قربانا) وما كان منها إلا
أن بادتهه بقولها (انت معيب القرن ولا تحل أضحية هذه صفتها)
أما قصته الأخرى معها ، فمجملمها أن حشمت كان ماراً
بدارها ذات يوم ، وما أبصرته حتى أمرت جارية لها فأطلت من
النافذة وجعلت تسخر منه وهى تشببه تشبيها مضحكا بالقلق ،
ذلك الطائر الطويل العنق لأنه خفيف الشارب واللحية ، فبادلها
سخرية بسخرية . وأبلغت الجارية سيدتها ما قال ، فردتها إلى
النافذة بكلام نسك عن ذكره لفحشه . وفي هذا برهان على رغبة
شديدة فى الهزل ، واعتداد بالنفس يتنامى فيه صاحبه كل
تصون واحتشام .

ولها ديوان ينتظم معظم الفنون الشعرية ، ومن قولها :
(إذا بسم الحبيب ، فللحياء حمرة فى حدود الورود ، وإذا أنتنت
غداثره ، ثنت الأزهار زه وسها غيرة منها وحسدا لها . لى من
فؤادى أضعف الطيور ، ولك من لحاظك نظرة الصقور ،
فالقواد صيدك وان كان عنقاء تكبر أن تصاد ، إن كان ثغرك كما

لم يتفتح ، فليهنك ان الندى دمعى ، وهل تتفتح الأكام إلا لتساقط
الأنداء ؟ إن كنت تأملين أن تموتى غراما يافطنت ، فسكونى
قبل ذهابك ثرى عند أبواب أحبابك) .

ولشعرها مثل هذه الطلاوة وهى تقول فى الربيع (نثرت
سحائب الربيع جوهرا ، وتجلى حسن زهر الروض فىاله منظرآ ،
الآن آن الفرح والمرح والخروج إلى الارض ذات النزهة .
طاب مجلس العشاق فى ظل النخيل الوارف . قم بنا يا صاح ،
فقد اخضوضرت البساتين وتفتحت الأزاهير وأقبل الربيع .
انظر إلى تلك الورود ، ما أشبهها بالحدود . وزهرات (السنبيل) غدائر
مسك للحيب . وهذه السروة على الغدير قده المشيق . فى كل
جانب للروح متعة وللقلب مسرة . قم بنا يا صاح ، فقد اخضوضرت
البساتين وتفتحت الأزاهير وأقبل الربيع . وتفتقت عن الأزهار
أكمامها ، فأشرقت المروج بابتسامها ، وتشادت البالبل على
أغصانها وأفعمت كل ناحية بنواحها . قم بنا يا صاح ، فقد
اخضوضرت البساتين وتفتحت الأزاهير وأقبل الربيع . قد كفى
ما قد مضى ، لا تنظم العشاق ، فهذه الأيام أيام الوفاء والصفاء
على شط هذا الماء ، ورشيف كأس تسكشف عن القلب الغماء .
ونداء فطنت لتنشد الأشعار . قم بنا يا صاح ، فقد اخضوضرت

البساتين وتفتحت الأزاهير وأقبل الربيع) .

فهذا شعر أبيق رائق وإن عدمنا فيه معنى جديداً وخيالاً
لا عهد لنا به . ويجرى هذا المجرى قول فطنت (إن للشعر مسكا
يزين عذار الحبيب ، وللربيع غمامة تزين الروضة الفينانة ، وهل
في ذلك ريب . أبسط شرع التوكل في قارب الاخلاص ، حتى
تأتى الرياح بما تشتهي في بحر الآمال)

وإذا مامدحت النبي صلى الله عليه وسلم ، فانما تردد مكرراً
وتقول معاداً . وهذه أبيات في عدة مواضع من إحدى مدائمه
(ما كان خلق العالمين إلا من أجلك ، وكل شيء في الوجود باسمك .
ياحبيب الله ؛ لك حسن يهر عين الشمس والقمر ، يبداءة العالم
وسبب وجوده ، يا صاحب الخلق الكريم الظاهر لولاك ما كانت
الجنات ، وما دخلناها لولا البر منك والكرم . يا صاحب المعراج
وغر النبيين ، الناس وقوف ببابك من سوقة وملوك . وهم اليك
يبدسون أكف الضراعة والحاجة)

ولم يوف فون هامر هذه الشاعرة حقها في كتابه ، فإ
خصها إلا بسطور معدودات ولا ذكر شيئاً عن حياتها . أما
تسميتها فتمة ، فخطأ أي خطأ (١)

(١) Von Hammer-Purgstall, Geschichte der osmanischen
Dichtkunst, 4, B. S, 505.

وكانت وفاة فطنت خانم سنة ١٢١٥هـ (١٨٠٠ م) .

ولدينا شاعر لم نقف له على ذكر فيما كتب الترك عن تاريخهم
الأدبي ، على حين جرد له علماء الغرب صدرا كبيرا من عنايتهم
لما لدراسته من أهمية أدبية وتاريخية ، وهو فاضل بك الأندروني ،
المولود في مدينة صفد بفلسطين ، والعربي القح ، فنسبه في قوم
من أهل الحجاز . وقد أوطن جده بلاد الشام وكان صعب المراس
عزيز الجانب ، فغلب على صفد وعكا واقتطعها لنفسه . وأرسل
السلطان اليه جيشا ، ورأى الرجل أنه مغلوب على أمره لما انفض
جنده من حوله ، فحاول التعلق بالفرار ، إلا أن أحدا من رجاله
أرداه قتيلا . واستولى جيش السلطان على عكا . أما فاضل
وأخوه فأرسلوا الى استانبول . ولم يمتد العمر بأخيه هذا الذي
كان يصغره ، فمات بعد قليل . وألحق فاضل بمدرسة الأندرون^(١)

(١) أندرون في الفارسية بمعنى داخل الشيء ، وقد أطلقها الترك
على القصر السلطاني . وأسس السلطان محمد الفاتح في قصره مدرسة
عرفت بأندرون مكتبي بمعنى مدرسة القصر . أما تلاميذها فكانوا
يختارون من أولئك الفتيان الذين يجمعون في كل عام من البلاد التابعة

فثقّف الثقافة التركية الخالصة . وتمت آتته في لغة الترك ، وأتيح له أن يخالط الفتيان من كل الأجناس ويرقب من قرب ما يدور في جوسق السلطان إذا دخله السلطان للهو والضبوة ، كما كان يصغى إلى همسة خافتة في الحرّيم فيعرف سر الملاح الممكنون . ويمكن القول بأنه اكتسب من ذلك أهليته لنظم منظومتيه العجيبتين (زان نامه) بمعنى كتاب النساء و (خويان نامه) أى كتاب الغلمان الصباح . ، أما كتاب النساء ففريد في بابّه ، وما أشبهه بمتحف يضمّ خمسا وثلاثين صورة للنساء من مختلف بقاع الأرض ، فبدأ بذكر الهندية واختتم بالأمريكية . ويذهب فون هامر إلى أن فاضل بك قد أخرج كتاب النساء على غرار

== للدولة العثمانية . ومدة تحصيل العلم أربع عشرة سنة ، يدرسون فيها القرآن وعلوم الشرع والعربية والفارسية . ويتعلمون آداب السلوك ، فمن بصق منهم على الأرض أو سعل دون أن يضع منديله على فيه ، أو اتسخت ثيابه ، أخذ بعقوبات تتفاوت في الشدة ، فمنها التوبيخ ومنها الضرب على القدمين . وكانت المناصب العالية في الدولة تنتظر المتخرجين في هذه المدرسة ، ومن ينسب إليها يعرف بالأندروني .
أنظر : أحمد راسم - عثمانى تاريخى ، برنجى جلد ص ۳۳۸
(استانبول . ۱۳۳۰)

كتابين بالعربية يعرف أولهما بألف غلام و غلام و الثاني ألف
جارية و جارية (١) و ان كان جب لا يميل إلى هذا الرأي (٢) .
وكتاب النساء قليل القيمة الفنية ؛ عظيم القيمة التاريخية ، فليس
شعره بالشعر العالى ، أما قرأته فتولد الأفكار و تثير نقطا كثيرة
للبحث و النظر .

وفاضل بك يتعصب على بعض الأمم فينسب صفات الذم
إلى نساءها ، وهو يستحققر اليهود و الأرمن ، و يمقت الروس مقنا
يظهر من عنوان ذلك الفصل الذى عقده عن نساءهم وهو (صفة
قبح نساء الروس) .

أما نساء مصر فيقول فيهن (ألقى سمعك يا يوسف هذا
الأوان ، يامن أضرمت نارا فى قلب زليخا الزمان . فتلك
عادات نساء نزعهن الشيطان . انهن يتزين و يعضين فى الطرقات
ذات اليمين و ذات الشمال من أجل فلس واحد ، كما رسم
لهن السلطان الغورى ! أجسامهن السمر جميلة لولا قرح فيها

Von Hammer — Purgstall, Geschichte der (١)
osmanischen Dichtkunst, 4, B. S, 428
Gibb, AHistory of ottomon Poetry, V, 4 P, 234. (٢)

من داء عياء ، يسميه أهل مصر المبارك ، وكل حسناء منه في بلاء .
في عيونهن فتور وشهل ، وإذا ما أمعنت البصر عرفت أنه العمى !
نساء الأكاير يركبن الحجر في الأسواق . بالله كيف أدعو هذه
الجيفة (خانم) وكيف أقول ياروحى لتلك التى لا تستحى ! (١)
عليهن ملامة منقشة ، وتحتهن حمار فاره ، وقد تحككت أقدامهن
بالأرض ، فبدا من جوارهن ما يحسن ستره . وعلى يمنتهن
ويسرتهن فلاحون بركبتهن ممسكون ، يجتازون بهن الدوق على
هذه الحال ! - غناؤهن يهز القلب طربا وعلى الخصوص نعمة
ياسيدى حسن ، ان غناء مصر بلجمل وهو نعمة على أهلها . فإذا
ارتفع الصوت المليح بياليل ، هبط الطائر من سمائه ليستسمع !
هكذا تصور فاضل بك المصرية ، ولا ندرى كيف ترامت
إليه أخبارها فعرف ذلك من أحوالها ، وتحدث بالقبيح عنها
حتى هجاها في عرضها بأشد من وقع الأسننة . فهل من يقول بمثل
هذا ؟ وقد عرضت عن أبيات كثيرة فلم أترجمها خزاية من
فحشها ، كما آثرت أن أجانب الدقة في الترجمة أحيانا على أن أورد
اللفظ القبيح والمعنى العارى الصريح . والمجون غالب على المنظومة

(١) جانم فى التركية بمعنى ياروحى

بكيفية تشكك في صحة الحقائق ، وفي كون فاضل بك جادا فيما
يقول . وهذا الذي يميل على المصريات ويثلبهن ، يميل إلى
الإيرانيات ويمدحهن فيقول (لا نظير في الدنيا لركة الايرانية
وملاحظتها ، فأية صباحة تلك التي لا يصفها الواصفون ، وأى حد
هذا الحد ، وما هذه العين التي لم تشاهد مثلها العيون ، اللوزة عينها
السكرى والقوس حاجبها المقرون . ما فيهن إلا من تعببت كأس
الأنس واللهو وأثملها شوق الصبابة . أما الدلال فسر لا يعلمه
غيرهن ، حديثهن معسول وصوتهن جميل ، فيهن الشاعرة وأميرة
الكلام ومن تجيد النقش وتبرز في الخط . لهن سعة إدراك ودقة
فراصة . ولا تخلو يدهن من صناعة . غير أن نساء إيران مهجورات
في هذا الزمان . وانى يحق هجر الحور العين ! فلو لا وجود
الغرباء في هذه البلاد ، لحسبت أهلها للنفاذ !)

فهذا المثال من شعر فاضل بك ، ينهض دليلا على انه انما
يرفث في كلامه ويفصح عما يجب أن يكنى عنه ، بل ولا يتأثم من
أن يتكذب ، ليتماجن ويقحم نفسه في زمرة الظرفاء . وقد وصف
حمام النساء وما يجرى فيه فقال (يا عجباً لهذا الحمام ، الذي يتسع
لذاك السرب من النساء ، من مطلع الفجر إلى المساء ! يالمواشطه
من مواشط ، وللدلاكات في حمر السراويلات . يالهنفى على تلك

الأبدان الغضة البضة ، وذلك البلور الذي يسعى على قدمين .
وقد حملن المثابن المزركشة تحت الآباط ، فكيف لا تخفق لهن
قلوب العشاق ؟ ما فيهن إلا أليقة بكل فن ، تبيذل في الخدمة
طوقها ، وتوفى كل زائرة حقها ، وإذا خلعت يد الدلال القمصان ،
أضياء الحمام نور الأبدان . وبدت حمرة الحدود في ماء الأحواض ،
فكأن قرص الشمس يتوهج في البحر . وجعلن البنان المخضب
في الشعور ، فكأن المرجان في البحور . وأسبلن النوايب السود
على الأجساد فما أشبهن بالبدر إذا بزغ في الظلماء . الجسد العريان
نقطة من نور ، غير أن بعضه مستور . والأزار رقيق رقيق
يستشف ما وراءه . أما الحامل ، فياطول ما يضحكن منها ويفضحها (١)
فهذا الوصف يصور لنا التركيات في حماماتهن تصويرا دقيقا ،
وفي مكتبة جامعة استانبول نسخة خطية لهذا الكتاب بها صورة
للحمام ومن فيه ، غير أن الرسم يختلف قليلا عما جاء في الشعر (١)
وقد ترجم هذا الكتاب إلى الفرنسية دو كوردمانش (٢) غير أن

(١) أنظر Penzer, The Harem, P,225 (London 1936)

وراجع كتابنا من أدب الفرس والترك ص ٢٢٧

(٢) Decourdemanche, Le Livre des Femmes (Paris, 1879)

جب يطعن أشد الطعن في صحة هذه الترجمة . وشأن هذا الشاعر
في كتاب الغلمان كشأنه في كتاب النساء ، ولست أدري بأى
نار يطلب أهل مصر ؛ فهو الذى يقول في غلام مصرى (يا من
زالال شففته نيل الحياة ، وغمزته القاهرة سيف الممات السمره
غالبه على غلمان مصر وإن كان فيهم بيض الوجوه . لهم في الدلال
قدرة فائقة ، أما أغانيهم فحرقة . ما طبعهم بسليم . وما ظلمهم
بالذم فهم (١) لا صفاء في مشرب العشاق ، ولا نقاء ببولاق
الملاح (٢)

وقد أورد السكاتب الألماني فرانتز بلاي في كتابه (قصص
غرامية شرقية) ترجمة لما قال فاضل بك في نساء حلب والحجاز
والحبشة ومصر تحت عنوان (النساء) ولست افهم كيف اعتبر
ذلك قصة وما هو من القصة في كثير ولا قليل (٣)
ولفاضل بك كذلك منظومة بعنوان (چنكى نامه) بمعنى

(١) راجع ص ٣٠٥

(٢) بولاق في التركيبة بمعنى العين والمتبع ، واسم حى من
أحياء القاهرة .

Franz Blei, Liebesgeschichten des Orients, S 109(٣)
(Leipzig 1922)

كتاب الرقص ، وهى تدور على الفتيان الراقصين فى استانبول .
فىذكر اسم ثلاثة وأربعين فى من العجر يحترفون الرقص ويعرض
لكل منهم بالوصف . بعد أن يخلع العذار ويهتك ستر الحياء ،
ثم يؤرخ حياة المجون والخلاعة فى عصره وببسته .

وله كذلك دفتر العشق وهو منظومة فى أحوال الحب ،
يقول فاضل بك انها الأولى من نوعها فى الشعر التركى . ويقرر
جب أنها ناقصة ، لأن الشاعر لم يف بوعده وشرطه فيها (١)

وهو صاحب ديوان أهم ما فيه مرثية قالها فى السلطان سليم
الثالث الذى يسميه الشهيد لأنه مات قتيلًا . غير أن هذا الديوان
لا يميزه بسماة خاصة كما يميزه كتبه المنظومة الأخرى .

وجملة القول فيه أنه ناظم وليس شاعرًا بحق . فى شعره
ضعف وسخف وإن كانت دراسته فرضا على مؤرخ الأدب .
وقد ساءت أحواله فى أخريات أيامه ، وذلك أنه شكى حين
كان رئيسًا للسكتاب ، ولا نعلم سبب الشكوى ، فنفى إلى جزيرة
رودس سنة ١٢١٤ هـ (١١٠٠ م) وهناك كف بصره . ثم صدر
العفو عنه ، وعاد إلى استانبول . وكانت وفاته سنة ١٢٢٤ هـ
(١٨١٠ م) .

Gfbb, AHistory of ottoman Poetry, V, 4. P, 224 (١)

وإن فاضل بك ليميل لنا ببيتته الأدبية أحسن تمثيل . ففي
أواخر القرن الثامن عشر ، أفرط الترك في اللذائذ يستمتعون
بها فنعموا وأسرفوا في النعيم ، وسيطرت على شعرائهم نزعة إلى
تصوير المتعة تصويرا دقيقا ينطالقون فيه على سجيئتهم ، غير آبهين لحدود
من التصون يقفون عندها ، ولا قيود من التورع يعكسون بها
نزواتهم ، فزهدوا في ترديد المعاني الصوفية التي تقاب الشعر التركي
فيها خمسة قرون ، ويعتبر الشيخ غالب آخر المتصوفين منهم .
وظهرت في أوائل القرن التاسع عشر مدرسة أدبية لم تنجب
عينا من أعيان البيان ، غير أننا لانجد في عصر من العصور آثارا
كآثارها تتيج لنا أن ندرس الناحية الانسانية المحضنة للمجتمع
التركي (١)

ومن شعراء هذه المدرسة واصف الاندروني الذي تربى في
القصر ثم شغل منصبا إداريا به . ومرت أيامه في هدوء وقرار
حتى استأثرت به رحمة الله سنة ١٢٤٠ هـ (١٨٤٥ م) وواصف
شاعر شعبي بأجمع معاني الكلمة فقد توخى أن يقول شعرا سهلا
بتلك اللغة التي تدور على الألسنة في استانبول ، فنظم الأغاني
التي يسميها الترك (شرقي) ولحنها الموسيقيون ، فذهب له بها

Halide Edib, Conflict of East and West in Turkey, P180(١)

صيت وذگر . وشعره الأكثر في هذه الأغاني التي تخلو من رفث
 قلبها تخلو منه شعر معاصريه . يقول ضيا باشا في خراباته (واصف
 شاعر لطيف غير أنه ركيك العلم قليل البضاعة ، يقول ما توحى
 به طبيعته فكلامه غاية في السلاسة) اما نامق كمال بك فيذهب إلى
 أن الركافة أكثر من نصف ديوانه ، وقد أراد أن يفتح في الشعر
 بابا جديدا يطابق لغة الكلام ، إلا أنه لم يوفق في الأفاعيل والتفاعيل ،
 ولو قد استبدل بالأوزان الفارسية وزن البنان التركي لكان له
 شأن (١) . وهذا خطأ يحتمل الصواب ، فما جدوى الوزن مع
 هذه الركة ، وكيف يصح في الفهم أن يكون الوزن كل هذا الأثر؟
 وإنا نرتضى رأى جب في واصل ، فهو يقول ان أغانيه
 قصيرة الأوزان ، وهذا ما يكسبها خفة ورقة وصلاحية للتشغيم .
 وفي معظمها ألفاظ عذبة الجرس توأم غيرها ولا تنبوع عن
 مواضعها ، وتجعل من كل أغنية طاقة زهر ينفج منها الطيب .
 وتلك قدرة لهذا الشاعر لا يشركه فيها إلا الأقلون . وان تلاوتها
 لتثير في النفس طربا للفظ الأنيق والمعنى الرقيق ، ولتكن سرعان
 مانفيق من هذه النشوة إذا تجاوزنا القشور إلى اللباب وأرخينا

(١) نامق كمال بك ، تخريب خرابات ص ٩٧

إلى هذا الشعر نظرة الناقد ، لأنه يتكشف لنا عن كثير من
العيوب كالأغلاط الفنية ، وتنافر الأفكار وضعف الشعور ، أما
شهرته الشعبية فبين أقوام قل من العلم حظهم فضعف نقدهم ولم
يبصروا الشعر (١)

ومن أغانيه قوله (من يشاهد ياقوت الخمر في شفتها ، يصبح
أسيرا لشعرها . اخلاق بي ان اكون بليلها . انها زهرة تفتحت (٢)
لاضرب لها في نحول خصرها ، ولا نظير في عدوية حديثها ،
اما اطوارها فتفوقها في حسنها ، انها زهرة تفتحت . ما اقل
الورود التي تشبه خدها ، فهو يضرب قليلا الى الحمرة الباهتة ،
لقد ظهرت قبل ظهور الازاهر في هذا الصيف ، انها زهرة
تفتحت . البليل للزهرات عيدها ، البليل من ينوح من اجلها .
يا لبسمتها التي تساوى الدنيا ! انها زهرة تفتحت . يا واصل ،
لقد حدثني بالأمس بلبل البستان فقال استبشر ، اليك ازف البشرى
انها زهرة تفتحت) .

(١) Gibb, A History of ottoman Poetry V, 4. P, 180

(٢) في الاصل التركي (زهرة ساقز المتفتحة) وهي زهرة تنسب

الى جزيرة ساقز القريبة من شاطيء الاناضول . ويلوح ان الشاعر
انما يذكر حسناء من هذه الجزيرة . وقد سماها بهذا الاسم في عدة
مواضع من شعره . وآثرت ان احذف هذه الكلمة في الترجمة لثقافتها .

ومن اغانيه ايضا قوله (في خصرك هيف ، يامقطعة النظر ،
انت جديرة بالوصف ، وآية في الحسن . في خدك احمرار ، جمالك
ازهار ، مالك من شبيهه ، وآية في الحسن . تعالى يا محبوبه الفؤاد
وتوأم الروح فانت حقا آية في الحسن . حديثك طلي ، تخليين لب
الخلي ، ما احراك بالوصف ، انت آية في الحسن . قوامك فارغ
وجمالك بارع ، ولقد رأيتك آية في الحسن)

فهذا شعر خفيف يصلح اتم الصلاحية لأن يعنى ، وعناية
صاحبه فيه برنين الالفاظ قبل عنايته بالمعنى العامر والعاطفة
المتقدمة ، وهذا ما نصادفه على الدوام في شعر الاغاني ، وليكن
اغاني واصف لاتسلم من اسفاف في بعض المواضع .

وقال الشعر في اغراضه المعروفة الأخرى كمدح النبي صلى
الله عليه وسلم ومدح السلطان محمود وسليم الثالث وتاريخ الحوادث
وله اكثر من قصيدة يؤرخ بها تلك الحرب التي انتشبت بين جيش
سليم الثالث وجيش نابليون في مصر . فمن قوله (انه الملك
المنصور الغالب ، صاحب المشرق والمغرب ، له ما لجمشيد من
مناقب ، وهو زينة عرش سليمان . هيات النجاة للعداة من
سيف قهره في حربيه ، ولو كان لكل منهم الف روح . فما ظنك
بساعده القوى ؟ وأنى كافر الفرنسيين مصر من البحر في الخفاء

ودخل مياه الاسكندرية في سفينة الحديدية . وقد اثار هؤلاء القوم الفتن واطغوا وبغوا ، وجدلوا يفسدون في الارض من وادى الصالحية ، وخدعوا الناس بفرمان كاذب (١) . ومرة ذلك بسمع الملك الهمام فانفذ اليهم جيشا عظيما تحت لواء قائده الاعظم . وبلغ هذا الضرغام ساحة الوعى وله ما للأسود من اقدام ، فأذهب ريح الأعداء في الحملة الأولى . ولما ماجت جنود الاسلام ببحر زاخرا ، حار اهل الطغيان وداروا كأنهم طاحون . لم يبق في ساحة العريش شبر أرض من غير دماء ، وجرى دم

(١) يتحدث الشاعر عن حملة نابليون ، ويذكر ذلك المنشور الذي كتبه يوم ٢٧ يونيو سنة ١٧٩٨ على ظهر البارجة اوريان ، وترجمه المستشرقون الى العربية ، ثم انجز طبعه على ظهر البارجة كذلك ، وقد امر بتوزيعه على الناس بعد رسو العارة الفرنسية . وهو اول منشور له بالعربية الى اهل البلاد . راجع نصه في تاريخ الحركة القومية لعبد الرحمن الراجحي بك ج ١ ص ٨٥ . وقد اتفقت انجلترا مع تركيا على محاربة الفرنسيين في مصر . واعد الترك جيشين الاول بقيادة الصدر الاعظم يوسف ضيا باشا يزحف عن طريق برزخ السويس ، والثاني يبحر من ميناء مرمريس بقيادة حسين قبطان باشا . انظر الجزء الثاني من نفس المرجع ص ٢٣٤ .

الكفار كجرى ماء النيل . ولما رأوا ذلك من بطش المسلمين ،
انخلعت قلوبهم رعبا ، وشقوا ثيابهم يأبسا من علوها الى سفليها .
ثم انطلق الكفرة الى المعسكر السلطاني ، شاكين ناديين معفرين
الجبين) وليس هذا بشعر علوى ، بيد اننا لانعدم فيه معلومات
تاريخية على جانب من الاهمية . ولهذا الشاعر منظومتان ، عنوان
الاولى : تخميس باصطلاحات النساء فى النصح على لسان والدة ،
وعنوان الأخرى : جواب طيب الأثر على لسان ابنتها الجوهرة
البهية . وهذا النظم من شعر واصف حقيق بالعبارة والدرس ،
لأن فيه صورة من عرف المجتمع التركى وتقاليدہ فى تلك الأيام ،
ومما يكسبه أهمية لاستزاد عليها ، انه يتحدثنا عن نساء العوام ،
وأى عنوان أدل على روح الجماعة من نساء وسواد ناسها ؟ وان
هاتين المنظومتين تبصران فروقا بين جيلين ، وعقليتين رجعية
وتقدمية ، كما تبصران بذلك التحول الذى سيشهد آثاره بعد
قصير زمان فى حياة الترك عامة وآدابهم خاصة . يقول واصف
على لسان الام (اسمعى الى نصيحتى يا بنيتى ، اصدقنى فيما تقولين
واعملى ما برضى حماك ، كونى له امة من الاماء . من يزين لك
التجوال وتلطيف الثياب بالطين ؟ اياك والتظاهر بالزهادة والعبادة
لا تخلمى العذار . وحذار ثم حذار من ان تكونى مكسفة

الطريق (١) كوني سيّدة بالمعنى . لا تغزلى احدا ، واذا ماجالست
 ضيفا فاقنى حيامك ، والا اكلوك بنظراتهم اكلوا وانت حية .
 وحذار ثم حذار من ان تكونى مكنسة الطريق ، كوني سيّدة
 بالمعنى . لا تتعلقى بكل وسيم قسيم ، ولا تلازميه ملازمة المبولة
 للرضيع ! لا تتبعى كل من رآته عيناك كما يتبع الكلب صاحبه .
 وحذار ثم حذار من ان تكونى مكنسة الطريق ، كوني سيّدة
 بالمعنى . انظرى ، هذه عاتكة قد اضحت عروسا جعلك الله
 سعيدة مثلها ، ذودى الرقص والطرب عن تفكيرك ، يامن
 دخلت الثالثة عشرة من عمرك . وحذار ثم حذار من ان تكونى
 مكنسة الطريق ، كوني سيّدة بالمعنى . لو زوجك ابوك قاضيا !
 فزناك فى دارك على شاطئ البحر ، لا تجلسى على البساط عارية
 الصاق ، وكفى قلبك عن كل رجل ، وسواء رث الهيئة وجميل
 الهندام . وحذار ثم حذار من أن تكونى مكنسة الطريق ، كوني
 سيّدة بالمعنى . أيلبى ان تطلبى الخبز واللحم من جيرتك؟ لو ترامى
 هذا الخبز الى زوجك ، لضربك الضرب الوجيع . فادخلى المطبخ
 باسم الله واعملى ، وهىى للعشاء بضعة الوان من الطعام . وحذار

(١) مكنسة الطريق هى الفاجرة المتساقطة على الرجال

ثم حذار من ان تكوني مكنسة الطريق ، كوني سيدة بالمعنى
اما رد الفتاة على امها فثورة الجليل الجديد على الجليل القديم
وفيه كراهية السجين لسجانه والامر لا يمره ، وشوق الى حرية
طال الحرمان منها ، وتطلع الى افق تلتهم نجوم سعده ، وارهاص
لحياة تركية لاعهد المترك بمثلها في عصر من العصور . تقول الفتاة
(إلا تدع نصحي ، اربطها في شجرة وافلق بالعصا الحمما رأسها
وعينها . واتخذ لنفسى عملا عمله . وسأستمد العون من صديق
ثم امضى في طريقى . ولأنشد حبيبا لى فى الخامسة عشرة الابعه
ويلاعبنى . لا امتدنى عمرى ان عملت بقولك ايتها العجوز
الخرفة . اقضى ليلك مع ابى ، اما انا فلا بد لى من احبه ويحببنى .
مالى وللطبخ وما فيه من جهد وككد ، لا ان ازور لدانى .
ولأنشد حبيبا لى الابعه ويلاعبنى . ما طنينك هذا كأنك عجلة
المنسج ، اذهبى ، دونك المنسج ، فانسجى ثوبا واجنى رزقا ، لا يفسد
السوق الا ابن الحرام ^(١) فما ضر لو خرجت وبعث كل هذه
الصحون والقدور . ولأنشد حبيبا لى فى الخامسة عشرة الابعه
ويلاعبنى . تقول بين الفينة والفينة ، زوجك قادم يا ابنتى ،

(١) يقول المثل التركى ان ابن الحرام يفسد السوق اما ابن الحلال
فصالحها ويضرب لمفسد الامر ومصاحبه .

لا تسكوني كالنائحة المستأجرة قبحك الله وذرك هشيما أنت
وزوجي جميعا ، سأخرج من داري مادامت روحي في بدني
ولأنشد حبيبا لي الابعه ويلاعبي .

فهذه الفتاة تخاشن امها بما لا يقهره عرف ولا دين ، وإن كان
الشاعر غير جاد فيما يقول ، ولا أدل على ذلك من أن تفحش
في كلام امسكتنا عن ذكره ، غير ان الكاتبة التركية خالده اديب
تحمذ هذا اللون من الأدب الذي يعبر عن الحقائق اصدق تعبير
ويأخذها الأسف لانصراف الترك عنه الى ادب من وحي
الفرنسيين (١)

ومات واصف عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) .

* * *

ومن شواعر الترك في النصف الاول من القرن التاسع عشر ،
ليلي خانم التي تعد تلو فطنت خانم في المنزلة الأدبية . وقد وصل
بين الشاعرتين كرم النسب وحرقة الأدب وحياة زوجية تعسة
شقية ، غير ان ليلي لم تسكن مظلومة كفطنت وانما كانت ظالمة
لخشونة طبعها وشدة كبريائها فسرعان ماضاق زوجها بعشرتها

Halide Edib, Conflict of East and West in (١)
Turkey, P184.

فطلقها بعد سبعة أيام من بنائه عليها . وأضحت أكثر سخطا على
الناس ورغبة في الاستخفاف بهم والغض من شأنهم . فما بال
ملامة اللاتمين ولا اراجيف المرجفين . وسيطر على نفسها ذلك
اليأس الذي يثير سخط المحروم على ما حرم منه ، وقد يدفعه الى الشر
بعد ان يقطع كل امل في الخير . فاستهزت ليل بكل شيء ، وسامت
سيرتها كأقبح مانسوء السيرة . حتى نظم احد الوراقين بيتا فيها
لا كتبه الألسنة ينهش به عرضها نهش الأفاعي ، ولا سبيل الى
ذكره لقبح ما جاء فيه . وقيل انها عرفت شابا صبيحا يصنع
الشموع ، وراقتها صباحته فكانت تتردد على دكانه ، اما هو
فيكان شديد الحياء إذا كتبه لا يكلمها ، ولما شاع الأمر نظم جار
له شطرة لقمته اياها ايقولها حالما يشاهدها وهي (لا تديمي النظر
بالاعجاب الى شمع خدي ، لا تحترق بنارى ا) وما ان سمعت
منه ذلك حتى اجازت فقالت (اذا طر شاربك وبلغت مبلغ
الرجال ، فأنت لاشك مستعين بنور شمعك على رؤيتي)

وقد شدت الأدب على شاعر من ذوى قرباها يقـال له
عزت ملا (١) وذكرت له هذه الصنيعه ، فسمته رئيس الشعراء

(١) عزت ملا شاعر من رجال السلطان محمود الثاني ، غير =

وهي تراثه ، وقالت انه ولي نعمتها وسبب عزها ورفعتها . ولها ديوان صغير يضم شعرها التقليدي والغنائى ، فهي تستهل بمناجاة الذات الالهية ومدح الرسول الكريم والترحم على آله ، ثم تدخل من ذلك على رثاء الحسين وآل بيته فتطيل وتجمد ايما اجادة فهي التي تقول (لقد اهل المحرم ، ويلاه من يعيننى على هذا الشهر فقيه لا يرقأ دم لعيني ، وان الفلك الغدار ينكأ جراحاتى ، فمن لى بدواء لما فى القلب من حركات . وحق لمحب اهل البيت الا يسيغ الماء حزنا كان السهام فى جرعته . ففي مثل هذا اليوم كان ما كان من يزيد السفية حشو جهنم ، انه خنزير وليس من البشر فهذا الظلم لاعهد به لبنى الانسان)

وشعرها فى الرثاء ارق من دمها ، ولها عنساية بالجرس

== انه شغل نفسه بالسياسة والامور العامة . فى سنة ١٨٢٣ عزل من يدعى حالت افندى وكان صاحب منصب رفيع فى الدولة ونقى الى قونيه ثم قتل . وكان صديقا حميا للشاعر فحزن حزنا شديدا لمصيره ، وندد بمن نكبه ، وغضب السلطان عليه فأمر بنفيه الى مدينة كمشان بالروم ايلي ، فأقام فيها عاما ونظم منظومته المعروفة بمحنت كمشان . وفيها تصوير دقيق لمجتمع الشاعر وذكر لاسباب نفيه ، ووصف جميل لمنفاه . ومات عزت ملا سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) .

والايقاع فهي تنسق الالفاظ وتسكررها على نحو رتيب فتذكر
بالناخحة الشكلي وهي تندب وديعتها في الثرى وترفع الصوت بالعويل
والنجيب . تقول ليلى في رثاء ابيها (ان للاشواق نارا تلهب القلب
منى ، الفراق ، آه الفراق ، آه الفراق . او اه لاطاقة لي بتباريح
الاسى ، الفراق ، آه الفراق ، آه الفراق ، لقد ارتحل ابي عن
دنياي ، الفراق ، آه الفراق ، آه الفراق ، فلنتخذ الناي والدف
من نوحنا وصدونا ، الفراق ، آه الفراق ، آه الفراق . لقد رفع
ابي الى عينه وهو بالنفس يجود ، فهل حزن لقلبي الصديع ؟
لقد اصبح في التراب ترابا ، الفراق ، آه الفراق ، آه الفراق . الله
في هذا القلب المكلم . الفراق ، آه الفراق ، آه الفراق)

ولها شعر ضاحك مرح تحب فيه الحياة حبا جما يعنى ويصم
فتها لك على لذاتها وتتكشف لنا عن سادرة في الغي لا تبالي ما تصنع
ولا تصيخ الى من انحى عليها باللوماء فتقول (الالهيه لنا مجلسا
للأنس ، وليقل القائلون ما يقولون . وترشف الصهباء مع الحسناء
وليقل القائلون ما يقولون . لقد اشبع العاشق الوهان ذوائبها
العنبرية لثما وشما في الليلة الحاملة ، وليقل القائلون ما يقولون .
وتقيد القلب بقيد من شعرها ، فبالله ما اشوقني الى ذلك ، وليقل
القائلون ما يقولون . وليكن وجهي الاسود هذا ابيض يوم

الدين ، اما في الدنيا فيقل القائلون ما يقولون . لافرق في هذه
الدنيا بين مدحى ومذمى ، فليسعد الاحباب وليأخذوا فرصة
اللذات ، وليقل القائلون ما يقولون)

ومما يجرى هذا المجرى قول ليلى (اشرب الكأس فى الروض
الأريض ، ولعاذل ان يعذل . ولتكن فى دنياك مسرورا
محبورا ، ولعاذل ان يعذل . هذا الجاني يبسم كما تبسم الوردة ،
وقد رأى ادمعى فى مسيلها فظنها قطر الندى ، ولعاذل أن يعذل .
وايكن لك من حضى نخباً وموتلاً ، ان كنت ترهب لائماً ،
طب نفساً ولا نخش بأساً ! ولعاذل ان يعذل)

فهذا الشعر اشبه بشعر المجان منه بشعر ربات الحدور ،
والجراًة فيه على تصوير النزعات والنزوات تشير بكل وضوح الى
تلك الحرية التى استباحها شعراء هذا الزمان لأنفسهم فى التعبير
عن الواقع . ويقرر جب ان شعرها برمته غنائى ، وهذا رأى
لانميل اليه ، وتصويبه ان يقال ان معظم شعرها غنائى ، ففى ديوانها
كثير من التواريخ كتاريخ جلوس السلطان عبدالمجيد ، وتاريخ
ختان الامراء وتاريخ فتوى مكى زاده افندى ، وتاريخ والى
آيدى وغير ذلك . وهذا النمط من الشعر لا يعد غنائياً بحال .
واستأثرت رحمة الله بلبلى خانم سنة ١٢٧٥ هـ (١٨٤٧ م)

ولنا أن نعتبر هذه الشاعره آخر شخصية أدبية في العصر
القديم ، بعد أن رأينا منها كيف وصلت بالشعر الى ما لم يصل اليه
قبل من صراحة التعبير والجزأة على ذكر ما يحسن السكوت عنه
فأهبطته من سماء الروح الى أرض الجسد ، ومن عالم المثال الى
عالم الواقع ، وجعلت منه لسانا كثير العثرات بعد ان كان لسانا
يلهج بالتسبيح ويتحدث عن الغيب بما لا يفهم حتى يفهم شدو
البلبل السجين وهو يريد الخروج من قفصه المتضايق الى الافق
الرحاب . ولقائل ان يقول ان شواعر وشعراء قبلها قد صوروا
خطرات النفس وانطقوا الحال ، ونقول ان هذا حق لامرية
فيه ، غير انه لا ينسبنا حقيقة واضحة هي ان الشعراء كانوا متوفرين
على نظم الشعر الصوفي وشعر المناسبات ، أما الغنائون والواقعيون
فقلة لا تنقض حكما على السكرة . وديوان ليلى يجمع شعر المدرسة
القديمه ويشير الى اتجاه المدرسة الحديثه . وما أشبهه بوقت السحر
الذي تمتزج فيه ظلمة البارحة بنور الغد ، فيجمع بين الماضي
والمستقبل . وإذا ما ذكرنا ان من جاموا بعدها قالوا ما لا ينسب
الا الى مدرسة غير مدرستها ، حق لنا ان نعتبر هذه الشاعرة
آخر شخصية ادبية في العصر الأدبي القديم

العصر الحديث

من عهد السلطان عبد المجيد الى يومنا هذا

أسلفنا ان التجديد لا يكون طفرة واحدة، فالباينة للمألوف والانتقال الفجائي بما تواضع الناس عليه من حال الى حال ، قد يرهق المجدد من امره عسرا ويركبه مركبا وعرا ، فالناس أعداء ما جهلوا كما يقولون ، وبالنفوس حاجة الى بعض الوقت حتى تترك الجمال في الجميل وتميز صالحا من طالح . والفكر الانساني في حركة مستمرة كحركة الزمن ، والتطور سنة الوجود ، غير انه أشبه شيء بتلك السلايم التي يترقى فيها من سفلى الى علو ، لكن شيئا بعد شيء .

وإذا ماشئنا ان نبين تاريخ الأدب التركي الحديث ، وجدنا اننا لانملك حولا عن ذلك المنهج الذي اتخذناه في تأريخ الأدب التركي القديم ، وظهرت لنا بين الأدبيين وجوه تقارب واتفاق وتخالف . فهما معقودة أسمايهما بالتاريخ السياسي ، وكلاهما تصوير دقيق للروح التركية في عصره ، وكانت بواكير كل منهما

تقليدا وترجمة شأن كل محاولة في بدامتها ونشأتها ، وان استن
الترك المحذون في الأدب بغير سنة الترك الأقدمين ، لأن الأخلاف
أخذوا انفسهم بثقافة الفرنسيين ، اما الأسلاف فلم يأخذوا إلا
عن الايرانيين . واذا ما قسمنا الأدب القديم الى دورين بعد
النشأة فانا نجعلون للأدب الحديث دورين كذلك بعد نشأته ،
ولو ذهبنا نتعرف الأسباب التي مهدت لظهور هذا الأدب الحديث
لرجعنا الى عهد السلطان سليم الثالث الذي حكم ما بين سنة ١٧٨٩
وسنة ١٨٠٧ ونصر الرقي والاصلاح بكل ما اتسعت له نفسه
من آمال ، كما اتصلت العلاقة على الدوام بين بلاده وبلاد الغرب
ومست الحاجة الى أن يأخذ الترك بشيء مما عند الأوربيين من
نظم واوزاع . وانشئت بعض المؤسسات العلمية على غرار المؤسسات
الأوربية فأتجهت العناية الى مناهجها والكتب التي تقرر فيها ،
ومعلوم ان مثل هذه الحال مما يبعث على حركات واتجاهات
فكرية وتربوية جديدة . فقد بدأ المشتغلون بالتعليم يخرجون
كتبا توائم التطور وتفي بالحاجة ، فكان صنيعهم هذا خطوة
اولى تبعتها خطوات . وإذ قبس الترك من الأوربيين بعض
علومهم ، فقد لزم ان تتسع لغتهم التركية لادماج بعض الكلمات
والمصطلحات الأفرنجية فيها ، وظهرت الحاجة الى الترجمة ظهورا

قويا ، فترجمت كتب الرياضيات وعلم وظائف الأعضاء والطبيعيات (١) . وكانت العربية لغة العلوم في هذا الزمان ، فنحتمت منها الفاظ علمية كثيرة كمولد الماء ومولد الخوضه .

وفي هذا الوقت ترجم الى التركية قاموسان ، احدهما عن الفارسية والثاني عن العربية ، فكانا خير معوان لكل تركي مشغول بالعلوم . اما صاحب هذين القاموسين فعاصم افندي الذي عرف بما صنع وقيل له مترجم عاصم . وان ذكر اسمه لينذكر فوراً بحياة الترك الفكرية لانه اول مبشر بها كما كان السلطان سليم الثالث اول رواد التجديد والاصلاح في حياتهم السياسية (٢) وقد تعاوره ما تعاور المصاحين والمجددين من الأرزاء والمحن فمات تعسا محروما سنة ١٨١٩ . ترجم عاصم افندي عن الفارسية برهان قاطع (٣) وقدمه الى السلطان سليم

(١) Mustafa Nihat Özön, Son Asir Türk Edebiyatı Tarihi, S4,5. (Istanbul 1945)

(٢) محي الدين ، يكي ادبيات ، ص ١٣٧

(٣) برهان قاطع قاموس فارسي واسع الشهرة لمحمد حسين

التبريزي المتخلص برهان . وقد فرغ من تصنيفه سنة ١٦٥٢ وطبعه في كلكتا Captain Roebuck سنة ١٨١٨ ، وطبع طبعة ثانية =

فبلغ به الاعجاب مبلغه وامر بطبعه ، غير ان شيخ الاسلام عطا
افندى ومن يعرف بخواجه منيب كانا يكشجان له بالعداوة
لشحناء بينهما وبينه فمنعا عنه خيرات السلطان ، وسامت حاله
كثيرا على مر الأيام . ومع ذلك توفر على ترجمة القاموس عن
العربية وبلغ في ذلك خمس سنوات ثم تقدم به الى السلطان
محمود الثاني ، غير ان خصميه لم يقبلتاها من السكيد ، فما نال شيئا
يصلح به حاله . واسلوبه في قاموسيه يتسم بالوضوح ، ولغته
لا تختلف عن اللغة الأدبية في أيامنا هذه . كما كتب تاريخا يعرف
بتاريخ عاصم في جزين يتحدث فيه عن حل فرقة الانكشارية
وله شرح على الامالى في التوحيد لسراج الدين الاوشى يعرف
بمرح المعالى في شرح الامالى واهم ما ينبغي الاشارة اليه ، هو ان
مترجم عاصم درس اللغة الفرنسية حتى احسنها ، ويعتبر من اول
الأتراك الذين درسوها أو أولهم .
ومن علماء هذه الآونة بالمعنى الفنى خوجه اسحق المنجدر

== وثلاثة سنة ١٨٣٤ . كما اضاف اليه طابعه زيادات جمعها من عدة
معاجم وسمها ملحقات برهان ، وما يذكر انه تردى في كثير من
الاخطاء . أنظر Blochmann, Contributions to Persian
Lexicography, P 18 (Calcutta 1862)

من اصل يهودى . كان متضلعا من الفرنسية فاشتغل بالترجمة فى
الديوان ، كما درّس اللغة العربية فى مدرسة الهندسة ، ولا غرو
فقد كان تعلم العربية فرضا على طلبة المدارس الفنية لأنها لغة العلم
الأساسية ، أما التركية فلم تكن قواعد نحوها قد تعدت بعد (١) .
وكان خوجه اسحق مهندسا حريا مشهودا له بالكفاية فنيط
به أن يقيم الاستحكامات على الحدود فى الروم ايلي والأناضول
ومضت به الحال قدما فكان المدرس الأول بمدرسة الهندسة
وترجم بعض الكتب العسكرية ، كما ابتعث الى المدينة المنورة
عام ١٨٣٤ للاشراف على تشييد أبنية بها . ومن كتبه الفنية
مجموعة العلوم الرياضية ، ونصب الخيام وأصول الاستحكامات
وعكس المرايا فى أخذ الزوايا . وكانت وفاته عام ١٨٣٦ . وكان
خوجه اسحق يفيد من الكتب الأجنبية فى تحضير دروسه ، فأخذ
عنه تلامذته عبارات كثيرة لاعهد لهم بها فى لغتهم ، كما عرفوا
ان كتب الأوربيين خزان العلم ، وإذا ما فهموا لغتها ففاتيحها
فى أيديهم ، ولا شك ان لذلك اثره فى إيقاظ الهمم وتنبيهه
الأذهان إلى خير كثير يمكن أن يصاب منها بجهد يسير

Mustafa Nihat Özön, Son Asir Türk Edebiyatı (١)
Tarihi, S.6.

ونذكر بعد خوجه اسحق بهجت مصطفى . كان طبيبا اذق نظره في علمه فطارات شهرته ، كما ضرب بسهم في فروع من العلوم . وقد تمها له أن يترجم عن الفرنسية كتابا في التاريخ الطبيعي ، وأخرج للناس مؤلفات و مترجمات في الفلسفة والعلم ، وفضله لا يحدد في اطلاع قومه على ثقافات الغرب ولفتهم إلى ضرورة التشبه بالسكرام رغبة في الخير والفلاح ، وكانت وفاته عام ١٨٢٢

هكذا وجهت حركة التجديد في حياة الترك العقلية بفضل هؤلاء العلماء الذين أناروا للعقول سواء الصراط ، وعلوا الجيل الجديد ما لم يعلم الجيل القديم . غير أن بواعث النهضة الحديثة لم تكن تلك الجهود الفردية ليس إلا ، وإنما كانت هناك عوامل سياسية واجتماعية أثرت أشد تأثير في حياة الترك على العموم وأدهم على الخصوص . فقد كان السلطان محمود الثاني الذي تملك بين ١٨٠٨ و ١٨٢٩ رجل إصلاح بمعنى الكلمة ، لا تقف الصعاب ولا العقاب أمام صرامته وشدة بأسه ، وما ظنك بمن قتل أخاه مصطفى حين زاحمه على العرش وعمل على استئصال شأفته فقتل كذلك ولده . وأغرق في لجة البوسفور أربع نساء من نساته الحوامل . وكان الانكشارية فرقة مفسدة في الجيش

دائمة العصيان فتخلص منهم بالقضاء عليهم وكفى نفسه وبلاده
شروهم (١) ثم أعاد تنظيم الجيش التركي واستقدم له المدربين
والمعلمين من أوروبا ، واختار النظم الفرنسية . وأراد إصلاح
البحرية . فأنشأ لها المدارس ، وأدخل التحسين على مدفيعتها .

(١) في السادس عشر من شهر يونيه سنة ١٨٢٦ رفع الانكشارية
راية العصيان وهم محتقون ، فهبوا قصر الصدر الأعظم معلنين على
الحكومة اشد سخطهم لأن مدربا اوربيا ضرب جنديا منهم . والواقع
من الأمر اهم كانوا حاقدين على السلطان محمود الثاني الذي أراد
اصلاح جيشه ، وكانت الخطة ان يدمج فرقهم في الجيش التركي ،
فاغضبهم الا يكون لهم وجود مستقل ، وهم الذين كتبوا لبلادهم
صحائف مجد بدمائهم . فرأى السلطان ان يقضى عليهم قضاء مبرما ،
وامر بتقتيلهم ، فمات منهم اكثر من اربعين الفا بعد ان حصدتهم
نيران المدافع وهم يكرون أو يفرون . واليك مايقول اسعد افندي
مؤرخ الدولة العثمانية في الانكشارية (ان الوصف المفصل لشروط
تلك الفئة الطاغية الباغية ليذهل اولى الالباب ، ولي قلم يعاف القبيح
ويكره الخوض في ذلك ، ولكنني ذكرت ان اخذهم بالعقاب
واستئصال شأفتهم مما يعود بالخير والنفع على الأمة المحمدية ، وان
التخلص من جبروتهم وتسلطهم سيكون حديث احفادنا ونعمة =

وقد اتخذ الزى الأوربي وأقام الحفلات على الطريقة الاوربية ،
كما أمر بإصدار جريدة بالتركية والفرنسية (١) وجاء بعده ولده
عبدالمجيد (١٨٢٩ - ١٨٦١) فمنح بلاده مرسوما في الثالث من
نوفمبر سنة ١٨٣٩ يعرف بخط شريف كلخانه ، نسبة إلى كلخانه
بمعنى بيت الورد وهو اسم جوسق من جواسقه ، وعزز بثان
في الثامن عشر من فبراير سنة ١٨٥٦ وهذا يشبه ما عند الفرنسيين
ويدل على أن السلطان ينقل النظم السياسية عنهم . وتعرف
بمجموعة المراسيم الاصلاحية (بالتنظيمات) وقد جاء فيها أنه لا يجوز
سجن أى شخص قبل محاكمته محكمة قانونية ، وأن جميع رعايا
الدولة التركية مسلمين وغير مسلمين سواء أمام القانون ،
وبذلك وقف الغالب مع المغلوب والسيد مع المسود على قدم
المساواة (٢) وقد ظهر للترك أدب في هذا العهد سموه أدب

== يشكرون الله عليها ، فأردت ان اشعر المسلمين بافضال سلاطنتهم الذى

ارسى اساس سعادتهم بقطع دابر الانكشاريه ونزع دوحتهم من

اصلها) . انظر Assad Effendi, Précis Historique De La

Destruction Du Corps Des Janissaires Par Le Sultan

Mahmoud En 1826, Traduit Par Caussin De Perceval,

P, 209 (Paris MDcccxxxiii)

Moniteur Ottoman

(١)

Cornelia Di Marzio, La Turchia di Kemal, P17 (٢)

(Milano M c M xxvi)

التنظيمات ويمكن تحديد زمانه على التقريب بتلك الفترة الواقعة بين عام ١٨٣٩ الذي أصدر فيه السلطان عبد المجيد أول مرسوم للإصلاح وعام ١٨٧٦ الذي منح فيه الترك أول دستور . وبما يجدر ذكره أن الأفكار في هذه الفترة قد خرجت من عزلة العصور الوسطى وتبدلت أحوال السياسة ، وفتحت عيون الكتّاب على الدنيا ، وكانت كثرتهم الكاثرة تعرف لغة أجنبية هي الفرنسية في الأغلب . وقد رحل بعضهم إلى أوروبا بمحض رغبتهم ، أو مبعوثين من حكومتهم ، أو فارين لأسباب سياسية ، فكان الواحد من هؤلاء البلغاء يقول الشعر أو يكتب التاريخ ويناقش المسائل السياسية والاجتماعية ويصف أسفاره ويترجم الكتب الأجنبية . وكانت اللغة التركية لا تزال في صورتها التقليدية القديمة ، وان أخذت تنجس إلى البساطة ، كما أضحت المواد الأدبية أكثر جدة . وصدرت الجرائد ، وانتشرت المجلات الأدبية والفنية وفتحت المدارس الخاصة والحكومية أبوابها^(٢) . ولا يعزبن عن البال ان اتخاذ الفرنسية لغة للثقافة من أهم سمات الحياة العقلية في هذا الزمن ، وان ذلك الصنيع ليزكرنا

Rossi, La Nuova Turchia, P123 (Firenze 1939). (١)

باتخاذ الترك لغة الفرس أداة لهذا الغرض في الزمن الماضي .
ولاغرو فقد عرف الترك الفرنسيين منذ قديم ، ومعظم ما عرفوا
عن أوروبا إنما عرفوه عن فرنسا ، وكانوا يسمون الأوربي
فرنسيا ، ولما عوّول بعض العلماء والأدباء على دراسة لغة أوربية
في فجر هذه النهضة الحديثة ، لم يدرسوا إلا اللغة الفرنسية . وكانت
جمهرة الغربيين في استانبول من الفرنسيين ، ولغتهم أثير اللغات
الأجنبية دورانا على الألسنة وترددا في المسامع . وفي أيام
السلطان عبدالمجيد الذي كان على معرفة بهذه اللغة ، قدم استانبول
عدد جم من الفرنسيين واتخذوها مستقرا لهم ، كما اعتنق بعضهم
الاسلام وعاشروا الترك وصاحبوهم ، فكان لذلك أثره في نشر
تلك اللغة . أما أدباء عهد التنظيمات وشعراؤه فكلمهم دارس للفرنسية
وكلمهم متأثر بأدابها (١) وواقع الأمر أن أفكار بعض كتاب
الفرنسيين الجرة ومولفاتهم السياسية مما حببهم الى الترك وهم
يكشفون عن أنفسهم العبودية ويتنسمون الحرية . وإن الآية
لتنعكس تماما في نظرهم إلى الألمان ، فقد ألفت الصحافة الفرنسية

(١) اسماعيل حبيب ، تورك تجدد ادبياتي تاريخي ، ص ٦٩ ، ٧٠

(استانبول ١٣٤٠)

والانجليزية في روعهم أن ألمانيا معقل الاستبداد والحكم الفردي
فرغبوا عن الأخذ بطرف من ثقافتها (١)

ويعتبر عاكف باشا أول رائد من رواد الأدب التركي في
عهد التنظيمات ، وقد تحفظنا فاعتبرناه رائدا ولم نعتبره مؤسسا ،
فمن المؤرخين من يطوى ذكره طيا ، ويرى آكاه سرى أن ينسب
إلى المدرسة القديمة ، ولا يعده مبشرا بالأدب الجديد (٢) وهذا منه
رأى لا نميل إليه ، ويكفي أن يكون قد عاش في عهد التنظيمات
وجادت قريحته بشعر ونثر مختلفان ولو بعض اختلاف عمائعه
في العصور القديمة ، ليعتبر أول رواد المدرسة الحديثة .

ولد عاكف باشا في إحدى مدن الأناضول ، ولما بلغ السادسة
عشرة من عمره رافق أباه في رحلته إلى الحجاز لقضاء مناسك
الحج فعرف « بحاجي » . وأصاب من الثقافة الشرقية ما يصيب
الفتيان في زمانه . وقدم استانبول عام ١٨١٣ ، وكان عمه رئيس
الكتاب ، وهذا المنصب يشبه منصب وزير الخارجية في زماننا ،

(١) Hachtmann, Europäische Kultureinflüsse in der
Türkei, S6,10 (Berlin 1918)

(٢) Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, Tanzimat
Edebiyatı, S 18,19 (Istanbul 1934)

فألحق ابن أخيه بوظيفة كاتب في الديوان . وكان عا كف كبير
القطنة وثابا إلى العـلا ، فنال منصب عمه بعد أعوام قلال ،
وغير لقب رئيس الكتاب وأصبح ناظر الخارجية ، فإذا به وزير
الخارجية ، أو أول وزير لها . غير أنه عزل بعد شهر لدس
أدهم پرتو باشا وكـيده ، فقد كان بين هذين العـظـيـمـين منافسة
ومضاغنة ، وتمنى كل منهما العـشـار لخصمه وتربص به الدوائر .
ولعزله قصة ، فقد صادف أن كان تاجر انجلىزى يدعى تشر تـشـل
يصيد السمـان فى استانبول ، وطاشت احدى رصاصاته عن هدفها
فجرحت غلاما وهو يطعم حملا ، فأغضب ذلك الناس ، وساقوا
الانجلىزى سوقا عنيفا الى القاضى ، وأمر القاضى بسجنه ، وأمر
الخبر إلى السفير الانجلىزى فطلب اطلاق سراح السجين ، غير أن
الباشا رفض هذا الطلب فكانت مـما حـكـة بين السفير والوزير أعـقـبت
قطع العلاقات بينهما . والعجب أن يكون لأدهم پرتو باشا يد
فى هذا ، فقد أوعز الى من ترجم لكل منها كلام صاحبه ، أن
يفترى على عا كف باشا وينسب اليه من القول ما يثير الشر ويغضب
السفير . وما زال أدهم باشا بالسلطان حتى أقنعه بضرورة عزل
وزير خارجيته فعزله . غير أن السلطان عرف جلية الأمر فيما
بعـد فأسند الى عا كف باشا نظارة المـلـكـية التى عرفت بعـد بالداخـلية ،

فأضحى أول وزير للداخلية كما كان أول وزير للخارجية . ولم يلبث في هذا المنصب الرفيع طويلا ، فقد قدم رشيد باشا سفير تركيا في لندن ليتولى وزارة الخارجية وكان بين عاكف ورشيد شرو وجفوة ، فصرح وزير الخارجية الجديد بأن عاكف باشا قليل الصلاحية لمنصبه الخطير ، فأفكاره شرقية رجعية تتعارض مع النهضة التركية الحديثة . وعزل كما عزل من قبل . واشتد النزاع والتخاصم بين الوزير الحالي والوزير السابق ، فنفى عاكف باشا إلى أدرنه ، ثم اختار الإقامة في بروسه . ومن شعره في وصف شقوته وجدده العائر (ان طالعي في صفاد من الحجر ، فلاتصور لاستقامته ولا أمل في رجعتي . رباه إن حظي في دنياي منحسة متعسة ، فأنا في صبح وطني أذكر مساء غربتي . أأنا للقضاء مرآة ، فلا يظهر في إلا الآلام والمحن !)

وحج البيت عام ١٨٤٧ ، ومر بمصر في عودته ويقال انه حظى من محمد علي باشا باكرام عظيم ، غير أنه مرض بالاسكتدرية وكانت وفاته فيها عام ١٨٤٨ ودفن بجوار النبي دانيال (١) وهو شاعر كاتب ، أما شعره فشيبه شعر المدرسة القديمة في

(٢) عاكف ، عاكف باشا ص ٨ (استانبول ١٢٩٠)

المعنى والغرض ، غير أن ديوانه الصغير ينطوي على قصيدة تعرف
بقصيدة العدم ، ويمكن تمييزها من قصائد العصر القديم بأنها
تتناول معنى واحدا . وغرضا واحدا ، وهذا مالا تصادفه إلا
نادرا في قصائد الأقدمين التي كانت تضم عدة فنون شعرية في
وحدة مختلفة العناصر ، كالغزل والفخر والمدح . ويبدو فيها
حزينا مستهسا متشائما يكره الحياة أشد الكراهية ويتمنى أن
يحل العدم محل الوجود فكأن كل ما قد كان لم يك كان . ومن
قوله « ان الشوق إلى صباه العدم ، لينفخ في الانسان من روح
الحياة ، فيعجبا ، أفي قارورنها جوهر الأرواح ! من ينظر بعين
الامعان إلى وجود القدم فهو واجد أن صحراؤه كسوح الجنان .
كلا ثم كلا ، أن يجوز تشبيهها بالجنة ، فان الراحة في مأوى العدم
نعمة أخرى . وإذا كانت فيها نعم لانحصى ، فأى حاجة إلى تناول
نعم العدم (١) . ما قدر له أن يكون فهو كائن ، وما قدر له العدم
فهو معدوم ، فتمن العدم تسكن في راحة ،

ويعنى في هذه الفلسفة الغامضة القائمة إلى أن يفرغ من تلك

(١) يريد ليقول ان نعم الجنة كثيرها وخمرتها ، قد تكلف

متناولها عناء قطفها أو اساغتها ، اما نعم العدم فلا عناء فيها !

القصيدة التي نعدم فيها الجمال الشعري وان كنا لا نعدم الجدة
والطرافة والخروج عن مألوف الاقدمين ، لأن صاحبها حبسها
على خاطر واحد وجهد أن يولد من لاشيء أشياء .

ولعا كف باشا مرثية من رقائق الاشعار بكي بها حفيدته ،
وهي تختلف عن المراثى القديمة بأنها تجرى دموعا وتستعر لوعة ، وتثير
في قلب سامعها ما نثار في قلب صاحبها من مرير الأسي ، وهذا
مالا نعهده في شعر الرثاء عند الشعراء المتقدمين . يقول الجد
الحزين متفجعا على وديعته في الثرى (بنيتي الجميلة ، لا نسيان لك
على مر الأيام والشهور والأعوام ، لقد جرعتني المر من فرقتك .
وان لك لشغات حلوة وكلمات عذبة لا تزال تتردد في قلبي .
لا سبيل اليوم إلى قبلة من غضارة جسمك ! ويلاه ما صنع القبر
بحسبك ؟ وإذا ذكرت ثغرك الجميل بوردة البستان ، وددت أن
تحترق الورود من حر أنفاسي)

وهو يرسم لنا صورة تجرح الفؤاد بقوله (ما الذي حل
بجسمك الغض البض فغيره ، وهل سالت على الجبين عيناك
السوداوان ، وتفرق في التراب شعرك الجميل الذي طالما نعمت
به ضما وشما ؟ هل عرف الفلك كيف يصب نغمته على ، وهل
اذبل الردى ورد خديك .. واها ليد في لين القطن وبياضه كسنت

النشأ ، هل أصبحت في التراب تراباً ؟

فهذه المرثية وقصيدة العدم كل مافي ديوانه من جديد يجعله شاعراً مجدداً . أما نثره فسهل ممتنع لا أثر فيه لسجع ولا ازدواج والفكر يسيطر عليه أتم سيطرة . وله رسالة بعنوان (تبصره) يتناول فيها بالوصف المؤامرات السياسية وما عرف عن عظماء عصره من فساد الضمير وضعف الوازع الخلقى ، كما تحدث عن ذلك الشر الذي وقع بينه وبين أدھم پرتو باشا . ومن قوله فيها (ألعنة الله على تلك الأمانى الكاذبة ، وسحقاً للصيد البعيد الذي ينصب صاحبه غرضاً للملاوم ، مادام ذلك يتحصل بافساد المروءة والدين ، وهدر الحمية واضاعة الوطنية . نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا)

وقد عابها كمال بك بأنها لا تشبه رسالة رسمية ولا مقالة أدبية ، غير ان هذا لا يغض من قيمتها كأثر يتميز برصانة اللغة وقوة الاقتناع ، وقدرة صاحبه على جمع الدلائل (١)

* * *

ويذكر بعده أدھم پرتو باشا ، على انه يتلوه في المرتبة كمجدد

(١) شهاب الدين سليمان . تاريخ ادبيات عثمانية ، ص ٢٨٠

ووجه الشبه بينهما ان كليهما تولى الوزارة ، وتمرس بمسائل
السياسة ، فكان بذلك في شغل عن الانتاج الأدبي ، ولولا اعباء
منصبه لكان مكثرا لامقلا . ويختلف ادهم عن عاكف في انه كان
على علم بالفرنسية ، فترجم من آدابها الى التركية ، وهو اول من
اطلع الترك على هذه الآداب ، وقد الممنا بطرف من سيرته وما
وقع بينه وبين عاكف باشا ، ونضيف الى ذلك ان الساطان فطن
الى دسائسه ومكائده فأمر بنفيه الى ادرنه عام ١٨٢٧ . ويقال
ان حاكم هذه المدينة دعاه الى الغداء ثم أطلعه على امر السلطان
بقتله ، فتلقى ذلك وهو ربيط الجأش ، وأظهر ايمان المؤمن
المحتسب ودعا بالسم فتجرعه ، واجهز عليه اربعة رجال بحبل .
وكان مقتله عام ١٨٢٧

وديوانه مطبوع في بولاق سنة ١٢٥٣ وفي استانبول
سنة ١٢٥٦ . وقد اجرى شعره في اغراض القدماء ، وهذا مما
لا يعنيننا في شيء ، اما ما يسترعى اهتمامنا فتلك المنظومة التي ترجمها
عن الشاعر الفرنسي فيسكتور هو جو تحت عنوان (طفل نائم)
وهي تتألف من قطع تحوى كل منها ثمانية اشطر . وهذا منه
تجديد في الشعر التركي من الناحية العروضية ، وهو اول من
ادخل هذا النمط من شعر الغرب في شعر الترك . غير انه يبدو

متكلفا في هذه المنظومة ، وتلك نتيجة مألوقة للترجمة نظما . ومن
قول ادعم برتو باشا (طفل من سلالة الملائكة ، حديث عهد
بالولاد ، على مهد من العزة والرفعة ، الا يستغرق في نومه المعتاد
وله من حضن امه مهد لراحته . انه في راحة من عالم العناء ،
ولا خبر لديه عما يجري ، واذا ما أغمض العين عن هذا الكون
فانه ينظر الى العالم العلوى ، ان لأغانى الام التي تهدنه بها نغمات
مطربات ، كأنها انهار لها رشاش وخرير ، وكل ترجيع فيها بحار
تمور وتفور . وقد اجلّ ابوه هذا الملك كل اجلال ، واخته
قرينة اليمين والاقبال . اما امه فتمد جناحيها كالأطيوار ، ولسكل
ريشة فيهما الحان اغنية)

فهذا من الشعر الفرنسى العالى ، ولا احسبه الا غريب الوقع
على الذوق التركى ، ويبدو ان الفاظه ليست على قدر معانيه . وقد
ترجم منظومة اخرى عن الفرنسية لروسو بعنوان (بقاء الروح)
وكان في ذلك اكثر توفيقا منه في (طفل نائم) ومن قوله (الحياة
حلم ملتبس مختلط ، لقد كان مولدنا لمات فوالأسفا . هكذا نمضى
بجمالتنا وغفلتنا ، الى قاع لجة الموت بحسرتنا ، بعد بلايا ورزايا
تداولتنا ، والدنيا تمحونا وتطوى ذكرانا طيا . واذا نظرنا الى
هذا البناء ، بحثنا عن اسه ، أهو هواء ؟ وبودنا ان نعلم فورا

ما الخالق وما الخلق وما سر إيجاد هذا الوجود)

وهذه المنظومة تخلو من ذلك التعسف الذى اظهره ادهم باشا
فى ترجمة المنظومة الاولى . اما مؤلفاته فـ كتب اطلاق الافكار
فى عقد الابكار وفيه يفند آراء الأوربيين فى تعدد الزوجات .
واشترك مع غيره فى ترجمة تاريخ للصليبيين ، وعنوان هذا
الكتاب (الأمر العجيب فى تاريخ اهل الصليب) كما ترجم مقالا
عن البقاء الشخصى والنوعى لجان جاك روسو . وله كتاب
النباح ، وهو يرد فيه على مقالات نشرها شناسى افندى فى جريدة
تصوير افكار متحدثا عن وجوب التخلص من كلاب استانبول
الكثيرة . وقد مزج ادهم باشا فى هذا الكتاب الهزل بالجد .
وعلى ذلك ، يرجع فضل التجديد فى الأدب التركى الى عاكف
باشا وادهم پرتو باشا ، فقد جدد الأول فى معنى الشعر ، اما الثانى
فجدد فى وزنه واطلع قومه على ادب جديد بما ترجم من
منظوم ومنتور

* * *

اما شيخ المجددين بحق ، فشناسى افندى . والفرق بين بيته
وبين الوزيرين المجددين ، فكلاهما من رجال الدولة واهل الحول
والطول ، وادبهما لهما لا لغيرهما ، بمعنى انهما لم ينتظرا أن يأخذ

عنهـا أخذ ولا ان يقتدى بهـا مقتد . اما شناسى فقد ادر كته حروف
الادب وكرس كل جهده ليجدد ويؤسس مدرسة اديبية تنحـو
بالادب التركى نحوا جديدا ، فكان المعلم الاول ، واساطين
النهضة الاديبة الحديثة من البلغاء تلامذته وخرى بوجه . وهذا فضل
له اى فضل .

ولد شناسى عام ١٨٢٤ وأخذ من كل علم بطرف بعد مقتل
ابيه اليوزباشى الذى خلفه يتيما فى الثانية من عمره . قيل انه حفظ
القاموس التركى عن ظهر قلب ، ثم درس الفرنسية على رشاد بك
وهو فرنسى من هؤلاء الفرنسيين الذين رقت للاسلام قلوبهم
فى عهد السلطان عبد المجيد ، وقد حجب اليه ان ير حل الى اوربا
فى طلب العلم ، فكان ذلك حلما لم يفق منه الفتى . وشاء الله ان
يحظى شناسى بشرف المشول بين يدى السلطان ، فيعجب مولاه
بما يلوح عليه من آيات الفطنة ويرى الخير فى ايفاده الى اوربا
ليعود منها الى بلاده بما يعين على رقيها ونهضتها . وصدقت آمال
شناسى فر حل الى باريس ولما يبلغ العشرين ، وكان مشرق النفس
عظيم الامل فى غد سعيد جديد ، ففى احدى رسائله الى امه يقول
(لشد ما يشوقنى ان اكون فداء دينى ودولتى ووطنى وملتى) (١)

(١) اسماعيل حبيب ، تورك تجدد ادبياتى تاريخى ص ١٠٨

ودرس العلوم المالية ، الا ان هذه الدراسة لم تصرفه عن
الآداب وحرثها ، فوصل اسبابه بأسباب كثير من علماء الفرنسيين
وفي الميعة المستشرق الشهير دوساسي الذي عرفه بالشاعر
لامارتين فداوم على حضور مجلسه الادبي (١) كما خالط رنان
وهو من هو في رجاحة عقله ودقة فكره . وكان منوما بالعلوم
والآداب ، فلما نال بعض ماتني بعد ان قضى في باريس اربعة
من الاعوام ، رجع الى استانبول . وقام في نفسه ان يعود
الى منصبه في وزارة المعارف ، غير انه رأى في الاشتغال
بالصحافة خيرا وسيلة لنشر افكاره النيرة ، فاصدر جريدة لتصوير
افكار) مرتين في كل اسبوع وقد وصله السلطان عبد العزيز
بخمسة مائة جنيه اظهارا لتقديره ورضاء ، الا ان شناسي استعفى من
قبول هذا المال وكتب اليه يقول (لا حاجة بي الى شراء شيء له
هذه القيمة !) وقد ادى بها اجل الخدمات للنهضة الحديثة في كل
نواحيها ، لانه كتب في الادب والعلم والفن والاجتماع . وهو
سهل العبارة قصيرا الجمال ، وقد سما نثره باللغة التركمية واسما ليها (٢)

Maḥmud Kemal Inal, SonAsir Türk Sairleri, S 1837 (١)

Cüz 10 (Istanbul 1940)

Murat Uraz, Sair ve Ediplerin Hayati, S 62 (٢)

(Istanbul)

وجاء في مقال له عن استانبول (انما مدينتنا عاصمة ، ولن تكون الا راسا لدولة . من ملكها فهو مقتدر على ان يحكم الدنيا . انها دار ملك ، وقد اصبحت في ايامنا هذه حجلة لعروسين هما العقل الاسيوي الشيخ والفكر الاوربي البكر . واذا ما عرض شاعر لوصف جمال طبيعتها ، افما كان يصطنع مثل هذا الخيال؟ انها واقعة على ساحل البحر تجاه آسيا ، فهي تمتلك البحار ، وليس لها من نظير تحت الافلاك اللهم الا صورتها في صفحة مياه شديدة الموجان . وقد طارت في الآفاق شهرتها فسمحت السامعين ، ومحال الا يعشقوها بأذانهم ، ويرغبوا في رؤيتها بعيونهم ، ولا جناح علينا ان نسميها حسرة الأمم ، وان مدينة لها هذه الشهرة لجديرة بكل تحصين وتطهير وتزيين وتشوير)

فهذا كلام لا يعاب ، لأن صاحبه يعرض الحقائق والآراء ثم يزينها بشيء من جمال الخيال ليكون قوله آخذ بالقلب وأوقع في النفس ، وله جانبان ، جانب المنطق وجانب العاطفة ، ولا يطغى أحدهما على الآخر ، وهذا سر اتساقه واتزانه وجودته . وليس من المبالغة في شيء أن يقول پاول هورن ان جريدة تصوير أفكار قد عينت أسلوب النثر الحديث ووضحت معاملة (١) وقد

Paul Horn, Geschichte der türkischen Moderne, (١)
S 10 (Leipzig 1902)

شبهه مسلكه الأدب بقاعدة هيكل عظيم من الصم الصلاب تأنقت
يد المهارة في نخته وصقله وبهت كل من شاهده لعظمته ومهابتة.
ونثره خلى من كل عيب ولا عهد للترك بمثله (١)

وما شناسى أفندى بشاعر عظيم ، فليس له مالفنان من رهاقة
الحس واتساع الخيال واتقاد العاطفة ، وهذا طبعى من أمره ،
لأن الصحفي مثله وقاف عند الحقائق ، يخاطب العقول ولا يناجى
العواطف إلا بالقدر الذى يسمح له بتحسين الكلام ، والصحفى
ناقد قبل كل شىء فكيف يهيم فى الأخيصة والرؤى ؟ بيد أن شعره
على أعظم جانب من الأهمية التاريخية ، لأنه ترجم شعرا
لشعراء من الفرنسيين وأطلع الأترك على ما ليس لهم به علم . ولما
نشر (منتخبات) سنة ١٨٤٩ . كان ذلك حدثا مذكورا فى تاريخ
الأدب التركى أعجب به المتأدبون وابتهجوا ، لأنهم رأوا العثم
فتسع لمثل ما طالع بعضهم فى الفرنسية . وهو أول من أدخل
على الشعر والنثر العواظلم نجر للترك من قبل على قلم ولا لسان ،
كقانون وحرية ووطن ودولة . فقد كان الترك معتزين باسلامهم
لا بقوميتهم ، فإذا ما خرجوا للقتال فقد تحرك جيش الاسلام

Mahmud Kemal Inal, Son Asir Türk Sairleri, (١)
Cüz 10, S 1842 (Istanbul 1940)

للجهاد ، أما سلاطينهم فكانوا مستعلين متسلطين ، اشارتهم حكم
وطاعتهم غم ، ومن ثم ضعف الوعي القومي عند الترك ، وفشلوا
عن كل حق لهم في الحرية والعدالة (١) وكان شناسي قد أحيا
في النفوس آمالا ، وحرك في العقول أفكارا .

ولنا أن نقسم شعره إلى ثلاثة أنواع ، شعر يضرب فيه على
قالب القدماء من شعراء الترك ، وشعر يتناول فيه معنى جديدا ،
ثم هذا الشعر الذي ترجمه عن شعراء الفرنسيين . أما شعره
التقليدي ، فنضرب عنه صفحا ، لأننا إنما نريد أن نتصور شناسي
مبتدعا مبتكرا من جهة ، ولأن معظم هذا الشعر معتسف عن
جادة البلاغة لا يثبت على السبك من جهة أخرى . ومن معانيه
المبتكرة قوله تحت عنوان حكاية التناسخ (فيلسوف مغمور
خامل الذكر ، خال نفسه فيثاغورس العصر ، فاعتقد تناسخ
الأرواح ، واعتمد على تفسيخ الأشياء ، وقال كل ذى ذنب
يبصص ، ستكون له يوما صورة آدمي ، وسمع عاقل ذلك من
كلام هذا الثور فأخمه كأنما حشا فاه علقا بقوله ، كيف لا يؤمن
بهذا المذهب أيها الانسان ، وأنت على ذلك دليل وبرهان)

(١) راجع كتابنا من ادب الفرس والترك ص ١٤

فشناسى يتحدث عن نظرية دارون التى عرفها فى دراساته
 الاجنبية ، والظاهر من كلامه أنه يسخر منها ويزرى على صاحبها ،
 ومهما يكن من أمره ، فقد ضمن الشعر التركى رأيا لعالم من
 علماء الغرب ، وهذا كل ما يستحق الذكر . وله ما يسميه (عرض
 محبت) وهذا عنوان لانهده عند شاعر قبله ، واسم لانهده
 فى اللغة التركية وهو ترجمة لما يعرف عند الفرنسيين بـ Declaration
 أى الاعتراف بالحب ، ومن قوله فى ذلك (هام الفؤاد بحسناء
 لاتفتح العين على مثلها فى الملاح ، وإن قلبى ليحسد عيني ! ما أجل
 نهدين يزينان صدرها ، كأنهما زهرتان فى غصن رطيب . وإذا
 ما ضمنت هذا الصدر بلهفة إلى صدرى ، فلا تحسبن ذلك يشفى
 لوعتى ويطفىء حرقى . ان هذا القوام أبهى من الياسين وأرق ،
 وإذا ما ضمته كالبلاب ^(١) تأود لعناقى . ولقد انصرفت نفسى
 عن الملائكة وحوور الجنان ، منذ خفق قلبى لذات الحسن الفتان .
 وإذا ما أسكر الهوى عينها الناعستين ، فانها تفيقان من سقوط
 دمعى على وجنتيها . ألا تدوب كبدى لفتكات هذا الطرف
 الخمور ؟ وإن لفظها المعسول ليثير فى القلب شوقا وحنينا .

(١) من اسماء البلاب عند العرب عاشق الشجر .

وورد خدها الخجل من حسنها ، فاستتر وجهها بشعرها . لقد
عصف الوجد بجوانحي ، وأنا أحزن الى هذه الغدائر . فهل كان هذا
شأن المجنون مع ليلاه ؟ سأحفر قبري بيدي قبل أن أموت حيا ،
واكتب على صفائح بدماء عيني)

فشناسي في هذا الشعر لا يورد من الألفاظ الفارسية إلا
قليلا لا يذكر ، ويقول أو يقول ناشر ديوانه ان البيت الأول
والسابع من هذا الشعر بالتركية الخاصة ، أي التي تخلو من الألفاظ
العربية والفارسية (١) ، وحبه انساني لا صوفي ، أما تلك الماني
والأخيلة التي توارد عليها القدماء ، فقد تجافى عنها ، وهذا منه
خلق ونجديد .

كما تأثر الشاعر الفرنسي لافونتسين صاحب تلك القصص
المشهورة التي يجرى فيها القول الحكيم على ألسنة الحيوان ،
فنظم قصصا من هذا النوع بالتركية وكان أول شاعر أدخل قصص
الحيوان على شعر الترك . وله حكاية الحمار مع الثعلب التي يقول
فيها (خرج حمار من كرمة ، وعليه حمل من عنب ينقله إلى البلدة
فظهر له ثعلب جوغان تشتهى كبده مثل هذا العنب الطازج الناضج ،

(١) ديوان شناسي ، ص ٤٣ (قسطنطينيه ١٣٠٣)

واقترب منه فدفعه الحمار عنه برفسة خفيفة ، ولكن سرعان
ماعاد الصفاء بينهما . قال الثعلب : أى بأس فى اقترابى منك
أيها الأسد الطصور ، فأنا أريد رؤيتك لشدة إعجابى بمسنتك .
أدام الله على مولاي ظل اللطف والكرم ، ان الزهر لينبت فى
كل موضع وطئه بقدمه ، وإن لذيله ريحا كريح المسك الأذفر ،
وأود شمه ان كان سيدى لا يضرب أنفى . ان عينيك الناطقتين
لتدلان على علمك وعرفانك ، والكلام الموزون المقفى يطيب
فى فك . فتهق الحمار من فرط السرور ، وكأنه وجد قشرة بطيخة
او حسكة خضراء ١ - ومضى الثعلب فى هذا الكلام العذب حتى
ساقه إلى رأس بر ، وقال هذا مكان جميل فيه علف ، ولكنه
ضيق الباب فما العمل ، لا يمكن الدخول بالحمل . وهنا أتت كثيرة
لا نظير لها فى حسنها ، لو رأيت واحدة منها لهمت بها . ونظر
الحمار فى مرآة الماء ورأى صورة وجهه فتحلب ريقه - وقال
الثعلب : اطرح الحمل هنا واهبط ؛ وأنا تابعك كخادمك . ونزل
الحمار فورثه الثعلب وترحم عليه ١)

فهذه القصة من قصص الحيوان تذكرنا بكتاب الحمار لشيخى ،
بيد أن الفرق واضح بين الشاعرين ، فشيوخى إنما روى ما جرى
له مع أعدائه وشبههم بالحيوانات ذهابا منه إلى الهجاء والسخرية ،

أما شناسي فؤلف قصصا من نسج خياله ليشرح حكمة ويسوق
مثلا ، وهذا كل ما يريد ، كما أنه يجري على منهاج الشاعر الفرنسي
لافونتين المبرز في هذا الفن ، ومن ثم فلا وجه لاعتبار شينخي
أسبق إلى هذا اللون الأدبي من شناسي بعد أن حددنا الفرق بينهما .
أما ما ترجم عن الفرنسية من أشعار فضمنها كتابا بعنوان
(ترجمة منظومة) . وفيه قصيدة الذكري للامارتين وقصة الذئب
والحمل للافوتين ، وقدر من اندروماك واستر واتالي من تمثيلات
راسين ، وبعض قطع لجار وفلون . وقد نشر المترجمات مع
أصولها ، واضطرته قيود الوزن والقافية الى اضافات اشار اليها ،
وان هذه الاشارة منه دليل على دقة نظره في الألفاظ والمعاني (١) .
وإذا تجاوزنا كتابته وشعره ، وجدناه مؤلفا مسرحيا
كذلك ، فهو صاحب (زواج الشاعر) وهي تمثيلية هزلية ، تعد
الأولى من نوعها في أدب الترك ، وقد نقدتها حال المرأة المسلمة
في عهده ، وعرف المستشرق المجري فامبري قيمتها فترجمها إلى
الألمانية عام ١٨٧٦ ، وجعلها ضمن كتاب له بعنوان (صور من
عادات الشرق) (٢)

(١) Mustafa Nihat Özön. Son Asir Türk Edebiyatı Tarihi S 21.

(٢) Vambéry. Sittenbilder aus dem Morgenlande (Berlin 1876)

وتدور قصتها على شاعر يسمى مشتاق بك يريد أن يتزوج
قري خانم التي هوها . ولقمرى خانم أخت دهممة عانس تكبرها .
وإذ كانت التقاليد لا تجيز أن يتزوج الصغرى قبل الكبرى ، أراد
أهل الفتانين أن يخذعوا مشتاق بك ليلة العرس ويزفوا إليه الأخت
الدميمة ، ويفطن مشتاق بك إلى تلك الحيلة ، ويحاول التمسك
بحقه غير أن أهل العروس يتضافرون عليه فيضعف عنهم ، ثم
ينقذ موقفه رفيع من رفاقه يقال له حكمت بك بعد أن يرشو
القائم بعقد الزواج . وقد ظهرت هذه التمثيلية أول ما ظهرت
عام ١٨٥٩

ولذلك كتاب الامثال ، وقد قال في مقدمته (الامثال حكم تجري
على السنة العوام ، فهي تصور ماهية أفكار الشعب ، والامثال
العثمانية في جملتها غزيرة المعاني ، ولذلك رتبها على حروف الهجاء
بعد أن طرحت منها ما خشن تعبيره ، وأدرجتها في هذه المجموعة ،
كما أوردت بعض ما يقابلها في العربية والفارسية والفرنسية مع
ترجمتها ، او مع أبيات تركية تتضمن امثالا ، وذيلتها بعبارات
منشورة كذلك في مقام الاستدلال (١)

(١) شناسي ، ضروب امثال عثمانية ، ص ١ (قسططينيه ١٢٨٧)

فمن يريد ان يعرف روح الشعب وعقليته من امثاله ، لابد ان يكون قد الم بأصول البحث الادبي على المنهج الاقوم ، وهذا اتجاه دراسي جديد على عصره . ومات شناسي في الثالث عشر من سبتمبر عام ١٨٧١ ، بعد ان ارسى اساس التجديد ، ورسم لابناء الجيل المقبل من البلغاء منهاجا يجرون عليه .

وبعد شناسي افندى يذكر ضيا باشا ، ذلك الوزير الذي كان لحركة التجديد سهمة من جهوده الادبية والعلمية . والناظر في شعره يجد قديما في مبناه ، فكل اشعاره على غرار ما قال القدماء شكلا وجرسا ، الا ان شعر الباشا جديد في معناه ، فقد ترنم بالمعان العصرية بعد ان حبسها في اطار قديم ، ولذلك سهل شعره في افهام القراء من كل الطبقات . ولا نعرف بين المجددين مجددا قد انتقل من القديم الى الحديث بيسر وهدوء كما صنع ضيا باشا (١)

وكتاب (اميل) للكاتب الفرنسي جان جاك روسو ، مما ترجم ضيا باشا عن الفرنسية ، وقد صدره بمقدمة عن التعليم

(١) اسماعيل حبيب ، تورك تجدد ادبياتي تاريخي ص ١٢٣

والترربة في تركيا ، وتحدث خلالها عن طفولته وتربته ، وإذا
عرضنا تنقفا منها فقد عرفنا كثيرا عن حياته ، ولا يفوتنا ان نشير
الى تأثره فيها بروسو في اعترافاته . يقول ضيا باشا (في ذهابي الى
المدرسة والاياب منها ، كان يرافقتني عميد لنا في السابعة عشرة او
الثامنة عشرة من عمره يدعى عمر ، كما كان يقضى لمن في الدار
حاجتهم من السوق . وقد طبع العبد على السرقة في بلاده ، فكان
اذا حل موسم السكران والعنب ، مضى معي الى الكروم ، فسرقت
ما وصلت اليه يده من الثمار واكلنا معا . وكنت في السادسة او
السابعة من عمري ان صدق حدسي . وذهبت ذات يوم الى كرمه
تسمى (ذات الحوض) وكانت للقبطان الاسبق داود خليل باشا
وقد احاط بها سور من اشجار شائكة ، فلم يجد العبد منفذا للدخول
وان تمكن بعد الاى من ان يفرج عن منفذ ضيق بين اشجار السور
بعصا في يده . وقال لى : هذا المنفذ لا يتسع لى ، انت صغير
فادخل واقطف العنب القريب منك ثم ناولنى اياه لناكله معا ،
فقلت حسنا وانددت الى الداخل وجعلت اقطف العنب وانفق
ان قدم الباشا للصيد ، ومن عجائب المصادفة ان يقع هدفه في
الموضع الذى اغرت عليه ، فرآنى وكان له قواس يدعى احمد بك
طلما ارتعدت فرائضى من رؤية شاربه العظيم ، وكان مع الباشا

في ذلك اليوم . فإشار الى^١ وارسله ليعودن اليه . وبينما انا في
 شغل عما يدور حولي بقطف العنب ومناولته للعبد من فرجة
 السور ، إذ بات يأتي بخاة من ورائي ، فيضمني اليه ويمضي بي الى
 الباشا ، فما فرغت وما علمت بأى كلام أمتني . وقدم الباشا الى
 اطباقا من العنب كانت امامه وكلفني بالأكل ، فاذهب لطفه عنى
 الروع والفرع وجعلت آكل من غير تكلم . ثم سأني عن اسم
 ابى وموقع دارنا فاجبته ، ولما اراد ان يعرف الدافع لى على
 السرقة ، خبرته خبر العبد معى ولم اقل الا حقا ، فسر كثيرا للصدق
 ووضع فى بدى نقودا عظيمة القيمة ، ثم كلف احمد بك بايصالى
 الى دارى (١) ودارت الايام فالحقه ابوه بمدرسة فى استانبول ،
 الا ان ابا ، كان ضئيل الحظ من العلم ، فخره من تعلم اللغة
 الفارسية بعبارة مسجوعة يتفكك الترك بها وهى (من درس
 الفارسية ضاع نصف دينه) (٢) كما عهد الى من يدعى اسماعيل آغا
 ان يؤدبه ويقوم على تربيته وكان اسماعيل آغا مشغوقا بالشعر

Ismail Hikmet, Ziva Pasa, Hayati Ve Eserleri, (١)
 S6,7 (Istanbul 1932)

(٢) لا يخفى ان هذا رأى جهال العوام الذين كانوا يعتبرون
 الفارسية لغة التصوف والبدع التى ما انزل الله بها من سلطان

والأدب ، فحبب الى الفتي ان تعلم الفارسية اسوة بكل اديب تركي .
و نعود الى تلك المقدمة التي حدثنا فيها عن نفسه ليقول لنا (كان
مؤدب شديد الولوع بالشعر على ضعف كتابته التي لم تسكن تفهم
الا بعد جهد لكثرة الاخطاء الاملائية فيها . وقد علقت بحفظه
ايات من شعر عاشق عمر وجوهري ^(١) فكان ينشدها في مناسبة
وفي غير مناسبة ، كما فاضت قريحته بما يشبه القطع والغزليات . وما
انس لانس ليلة جلست فيها قبالة لطحن (البلغور) ^(٢) فلما جاء
دوري في تحريك الطاحونة وحركتها ، رأيت عينيه تهملان ، لقد
كان يبكي . وقلت له في ذلك ، فرد على بقوله . انت لاتزال طفلا
فلن تفهم وعاودته بالمسألة ، فلم يجد عن الاجابة ندحة وقال : اتعلم
مايقول لسان هذه الطاحونة ؟ وكننت لم أسمع للطاحونة كلاما بعد ،
فاخذتني الدهشة وحملت في وجهه قائلا : بالله الاما خبرتني كيف
تتكلم الطاحونة . فتنفس من كبد حري وقال : نعم انها تتكلم ،
وهي افصح منا لسانا واغزر عقلا ، غير اننا في حاجة الى آذان
تسمعها ، فلسان حالها يقول : أيها العاقلون الناظرون الى ، افتحوا

(١) شاعران متجولان من شعراء العوام

(٢) البلغور في التركيب هو ما نسميه البرغل

عيونكم فأنا مثال لهذه الدنيا ، فالحبوب التي تضعونها في أشبه
 شيء بأهل دنياكم ، وأنا اسحقها بين حجرين بدوراني ، حتى إذا
 مارصت الى مرتبة الكمال لتصبح (بلغور) دفعتها الى الخارج ثم
 اصنع ماصنعت بها مع مايلقى في من حبوب . وهكذا الدنيا
 تطحن من وردها من الانام بصرف الزمان بين أرضها وسماها
 حتى إذاكمل الواحد منهم ونال ماقدر له ، دفعته الى القبر (١)
 ويمضي ضيا باشا في سرد قصته مع مؤدبه اسماعيل آغا ، فيقول
 ان تشبيه الطاحونة بالدنيا قد احتته على دراسة الفارسية ورغبه
 في ان يكون شاعرا من الشعراء . ولما آنس في الفتى هذا الشوق
 المتقد ، عرفه الشعر ماهو ، وتمنى له ان يكون من قائلته كما اوصاه
 أن يقول في النعت النبوي تبركا ، ويجعل الرديف (يارسول الله)
 ونجزيء بهذا القدر من خبره مع مؤدبه ، بعد ان عرفنا الكثير
 عن حال التربية والتعليم في ذاك الزمان ، واطلعنا على راموزين
 من نثر ضيا باشا ، وهو سهل ممتنع لا أثر فيه لسجع ولا بديع ،
 وأشبه بنخب يرويه متكلم منه بسيرة يجرى بها قلم كاتب من
 أعيان البيان .

Ismail Hikmet, Ziya Pasa, Hayati Ve Eserleri, (١)
 S 11,12.

واسند اليه منصب كاتب في الباب العالي وله من العمر سبع
عشرة سنة ولبث في منصبه هذا احد عشر عاما ، فظهر من آيات
القطنة ما أثار عجباً واعجاباً ، وحر الشعر ودبجه ، فارتفع فوق
الأقران درجات . الا انه كان حريصاً على قضاء ليلات الشباب
فركب هواه وغلا في جهالته وشرب من المدامة بالكثير
وبالصغير ، وفي سنة ١٨٥٤ جعله الصدر الأعظم رشيد باشا من
خواص كتاب السلطان عبد المجيد . فاقصر عن باطله ولوى
عنانه . وأصبح له من الوقار ما يليق بمنصبه الجليل في القصر السلطاني
ثم وجد مس الحاجة الى أن يكون ذا حظ من لغة أجنبية ، فدرس
الفرنسية وشحن لها كل عزمه حتى تأتي له بعد ستة أشهر من
دراستها أن يقتدر على ترجمة كتاب منها بعنوان تاريخ الأندلس
لفيادرو . ومن شعره في الدعوة إلى دراسة لغات أوربا قوله
(إذا أردت أن تحيط علماً بالدنيا ، فلا بد من تعلم لغة أوربا ، لقد
برز القوم في الفنون ، فلا تحجم عن الدرس والتحصيل . انت
حقيق أن تلم بعلم تلك البلاد ، فدع عنك جنون التعصب . ان
يكون الشاعر شاعراً الا بذلك ، ولن يكفر الإنسان باللسان !
ابذل في التحصيل الهمة ان كنت ذا حمية . واكثر من ترجمتك
لتنفع بها أهل وطنك)

فهذا الشعر يصور الحياة الثقافية عند الترك في زمان التحول من عهد قديم الى عهد حديث ، ويدل على ان النهضة انما قامت على لغات الغرب وعلومه وفنونه ، كما يبين لنا موقف الرجعيين والتقدميين من التمدن الأوربي الذي قدر له أن يحل محل التمدن لآسيوى . وقد حظى عند السلطان عبد العزيز وأراد أن يصحبه في رحلته الى أوروبا ، غير ان الصدر الأعظم على باشا كان رجل سوء ، فنبط السلطان عن ذلك لحقد يملأ نفسه على ضيا . وزايل القصر ليقبل على حياة الجهاد السياسى . وفي سنة ١٦٦٥ تألفت جمعية العثمانيين الجدد ، كما يقول الأتراك ، أو جمعية تركيا الفتاة كما يسميها الأوربيون ، وقد اتخذت لها مبدعا هو العمل على الظفر بالدستور والحد من تسلط السلاطين ، فوجد مجالا فيها وسرعان ماتبوا مكانه بين رؤسائها . وعمل الصدر الأعظم على باشا على وأد هذه الجمعية وهى فى مهدها فرأى ان يفرق أعضائها ايدى سبا ، ونفى كثيرا منهم . واستندت الى ضيا باشا ولاية جزيرة قبرس ، الا انه رفض الرحيل الى الجزيرة لما عرف ان النية مبيتة على دس السم له . واتفق فى هذا الوقت أن سخط الأمير المصرى مصطفى فاضل باشا على الحكومة التركية لأنها حرمته حقه فى وراثة عرش مصر ، وأراد أن يهاجم الصدر

الأعظم وحكومته في الصحف أثناء مقامه في اوربا ، ورأى أن
يكل هذه الحملة الى كتاب من الأتراك يتعصبون على على باشا .
فدعا ضيا باشا ونامق كمال بك الى اللحاق به في فرنسا . ورحلا
الى الأمير لخدمة قضيته ، بعد أن عاهدما على امدادهما بمحاجتهما
من المال ، ولكن سرعان ما انفض الشر الذي كان بين الأمير
والباب العالي ، فاستغنى عن صاحبيه واخلف ما كان من وعد .
ورحل ضيا باشا وكال بك الى لندرة ، واشتغلا بالصحافة فاصدرا
جريدتى المخبر والحرية . ولم يعد ضيا باشا الى استانبول الا بعد
موت غريمه الصدر الأعظم . ومنح رتبة الوزير في عهد عبد الحميد
وارسل الى سورية واليا عليها والغرض ابعاده عن استانبول . ثم
صغرت رتبته فعين حاكما لاطنه وتوفى بها في مارس من عام ١٨٨٠
وقد اسلفنا انه ترجم اميل وتاريخ الأندلس ، ونضيف الى ذلك
تاريخ محاكم التفتيش ، وتلك لفنلون ، وتارتوف لمولير التي
جعل عنوانها «عاقبة الرياء» وترجمها نظما بشعر مرسل
أما كتاب خرابات الذى أشرنا اليه اكثر من مرة فيقع
في ثلاثة مجلدات . ويمكن تقسيمه الى قسمين . المقدمة والمنتخبات .
والمقدمة في خمس وعشرين صفحة ، وقد تناول فيها توحيد
البارى والمناجاة ، ثم النعت النبوى ، ثم سبب ترتيب خرابات

ثم احوال شعراء الترك ، و احوال الشعر و شروطه ، و احوال شعراء ايران . و تحدث بعد ذلك عن احوال شعراء العرب ، و اما فاتحة هذه المقدمة المنظومة فالتحدث بالنعمة و طلب المعذرة . و اما قسم المنتخبات فمن شعر شعراء الفرس و العرب ، و الترك الاجنثائين و العثمانيين من الاقدمين و المحدثين . و قد ارجح ضيا باشا في المقدمة شعر العرب و الفرس و الترك ، و يعتبر ما قاله عن شعراء الترك اقدم تاريخ للأدب التركي (١) . و قد نقد نامق كمال بك هذا الكتاب او نقضه بكتابين هما تحريب خرابات و التعقيب على خرابات . و لا يفوتنا ان نقول ان نامق كمال بك قد مزج النقد بما في نفسه من حقد و سخط ، لانه كان يضاغنه و يشاحنه ، و هذا ما بغض من قيمة هذا النقد ، فجميل العدو غير جميل ، و من طلب عيبا و جده .

و يذهب اسماعيل حبيب الى ان ضيا باشا لم يوفق تمام التوفيق في انتخاب كل ما انتخب من شعر ، و يقول ان قيمة هذا المؤلف ترجع الى مقدمته المنظومة (٢)

(١) Ismail Hikmet, Ziya Pasa, Hayati Ve Eserleri, S96

(٢) اسماعيل حبيب . تورك تجدد ادبياتي تاريخي ص ١٤١

ولضيا باشا كذلك رسالة صغيرة يسميها «رؤياه» ، وقد كتبها
اثناء مقامه في لندن وضمنها آراءه السياسية . واذا ما نظرنا في
شعره ، رأينا ان اشهر ما نظم (ترجيع بند) ذاع امره ولم يبق
من المتأدبين الا من حمظه . يقول فيه ضيا باشا (هذا الفلك
طاحونة بالبلاء تدور ، اما الانام فخبها المطحون . هي الدنيا ،
شيطان مارد يأكل من اعقب . يا عجباً لهذا الدهر من مستقر ،
من امن النظر في الكائنات ، رأى احلاما واخيلة او خرافات .
كل ما في الدنيا الى منتهى ، فالاشمية بعد الصيوف ، والريبع
يتبعه الخريف . علم اليقين امر محال ، فكل ما صدق الانسان
واعتقد ، في حكم العقل مستبهم مستعجم . اى حاجة الى كل
هذا القراع والنزاع ، وحاجة المرء كسرة من خبز . لا ترس يحتسى
به تحت هذه القبة الزرقاء ، وكل ذرة في الكون هدف لسهام
القضاء . سبحان من تحيرت في صنعته العقول ، سبحان من
بقدرته يعجز الفحول)

وهذا الترجيع طويل ، ولعل اظهر ما فيه تشبيه الفلك
بالطاحونة الذي عرفه ضيا باشا من مؤدبه في سواف الايام .
ولا شك ان دوران هذا الشعر على الفناء والبقاء والقدر والقضاء
مما قربه الى المفهوم وحسن وقعه في النفوس ، فهذه المعاني تشغل

كل قلب وتحيير كل لب ، والناس سواء في تذوقها والطرب لها ،
وهذا ما جعل لرباعيات الخيام مثلاً تلك السيرة العظيمة .
وله منظومة تسمى « ظفر نامه » اى كتاب الظفر ، وقد
نظمها اثناء مقامه فى باريس ، فطالع الترك بلون من الهجاء لاعهد
لهم به ، لانه هجاء بالمعنى الذى يفهمه الاوربي . والمنظومة من
ديباجتها الى نهايتها ، تمكم مرير وتهزؤ مشير ، ومديح يراد به
المذمة . وهى قديمة شكلاً وقالباً ولكنها جديدة معنى وغاية ،
وتعتبر اروع واظرف واصدق مثال للآداب العثمانية فى
جميع عصورها (١) وقد احتذى الباشا على طريقة الفرنسيين .
ولم يتهج سيدى الهجائين من الاتراك كسرورى ونفعى ، فالفرق
واضح بين ظفر نامه وسهام القضاء مثلاً التى حفل فيها من الفحش
والهجر ما ينبو عنه الذوق ويمجه السمع .

وضيا باشا يهجو بظفر نامه الخصوم السياسيين لجمعية تركيا
الفتاة الذين كانوا كذلك خصومه الشخصيين ، وليس يخاف ان
اولهم الصدر الاعظم على باشا . اما الغرض الظاهرى منها ،
فتمجيد تلك الحملة التى اراد بها الصدر الاعظم اخماد الفتنة التى

[smail Hikmet, Ziya Pasa, Hayati Ve Eserleri, S89.(١)

قامت في جزيرة كريت عام ١٨٦٧ . وهي اقسام ثلاثة ، ظفر نامه
الاصلية وهي قصيدة ، وتخميسها ثم شرحها المنشور . وقد اجري
قسمها الاول على لسان فاضل باشا الذي نظم قصيدة يوم فر
انصار الاصلاح من استانبول ، ويقال ان الصدر الاعظم اعجب
بهذا الصنيع فولى فاضل باشا ازמיד . اما القسم الثاني فينسبه الى
خيرى افندى وهو من رجال الصدر الاعظم ، ثم يتخيل حسنى باشا
صاحب الجزء المنشور ، وكان حسنى باشا رئيس الشرطة ومن
أشد الناس عداوة لضيا باشا ، ومن قوله في ظفر نامه (حبسنا
النصر ، ياله من نصر للملوك عظيم ، ونعما بالفتح ، ياله من فتح
مبين رفعت له اعلام البشائر فكان ميمون الطائر . احمر برستم
وزال ان يرفعا الصوت قائلين ، بارك الله بارك الله ، ماهذه
الكوكبة وما كل هذا العز والاقبال ! (١) كفى بالتاريخ شاهدا ،
كم حروب هاجت ، وان اهل الأرض وملائكة السماء ليشهدون
بانهم لم يعهدوا نصرا بهذا الجلال منذ دارت الأفلاك - إذا
كتب ، عجبت الدنيا كل العجب ، وإذا صنع شيئا بهت الناس
طرا ، وحق لهم ان يعجبوا ويبهتوا ، لقد ترنم بتمجيد أعماله

(١) زال من ابطال الاساطير الفارسية وهو ابو رستم

بممتاز وفؤاد (١) ، كما دل على فضله التقويم والجريدة (٢) لاحجاب
بينه وبين سلطان الزمان ، وما ضره الا يذكر اسمه على المنابر ،
فحكاه ماض في كل مكان ، وما السلطان الا اسم على طرف
اللسان ! وهو على عرش الحكومة أمرناه

وله (شرقي) يدل دلالة واضحة على تأثره بالشعر الفرنسي
فهو يقول فيه (المساء يظلنا والشمس تمضي الآن من هنا ، والرعي
في الوادي ينفخ المزمار حزينا حزينا ، انت غض بض حماك
من خلقك ، الى القطيع لئلا يفرسك الذئب ، تعال يا حملي الصغير
آه لا تفارق من يحبك أيها العزيز . لقد جعل الله عبدا لك مني ،
فأنا حقيق بأن اعترف العين والجبين في تراب مررت عليه ، صمم
اذنك عن اراجيف العدا واستمع لي . الى القطيع لئلا يفرسك
الذئب . تعال يا حملي الصغير ، آه لا تفارق من يحبك أيها العزيز
الضباب يحيط بالجبال من كل جانب ، فرؤية العدو غير ممكنة .
لقد نصب الصياد حبالته فلا سبيل الى الحبيب ، وعديم الوفاء

(١) ممتاز افندي وفؤاد باشا من رجال الدولة في هذا الوقت .

(٢) تقويم الوقائع صحيفة الدولة الرسمية ، وجريدة الحوادث

جريدة كانت تصدر في استانبول

لاينادم على صهباء ! . الى القطيع لثلا يفرسك الذئب ، تعال
ياحملى الصغير ، آه لاتفارق من يحبك ايها العزيز)

* * *

وعلى ذكر ضيا باشا يذكر رفيق جهاده نامق كمال بك الذى
سأهه التجديد والاحياء فى كل نواحي الحياة التركية من سياسية
واجتماعية و أدبية . فقد جمعت بينهما جمعية العثمانيين الجدد التى
قامت منهما على اهم دعائمين من دعائهما ، وتناولوا حركة التنظيمات
بمعظم ماخطت يراعتهما فى الوطن والغربة (١) وقد عمرت حياة
نامق كمال بكثير من الاحداث والأعمال ، واتصلت الاسباب
بينه وبين شخصيات متباينة ، منها المعمم والمطربش والمقبع ،
وجالس الامراء فى القصور كساكن القتلة فى السجون ، وأضاق
فى اوربا حتى رأى ان يبيع ساعته ، وأوسع فى استانبول حتى
ادرت عليه جريدته ثلثمائة دينار كل يوم ، وان فى وجه الانسان
شبهها من وجوه تحيط به ، وما حياته الا ماوقع له مع ماقدوق
لغيره (٢) ومن ثم كانت أهمية دراسة ذلك الرجل الذى يعتبر

Ihsan Svngu, Tanzimat Ve Jeni Osmanlilar S 1 (١)
(Istanbul 1940)

Mithat Cemal Kuntay, Namik Kemal, S5 (Istanbul 1944) (٢)

أعظم قادة الفكر عند الترك ، فقد اتخذ من الأدب منشوره
ومنظومه وسيلة تمكن بها ان يعلم قومه الوطنية ويصرهم بحق
لهم وواجب عليهم ، فأثار العقول وهز القلوب ، وكان لمبادئه
وتعاليمه في نفوس النشء من الأثر ما لا يحصى على طول الزمان .
وقد جعل الشباب ، نحو ربع قرن في عهد عبد الحميد ، يطالعون
ويتفهمون مؤلفاته سر او علانية ، معرضين بذلك مناصبهم وحيواتهم
للضبايح ، فكانت السفينة تتلو الأخرى متجهة الى طرابلس أو
الين ليعمر المنفى بمئات من اولئك الكهاليين وجمهرتهم فتيات
حدثان من تلاميذ المدارس (١) اما هو فمات منفيا في جزيرة
ساقز عام ١٨٨٨ .

ولد نامق كمال سنة ١٨٤٠ لأسرة عربية في الحسب منها
الوزير الخطير والقائد المظفر والشاعر المفلق فورث عظمة العظام
وفضل الفضلاء . وحصل العلوم على المنهج التقليدي القديم فكان
حديد الفهم سريع الفطنة وشغف بالأدب ، وصاغ الشعر وهو
في الرابعة عشرة من عمره . ثم عرف شناسي ودرس الفرنسية
ومنذ ذلك الحين ، جعل يقترب من الجديد ويتبعده عن القديم ،

Halide Edib, Conflict of East and West in (١)
Turkey, P 194.

واتصل الود بيئته وبين شناسى شيخ المجددين ، وتوسم في خريجه
 خيرا كثيرا ، فناطق به ان يحرر معه في جريدته (تصوير أفكار)
 ولما رحل شناسى الى اوربا سنة ١٨٦٥ استعهد من نامق كمال ان
 يقوم بأمر الجريدة ، وكان أمينا على الوديعه ، فأحسن الادارة
 وأتقن العمل . وبعد عامين لبي دعوة الأمير مصطفى فاضل ، فسافر
 الى باريس مع ضيا باشا ثم زايلاها الى لشبده واصدرا جريدة
 (حرية) وعاد الى استانبول سنة ١٨٧١ فأصدر (عبرت) وعالج
 الكتابة في كل موضوع يمس ناحية من نواحي الحياة التركية
 أعوزها الاصلاح . ففي عهد التنظيمات سامت الحالة الاقتصادية
 سوءا شديدا ، وكان ذلك من أهم الموضوعات التي تناولتها أفلام
 العثمانيين الجدد وقتلتها بحثا ^(١) . وبما جرى به قلم نامق كمال في
 جريدة حرية قوله (للثروة في هذه الدنيا ثلاثة مصادر اولها
 الزراعة وما تنتجه من هبات الطبيعة . وان وطننا في موقع جغرافي
 يجعله أهم نقطة بين قارات ثلاث ، وكان قديما للعالم كخزن
 الميرة ، وبما يؤسف له جد الأسف ، ان تكون أرضنا طيبة زكية
 تخرج أحسن النباتات وأوفر المحصول ، ولا نجد اليوم لقمة
 تبلغ بها)

Ihsan Sungu Tanzimat Ve Jeni Osmanlilar, s 49 (١)

فنامق كمال يطرق هذا الموضوع الحيوى ويأتيه من بابه بشئ
لا يعتبر فنيا لأنه سهل العبارة واضح المعنى وهو لغة الصحافة في
أكمل صورها . ومن قواه في الوطنية (حُب الانسان وطنه بشعور
هو عين الشعور الذي يجب به الرضيع مهدد ، والطفل ملعبه ،
والشاب مكانا يرزق فيه ، والشيخ ركن فراغه وراحتة ، والولد
والدته ، والوالد عياله . وليس هذا الشعور ميلا طبيعيا لوجه له
ولا سبب ، فالانسان انما يجب وطنه لأن حياته وهى أعلى وأعز
النعيم تبدأ بتنسم هواء الوطن . وانما يجب الانسان وطنه لأن
نظرة وهو أكرم هبات الطبيعة يقع على أرض الوطن أول ما يقع ،
وانما يجب الانسان وطنه لأن مادة جسمه جزء من وطنه .
وانما يجب الانسان وطنه لأنه اذا تلفت حوله رأى في كل ركن
من اركانه ذكرى حزينة لعمره الماضى وكأنها قد تجسدت . وانما
يجب الانسان وطنه لانه تلك المقبرة الساكنة لاجداده الذين
كانوا سبب وجوده ، ومدرج اولاده حين تحويهم الدنيا . وانما
يجب الانسان وطنه لما بينه وبين مواطنيه من وحدة اللغة وتبادل
المنفعة والالفة والمؤانسة ، وما ينبئ على ذلك من قرابة القلوب
واخوة الافكار)

وقد يكون تكرير بعض الالفاظ والعبارات غريبا او عمولا

الا ان نامق كمال بشعرنا هذا الكلام انه يقف من قومه موقف
من يسمعهم مالم يسمعوا ويعلمهم مالم يعلموا ، لانه انما يشرح لهم
معاني الوطن والوطنية والحقوق والحرية ، وما كان ابعدا عن
اذهان اهل هذا الزمان .

وقد جاء في وصفه لمدينة لندرة قوله (وأوجدوا عالماسعيدا
بقلمهم وعلمهم وسعهم ولو قايسنا بين عالمهم هذا وبين كل
ما أحيط بألاف المبالغات ، وصورته اخيلة شعراء الفرس في
الهند والصين من قلاع الجواهر ، وقصور الذهب ، ومبرقش
البساتين ، لما كانت الى جانبه شيئا مذكورا . نعم ، نحن نلى يقين
من انه ليس في الامكان جعل استانبول كلندرة في بضع سنوات
ولا الروم ايلي كفرنسا . وليكن بما ان الاوربيين قد وصلوا
الى هذه الحال من رقي في بحر قرنين من الزمان ، كما أوجدوا
بأنفسهم اسباب نهضتهم ، على حين وجدنا نحن تامة حاضرة ،
فيذا ماشمنا عن مساعد الجد ، فهل من ريب في اننا واصلون الى
درجة من الرقي تضارع اسمي ما وصلت اليه بلاد العالم المتحضر
بعد قرنين ؟ وهل القرنان الا كلبح البصر في عمر الجماعات ؟)
فهذه دعوة صريحة الى حياة حديثة اساسها العلم والعمل لا تلك
الاحلام التي ترفع الى السماء قبايا من هواء وتنبث الزهر في القفار

وتخرج النار من البحار . ثم يضرب المثل القريب ويحكم المنطق
السليم ولا يقول الا حقا .

ووصف احد السكتاب جريدة (عبرت) وسلطانها على
الشعب فقال ان الازك كانوا من غفلتهم في سبات عميق ، وقد
ايقتطهم هذه الجريدة بما يشبه الرمد القاصف ، وكأنما كانت
شمس المعرفة وراء حجاب صفيق من سحب مركوم ، فزقته
(عبرت) كأنها ريح صرصر عاتية (١)

وبعد ان قرأناه صحفيا ومصلحا اجتماعيا ، نجده كذلك مؤلفا
مسرحيا ، وهو ابو المسرح التركي كما يقولون . ففي اواخر عهد
عبد العزيز المظلم ، والنفوس متحركة نبهته في جميع ارجاء
البلقان ، اخرج نادق كمال للناس مسرحيته (سلستره) او (الوطن)
عام ١٨٧٤ ، تلك المسرحية التي يمجده فيها زياد الترك عن قلعة
سلستره وهم يحاربون الروس عام ١٨٥٤ . وقد حدث الترك بها
للمرة الاولى عن وطن لهم مستقل عن السلطان (٢) ولما شاهد
الناس هذه المسرحية تحركت أعماق نفوسهم وطربوا لها كأشد

(١) رشاد ، كمال ص ٤ (استانبول ١٣٢٦)

Brockelmann History of the Islamic Peoples, P390(٢)
(London 1949)

ما يكون الطرب ، فارفعت بالهتاف أصواتهم وهم يقولون يحيا
كمال ويحيا الوطن وتظاهروا وتجمهروا في شوارع استانبول
المظلمة وفي أيديهم المصابيح . فلما كان الغد القى القبض على نامق
كمال ونفى الى جزيرة قبرس . ولم ينفك الأتراك عن ذكر هذه
المسرحية والاعجاب بها حتى بعد ظفرهم بالدستور عام ١٩٠٨ .
وتدور قصة هذه المسرحية على ضابط متطوع يدعى اسلام بك
يخوض غمار حرب ساستره ، وتبنيها صاحبته زكية خانم مستخفية
في ثياب الجندي ، لأن اسلام بك خطب جنده قائلا : من أحبني
تبعني . وقد خفيت شخصية زكية حتى على من يهاها . ويجرح
اسلام بك فلا بأسو جراحة الا من تبادلته الغرام . وينتهي الأمر
بالتعارف والزواج .

وهي من أربعة فصول ، واليك نهاية الفصل الأول :

متطوع : نحن هنا جميعا .

اسلام بك : أيها الرفاق ، لقد التففتم حول لوائى ، وانى
بذلك لمزهو بخور ، وان كنت لا أدري أراضون أتم عنى أم
غير راضين . أنا ذاهب الى القتال ، وقد عقدت العزم على أن
أموت . أنا لا أنال على ذلك أجرا ، وعلى الراغب فى الأجر أن
يخرج من زمرتنا ، ولا أمل لى فى غنيمة وعلى طالبها أن ينسحب ،

وقد وطدت عزمي على الأين واللغوب فعلى طالب الراحة ألا
يتبهنى . ولا خشية لى من سيوف مجردة ولا سهام مسددة ، فأولى
بمن يخشاها أن يقبض مع أهل بيته . أتفهمون كلماتى ، وتملكون
أن تطردوا خشية الموت من قلوبكم ؟ أفى مكنتكم أن تعتبروا
صدوركم قلاعاً تحمى بلادكم ، أنذهبون لملاقاة الردى ؟ سنبذل
أنفسنا عن وطننا والله حافظنا ، أما اذا لم يحفظنا فملك حكمته
وله الأمر من قبل ومن بعد ، انكم فى أنفسكم عظيم الثقة ؟

أيها الرفاق إنا الى شاطيء الطونة متجهون . الطونة حياتنا ،
وإذا فقدناه فقدنا الوطن ، فما استطاع أحد أن يعيش فيه ، وقد
يستطيع البعض ، كلا كلا ! ان هذا المستطيع ان يكون فى عداد
الرجال ، فلا يمكن لرجل أن يعيش وهو يرى أمه تحت الأقدام .
والرجل ان يعيش وهو يشاهد ولى نعمته تحت أقدام المهانة دون
أن يحرك ساكناً ، الا ان يكون أحقر من كلب . أيها الاخوان
ليس الانسان بأحقر من كلب .

ان الله يأمرنا بمحبة الوطن ، الطونه معناه الوطن فاذا ذهب
أحدهما لحق به الآخر . وستجدون عظام آبائكم وأجدادكم أينما
سرتهم وتوجهتم على شاطئه ، واذا رأيتم الكدرة فى مائه ، فهذا
الغرين ذوب أجساد من ناخوا عنه من أبطال أماجد . لقد عبر

الترك الطونه يوم عرفوا برنين اسمهم ، لقد عبروه دفعات ، إلا
انهم لم يستولوا عليه ، ومادام لهم وجود في هذا الوجود فن
يغلبوا عليه . أنتم على أتم الأبهة للموت من أجله ؟ أتقسمون
بربكم على انكم ستبعونني ؟

المتطوعون - يميننا لانحنث فيها .

اسلام بك - من أحبنى تبعنى .

وهذا قدر من الفصل الثاني الذى يبدى فريقا من المتطوعين
وهم جلوس فى جانب من قلعة سلاستره ، وزكيه فى ثياب الرجال .

متطوع - الزموا الصمت الزموا الصمت .

متطوع آخر - ما الخبر ؟

المتطوع الأول - أما تسمع الموسيقى ؟

المتطوع الثانى - علام هذه الجلبة ، الجيش قادم .

المتطوع الأول - كأنها نغمات حربية

زكيه - مادامت النغمات حربية فلنترنم بنشيد حربي .

الجماعة - لنترنم بأنشودة (الوطن شاغلنا عن أنفسنا واقباله

مناطق آماننا ، ولنا من اسلائنا حمن يحمى حدودنا ، نحن العثمانيين

زيتنا كفن ملطخ بالدماء ، والموت فى الهيجاء أعز ماننا من

رجاء ، نحن العثمانيين رايتنا حسام دام ، ولا خوف من الموت

في سهلنا ولا جبلنا ، فالأسد رابضة في كل ركن من بلادنا ، الموت
 في الهيجاء أعز مالنا من رجاء ، نحن العثمانيين نبذل الأرواح
 والأجساد لننال أعظم الأجماد . ان للعثمانيين اسما يليقى الرعب
 في كل القلوب ، ولأجدادنا مهابة تعرفها الدنيا بأسرها ، لا تحسبن
 دماءنا تغيرت فدمائونا هي دماؤنا ، والموت في الهيجاء أعز مالنا
 من رجاء ، نحن العثمانيين نبذل الأرواح والأجساد لننال أعظم
 الأجماد . ولهذا المدافع أن تقصف وتبعث بالنيران في كل الأنحاء
 وتفتح الجنان أبوابها للشهداء . ماذا أصبنا من حياتنا انهر من
 موتنا ! الموت في الهيجاء أعز مالنا من رجاء ، نحن العثمانيين
 نبذل الأرواح والأجساد لننال أعظم الأجماد)

ومن مسر حياته (كنهال) وهو اسم بمعنى شجيرة الورد . وهي
 قصة حاكم من الحكام يقال له قيلان باشا كان ظلوما غليظ القلب
 وبلغ من قسوته أن يقتل أباه ، كما كان له ابن عم يسمى مختار بك
 وابنة عم تسمى عصمت . ويريد الباشا أن يأهل ابنة عمه ، غير
 أنها كانت محبة لابن عمها مختار بك . ويعلم الباشا بذلك فيغضب
 ويقسر الفتاة على الزواج بعد أن يسجن مختار بك . ثم يقتل
 الباشا كما تقتل كنهال مربية عصمت . وبذلك تتحقق آمال مختار
 بك وعصمت . والمسرحية من خمسة فصول ، وهي أفضل

مسر حیات نامق کمال من الناحية الفنية (١) وقد أراد المؤلف أن يشبهه قوبلان باشا في ظله وغدره بالسلطان عبدالعزیز .

وله (عا كف بك) وهى مسرحية من خمسة فصول كتبها فى سجنه بجزيرة قبرس تحدثنا عن ضابط بحرى يسمى عا كف بك ، يخرج الى ميدان القتال بعد أن يترك زوجته (دلربا) . وكانت دلربا غانية من الغوانى عرفها عا كف بك وتزوجها بعد أن عرفها كثير من الرجال . واتصلت الزوجة بمن يدعى أسعد بك أثناء غيبة زوجها . وسمعت بمقتل عا كف ، فارتضت أن تتخذ أسعد بك زوجا . ولما سمع سليمان قبطان وهو والد عا كف بك بمصرع ولده ذهب الى دلربا وعرض عليها أن تقم معه الا انها اهانته وتجهمت به . ويظهر عا كف بك فجأة ، ويقف على أمر زوجته فيطلقها . ثم لا يستطيع كظم غيظه فيقتحم دار أسعد بك ليلة الزفاف ويتقاتل الرجلان حتى يقتلا . ويبلغ ذلك سليمان قبطان فيقتل دلربا .

وكتب (زوالى چوجوق) اى الولد المسكين ليعالج بها مشكلة الزواج فى تركيا .

Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, Tanzimat (١)
Edebiyati, S 215

ونامق كمال قصاص كذلك ، فهو صاحب (انتباه) أو (قصة على بك) التي ظهرت سنة ١٨٧٤ وهي تصور لنا شابا ثريا متبطلا في حياة تركية أصيلة من كل ناحية ، وهو ظاهر التأثر بالكاتب الفرنسي دوماس في (غادة الكاميليا) أما (جزى) فيحدثنا فيها عن أمير من أمراء القرم يؤسر في إيران ويتمسق باخت الشاه .
أما كتاباته فمنها (اوراق پريشان) بمعنى الاوراق المنفرقة ، وهي مجموعة من فصول قصاص عقدها عن تاريخ العثمانيين وصلاح الدين الأيوبي والسلطان سليم الاول (١) وهو يعالج كتابه التراجم على الطريقة الاوربية ، ويقول في مقدمة هذا الكتاب انه لم يراع نظاما في ترتيبه ففيه تاريخ ومعلومات سياسية وغير ذلك . وله (مدافعه) التي دحض بها تخريصات الكاتب الفرنسي ارنست رنان الذي ذهب إلى أن الاسلام دين يتعارض مع المدنية الحديثة . وفي الرابع عشر من شهر صفر سنة ١٢٨٩ ،

(١) هذه الفصول في النسخة التي بين يدي من هذا الكتاب ، وهي مطبوعة في استانبول سنة ١٢٨٨ . وقد أضاف منتزل اليها فصلين اولها عن السلطان محمد الفاتح والثاني عن الامير نوروز . ولعله يملك من هذا الكتاب طبعة مزيدة انظر Menzel, Die türkische Literatur, S 300

رأى نامق كمال رؤيا عجيبة، وقص علينا ما رأى في رسالة يسميها
 (رؤيا) فقال بعد ديباجة يصف الطبيعة بها أجمل وصف، انه
 شاهد حسناء كأمليخ ما انت مشاهد حسناء تنفرج عنها السحاب
 فعرف فيها (الحرية) ثم وجه الخطاب الى مواطنيه وهو يحذهم
 عن الحرية والوطنية والعدل والظلم. وكانت هذه الرؤيا لشباب
 الترك نور أمل في ظلمة الجور والبأس. وترجم نامق كمال عن
 الفرنسية لروسو وكوندورسه وهو جو ولامارتين ومونتسكيو.
 وبعد أن تحدثنا عن منشوره، نتحدث عن منظومه، فشره
 أقل جودة من نثره وهو ينحو فيه نحو القدماء، وإن طرق من
 المعاني ما لم يطقوا. وله ديوان وبجموعة من شعر الوطنية
 بعنوان (أويلا) وظفر نامه. ومن أشهر ما قال تلك القصيدة
 المعروفة بقصيدة الحرية التي يقول فيها (لما رأينا لهذا العصر
 أحكاما منحرفة عن جادة الحق وشرعة العدل، آثرنا أن نبقى
 على عزتنا ففضينا عن باب الحكومة موفورين. من عرف معنى
 الانسانية بادر الى الانسان مهينا مسعفا، والمروءة كل المروءة
 ان تأخذ بيد المظلوم. وإذا ما حقرت الأمة وهان شأنها فما ذلك
 بضائرها شديدا في شرفها، وهل الجوهر في التراب الا جوهر؟
 وإذا ما كانت مادة جسمك من تراب وطنك، فأى بأس في أن

يصبح ترابا في سبيله من هول الجور والمحن . ولا يعين الظالم على
ظلمه الا فسل ذنبا ! ولا يسر الا الكلب ان يخدم صيادا لا رحمة
له ولا نصفه . في اتحاد القلوب بقاء اسباب النصر ، وفي اختلاف
الآراء وتنافر الالهواء عفاء آثار الرحمة والعدالة . ان هذا العالم
يدور بقوة عظيمة وعزم متين ، وانه ليزلزل من اهل الثبات !
نحن اصحاب الهمم العالية والسكد والجد ، وحسبنا اننا خلقنا هذه
الدولة الكبرى من تلك العشيرة الصغرى . نحن اصحاب النفوس
الأيسة ، وإذا ماجد جدنا ، فتراب القبر اهون من تراب النذل
عندنا . ولا نبال بنار الهول ما دامت في سبيل حريتنا ، ايفر
انسان من ميدان الشرف والحمية خوفا على روح ! وإذا ما كان
حبل الجلاد تمين الحين والعدم ، فلا شك انه يفضل قيد الاسر
للف مرة . لله انت ايتها الحرية ما اجمل طلعتك ! سنظل أسرى
هواك وان انطلقنا من كل قيد ، يا ساحرة القلوب وخالصة
الالباب ، بالله لاتستري هذا الجمال عنا ، وليبق حسنك ملء
اعيننا الى ابد الأبدین)

فهذا مثال رائع من شعر الوطنية الذي يخاطب العقل والروح
معا ولا يصدر الا عن رجل تمارس بالسياسة وحنسكته التجربة
فأحاط بكل شيء علما . ولا ريب في ان هذه القصيدة لون جديد

من الشعر لم يعرفه الترك في عصورهم الادبية المتقدمة ، وهي
تفيدنا في تاريخ عصر الشاعر وتصور نظام حكمه وحالة مجتمعه .
ولتألق كمال نشيد وطني يقول فيه (هاهو ذا العدو امامنا شاكي
السلاح ، فهبوا ايها الشجعان لنجدة الاوطان ، وتقدموا ثم
تقدموا فالنصر معقود اللواء لنا ، وهبوا ايها الشجعان لنجدة
الاطوان . ان مجد الوطن ورفعته في ملاعبكم للأسنة ، وبها
وقاه البلاد والعباد ، وانى يكون لكم بالله خذلان الوطن ! فهبوا
ايها الشجعان لنجدة الاوطان . الوطن امنا جميعا ، وقد رثمتنا
رأما وتحدثت علينا ، ان العدو يوجه الى صدرها الطعنات
والضربات ونحن في عافية ! فهبوا ايها الشجعان لنجدة الاوطان .
الجرح شارة الجدارة على صدور الرجال ، أما الموت فأعلى درجة
يبلغها الجندي ، وظهر الارض كبطنها سواء بسواء ، فهبوا ايها
الشجعان لنجدة الاوطان)

فهذا نشيد يلهب النفوس حماسه ويحرك الهمم ، وهو في مسرحية
الوطن . وقد علق عليه سليمان شوكت بقوله ان لغته تعتبر قديمة
نسبيا (١) وهذا مالا يظهر الا في بعض الالفاظ . وصدقت خالده

(١) سليمان شوكت ، يكي كوزه ل يازيلر ص ٦١ برنجي جلد

(استانبول ١٩٢٨)

اديب وهى تقول (لم يبلغ احد من وقفوا جهودهم الأدبية على القضية الوطنية في عهد التنظيمات ما بلغ كمال) (١)
فأرى أى الادباء ومؤرخى الأدب التركي فى عبقرية نامق كمال؟
إذا استعرضنا آراء الأتراك فيه رأينا أن منهم من ينتقصه ومنهم
من يصرح بما له وما عليه . اما الأوربيون فيذكرونه بكل جميل
ولا يغادرون صفة للمدح الا وصفوه بها .

فيقول شهاب الدين سليمان ان تمثلياته ليست شيئا ، وقصصه
لا أثر فيها لقدرة ولا براعة ، اما شعره فقديمه لا يفضل شعر
نفعى وجديده فى مستوى شعر حامد ، ولم يستطع أن يبذ هذين
الشاعرين . ونثره مظلم ، ودويه دوى طبل اجوف ، وفيه أثر
التكلف (٢) وقد خفف عنه الوطأة قليلا فى كتابه تاريخ الأدب
العثمانية فقال انه كفنان وشاعر وقصاص بين المجيد وغير المجيد ،
اما نقده فلا قيمة له ، وليس بالقصاص العظيم ، فقصصه جزى
وقصة على بك ، يمكن اعتبارهما اى شىء آخر خارج عن القصص ،
وما اشبهها فى الخيال البدائى برسالتين مطولتين مثلا . وتمثلياته

Halide Edib, Conflict of East and West in (١)
Turkey, P194

(٢) اسماعيل حبيب ، تورك تجدد ادبياتى تاريخى ص ١٤٧

لا تتوفر فيها شروط التمثيليات ، وأشعاره بين بين . اما ما رفع منزلته فحسب الوطنية والحرية . ومع ذلك فناثق كمال صاحب قلم ولسان ، وله قدرة على الاقتناع والمناخفة عن الرأي^(١) ويرى مراد اوراز انه لم يكن فنانا عظيما ولا شاعرا عبقريا وان كان اعظم شعراء الوطنية^(٢) اما عند مصطفى نهاد اوزون فشعره اقسام ثلاثة ، شعر قديم شكلا وروحا ، وشعر قديم شكلا جديد روحا ومثاله قصيدة الحرية ، ثم شعر جديد في شكله وروحه ومثاله (واويلا) ثم يقول انه اراد ان يدخل على الشعر التركي روحا جديدة ، وليس مجددا بالمعنى^(٣) وفي رأى محي الدين ان هذه الاحكام لا تخلو من افراط أو تفريط ، ومن الخطأ ايين الخطأ ان يقتصر على النظر الى جانبه الأدنى ، فقد كان الرجل مجددا وصاحب مبادئ قبل ان يكون اديبا ، وهولذلك شخصية تستحق تقدير وتوقير الاجيال المقبلة ، اما من ناحية الادب الخالصة فعظيم كذلك ، لانه من اعظم المجددين في اللغة ، ولا

(١) شهاب الدين سليمان ، تاريخ ادبيات عثمانية ص ٣٢٥

و ٣٢٦ و ٣٢٧ .

(٢) Murat Uraz, Sair Ve Ediplerin Hayati, s 64

(٣) Mustafa Nihat Özön, Son Asir Türk Edebiyati

Tarihi, S 35,36

نظير اليوم لثوره الرصين الجيد (١) وبعد ان عرفنا آراء الترك فيه،
نفسح المجال لعلماء الغرب فإن منهم من ينقض معظم هذه الآراء
نقضاً . يقول منتزلاً انه من اعظم المؤلفين الذين عرفتهم تركيا
وهو خالق القصة التي يسيغها الذوق التركي (٢) ويذهب واز الى
انه اكبر أو من اكبر ادباء الترك المحدثين ، وقصصه تكاد تضاهي
في الجودة قصص والترسكوت والسكساندر دوماس (٣) ويتابع
العالم الأرميني باصما جيان المستشرق الانجليزي جب على ان نامق
كمال اعظم عبقرية تركية عرفها الترك في اكبر الظن ، لأن اللغة
التي خلفها لمن جاء بعده من اجيال ، من روائع الفن والذوق ،
كما انه عرف كيف يملك على القارئ نفسه بحمال الاسلوب
وموسيقى اللفظ (٤)

وانا اميل الى رأى محي الدين في نامق كمال ، واصرح بأن
شعره في الوطنية يعجبني ، اما فضله على القصة والمسرح فلا
يجحد ، لأنه البشير والرائد والسابق ، ولولا الاساس لما ارتفع

(١) محي الدين ، يكي ادبيات ص ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ .

Menzel, Die türkische Literatur, S 297,298 (٢)

Wells, The Literature of the Turks, P 148 (٣)

Basmadjian, Essai sur l'histoire de la littérature (٤)

ottomane P,193,194

الصرح ، ولا شك ان الرجل عبقرى بتعدد نواحيه وما كان له
في قومه من عظيم التأثير . وان غرض الاديب الاول هو ان
يكون لعمله الادبي اثر في النفوس ، وان ذلك ليذكرنا بأن
مسرحية (الوطن) مثلاً قد هزت قلوب الترك وحركت عقولهم ،
اما مسرحية (زواج الشاعر) لشناسى فلم يكن لها شيء من هذا .
وخطأ ان نقيس ادبا في دور النشأة بذلك المقياس الذي نقيس
به أدبا في دور الكمال .

ولئن كان الأدب وسيلة لنشر الأفكار والمبادئ عندنا مق
كمال ، لقد كان الأدب للأدب والفن للفن عند عبد الحق حامد
ذلك الشاعر الغنائى الرقيق ، والقصاص والمؤلف المسرحي
العظيم ، الذى يعتبره البعض أعظم شعراء الترك طرا ، والمع
فنان فى عهد التنظيمات . وبلغ من تمجيد أحد مؤرخى الأدب التركى
له ان يجعل له من رفيع المنزلة وبعد الصيد ما لا يجعل للسلطان ،
فيقول ان أهل العصور المقبلة سوف ينسبون السلطان عبد الحميد
الى عصر عبد الحق حامد ، ولن ينسبوا عبد الحق حامد الى عصر
عبد الحميد ! وقد حمل القلم ستين سنة أو تزيد ، فاستكتبته عن

حياته وآثاره تعتبر تاريخاً لحركة التجديد في الأدب التركي (١)
 ولد عبد الحق حامد في استانبول عام ١٨٥٢ لرجل من أهل العلم
 والفضل هو المؤرخ المعروف خير الله أفندي (٢) وشرع في تلقي
 علوم أهل زمانه وله من العمر خمس أو ست سنوات . ورحل
 مع أخيه إلى باريس ، فأقام بها عاماً ثم عاد إلى استانبول ،
 واستأنف تحصيل العلم في إحدى المدارس الأجنبية ، وعين أبوه
 سفيراً لتركيا بطهران ، فصحب ولده إلى بلاد الأدب الرفيع
 والشعر العالي ، واستقر الفتي بها أربعة أعوام تأتي له أثناءها أن
 يحيط بلمغة الفرس وأدبهم ، حتى مات خير الله أفندي فرجع
 عبد الحق إلى استانبول ليشتغل عدة مناصب ، ثم استند إليه منصب

(١) Ibrahim Necmi, Abdülhak Hamit Ve Eserleri, S5 (1)
 (Istanbul 1932)

(٢) كان خير الله أفندي من رجال عبد المجيد وعبد العزيز ، وهو
 عالم ومؤرخ وسياسي ، درس الطب أول ما درس ، ثم أصبح رئيساً
 لأطباء السلطان محمود وناظراً لمكتب الفنون الطبية ، كما رأس الجمعية
 العلمية وتولى وزارة المعارف وتوجه إلى طهران سفيراً لتركيا .
 ألف في الطب والزراعة والجغرافيا ، وله تاريخ للدولة العثمانية من
 اثنين وثلاثين جزءاً لم يتمه وقال شعراً . وكانت وفاته بطهران
 سنة ١٨٦٥ .

السكرتير الثاني في السفارة التركية بباريس وكانت سنه خمسة وعشرين عاما . وانتقل بعد مدة الى بمباي ومنها الى لندره . وكان سفيرا في بروكسل عام ١٩٠٨ ثم تقاعد عن العمل ومات سنة ١٩٣٧ وعبد الحق حامد شاعر موهوب يمتاز بحرية الفكرة وسموها وهو الذي خلق الشعر التركي الحديث خلقا وقد عرف كيف يحافظ على روحه القومية في ذلك الوسط الاجنبي الذي أحاط به ، وان قصد قصد الأوربيين وطبع على غرارهم . كان هادى النفس لين الجانب يرغب في الاتفاق بعد الملاينة ، ويكره العنف والمخاشنة ، وقد رماه نامق كمال مرة بالجبن . الا انه كان يسعى الى هدم صرح الظلم والاستبداد كنامق كمال وان اختلفا في المذهب وما يوصل من طريق ، وكان رأيه ان الخير لا بد آت في النهاية وهذا ماعلا بقدره عند الصديق والعدو (١) وهو الذي هيا الألب التركي للتجديد على نطاق واسع ، فان شعراء التنظيمات قبله انما جددوا الشعر في روحه لاني صورته . وهذا شناسي يمدح رشيد باشا بافكار جديدة أفرغت في قالب قديم يعرف بالقصيدة ، وترنم نامق كمال بوطنيته المتقدمة في القصائد والغزليات

Menzel, Die türkische Literatur, ss 301,302. (١)

كما ان جميع منظومات ضيا باشا المشهورة من بحور قديمة. وإنما كل ما ادخلوه على النظم ليس تجديدا بالمعنى الصحيح ، وإنما هو نوع من الاصلاح ، وهذا فضل لهم لا يجحد ، لأنه أول مرحلة من مراحل التجديد في الشعر التركي (١) وقد كتب رشاد نوري مقدمة لاحدى منظوماته فشبّه فيها هو ميروس وفرجيل (٢) والفكر عنصر أساسى فى شعره إلا انه غير مجرد ، فان اطارا من العواطف والأخيلة يحيط به من كل جانب . وقد غير عبدالحق حامد فى القوافى ، وعنى بالايقاع فى الأوزان ، كما أحيا ذلك الوزن التركي الأصيل المعروف بالوزن الهجائى أو حساب البنان . وخرج بالشعر من تلك الدائرة الضيقة التى كانت تدور فيها معانيه واغراضه ، وافسح المجال لسكل ما جاشت به نفسه ، كما قال فى كثير من فنونه النادرة والجديدة كشعر الرعاة والشعر التعليمى والشعر التمثيلى . وقبل ان ندير الحديث على تراثه الادبى نذكر حادثا وقع له فآثر فى نفسه وشعره اشد التأثير وامكن اعتباره حدا فاصلا بين عهدين مختلفين من حياته الروحية والأدبية،

(١) Mustafa Nihat Özön, Son Asir Türk Edebiyatı Tarihi, S 37

(٢) عبد الحق حامد ، بالادن برسس ص ٧ استانبول ١٣٢٧

فيبينما كان قنصلا في الهند . اعتلت زوجته فاطمه خانم وثقلت عليها
 العلة ، ورأى ان يرحل بها الى استانبول . وتأذت صحة المسكينة
 بركوب البحر فسامت حالها ، ولما لقت السفينة مرساتها في بيروت
 كانت المريضة قد بلغت من الاعياء مبلغا عظيما يعجزها عن
 تحمل ايسر مشقة ، فجعلها عبد الحق حامد خاتمة المطاف . وفي
 هذه المدينة كان آخر العهد بفاطمة . وعلى ذلك نقسم آثاره
 الادبية الى اقسام ثلاثة ، ساقاله قبل فاجعة بيروت ، وماقاله وهو
 متأثر بها ، ثم ماحدث به قريحته بعدها ، وان الفرق لواضح بين
 كل قسم من هذه الاقسام . ففي اول عهد عبد الحق حامد بالشعر
 والأدب كان شديد التأثر بالثقافة الشرقية والفرنسية . فأخذ أخذ
 ناهق كمال ورجائي زاده اكرم ، وكورناي وهو جو ، وكان شعره
 في هذه الفترة اشبهه شيء بالنهر الطامى إذا تدفقت امواجه
 وخرت امواجه ، ثم فجج الشاعر في زوجته ، فران
 الأسى على قلبه وشعره ، فاستيأس وشكا وبكى وذم دنيا لاتدوم
 على حال . اما في الفترة الثالثة من حياته الادبية ، فهو متأثر
 بالأدب الانجائزى وفي شعره تأمل صوفي ونزعة الى الهدوء
 الروحي (١) وقد ألف كثيرا ، ولمؤلفاته ستة وثلاثون عنوانا ،

Ibrahim Necmi, Abdülhak Hamit Ve Eserleri, S47,48 (١)

ويحسن تقسيمها الى ثلاثة اقسام ، فالقسم الاول منها بمجموعات
تحتوى على اشعار مثل (صحرا) و (ديوانه لسكلم ياخود بلده)
بمعنى صباتى أو البلدة وهى باريس ، و (بونلر اودر) اى هؤلاء
هو ، و (الهام وطن) . اما القسم الثانى فمنظومات مثل (مقبر)
اى المقبرة و (اولو) اى الميت و (حجله) و (بالادن برس) و
بمعنى صوت من فوق ، و (والده م) بمعنى والدتى . اما القسم
الثالث من مؤلفاته فقصص ، ومنها قصص منظومة مثل
(برسفيله نك حسبحالى) بمعنى قصة بائسه ، و (غرام) و (بيانجى
دوستلر) بمعنى الاصدقاء الغرباء . وله مسرحيات منشورة مثل
(طارق) و (دختر هندو) بمعنى الفتاة الهندية . وقد مزج الشعر
بالنثر فى بعضها كابن موسى وزينب وفتن ، كما نظم بعضها فى
الاوزان المعروفة كمسرحية اشبر ، وترز أى القيصر ويعنى به
عبد الرحمن الثالث الاندلسى . اما الوزن الهجائى فاستخدمه فى
نسترن ، و جنون عشق . هذا عدا ما نشر فى الصحف من مقالات
ومنظومات .

وصحرا هى المجموعة الاولى من شعر عبد الحق حامد . وتضم
منظومات تنقسم الى مقطوعات . وتعتبر الاشعار التركيبية الاولى
التي طوعت لقواعد العروض الاخرنجى ، ويشاهد فيها ذلك النوع

من الشعر المعروف في الآداب الاوربية بشعر الرعاة ، وبسبب
منها حمل عليه انصار القديم حملة غاية في الشدة . وقد وصف
الشاعر حياة الفطرة في الحقول والبرارى وما للبدائة من حسن
لايضاهيه حسن ، ثم تحدث عن حياة المدينة وبهرجها ، وقايس
بين الحياتين حتى آثر الاولى على الثانية . وآكاه سرى يقف من
ذلك موقف المتعجب المتشكك ، لانه يعرف تلك الحياة التي
حييها الشاعر واعجب بزحمتها . ويستنتج من ذلك ان يكون غير
جاد فيما قال ، الا انه سرعان ما يرجع صدق عبد الحق حامد في
حسه وشاعريته ، ثم يقول : ومن يدري اى يوم لاغب عبوس
من ايام المدينة حذب اليه حياة الصحراء (١)

ومن قوله فيها (ولقد يغمر السكون هذه الجواء ، فما اعجب
واغرب ذكاه ! اذا جنحت الى مغربها ، ارخت ظلمة الليل سترا
على وجه الوجود . ويهدأ الهدوء فكأن السكرى أخذ كل شيء .
وهذا الثلج الذى تربي في كنف الزمان يبدو على وجه الليل
الاسمر . وقد يحيى هذه المهدنة في الاحايين نغم للمزمار ، فكأنه
ينغنى للطبيعة كما تهدن ام صبيها)

Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, Tanzimat (١)
Edebiyatı, S 120

اما (صبواتى او البلدة) تحديثه عن حياته فى باريس التى قضى بها ثلاثة اعوام من زهرة عمره ، وقد غير الشاعر فى قوافى الشعر التركى وتصرف فى قواعد عروضه ، واستعمل الوزن الهجائى بكيفية لاعهد للترك بها . ثم وصف عدة اماكن فى باريس وذكر بعض من عرف . ومن قوله فى الممثلة الفرنسية المشهورة ساره برنار (انها تعرض الفن فى الملهى الفرنسى ^(١) فتمتت النظارة تارة وتحميم اخرى . كل ماجرى على لسانها من اقوال حكم وامثال ، ليست فى الوضاعة غاية ولا آية ، وان بدت للعيان من الحسان . واذا ماجاء دور الدمامة فهى دميمة تخرج عن عاداتها . اما اذا طلبت الحسن فالحسن لها . هذه احوالها فى صورها ، اما فى فنها فخبذا هى . اذا مضت خلت ساحة الملهى عن فيها ، واذا اتت ازدهمت نواحيها)

فهذا وصف ساذج نعدم فيه الجمال الشعرى ، الا انه نعمة جديدة فى الشعر التركى الذى عبر به عبيد الحق حامد عما وقع تحت حسه واثر فى نفسه . وها هو ذا يوجه الكلام الى احدى الملاح فيقول (لك علم بافكارى واطلاع على اسرارى

ياحبتى من غير إخبارى . وإذا أخرجتني عن طوري وسببت
ألمى ، وجدت الدواء لدائى وبرحائى . كل نشوة لى أحسها منك ،
أقلى أنت ! أخىالى أنت ! من انت ؟ تتحدثن عن احوالى ،
والظن انك سوف تعلمين مايقع لى ، وجدير بى ان أكرر قولى
بأنى ان كنت احببتك فمن روى ياحبتى ، وما عرفت أى ملك
من الملائكة انت . كل نشوة لى احسها منك ، أقلى انت ! أخىالى
انت ! من انت ؟ انت كل علة للذاتى ، ومنك كل لذة لعلاقى .
ان كانت لى روح فأنت راحتها ، او نفس فأنت عزتها ، ولولاك
لما كان للحياة شىء من قيمتها . كل نشوة لى احسها منك . أقلى
انت ! أخىالى انت ! من أنت ؟

فهذا غزل لم يترنم بمثله شاعر تركى من قبل ، لاهجر فيه ولا
دموع ولا نار بين الضلوع ، ولا ذكر فيه لغصن قد ولا ورد
خد وهو فى معناه وروحه مثال للشعر الفرنسى العالى .

وقد نظم (بونراودر) اى هؤلاء هو ، اثناء مقامه فى بمباى
وهى بجمرة من منظومات قصار ومن عناوينها زهرة الهندية
وليلة يأس والحجر المتحرق والوطن فى الغربية والخميلة الضيقة .
وكان تجديده فى معانيها اكثر من تجديده فى اشكالها . وهذه
الجموعة الشعرية تنطوى على ذكرياته عن الهند . وكان حزيننا

فلقا على زوجته العليّة فسرى هذا الحزن في شعره .
 اما الهام وطن فمجموعة من الشعر الحماسي جمعها حين قامت
 الحرب العالمية الأولى وضمنها مقال من شعر الوطنية . ولما داه
 مادهاه من الموت الفجوع ، الذي اخترم زوجته الحبيبة أنض
 ما تكون شبابا ، فاضت نفسه بمنظومته الجميلة الحزينة (مقبر)
 والواقع الذي لا يتداخله الشك انها من اروع اوراق اوع اوع
 مقال . وقدمها بمقدمة منشورة تحت عنوان (كلمات متفرقات)
 يذكر فيها ان منظومته تخلو من شاعريته خلوها تاما ، والمطلع
 عليها لا يجد الا شكاة يحسبها شعرا ، وهي شكاة عجز الانسانية
 وضعفها (١) وقد اورد بعد المقدمة سطورا نقشت على قبر
 زوجته وهامى ذى (آه ايها الزائر ، لاحول ولا قوة الا انام
 شيبا وشبابا امام فنكة الحمام ، وإن اسرار الهية لتسكن في تراب
 المقابر ، والقبر الذي ترى مشوى لفاطمة خانم زوجة عبد الحق
 حامد الحبيبة اليه الاثيرة لديه . وكانت - يرحمها الله - يتيمسة
 لامرأة ببرى زاده ، وقد خامرها السل فضت في ربيع العمر ،
 وفي ارض غريبة . ولهذا الصدى روح ساكنة تطلب اليك قراءة

(١) Abdūhāk Hamid, Makber, S9 (Istanbul 1944)

أفئحة . الثلاثة ، بيروت ، في ٦ رجب ١٣٠٢ . (١) والشاعر في هذه المنظومة منطلق على سجيته بأوفى معاني الكلمة ، وادل دليل على ذلك انه يثب من معنى الى آخر فيذكر فاطمه في موضع ويبيكي ويتوجع في موضع ، ثم يتفكر في صرف الزمن وسر الموت والحياة ويكاد يتفلسف لولا حكم قلبه لعقله وتغلب وجدانه على فكره . واضطراب شعره في كثير من المعاني كاضطراب نفسه الحزينة وعقله الذي اذهله هول المصاب ، وقد صاغ شعره انور صياغة ، فما قال شيئا يدق عن الفهم (اواه ! لم تبق لي دار ولم يبق الزمان على حبيبي ، خفق القلب بيبكائي ونحيبي ، كانت ملء عيني وبين يدي ، ثم ارتحلت عني الى الابد بعد قدومها الى من الآزال . وانطلقت انالطيتي ، وتخلقت هي لتكون نبها لليلي في ركن لحد ، ولم يبق لي من انيس الروح ، ويلاه ، الا هذا القبر في بيروت . بالله اين انشد هذه الجميلة ومن اسأل عن هذه المسكينة ؟ رحماك يارب هلا دلتني وارشدتني ؟ من القى بي في البلاء والشقاء يارب ؟ يريدونني على نسيان الحبيب الغادى ،

(١) يقول منزل ان زوجة الشاعر ماتت في ازмир ولا صحة

لهذا . انظر Menzel, Die türkische Literatur, S 303

ويقولون انه زابل عالم الفناء الى عالم الخلود والبقاء. كيف يتسع
لتلك الحقيقة خيالي ، وانى تشاهد ذلك عنياى !)

واذا هام فى الأحلام واخذته برحاء الشوق اليائس ، ظن
الخيال حقيقة فقال (هيا انهضى من لحديك يا فاطمه وانشجده العهد
القديم ، جودى على بيذت شفة ولا تيكتمينى سرا ، وان القلب
والله فى شوق الى حديث منك . اطلعينى بسمه الورود من ثغرك
واتحفينى بدواء للفؤاد من عندك ، ولتتم أيام حياتى بنظرة
لك ساحرة أو ضحكة فاتنة) وترقا مدامعه وتهدا اشجانه هونا ما
فتخمد العاطفة ويستيقظ العقل ثم يحل التفكير المنزن محل ذلك
الهداء الذى يشبه انين المتالم . ويقف الشاعر امام طلسم مغلق
مبهم لاقدرة على حله لعقل بشر ولا يتعلق به وصف الواصفين
فيقول (يارب ليت شعرى فانى لست ادرى ما يكون هذا
النعش الخشبي ، اليس حقيقا ان تذهل منه العقول ، وكيف يمكن
أو يسوغ ان تتولى عجوز شمطاء تسكفين جسده له هذا الرواء
وذاك البهاء !)

وتلك معجزة العقل الذى لا يفهم كيف يموت من كفاه
ما عاش بعد ان يموت من لم يعش ما كفاه . وتيجلى هذه اليقظة
المقلبة فى منظومه الاخرى (اولو) التى تعتبر تنمة لمقبر ، وقد

حللها الفيلسوف الشاعر رضا توفيق ، وأشار الى افكار فيها تتعلق بمذاهب فلسفية معروفة ، وان كان عبد الحق حامد قد اراد التعبير عن آرائه قبل ان يريد ان يكون متفلسفا (١) وهي من عشر مقطوعات ، وكل مقطوعة من عشرة ابيات وهو يدكر زوجته التي اودعها رمال بيروت بعد كل مقطوعة ، ومن قوله (حرام والله الا يحيط القلب بشيء من ذلك علما ، مادامت للمرء عيون لا تشاهد إلا الحقائق في هذا الوجود . نحن لا نملك الا اشتياقنا الى الوقوف على السر ولكن هيات ! فلن يبلغ العقل من ذلك شيئا . الموت موقظنا من رعدة الغفلة ، وان كان لا يخرجنا عن ظلمة الخيرة !)

فهو متزن التفكير يحكم العقل ويجهد ان يعلم وان كان العلم مراما مستحيلا وامرا لا مطعم فيه ولا سبيل اليه . وبطرد شعره على هذا النسق التأمل حتى يشكل الامر على القارئ فيكاد ينسى انه تجاه مرثية ، لولا ان تذكر فاطمة بين الفينة والفينة كما في قول الشاعر (في الموت حارت البائنا ، ولولا الموت ما كان الوجود ، بالله كيف الام على البكاء والشكوى إذا ذكر القلب من اهوى وما آلت اليه حالها ، فقد اودعتها رمال بيروت ، وكانت وردية

الشعر فذبلت ورقاته وانتثرت منه اللآلىء)

وهو بهاتين المنظومتين يصور موقف الانسان امام الموت
اصدق تصوير ، لانه يتفجع ويتوجع ثم تمر الايام على الجرح
فيندمل وعلى النار فتحجبها اكفان الرماد ، وإذا به يتفكر
ويتذكر .

ولعبد الحق حامد رأى فى الحزن عجيب ، فهو يرى ان
القلوب قلب يتسع للحزن والفرح جميعا ، وقلب لا يكن الا
أحدهما . وقلب لا تمحو احزانه كل ما فى الحياة من متعة ومسرة ،
وآخر يأسى وسرعان ما يطرح عنه أساه . ثم يتحدث عن نفسه
فيقول ان الافراح تزيد اراحه ، فهو يطلب السرور ليلتذ الالم
ثم يعجز عن تعليل ذلك وتفسيره ^(١) ولعل هذا الشعور كان
الباعث له على الزواج اكثر من مرة . وله منظومة تسمى (حجله)
وقد قال فى مقدمتها ان فى مقبر رزيشة وقعت ، اما حجله فلا
وجود فيها لمسرة حدثت ، فالأولى خيال والثانية حقيقة ، وبينهما
من الفرق ما بين خرافة وتاريخ ^(٢) وهو يتخيل فيها زيجة جديدة
وان عاودته ذكرى فاطمة فيقول (يامن سعادة قلبى ببسمة منها ،

Abdülhak Hamid, Makber, S 9.

(١)

(٢) عبد الحق حامد حجله ، ص ٨ (استانبول ١٣٠٣)

ليت شعري أمن الملائكة انت ام من حور الجنان ا وإذا
ما زرت قبري بجسمك الجميل ، فما مرامك من احيائي ؟ هل
الجنة تحت سقفك ؟ كأن كلامي في ليلتي شعر شاعر ا

اما في (بالادن برسس) او صوت من فوق ، فكأن روحا
ارتفعت الى العالم العلوى ثم وجهت الخطاب الى دنيانا ،
فازدرد قدرها وتهاونت خطرها . والمنظومة من الوزن الهجائي
الا ان الشاعر قفاها ولم يقطعها فكانت اشبه بالثرمنها بالشعر (١)
وفي (والده م) اى والدتي يحدثنا عبدالحق عن امه الشركسية
فيصور لنا بلاد الشركس بجبالها الشوامخ ووديانها المخضوضرة
ويصف ديارها المتضائلة تحت الثلوج المتراكمة ، ثم يقول ان
امه كانت فتاة تمرح في ملاعبها ، واتى النخاس فاختمها وباعها
جارية . وقد اصاب صفاتها وهى عجوز وهن عظمها وكف
بصرها . وكان نشر هذه المنظومة ١٩١٢ بعد حرب البلقان ،
فأضاف اليها مقطوعات يصف بها فواجع الحرب واهوالها .
وانطلق من قيود المقافية حتى انه فكر في النظم بلا قافية (٢) اما

Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, Tanzimat (١)

Edebiati, S 124

Ibrahim Necmi, Abdülhak Hamit, S 69

(٢)

قصصه فنذكر منها اول ما نذكر (بر سفيله نك حسب حالى) اى
قصة بائسة ، وهى مزيج من الشعر والنثر ، وقد سرد فيها قصة
حزينة لاحدى البغايا ميمما سميت فيكتور هوجو فى قصة فانتين
فى كتابه « البائسون » ،

ويحدثنا فى (يمانجى دوستلر) اى الاصدقاء الغرباء عن شيخ
انجليزى خمير يهوى فتاة من فتيات المراقص وقد استخدم ستة
اوزان شعرية فيها كما استطاع ان يخلص لغته التركية من الانفاظ
العربية والفارسية .

ومن مسرحياته التى اكتبته الصيت البعيد (دختر هندو)
اى الفتاة الهندية التى صور بها ظلم الانجليز فى الهند ، وتدور
القصة على ضابط انجليزى يعثر بفتاة هندية ، ثم يهجرها لياهل
زوجة حاكم الهند العام وهى من بنات جنسه ، ثم يخلف الضابط الحاكم
فى منصبه . ويتزوج الفتاة هندی شيخ لايعمر طويلا ، ويأمر
الحاكم باحراق الميت مع زوجته ، ولا تكن الزوجة تعلن على الملائك
ان الحاكم كان زوجها لها ، وان الشيخ لم يمسه ، فتطلب الاحتراق
مع الحاكم الانجليزى زوجها الحقيقى على جارى عادة اهل الهند .
ويقف القوم على حقيقة الامر فيثور كمين ضغنهم ويتمرون
للحاكم الغشوم . وهى ذات خمسة فصول وثمانية مشاهد .

وقد اعتمد في تأليف (طارق او فتح الاندلس) على تاريخ
الاندلس لضيا باشا^(١)، وتعتبر هذه المسرحية من اجود مسرح حياته
التاريخية لمطابقتها لجميع الاصول القصصية والتمثيلية . وفي مشهدها
الثالث يناجى طارق نفسه بقوله (ها أنت ذا يا طارق في خزان
الملوك ! من اين قدمت و اين استقر بك المقام ثم الى اين ؟ لقد
خرجت من الشام ووافيت طابطة وستسمى الفاتح في الغد القريب ،
فانتقلت من الكوخ الى خزان القصور ، ولسوف تمضى الى
القبور ! ما هذا الذي يلعب بين يديك ؟ انها تيجان ملوك هوت
من علوها . في هذه المدينة كان عرش ، وفي تلك القاعة كان تاج ،
والتيجان التي كان الملوك يعتزون بها في يدك الآن ، وهي خمسة
وعشرون شاهدا وخمسة وعشرون برهانا على العز والسلطان .
ومع كل ذلك فلست ايها الغالب المنصور الا صاحب قبر من
القبور . لا تنأس باصحاب هذه التيجان . لقد كانوا من اهل
الغرور والغفلة ، فلم يذكروا قدرة ذى الجلال وعجز الانسان ،
ولم يتفكروا في صرف الزمان . لقد عسف رودريق الناس فلم
يبق في نفوسهم الا الضغينة والحسنة ، وتزاور الفضلاء والعقلاء
عن مجلسه ، فاذا امور دولته بين يدي قوم لا رأى لهم ولا حزم

(١) راجع ص ٤٠٠

واحاط به كل منافق ومداهن . وما خطر يوما على بال رودريق
ان دولة حاكمها ظالم ومحكومها جاهل لا بد ان تدول وتصبح
غنيمة لغيرها) .

فعبد الحق حامد يتحدث عن اصول الحكم وسياسة الملك ،
ولعله يشير من طرف خفي الى دولة الترك . وقد ما سكت عليه
التمثيلات نفسه وهو متأثر بها في قصصه التي جعلها شبه تمثيلية .
وكان يمكن ان يكون عبد الحق حامد شخصية ادبية عالمية لو انه
وجد من يترجمه (١) .

ومن اهل الادب وارباب القلم ، رجائي زاده محمودا كرم بك
الذي وكل اليه نامق كمال امر جريدة تصوير افكار حين رحل
الى اوربا مع ضيا باشا ، فكانت له سهمة في حركة التجديد . وقد
اشتغل بتدريس الادب فعرف بالاستاذ اكرم . وكان شديد
الاعجاب بكال فروج تعاليمه بين تلاميذه ولقنهم مبادئ الوطنية
وهو صاحب كتاب (تعليم ادبيات) الذي يعتبر اول كتاب تركي
في اصول الادب (٢) الا انه لا يعد زعيم وطنية كنامق كمال ولا

Halide Edib, Conflict of East and West in Turkey^P, 150 (١)

Murat Uraz, Sair ve Ediplerin Hayati, S 53 (٢)

فنانا موهوبا كعبد الحق حامد . ويقول پاول هورن انه اعظم
شاعر غنائى فى العهد الحديث (١) اما ادباء الترك فيعتبرونه اكثر
الشعراء دقة حس .

ولد رجائى زاده محمود اكرم سنة ١٨٤٧ لآب متآدب من
اهل الفضل هو رجائى افندى ، وقد اورد نماذج من ادب ابيه
مستشهدا بها فى كتابه (تعليم ادبيات)

واظهر اكرم فى طفولته من دقة الحس عجاب ، لانه
كان سريع التأثر شديد من ادنى المؤثرات ، فاذا حان وقت نومه
وانحنت مربيته على مهده ثم جعلت تهدنه لينام بأغانيتها التركسية
الحزينة ، جذب فضل اللحن ليستر به وجهه ، وطفق يبكي
ماشاء الله ان يبكي (٢) واظهر الفتى شغفا بالادب ملك عليه نفسه
بقدر ما اظهر من كراهية للرياضيات ، والحقه ابوه بالمدرسة
الحربية الا انه رغب عن مواصلة الدراسة فيها ، وكان قصارى
امله ان يغادرها . ومن شعره فى ايام الصبا قوله عند انتهاء عطلة
العيد (ارتفعى يازفراقى وابلى الفلك العالى ، اغمرى الدنيا

(١) Paul Horn, Geschichte der türkischen Moderne 37

(٢) على اكرم ، رجائى زاده محمود اكرم بك ص ١٠

(استانبول ١٣٣٩)

بالظلام ، واطلق النيران في السكواكب . واحزن ايها القلب
 فليس الوقت وقت سرور ، ولتكن غرضا لسهام الاقدار . فها هو
 ذا العيد قد اقبل ثم ادبر ، وحان وقت الذهاب الى المدرسة (١)
 ورأى ابوه ذلك من حاله ، فيكره ان يكلفه ضد طباعه ،
 وسرعان ما اخرجه من المدرسة الحربية والحقه بوظيفة في وزارة
 الخارجية . وتتلذذ لانيه في العربية والفارسية كما درس الفرنسية .
 اما شعره فيمكن تقسيمه من حيث التبعية للمدارس الادبية الى
 أقسام ثلاثة . شعره في اول عهده بالنظم ، وهو غزليات يحتذى
 فيها على طريقة القدماء ، وشعر يذهب فيه مذهب كمال وعبدالحق
 حامد ، ثم شعر كشعر مدرسة ادبية تسمى (ثروت فنون) او
 (ادبيات جديدة) وسنتحدث عن خصائصها . وقد اورد في
 منظوماته الفاظا مهجورة ولجا الى الزحاف والامالة ، ولا يتميز
 شعره بخصب الفكر ولا اتساع الخيال ، وان تميز تميزا ظاهرا
 برقة الحس ، فقد كان لموت اولاده الثلاثة برايه ومجدونش اراشد
 الاثر في نفسه الحزينة الشكلى التى فاضت بالشعر المؤثر الحزين (١)
 وهو كذلك وصاف للطبيعة يصور محاسنها فيحسن التصوير ، وفي

Mustafa Nihat Özön, Son Asir Türk Edebiyatı (١)
 Tarihi, S 41,42

شعره رنة الأسي تردد و تشاؤم شديد يجال الحياة بالسواد .
واشعاره في مجموعات هي (نغمة سحر) التي ترنم بها وهو في
السادسة عشرة من عمره و (يادكار شباب) بمعنى تذكار الشباب
وقد اتبع فيها طريقة القدماء ، و (زمزمه) التي سيطرت عليها
روح شناسي و كمال ، وكانت مثالا يحتذىه الجيل الجديد (١) ، وهي
من اقسام او اجزاء ثلاثة ، ثم (تفكر) التي يمزج فيها الشعر بالثر
وهو يتحدث عن ولده المفتقد نثراد .

اما زمزمته ، فاجمل ما فيها تلك المرثية التي ابكى فيها ابنته پبرايه
تحت عنوان (تحسر) و قدم لها بمقدمة منشورة غاية في الرقة والروعة
فقال (لقد فارقت پبرايه ابنتي هذه الدنيا ساعة و ردتها ، فكان
ثراها في ركن مقبرة بالقرب من (كوچوك صو) و ما اذ كر لاى
شغل شاغل فاتنى ان اضنع علامة على ترابها فكانت المسكينة كمن
لا أهل له ولا قرابة ، و لست ادري ما الذى صرفنى عن الزيارة
فما زرتها ، و في الثان والعشرين من شهر يونيه الماضى ، انسقت
الى المقبرة بقوة خفية فدخلتها ، و كنت وحيما في مكان قفر
وظل وارف . و قام في نفسى ان اجلس بجوار قبر فلذة كبدى

متفكرا ساعة او ساعتين . واطاع عقلي قلبي . ووجدت رغبة
شديدة في البكاء ، فذكرت ان موضع قبرها كان بنشر من الارض
على يمنة الداخل ، ويلاه القدا درت بصري في المقبرة فما اخذت
عيني شيئا من ذلك . وجلست مستبشسا من كسر احوال تحت سروة ،
وتمثلت البنات في شقوتها يتيمة حزينة ، اما ابوها في جفائه فتمثل
لي جلادا بغيبضا . ورأيتها في دمعه الشاكي كما رأيت ملطخا
بالدماء . وكانت ملكا سماويا وكان شيطانا عتيا .

وعصفت الريح فحركت من الاشجار اغصانا ، واسفت
التراب اسفاه يزيد الاسبى ، فجعل قلبي يترنم بتلك المرثية)

ومنها قوله (ويلاه ! ان يبراه في بطن هذه الارض ، وان
ظلمتها انتطوى على نورها . لم اقدم هذا المكان منذ خمسة عشر
عاما . فوالله ما درى اين كان قبرها . ذكريني ايها المقبرة
بالبكاء والنواح ، وبالله مرحمة ايها الاشجار والاحجار ، هلا
اخبرتني الخبز ، لقد تركت ابنتي في كنفك من غير اثر لها يدل
عليها . تكلمى يابنتي لأروى بالدموع ترابك ، وافصحى ، اين
مقر جثمانك الطهور في هذه الارض . ان روحى لترك شجيرة
فضيرة كأنها شجيرة ورد دفنت تحت الثلوج ، وقد حجب البياض
كل جوارحها ، فاغرورقت عيني وحزنت نظرتي ، وان هذا

الجمال الذاهب ليعث في الروح امل الوصال ، آه يا پيرايه لو
كنت غير هذا الخيال ! نكلمى يا بنيتى لأروى بالدموع ترابك ،
وافصحى ، اين مقر جثمانك الطهور في هذه الارض ؟
ففي هذا الشعر حذب وحنان ورقة وتعطف ، وصاحبه
لا يفكر ولا يتخيل بقدر ما يحس ، وقد احسن اكرم رثاء الابناء
أيا احسان ، ولا عجب فقد صوح الزدى زهراته ولم يبق
في قلبه الا الشوك الجارح وهل يعرف الاسى الا من يكابده ولا
المصابة الا من يعانها . وهى من آثار اكرم العظيم الخالدة ،
وغاية في الروعة بالنسبة الى زمانها وستظل غاية في الروعة
على مر الزمان ، فلا وجود لمثلها عند الترك بعد اشعار باقى
ويحيى بك المشهورة . ولا يمكن القول بأن جفيرة اكرم في ابنته
كانت السبب في اجادته ، الم يحسب ولده شاعر قبله ، فلماذا انفرد
اكرم بهذه الاجادة؟ فرثية عاكف باشا كانت تعد في زمانها شيئا
عجبا لسلاستها وصدق عاطفتها ، الا انها ضئيلة الاهمية من
الناحية الشعرية . اما مرثية پيرايه ففيها قلب جريح يبكى ويبكيك
والباعث على نظمها قصة جميلة (١)

(١) على اكرم ، رجائى زاده محمود اكرم بك ، ص ٣٨

(استانبول ١٣٣٩)

وهو مرهف الحس مشبوب العاطفة حتى اذا رثى صغيرة من من
بنات الأبعاد، وان البكى يبعث البكى كما يقولون. فلما احتسب صديق
له يدعى مدحت بك ابنته (فاخره) قال اكرم (انت يا فاخره في
النصف بعد الرابعة من عمرك، فأنت يجوز لتلك الارض ان
تستحل ضم جسدك، خبرني هل انت يا فلذة السكيد وحدك،
فليس من يؤنسك في الحدك! ما الذي اسكت بلبلك وكان ناطقا،
واذ بل ورد ثغرك وكان ناضرا، ان لذكراك حزا في فؤادي.
واذا خطرت كلماتك بيالى جرت مدامعى)

فما اشبه هذه المرثية بمرثية عاكف باشا التي بكى بها حفيدته،
لأنها متسمة مثلها بالبساطة والرقه وتلك العذوبة المرة.

وله وصف جميل للمقبرة في القسم الثاني من زمن مته، واول
ما يلاحظ على هذا الوصف انه لا يذسى فيه تصوير ما يحس وهو يصور
ما يشاهد، فنفسه الصافية مرآة مجلوة تبد وفيها كل صورة تواجهها.
يقول اكرم (ايها الزائر المعتبر تامل جمال هذه المقبرة. الا تروك
عزلتها وتمجيبك في بساطتها؟ هذه الارض الحزينة الايزينها هذا
هذا المرمر الذى يبدو فوقها! ان شجيرة ترتفع من وسطها فما
اجمل المنظر! وهذه المروج التي تحيط بها، الا تخلب اللب
بموجانها؟ وما يزيدها حسنا على حسنها، تلك السرورة الفيئانة

القائمة امامها ، انها تصدوهج الشمس وتسوي بين الظلال والانوار
فانظر ، ولعلك لم تشاهد مكانا كهذا يغمره الحزن وهو بهيج .
ليس للمقبرة رواء وللشجيرة والسروة بهاء ، لقد كانت اجمل منها ،
ويلاه تلك الفتاة المسكينة الراقدة تحتها (

فشاعرنا يتغزل في الجمال الذابل الحزين ، ويذكر بما على
وجه الارض ، من غابت عنه في جوفها . وقد حدثنا كذلك عن
ولده اجد في (تفكر) وراثه نثرا فقال (أنت يا اجد تعلم وربك
يعلم اني لم آل المستطاع في مداوانك . فما كان اخوك نثراد اعز
على منك . يالك من مسكين ! منذ ثمانية عشر عاما منيتي اعذب
الغنيات ، وافعمت قلبي بتلك الاحاسيس الحلو . لقد بذلت
الطوق لاستمقاذك ، بيد ان جهدي ذهب ادراج الرياح . وقرر
الأسون ان لادواملدائك ، انهم قوم لا يفقهون ، وطالما قصرنا
عن وصف دواء فيه الشفاء . لقد جرى دمع هذه العيون جريا
بعد جرى من اجلك ، ووجعت هذه القلوب من جرائك ،
ودلعت تلك العقول لفقدك . اما اليوم فقد انقضى كل هذا ولم
يبق منه شيء . ويلاه انه الدليل على عجز البشر ! فإلّا طاقة لنا
بالبكا . الى ابد الأبد . لا قدرة لعقلى ولا لقلبي على تحمل
آلامك ثمانية عشر عاما (

فهو يذكر ولده المفتقد بعد طول زمان ويعز عليه ان ينساه
ثم يتفكر فينسب السلوان الى ضعف الانسان وهذا منه رقة في
الشعور ما بعد ها رقة .

و اذا تجاوزنا بكاء على ولديه في شعره ونثره ، القيناه في
القسم الثالث من زمزته يقول (الا تنكشف هذه الغمة يارب ،
وينقضى هذا الانكدار يارب ، اما من نهاية اللهم والتبريح ؟ انا
القنوط الملول المحزون يارب ، انا من كابد كبادا يارب . اليس
لهذا الفلك ثبات على حال يارب . اكل امرىء يشقى بألم لا خلاص
له منه ، والناس طرا تحساء ، والا فمن السعيد يارب ؟ الا يتسع
البستان لجناحي هذا الهزار ، اليس له في كل نخلة مأوى ، ان
لاضحك والقلب يبكي . اهنا الهزار النواح انعس مني حالا
وانسكد عيشا)

اما ان هذا شعر الشؤم والحزن والياس . واكرم حتى في
وصفه لجمال الطبيعة البسام لا ينفك عن تلك السكابة التي تغشى
نفسه فهو الذي يقول (هوذا الخريف قد مضى والربيع قد واني ،
وارتفع الضحى بعد انقشاع الدياجي ، فبدت البسمات في وجه
هذه الارض . اهنا النسيم روح تسرى ؟ انه لا يداعب جسما الا
أحياء . والصباء ، اتهب من جنان الخلد ؟ انها تبعت الصفاء في كل

روح تلمسها . أن الحياة تفور وتمور ، فلا عجب أن تقول
روح الموت ، أن الساعة قد أتت !

فالحياة تذكره بالموت ، وما كاد يدسم حتى تجهم وتقطب ،
وما اعجب أن يقول في شعر له انه ينعم بالألم ويدعو الله أن
يديم عليه نعمته . وله كتاب (تقدير الحان) الذي يتناول فيه
بالنقد مجموعة من الشعر لمنملى طاهر افندى . فيعرض رأيه في
الشعر واتجاهات الادب ، وهو كمدرس للأداب ، لا يطلق الحكم
الا عن علم وروية كأن يقول ان غاية الآداب هي تربية الافكار
وتصفية الوجدان وتهذيب الخلق وتنوير الازهان مافي ذلك
ريب . غير ان الشاعر لا يقول شعر اليلقي به على الناس في الاخلاق
درسا . فله ان يقول في الشوق والمحبة ومحاسن الطبيعة ، ويعبر
عما يعتلج في قلبه ويجول في خياله بتعبير جميل وصورة جذابة ،
اما ان وجب عليه التمسك بشيء فهو مجانبة التعرض للاخلاق
العامية ، وعدم الخروج عن الحدود (١)

وله دراسة ادبية بعنوان (قدمادن ر قاح شاعر) بمعنى بضعة
شعراء من القدماء ، تدل على علو كعبه واتساع باعه في علم

(١) رجائي زاده محمود اكرم ، تقدير الحان ص ١٨ (در سعادت

الادب . فاكرم شيخ النقاد العثمانيين غير مدافع ، واول من قعد
القواعد الادب في تركيا . واذا ما تصدى لتحليل مؤلفات غيره ،
ورسم صورة لصفاته الادباء ، تجلت قدرته كشاعر وناقد عظيم
فهو الذي كشف للترك عن سر عظمة كمال وحامد ، والشباب
التركي المثقف المتأدب اروع آثاره الادبية (١)

كما ترجم عن الفرنسية وجمع ما ترجم في مجموعة سماها (ناجين)
اي التافه ، عدا (اتلا) التي نقلها الى التركية عن الكاتب الفرنسى
شاتوبريان .

وهو صاحب (آرابا سوادسى) اى غرام العربية وهى قصة
يصور فيها حياة لهُوصاخبة يحياها شاب متفرنج يدعى بهر وزبك
فنراه ضئيل الحظ من العلم لانه لم يلتحق بمدرسة وانما تلقى قدرا
من العلوم على مدرسين فى منزله ، وكان مشغوبا بالفرنسية حريصا
على التحدث بها ، فاستغنى عن مدرس العربية والفارسية ، واستبقى
المسيو بيير مدرس الفرنسية وزاد راتبه الشهرى ، وكان شديد
الولوع بركوب عربته والتباهى برواها حين خروجه للنزهة ،
وبينما كان ذات يوم فى بعض الطريق ، شاهد فتاة شغفته حبا .

Edmond Fazy et Abdul - Halim Memdouh , (١)
Anthologie d'amour turc, P 187 (Paris MCMV)

فجعل يخرج كل يوم بعربته رجاء ان يراها ، وقد ظنها كريمة
النسب فاطلق العنان لفكره وخياله . ونعاها له من يدعي كاشف بك
وهو صديق كذوب لهروز بك . فياخذ الاسى منه كل ماخذ ،
الا انه يقابل الفتاة في احدى ليالى رمضان ، ويعلم في النهاية انها
ليست من كرم المحتد في شيء .

وهذه القصة على بساطة موضوعها وقلة شخصياتها ، تعد
افضل قصصه ونحن نعدم فيها ذلك التكلف الذى نشاهده في
غيرها (١) وكانت وفاة رجائى زاده محمود اكرم بك سنة ١٩٠٣

وبعد ان مضى بلغاه الترك بنهضتهم الادبية قدما ، ظهر من
يدعى معلم ناجى لتبأخر بها اخرا . يقول يحيى الدين ان للتجديد
طريقا فتحها كمال وعبد الحق حامد بحماسة وحمية ، الا انها لم
تستقم وانعرجت ، ووقف معلم ناجى فى منعرجها . واذا نظرنا
حق النظر فى روحه الشعرية عرفنا انه رجعى من انصار القديم ،
وهو رجل وصولى تبوأ مركزا حسنا فى ايام السلطان عبد الحميد ،

Agah Sirri, Edebiyat Tarihi Dersleri, Tanzimat (١)

Edebiyatı S 323

فتأتى له ان ينعم بالطيبات فى دنيا كل ما فيها الى فناء . ولم يفته فى مؤلفاته ان يرضى انصار القديم ، ففرغ صيته الاسماع وعظمت منزلته ولسكن عند من لا يبصرون الادب ولا حظ لهم من علم ولا فن (١) . ويقول شهاب الدين سليمان انه عرف كيف يجمع حوله شيعة من الشباب بعد اصطناع الدهاء والحيلة فكان لذلك اثر مشوم فى الادب التركى ضد مذهب حامد عن التكامل عدة اعوام ، وليس ناجى بشاعر ولا فنان ، او هو شاعر العوام الذين لا يتذوقون الفن الا فى ابسط صورته ويمكن اعتباره مؤسس ومجدد ادب العوام (٢) وقد اسرف هذان الاديبان فى الغرض منه والزراية عليه ، فللرجل الحق فى اختيار مذهبه الادبى وان تنافى مع روح العصر ، ولا حق لغيره فى فرض رأيه على الناس كافة ، اما خلقه فلا شأن لنا به فى هذا المقام واعتمازه لا يسوغ . فما لا ريب فيه انه كان كاتباً شاعراً اديباً ، وقد استشهد جب برأيه فى مواضع من كتابه تاريخ الشعر العثمانى . وذكر انه ناقد بصير واليك ما يقول عنه اسماعيل حتى بك فى كتاب له بعنوان « معلم

(١) محي الدين ، يكي ادبيات ص ٢٠٠ .

(٢) شهاب الدين سليمان ، تاريخ ادبيات عثمانيه ٣٤٨ .

ناجى، ظهر عام ١٣١١ (مما يجب الاعتراف به ، اننا لانجد اليوم
شاعرا له ما كان للمرحوم من قدرة ادبية ، اللهم الا اذا استثنينا
شاعرا او شاعرين ، ولا نعرف اثرا ادبيا كآثاره من حيث توليد
الافكار فى الذهن ، واظهار القدرة على النقد ، وسعة الاطلاع ،
ولا جدال فى قوة شاعريته ، وقد تعرض فى حياته للغمز والبهز
بحق وبغير حق . وكان بين المتعصبين له والمتعصبين عليه من لم
يقرأ له بيتا من الشعر كما وجد من المعجبين به من عرف قدره
واستطاع التمييز بين الجيد والردى . وناجى اقدر الشعراء على
الطريقة الادبية القديمة ، ومن محاسن شعره ان الخيال فيه شرقى
بحت ، وكل صورته وافكاره لاتخرج عن الشرق)

اما فائق رشاد فيقول (مع-لم ناجى مدرس ادب و بلاغة
أكثر منه شاعرا كبيرا ، وقد ادى اجل الخدمات لتجديد
لغتنا بعد كمال واكرم وحامد . ونثره من السهل الممتنع الذى
يستعسر تقليده على كل من ظن انه يستطيع الاتيان بمثله ، ولا
أثر فيه للتكلف ، وجمله تربطها المعانى لا الألفاظ ، ولا وجود
لحشو ولا روابط غير مألوفة فيه ، وهو يؤدى المعنى العامر بما
قل من لفظ ، ولم يسلم أثر أدبى لأعظم أديب من ادبائنا من
عدة اغلاط ، اما ناجى فلا تقع عنده على غلطة ولا عبارة نافية

عن موضعها (١)

وبالموازنة بين هذه الآراء ، يتوضح لنا ان الرجل كان صاحب مدرسة ادبية هي في رأى أنصار الجديد عقبة لا ترتقى يرتد عنها المصلحون وهم حسرى ، أما المنصفون فيذكرون ماله وما عليه ولا يجحدون افضاله . عاصر ناجى رجائى زاده اكرم ، وقد كان الاول فى اوج مجده الادبى على حين كان الثانى يعطل النفس بالآمال يرقبها ، فاعجب اكرم بناجى وساق امثلة من شعره فى كتاب (تعليم ادبيات) على انها مثال الجودة ، كما خمس غز لا جمىلا من غزلياته . غير ان الصفاء لم يدم بين الادييين ، وبهت اكرم بغيضه واغتابه فى مجالسه ، فتقارصا بعد ان تقارظا ، وتهاترا على صفحات الجرائد ، ولما ألف اكرم رسالة (تقدير الحان) (٢) وضمنها آراءه فى الشعر والأدب ، ذكر فيها معلم ناجى بما يكره ، فاستشاط عليه ناجى واخرج (دمدمه) عام ١٨٨٦ لينقض بها (زمزمه) .

ولم تطل ايام معلم ناجى ففضى فى الخمسين من عمره سنة ١٨٩٢

Mahmud Kemal Inal, Son Asir Türk Sairleri, (١)
S1040,1041 Cüz 6

(٢) انظر ص ٤٥٢

اما كرام فبقيت حزازة نفسه كما هي ، فبينما كان اكرم وحامد
يتسمايران ذات يوم شاهدا صورة لمعلم ناجي بوجهة احدى
المسكتبات ، فقال حامد (ناجي المسكين !) فسكره اكرم من
حامد ان يترحم عليه وجعل يأكل لحمه ميتا ! غير ان هذه المماحكة
بين الاديبين كانت حدنا عابرا لم ينل حركة التجديد بضرر يذكر (١)
وقد اشتغل ناجي بالتدريس في مطلع حياته ثم قرض الشعر ،
واختاره والى واره سعيد باشا كاتبا خاصا ، ورحل مع الباشا
الى ساقز ويكيشهر وديار بكر وارضروم . ولما عين سفيرا في
برلين ، طلب الى ناجي ان يصاحبه ، الا انه استعفى من ذلك
وآثر البقاء في استانبول ، واشتغل بالصحافة فخرر القسم الادبي
بجريدة (ترجمان حقيقت) ثم انتقل منها الى جريدة (سعادت)
وذاعت شهرته بما نشر من منظوم ومنثور ، فدعى الى تدريس
الادب في اكثر من مدرسة ثم اصطنعه القصر السلطاني مؤرخا
رسميا للدولة .

كان ناجي غزير العلم بالعربية والفارسية محيطا بأداهما ،
كما درس الفرنسية اسوة بالبلغاء من اهل زمانه ، الا انه لم يتأثر

Paul Horn, Geschichte der türkischen Moderne, S42 (١)

في أدبه بأدبها ، وان ترجم من شعر الفرنسيين ونثرهم نظما ونثرا ،
 والترجمة هي كل ما افاد ناجي من علمه بالفرنسية وادالعه على
 آدابها ، وقد ضمن ما ترجم نظما بمجموعة من الشعر له بعنوان
 (آتشپاره) بمعنى الشرارة اما مترجماته المنشورة ففي كتاب (مترجم) .
 وجمع خلاصة ما القى على تلاميذه من دروس الادب في مجموعة
 سماها (مجموعه معلم) . وله (عثمانلى شاعر لرى) الذى عرض
 فيه بالنقد والتحليل لبعض شعراء العثمانيين وهو دراسة ادبية
 لا غبار عليها . وقد افدنا منها في كتابنا هذا ، كما ترجم بسبعمئة
 من اعلام الاسلام في (اسامى) . وله (خرده فروش) بمعنى
 المتجر في السلع الصغيرة ، ويقول في مقدمته ان اشعارا فارسية
 عاقت بحفظه من كتب مختلفة ، فقيدها في اوراق متناثرة ،
 والانسان يعجب بالآثر الادبى الجميل ثم تنصرف عنه نفسه الى
 اثر جميل آخر . الا انه نظر فيها وجمعها (١) واذيل كل نص من
 نصوصها بايضاح يترجمها فيه ، وافصاح الاشارة الى المناسبة
 التى قيل بسبب منها . ثم تسامل عما اذا كان قد وفق فى اختيار
 عنوانها . والكتاب قسمان ، قسم اول وفيه الاشعار الفارسية ،

(١) معلم ناجي ، خرده فروش ، ص ٣٠٤ (استانبول ١٣٠٢)

وفي القسم الثاني أشعار وحكم عربية .

ومن غزل له قوله (ما هذا النواح بالقرب من تملك الخربة ،
لقد احزن نفسي وهي منكسرة . أنا المجتاز باحدى خربات
الوطن ، وقد ذرتني الذكبا ورقة في الفضاء ، وتطلعت الى الخريف
في ربيع عمرى . وإذا كان للقلب مستقر وودع هذا الوجود ،
فقد وجد الغريب مكانا له في ديار العدم . لا قدرة لى على قرار
بعد أن لعبت بعطفي الشمول . ان لتلك السفرة نورا يا ناجى ،
وسيحترق القلب فى نارها الى يوم الحشر)

فهذه النغمة الحزينة والحنين الى المجهول ، والشكاة البالية ،
وذكر (التخلص) فى البيت الاخير ، تذكر بالقدماء من شعراء
الأتراك ، وتدل على ان الشاعر يعيش بروحه فى عصر قديم
من عصور الأدب التركى .

ومن وصفه لدجلة (لقد ارتحلت وفارقت الاوطان ، فبالله
لا تسأل عن الفراق ما هو ! ثم وافيت بغداد ، فيهاها من سفرة
لانسيان لها . الشوق القديم والحسرات والحرقات ، تبعث على
الشكايات . الفكر فى شغل بالهوى ، والقلب فيه نار الجوى .
وبالنفس من الوطن خيالات وذكريات . أما الشفة فلا تنبس ،
وأما القلم فصادح . وإذا مرت الريح صفحا بهذا الماء ، تكسرت

الامواج على سطح دجلة ، أما إذا أرادت أن تحول بينها وبين
المضى في طريقها ، فإن جيشا من الامواج يحمل على الصخور .
ان الفؤاد يعتلج لرؤية السيول والامهار وهى تجرى حيث يطيب
لها ان تجرى . ومنها ان تجرى الامواه فى الانهار ، فما اجملها
وهى تترنح سكرًا ! انا نهر ينضح ، وما اكثر الوديان التى تدفقت
منها . وهذا الانين من فرقة البحر . انا اكثر منك يا دجلة فيضاننا
ونضخاننا . يا عجبًا ! آثار اى عصر هذه الآثار ، وما تلك الخرائب
على الضفاف ؟ لقد انطبعت فى خيالى ، فالخرائب فى قلبى ههنا
وههنا . وما اطيها رغبة واعذبه خيالًا ، إذا حبيت الآمال فى
السكوخ الخرب والقصر العامر !

وهذا المثال من شعره دال كذلك على تأثره الشديد بالشعر
التركي القديم ، فأى بحر يثن من فرقته ؟ ان شاعرنا يتصوف
ويعجب ببلاغة القدم . ومناجاته لدولة نعدم فيها الخيال والعاطفة
فخطها من الشاعرية حظ ضئيل . ومن اشهر ما قال معام ناجى ،
منظومة له بعنوان (الحمل) يقول فيها (لبت شعرى ما الذى
احزن هذا الحمل ، ان اينه يكوى القلب كيا . انه يعدو وينوح
فما باله ؟ هل عدم اللبن والرفيق ؟ أيها الحمل الرضيع ، من أى شيء
شكواك وما سبب اساك وبلواك . لقد نلت من امك نصيبك ،

أليس لك من جانبها وسادة تتوسدها؟ لعلك منقطع عن قطيعك،
فلهذه الفرقة حزنك . الا ينظر الراعي الى من تخاف عن قطيعه .
لعلك قد اصبحت ايها المسكين من غير رفيق . اهذا الجرى
لا طائل فيه؟ وهل للأمل من وجود في ملائتك ووحشتك . اتحي
الام الآمال ، اما لهذا التدليل الرقيق من نهاية؟ لولاك ياخيال
الامل لما امتد بن عمري ، فلتبقى آلاف الاعوام يا شجرة الاماني!
وهذا الشعر ايضا متوسط الجودة ، فأخيلته ساذجة تذكر
بشعر الاطفال ، وتكرير الاستفهام مملول ، ولا جمال في ذكر
الامل بعد الحمل ، ثم اى شجرة هذه التى يدعو لها بالبقاء
آلاف السنين ! ومعلم ناجى عمدة فى اللغة التركىة وصاحب
قاموس ، واذا نظم اخرج الكلام متخير الالفاظ فى عبارة جيدة
وسبك محكم ، فهو ناظم وليس بشاعر ومن حضنة العلم وليس
بالفنان العبرى .

ودعا الى اصلاح اللغة التركىة وتخليصها من الالفاظ الفارسىة
والعربىة ، على حين اورد فى شعره خصوصا كثيرا من الالفاظ
الفارسىة والعربىة ا فى مؤلف له بعنوان (انتقاد) ينافع عن
رأيه ويعرض وجهة نظره فىقول (اذا كان العرب لم يستعملوا
كلمة تنقيد ، فهل من الحتم الانستعملها ! هذا . الا يصح فى فهمى .

لم يظهر العرب من التشدد في مراعاة قواعد لغتهم ما نظهر ، فما
بالنا ! انما مثلنا في ذلك كمثل صاحب المال اذ ارضى والدلال
لا يرضى . لا يسوغ ان نكتب ونحن نرسف في قيود هذا الاسر ،
وما دمنا اصحاب لغة فمن حقنا التصرف فيها . ونريد لنقول ان
لغتنا ليست في حاجة الى اتباع قواعد واساليب غيرها من اللغات
فلغة العثمانيين لغة قائمة برأسها ، ولا يتنافى ذلك مع وجود الفاظ
من لغات اخرى بها ، فقد استعانت كل لغة بغيرها ، فلنستعن
بلغات غيرنا وليكن على ان نطبع مانستعير من الفاظ بطابع
ذوقنا الخاص . فهل تعلم العربية والفارسية امر لاغنية عنه ليكل
من يتصدى للكتابة بالتركية ؟ اللهم لا . فالعلم بالتركية وحدها
كاف للكتابة الصحيحة . وان وجبت الاحاطة بقواعد العربية
والفارسية اثناء الدراسة)

فعلم ناجي يبدو في هذه السطور لغويا اوتى نصل الخطاب ،
يذكر عن لغته ما لا يذكره الا الراسخون في العلم ، ويطالع قومه
بمنهج جديد لاعهد لهم به من قبل .

ويذكر في سبب تأليفه الكتاب (دمدمه) ان الاديب
والشاعر الشهير اكرم بك ، وهو من أعضاء مجلس شورى الدولة ،
وصاحب (التعليم والزمنه) قد بلغت به الجرأة ان ينشر رسالة

بعنوان (تقدير الحان) فكانت الباعث له على الدمدمه ، وقال ان
اكرم بك عرض فيها به ، على طريقته الخاصة ، فكان حتما ان
يرد عليه ، ثم يأخذ الاسف لأنه يجد نفسه مضطرا الى ذلك
اضطارا من غير رغبة فيه . ويطلب العذر ، الا انه يكره لنفسه
سكوت العاجز وله قلم مازال في يده (١)

* * *

ويعرف عهد ناجي وشيعته في تاريخ الادب التركي بالفترة
الادبية ، لأنه سكون حال عن ظهور اتجاه ادبي جديد غير ان
هذه الفترة لم تطل ، فسرعان ما تألفت جماعة بشرت بما يعرف
بـ (ادبيات جديدة) وهي في واقع الأمر تكمل مذهب عبدالحق
حامد الادبي . وهنا نقف وقفة عند الحالة السياسية لنتبين اثرها
في الحالة الادبية . فقد كان الامل ان يبشر دستور عام ١٨٧٦
بعهد جديد يعم الترك بالخيرات والبركات ، بيد انه لم يكن ذا اثر
في الحياة الثقافية ، وذلك لأن السلطان عبد الحميد الغاه بعد عام
ليحكم حكم ظلم ويخمد كل حركة حرة ، فسكتاب الترك من سنة
١٨٧٦ الى سنة ١٩٠٨ لم يجدوا مجالا لاثارة المسائل ، وقتنعوا

(١) معلم ناجي ، دمدمه ص ٣ (استانبول ١٣٠٣)

بالتوفر على دراسة الآداب الأجنبية فتلوا أسلافهم وادخلوا
على الشعر التركي صيغا شعرية جديدة ، وان لم ينجحوا نجاحا
تاما في تأميم الأدب التركي (١)

وقد عرف عبد الحميد كيف يقوض أدب التنظيمات وهو
أدب الافكار والمثل ، فاختفت المؤلفات ، كما احت من
القاموس بضعة ألفاظ كدستور وحرية ووطن . وكانت قراءة
صحيفة من أدب التنظيمات أو التفوه بلفظ من تلك الالفاظ
جريمة ضد سلامة الدولة عقوبتها النفي الى الأبد . وانحصرت
مهمة الصحافة في نشر المنشورات الرسمية ، وشددت الرقابة فلم
يظهر سطر في صحيفة الا بعد قتله فحسا ودرسا ، اما الاخبار
اليومية فلم تخرج عن اخبار الترقيات وذلك المدح الذى يكال
للسلطان كيلا ، أو ماقد يسمح الرقيب بنشره (٢) ولم يحل ذلك
دون ظهور مدرسة الآداب الجديدة التى يتميز بلغاؤها من بلغاء
مدرسة التنظيمات تميزا واضحا . فقد شعروا بوطأة القمع
والاضطهاد على عقولهم وارواحهم فتحولت افكارهم الى عقد

Rossi, La Nuova Turchia, P 124

(١)

Halide Edib, Conflict of East and West in Turkey, 198(٧)

نفسية يمكن تقسيمها الى عداء للدين يتوهمون فيه الاسلام ديننا
يثبط المسلم عن التقدم السياسى والاجتماعى ، وكرهية للماضى
لان الناس رأوا فيه خصمهم يقف بين الشرق والغرب ، ثم
تهافت صديانى على الأخذ بحضارة اوربا (١) اما عداؤهم للدين
الاسلامى فضلالة لا ضلالة بعدها ، وابعاء للحق وهو أقرب
اليهم من شعاع الشمس ، حضارة الاسلام أعظم حضارات
الدنيا ، وان كان للترك حضارة بحق فهى الاسلامية ، اما ان
يستوخموا حكم سلطانهم الظلوم وفى ظنهم انه يعمل بتعاليم
الاسلام فخطأ وجهل ، فويل للذين ظلوا من عذاب يوم اليم ،
وقد اهلك الله القرون لما ظلوا . ولاشك ان تهاكم على مدينة
الغرب قد اذهلهم عن مدينة الاسلام ولبس عليهم حقيقة الدين
الحنيف . وظهرت مجلة تسمى (ثروت فنون) سنة ١٨٨٩ وهى
مجلة أدبية رأس تحريرها توفيق فسكرت بك أعظم شعراء هذا
العهد ، فكانت لسان تملك الجماعة التى عرفت آدابها بالآداب
الجديدة ، ومن مؤرخى الأدب التركى من يسمى أدب هذه الجماعة
باسم مجلتها فيقول (ثروت فنون ادبى) .

وقد اراد ادباء التنظيمات ان تكون لغة الأدب لغة الشعب

Halide Edib, Conflict of East and West in Turkey, (١)
P199

الواضحة التي لا تخالطها شبهة ، فيقول ضيا باشا في (شعر وانشا)
(ان شعرنا هو الشعر الشعبي ، فلمنستلزم ان يكون انشاؤنا
بلسان اهل القرى وعوام اهل استانبول) اما ادباء (الآداب
الجديدة) فما انصرف لهم عناية الى تبسيط لغتهم ، واخذوا
انفسهم بتقليد ما رأوا في أدب الفرنسيين من صور أدبية ،
وارادوا تحسين كلامهم فزينوه بالعبارات المنمقة والالفاظ
الرائجة . واستعملوا كثيرا من الكلمات العربية والفارسية ، ولذلك
استعجمت مذاهبهم وعميت مسالكهم الا على الخاصة .
وكان تقليدكم الدقيق للغريين كتقليد اسلافهم للفرس من قبل .
وقد نبغ من هذه المدرسة الادبية الجديدة قصاص يقال له
خالد ضيا بك فبرز تبرزنا عظيما في القصة القصيرة يصور بها بيئته
التركية اصدق تصوير . وجمع هذه القصص في مجموعتين عنوان
الأولى (بريازك تاريخي) اى تاريخ صيف ، وتعرف الاخرى
(صواغون دمت) بمعنى الطاقة الذابلة . كما عالج كتابة القصة
الطويلة فله (عشق ممنوع) و (ماء وسياه) اى الأزرق
والأسود و (قيريق حياتلر) بمعنى الحيوانات المحطمة . وقال
الشعر ، وهو صاحب قصة منظومة تسمى ليلة الزفاف ، ويذهب
ادمون فازى وعبدالحليم مدوح الى أنها مثال لروحانية وعبقريته

كما يقولان ان المدرسة الاوربية لم تشرف بأديب تركي كما شرفت
بخالد ضيا بك^(١) وهو يشبهه بالفونس دوديه احيانا وببول
بورجيه احيانا اخرى .

ولد سنة ١٦٨٩ ، ودرس مدة في استانبول ثم رحل الى
ازمير وفيها اتم دراسته . وشغل نفسه بالصحافة الادبية ،
فكتب اول ما كتب في جريدة (خدمت) واصدر مع احد
رفاقه جريدة تسمى (نوروز) . وعاد الى استانبول فخرر مع
توفيق فكركت بك في (ثروت فنون) وذاع صيته كأحسن
قصاص يؤلف قصصه على المنهج الفني الاقوم ويعرضها بالاسلوب
الاجمل . وحياته هادئة فيما يظهر ، لان المترجمين به لم يذكروا
ما يستحق الذكر من احداثها ، ومات في السابع والعشرين من
مارس سنة ١٩٤٥ . وهذه قصة له بعنوان (آلتين نيته) بمعنى
الجدة الذهبية .

(من آلتين نيته ؟ انا لا اعرفها حق المعرفة ، كانت ضيفة
بدارنا على الدوام ، اما من اين أنت وكيف انت ثم اضحت من
افراد اسرتنا ، فهذا مالا علم لي به . من اي اصل تنحدر وما

Edmond Fazy et Abdul - Halim Memdouh, (١)
Anthologie de L'amour turc, P 169

الرابطة التي تربطها بنا ، كيف فاتني ان احيط بذلك علما ، وبما لا ريب فيه ان طفلا من اطفال الاسرة لم يجد وجها لمثل هذا السؤال . لقد عرفناها على تلك الهيئة التي بدت لنا فيها ، وتقبلناها كما عرفناها . لم تسكن من قرابتنا على كل حال . كانت تقدم من عشاق^(١) بين حين وآخر الى دارنا بازيمير ، وتتلبث طويلا عند كل فرد من افراد الاسرة ، ثم تجرد الرغبة في الماضي فتمضى ، مظهرة بعض الكبرياء ، بما يقنعني بأنها ليست من هناك . ومهما يكن من امرها ، فقد كان لها في الدار قدر ومنزلة . ومكانها من مائدة الاسرة مرموق . وكان من عادة جدى وجدتي رفع صوتهما بالأمر ، الا اننا كنا نشعر بهدوء الحال إذا وجها الخطاب اليها . وطالما شاهدنا الاعمام والاقوال يرمسون البيض ، والخالات والعمات اللاتي وهن العظم منهن ، يسعون الى حجرتها لتقبيل يدها في ايام الاعياد . وكانت تتدخل جديا في شئون الدار ، وكثيرا ما الجأتنا نحن اطفال الدار الى الرجوع الى وساطتها ، ولم تخل نفوسنا من اثر تلك الجلالة المحيطة بها . كنا ثلة من ثمانية أو عشرة اطفال وفيما بنين وبنات لانعرف

(١) مدينة بالقرب من كوتاويه .

ما بيننا من أواصر القرابة ، فالاعمام و ابناء الاعمام و الخالات
 و الاخوة مختلطون و اعمارهم متفاوتة ، و كان عددنا يتضاعف إذا
 انضم اليها اطفال من الخارج ، و لا يتسع فناء الدار الرخامى و لا
 سطحها و لا حديقتهما للصولاتنا و جولاتنا . و كثيرا ما كان يشق
 ضجيجنا اجواز الفضاء ، فينبعث من الداخل صوت حديد فيه الوعيد
 (يا اطفال ا) اما ما يميز اعمارنا و مراتبنا فقول صغارنا الكبارنا
 (اغا بك و آبلا) و بذلك كان حل عقد القرابة فى عقولنا .
 و كان إذا انتشب الشجار و احتدم العراك و ارتفعت الجلبة
 ثم انبعث نداء (يا اطفال ا) و قال قائمنا (ان آلتين نينه قادمة)
 انخفضت القبضات المرفوعة و اغلقت الافواه المرغية المزبدة ،
 و ثبتت الايدي فى الجانبين بعد ان هيمت للخمش و التخديش ،
 و صفف الشعر المنفوش ، و سكتنا جميعا كأن على رءوسنا
 الطير ، و وقفنا صفا فى جانب . و هذا الصوت المتبعث من
 الداخل ، صوت جدتنا الكبرى ، كان يتدخل برفق إذا دعت
 الضرورة ثم ينسى كل شىء بعد دقيقة ، و هو على الدوام الى
 العفو أميل . و عرفنا ذلك بالتجربة ، فلم نأبهله كثيرا . اما خيال
 رؤيتها فلم يكن كذلك لأن احتمال مجيئها كان كافيا لجودنا فى
 أماكتنا . و لا اعلم لذلك سببا . فام يكن لها حق تأديبنا ، و ما

طالبت يوما به ، ولما كنت ادرى اى شفقة آسرة تملك
النفوس وتحمده نائرتها ، كانت لوقارها الباسم ونظرة القاسمية
المؤدبة للمسىء ، أو لمخاطبتها للظالم بكلام لين فيه العزاء
والصبر ، أو لذلك المنديل الذى تسمح به اذنا دامية ، أو لاناملها
وهى تمس الرموس لتصفيف الشعور ، لقد كانت نار الشر تخبو ،
ودموع العين ترقأ ، والوجه تهتل بعد طول تعبيس .

كننا نلتف جميعا حولها لشرع فى شرح دعوانا بلسان
واحد ، ويدفع صغارنا كبارنا للاقتراب منها ، ويحاول الكبار
المحافظة على حقهم فى الكلام بكم افواه الصغار ، فتلا غلط المعرفة
الظالم والمظلوم ، اما هى فلا تسكت احدا وتصغى الى كل متكلم
منا ، وهى تداعب هذا بلمس ذقنه ، وتجمش خد ذلك ، كما تظهر
للواحد منا قيصه المنفتق ، وتمسك بزر الآخر المتدلى ، وتصغى
ويطول منها الاصغاء ، فكنا عندها صاحب حق ، ولا تدع
احدا منا دون ان تلتفت اليه . كانت تحبنا جميعا ، وان يدها التى
تسمح بها شعورنا لتسقط غيث العفو على رموسنا ، وبذلك
ينتهى العراك ويسكن العجيج والضجيج وتتصافى القلوب . وقد
احاطت باسمها النجلة واقترن بالحرمة ، فكان يذكر بكل جميل
وهو يجرى على لسان أهل الدار من سادة وسيدات واطفال

وخدام . واتفق يوما ان اشتجر الاطفال فهم الهرج والمرج ،
وكانت العاقبة وخيمة ، فقد تحطمت نار جيلة الجمد البلورية
الثمينة ، وانحصرت الشبهة في اشد نار عونة وطيشا . يا لها من فتاة
مسكينة اني لأمسك عن ذكر اسمها اكراما للذكر اها ، ولقبها الذي
عرفت به بيننا هو (آتش)^(١) والجذ هو الذي لقبها بهذا اللقب
ولم نجد خيرا منه ولا أدل على طباعها . اما آلتين نيته فلم تكن
تتاديا الا باسمها الاصلى كراهة ان تجرح شعورها وتحزن نفسها ،
فاسترعى ذلك انتباهنا وتبيننا انها تعاملها بما لا تعامل به أحدا
منا وتكؤها بالبر والرحمة بيد ان جريرتها كانت من الوضوح ،
وكان ذنبها من العظامة بحيث استحال حمايتها امام كسارة
النار جيلة المنتثرة ههنا وههنا في الفناء الرخامى . وغلب الانفعال
آلتين نيته ، فخرجت قليلا عن صبرها ، وأمسكت الفتاة من
كتفها وجذبتها نحوها ، فانتظرنا حدوث شيء ا لقدع عجبنا كيف
تلطم آلتين نيته احدا ولأول مرة ا وكتمنا أنفاسنا مترقبين ،
كلام لم تسكن لطفة ، وانما انحنت قليلا وقذفت في وجه الفتاة هذا
القول بلمهجة شديدة

(١) آتش بمعنى النار .

— سيستجوبك جدك هذا المساء !

هذا هو الخطب العظيم في تلك اللحظة . واستحت آتش من
جرح كبريائها فأملصت كتفها من يد آلتين نيئه بانتفاضة شريرة
وانتفخت كهرة غضبي ، وانفجرت في وجه آلتين نيئه الذابل
الشاحب بقولها : اسكتي يا باقير نيئه (١) !

وجمدنا مشدوهين ، ونظرنا بعضنا الى بعضنا ، وكأن قبلة
دوى انفجارها بيننا . اما آلتين نيئه فما نبست ببنت شفة ، ولم
تزد على أن حدجت آتش بنظرة شديدة ، ومضت تمشي الهوينى
وفي يدها مسبحة تحرك حباتها العنبرية ، وامتد العمر بها بعد هذا
الحادث اكثر من عام ، الا أنها لم تكلم آتش بحرف ، وكانوا
إذا مضوا بالفتاة اليها رجاء الصفح عنها ، ابت ان تبسط يدها .
وشاع في الدار أن آلتين نيئه عليلة ، وبعد أسبوع قيل انها
هامة اليوم أو غد . وحظروا على الأطفال دخول غرفتها ؛ ثم
انقضت ايامها . وكانت وصاتها ان يشتري بساط للجامع الخاتونية
بكل ما خلقت من مال . وظهر لها صندوق فتحه جدي ، فإذا

(١) باقير نيئه بمعنى الجدة النحاسية وقد ارادت الفتاة شتم من

تسمى الذهبية .

فيه اربعة اكياس ، وعلى كل كيس كلمة : للفقراء ، للبنات ،
للخدم ، للأطفال .

وأمر جدى الأطفال بالمجيء ، وبعد أن عرف الحضور
والغياب ، اخرج من الكيس اوراقا كتب على كل منها اسم طفل
منا ، وانطوت على شىء صغير له ، فنادانا باسمائنا ووزع الانصباء .
وتحلقنا ، ووقفنا ونحن لا نجد فى انفسنا شجاعة نفرض بها
الغلاف عن هدية آلتين نينيه . وخرجت من الكيس آخر
ورقة ، فقال الجد (آتش . . هذا لك ، انظرى ، لقد سمتك
آلتين نينه آتش لأول مرة !) ونظر الينا جميعا ثم قال (فضوا
الغلاف لرى ما خلفت لكم آلتين نينه) ومزقنا ما بأيدينا من
اوراق بأنامل مرتعشة ، فاذا فى داخل كل منها قطعة ذهبية فتتها
خمس جنيها ، ففتحننا عيوننا عن بريق باسم ، الا آتش فقد
ضمت قبضتها محاولة اخفاء ما فى يدها . قال جدى : افتحى يدك
ليظهر ما فيها وبسطت آتش كفها ، فإذا قرش نحاسى قديم !

فهذه قصة قصيرة ساذجة لا تخرج عن كونها احدى ذكريات
الطفولة ، وقد أجاد كاتبها التحليل والتصوير ولم يقل إلا حقا ،
لأن كلامه من وحي الواقع لا من نسج الخيال ، وفى مثل هذه
القصة تتسع منادح النظر لعلماء النفس والتريسة الذين ينسبون

سلوك الانسان وطباعه في كبره الى حوادث وقعت له في صغره .
ومن يدري اى اثر تركته رؤية القرش النحاسى فى نفسية الفتاة ،
فظل هذا الاثر متحكما فى ميولها وتصرفاتها لما ان بلغت مبلغ
النساء . وفى نظرى ان القصة الواقعية تفضل الخيالية ، لأن
مطالعها مقتنع بصحة حقائقها ، وعليه فهو متعظ مستفيد ، أما
صاحب القصة الموضوعه فيخدع القارىء بالإيهام ، وقد لا يوفق
إذا تمادى فى المبالغة ، لأن القارىء لا يحملها على محمل الجد ،
ويعتبرها وسيلة لنزجيسة الفراغ . وهذا ما يذكرنا بفن كتابة
القصة عند الروس . فقد كان اتجاه كتابها من عام ١٨٤١ الى
عام ١٩٠٤ الى القصة التى تصور واقع الحياة تصويرا صادقا ،
وهذا من اسباب تبرزهم فى التأليف القصصى .

والمشاهد ان خالد ضيا بك لا يكاد يصور بقصصه إلا بيئة
واحدة هى بيئة تلك الطبقة الراقية من الاتراك الذين استناروا
بثقافة الغرب . وقصصه من الروائع لأنها ليست مجرد تقليد
لتماذج اجنبية ، وانما هى وصف للحقائق وملامح المجتمع .^(١)
أما ألمع شخصية فى هذه المدرسة الأدبية فالشاعر توفيق

Halide Edib, Conflict of East and West in (١)
Turkey, P 199

فكرت بك الذي كان ذا رأى فى السياسة ومذهب فى الشعر ،
ونزعة انسانية رحيمة اوقفته موقف المدافع عن كل حق مهضوم ،
والثائر فى وجه كل ظالم غشوم . والفكر اغلب عليه من العاطفة ،
ولعله اكثر شعراء الترك انصرافا عن المدرسة الاسيوية القديمة .
واخذنا بتعاليم المدرسة الاوربية الحديثة .

كان مولده فى استانبول عام ١٨٦٧ ، واظهر فى طفولته
ميلا الى الادب والرسم وتحسين الخط ، ويروى انه كتب يوما
على ورقة (رسام توفيق) ثم ثبتها فى زجاج نافذته من الداخل ،
ولما نظر الى ما كتب من الخارج وجد الكتابة مقلوبة فضايق
بذلك وحزنت نفسه ، ويستنتج رضا توفيق من هذا الحادث على
سذاجته ، ان الفتى يتميز بذوق فنى تجلى فى تلك القدرة التصويرية
التي اصبحت سمة من سمات شعره (١) ودرس فى المدارس
كالفتيان من اهل زمانه ، الا انه كان يعتمد اكثر ما يعتمد على
مجهوده الخاص فى دراسته وثقافته ، وجاش الشعر فى خاطره
فنشر ما نظم وهو طالب علم ، وانتهى عهد التعلم وجاء عهد العمل ،
فعمل توفيق فكرت فى وزارة الخارجية ، ثم اشتغل بالتدريس

(١) Riza Tevfik, Tevfik Fikret, Hayati, San' ati, Sahsiyeti
S 8 (Istanbul 1945)

فدرس الانشاء والادب في اكثر من مدرسة ، الا ان مدرسي
المدارس الحكومية في عهده كانوا فئة مغبوة لان وزارة
المعارف كانت تخفض رواتبهم على ضآلتها ، فاستعفى من عمله ،
وحرر القسم الأدبي بصحيفة (ثروت فنون) . ولما احتجبت
سنة ١٩٠١ وتعطل عن العمل وجد مس الحاجة الى الدروس
الخصوصية ، ثم عاد الى التدريس واسكن في مدرسة اجنبية .
واختاره الله لجواره سنة ١٩١٣ .

وليس توفيق فكرت بشاعر مكثر ، غير اننا لا نعرف
شاعرا من شعراء عصره نظم شعرا حسيا كشعره ، وهو يفضل
معاصريه حتى في اضعف نواحيه . ولا شك ان ذلك مقياس
دقيق لعظمته (١) وقد عاش في عهد عبد الحميد أو عهد انحلال
الامبراطورية العثمانية ، وان يكن نامق كمال وضيا باشا من
مظاهر حركة الاصلاح المعروفة بالتنظيمات ، فان توفيق فكرت
مظهر ادبي وفكري لذلك الاصلاح الذي عرفه الترك بعد ان
ظفروا بالدستور عام ١٩٠٨ (٢) وحقبة الامر ان الدولة العلية

Faruk Nafiz, Tevfik Fikret, Hayati Ve Eserleri, (١)

S 7 (Istanbul 1937)

Sabiha Sertel, Tevfik Fikret, Ideolojisi Ve Felsefesi, (٢)

S 14 (Istanbul 1946)

وراجع كتابنا من أدب الفرس والترك ص ٩٩ .

لبثت مئات السنين من غير ان يكون لها المظهر الكامل للحكومة،
فقد عارضت حقوق الافراد حق الحكومة ولم يقف الحكام
عند حدود الشرع ، فاخذ البريء بأقصى العقاب على حين ترك
المسيء ليعيث في الأرض ، كما فسدت الضمائر وضعف في النفوس
الوازع الديني والخلقي ، فرأى توفيق ففكرت ان لاصلاح الحال
إلا بالقضاء على السلطنة ، وبلغ من جرأته ان يهاجم السلطان
في شعره ، فلما قيمت عليه قنبلة وهو ذاهب الى المسجد لاداء
فريضة الجمعة ، وانفجرت القنبلة امام عربته دون ان تصيبه ،
قال شعرا في هذه المناسبة مصورا به ما حدث ومعبرا عن إفرح
الشديد للاقدام على مثل هذا العمل الذي يتوسم الخير في عاقبته ،
فهو الذي يقول للجاني (ايها الصياد الشريف ! لم تنصب الشبكة
عينا ، ورميت فما أصميت يا أسفى !)^(١)

(١) كان عبد الحميد في أوائل حكمه يظهر لشعبه ، ثم احتجب
واوجس قلبه فزعا يوم اقتحم قصر جران بعض رجال مراد الخامس
محاوئين استنقاذ سلطانهم المخلوع من محبسه . فزایل العاصمة هائبا
واعتزل عن الناس في بلدز بعد ان غلق الأبواب واوقف الحجاب .
وقدر سوست الاوهام في صدره خشية اعتداء يقع عليه . فكان إذا =

فقد كان أمه ان يهلك السلطان لتأمين البلاد شره ويتكشف
عن الناس ظلمه ، وهو ينطق بلسان ذرب عن قلوب كسيرة
لا تملك الا ان تنطوي على ألمها وتشكو الى الله بشها . وله قصيدة
طويلة بعنوان (سيدس) اى الضباب يصف بها كذلك عهد
عبد الحميد ، وهى صورة لمدينة استانبول فى نكد عيشها وانحلال

== نوى الخروج لأمر هام ، جد الجد ، وقامت حركة الشرطة ورجال
الامن على قدم وساق قبل يوم خروج بشهر ، ففتشوا كل دار تقع
فى طريق السلطان ، وتحروا عن سكانها ثم حظروهم ان يطلوا على
موكبه . كما امروا التجار باغلاق مناجرهم ، اما الصيادلة فكان لزاما
عليهم أن يبعدوا من صيدلياتهم كل المواد الملهبة والمفرقة . وكان
العمال يرصفون الطرق ومعهم المهندسون ومهمتهم فحص انايب المياه
والغاز للتأكد من خلوها من الانعام . وكان السلطان يكره ركوب
العربات المغلقة لصعوبة الخروج منها وقت الخطر ، كما كان غطاء
عربته الجلدى مصفحا بطبقة من الصلب . ومن مستطرف ما يروى
ان مجهولا القى شيئا ملفوفا فى عربة السلطان ذات مرة ، فطارت نفسه
شعاعا ، وظنه قنبلة تنفجر بعد لحظات ، الا ان رجلين من رجاله
الشجعان وجدا طفلا فى القماط ، وورقة يشكو اوه فيها الفقر !
ففرح السلطان بعد ان ايقن بالهلاك ، وامر بتربية الطفل فى القصر ،
راجع (Paris 1903) P 184 - Hamid Intime - Abdul - Dorys

خلقها . وتوفيق فكرت يرنو اليها في صبح من تلك الاصباح التي
تغمرها بغبش الضباب فيشاهد الأضداد المتنافرة ، والصراع
الدائم بين الهدى والضلال والعقل والهوى ويقول (احاط
الدخان بأفاقك ولم ينكشف عنها ، فكانت ظلمة بيضاء تتراكب
وتزايد على المدى حتى محت كل شبح تحتها ، وجعلت من الكائنات
هياكل مغبرة ، وارثد البصر حسييرا عن أغوارها فانخلعت
القلوب رعبا . واسكن هل يجديك هذا الستر الصفيق نفعا يا مجمع
المظالم لا تحسبي ان أمرا من أمورك يخفى وان جهدت ان تخفيه .
كأن يد الحياثة قد القت الذعاف في أسك يوم بنيت ، فان رجس
الرياء يمج في كل ذرة من ذراتك . لا أثر لنقاء ولاصفاء بك .
وما منية المتمنى من اهلك الا ان ينعم بتلك الشرور والآثام .
احتجبي أيتها النسكراء ، احتجبي أيتها المدينة ، احتجبي وارقدى
يا فاجرة الدهر ، واتسكن رقدتك إلى آخر الدهر ا)

ولم يتأت للشاعر ان ينشر هذه القصيدة التي يغايظ بها
عبد الحميد ويغالطه في عهده ، فنسخت وتناقلتها الأيدي في خفية ،
وكانت سببا من اسباب ثلث عرش السلطان . وهو شديد السخط
على استانبول ومن فيها والزمان وأهله ، وقد بعثه هذا السخط
على ان يشيح عن الماضي والحاضر ، ويتطلع الى مستقبل بعيد

يفعمه باسمه الآمال وله قصيدة بعنوان (فردا) أى الغد يوجه
الخطاب فيها الى الجيل الجديد ناصحا مرشدا فيقول (هوذا يومكم
الصاخب يتكشف عن غد جديد سعيد ، وما غدكم يا شباب إلا
لكم ، فانتم طلعة الامل البهيج إذا ارتسم في سماء لا يرثيها الغمام .
وان صدرا خفاقا يتفتح للقيام ، فإليه حثوا خطاكم ، يا فجر
حياة مشرق البسات . وكل عين ترعاكم فانتم معقد الرجاء .
وعلى جباهكم نجوم تأتلق ، لا بل شمس توهج ، فأشرقوا في
الآفاق حتى ينطفئ امامكم هذا الماضى الذى أضرمه الزمان عليكم
نارا ، ولتخمد كل جذوة فى ذلك الجحيم الى أبد الآبدين ، فما
وطنكم إلا جنة عرضها السموات والأرض . أرايتكم تلك
الحسناء الرائقة الحس ، اشاهدتم خضرة الزمرد فى لحظها ورقة
اللؤلؤ فى رقها ودلها ؟ اتعرفون يا شباب من هى ؟ انها وطنكم .
وكم عين تجرح وجهها الصبيح بالنظر الحاد ، فمن منكم بالله يرتضى
هذا ، ويستطيع عليه صبرا . وكيف تسمحون ليد الغريب ،
وان لم تكن دنسة ولا نجسة ، ان تمتد الى الحية بيضاء اللقار ،
أوجهه شماء للعز والنخوة ! وانى يحل للسفهاء والحقى ان يرجعوا
قبوركم . كلا ، ان لتلك اللهى والجباه حرمة وقداسة ، وما
كرامتها الا من كرامة الوطن . ويسمو وطننا الى الاله ان رفعت

كواهلنا ، وظاهرتنا حميتنا ، واتم يا شباب ذخرننا ورجيتنا .
وكل الفضل فيكم ولكم . وانكن اذكروا ولا تنسوا ان الزمان
يتعقبنا بخطى وحية خفية . وقد قلت ايها الشباب ان المستقبل
لكم ، وفي الحق انه وديعة بين يديكم وليس لكم ، وستسألون
عنها وتحاسبون حسابا عسيرا عليها ، وقد تكون الشكوى منكم
لا اليكم . واتم اليوم تنظرون الى الماضى بعين يقظى فلا خفاء
ولاشبهة ، وقد يأتى الغد فيحيطكم بشبهات وشبهات ، واتم سلالة
الحسب والنسب ، فكونوا من ذلك على ذكر بين حين وحين .
واعلموا أن عصركم عصر نار ونور ، وبعد البروق ليل محلولك .
وان سموات العز والرفعة قد فتحت لكم ، فارتفعوا ، وان من
لا يرتفع ، لاحالة ينهبط . ومثله مثل الاطيار . فاعملوا ، ولتتقدم
منكم النفوس غيرة وحمية . وعليكم ان تحتكموا الى عقولكم ،
وابحثوا تجدوا . واسرعوا في سعيكم وارتفعوا اصواتكم . وقد
مضى زمان الاستثمار والاستسلام ، وأتى زمان العمل والامل)
فهذا الشعر أشبه شئ بنشيد حماسى يلهب النفوس ويشير
العواطف ، ويدفع دفعا الى العمل كل كسلان وكل .

اما اشد غضبة غضبها على الماضى والحاضر ، فنفسها سموما
فى اطول منظوماته وتسمى (تاريخ قديم) وبدارقيق الدين زائع

العقيدة حائر الايمان ، يشك في الحقائق ، معتقد ان هذا الشك درجة من درجات المعرفة ، ويسخط ويعبس ، ولا يجرى له إلا الطائر الأشأم . وتذهب صديحة سرتل الى ان مرض السكر الذى كان يضره هو السبب في هذه الحالة النفسية^(١) فهو يتمثل شبحاً يملأ القلوب رعباً بأنياب عصل تقطر دماً ، يطيل مدة الليل ليعيث فيه ، وينسأ طلوع صبح رقبه العالمون . ومن قوله (نريد صبوحاً لهؤلاء الذين طالت رقدتهم فى الليالى السود . ايها الشبح الذى ينسل فى الظلمات ، كأنتك امسكت اشياء ملطخة بالدماء !) .

وأول ما يشاهد هو أنه شاعر معنى لا شاعر لفظ ، فلا عناية له بتميق العبارة . ومعانيه من الغزارة بحيث تضيق عنها الاوزان والقوافى ، وجملة طويلة قلما يتسع البيت الواحد للواحدة منها . وهذا منه خروج عن مألوف شعراء الترك والفرس والعرب الذين جرت عادتهم بأن يجعلوا كل بيت مستقلاً بمعناه واذكر ان نقاد الأدب من العرب كانوا يعيبون تقسيم المعنى على اكثر من بيت ، وهم فى هذا الرأى على صواب ، فإن الكثير

(١) Sabiha Sertel, Tefvik Fikret, Ideolojisi Ve Felsefesi, S 126

من شعر توفيق فسكرت لا يشف ظاهره عن باطنه ولا يتجاوب
أوله وآخره لدوران المعنى الواحد في عدة أبيات . فن قوله
تحت عنوان (معك) ، (تعالی ، لنسر معا في هذا الطريق الظليل ،
ولنض حثيثا في ظلمته المخضوضرة الى آخر دهرنا . تعالی ، ان لهذا
المكان المقدس أفياء ينفج منها عطر الالهام ، فلنبق فيه إلى آخر
دهرنا . هذا الطريق المنير ، ما اجل هذا الطريق الذي انفتح لنا
وهو مستتر في صدر الوحشة . تعالی ان هذا الروض الاريض
ملىء بالحياة والبهجة ، فلنقض فيه سحابة يومنا ، اما عشنا الخرب
فلن يشهد عودتنا اليه . ولا يكن ماهذه الهوة في نهاية هذا الطريق
الجميل ! اليس حراما ان تكون سوح الآمال كطريقةنا .
وأخوف ما أخاف هو ان يقضى طريق السعادة على الدوام الى
مثل هذا الخراب ، نعم ، ماهذه الهوة في نهاية هذا الطريق الجميل !
فهذا الشاعر لا يكف عن التفكير الحزين وهو مع الجيب
في الروضة المعطار ، ولا يتخيل طريقا جميلا من غير هوة للعدم
يتردى فيها من ينعم بالسير فيه . فما أشبهه بذلك البلبل الذي
لاير تفج له صوت الا بالنواح .

وقال في دميمة (ان في وجهها المنتفخ غصونا تنبسط بصفو
مريب . وإذا بسم ثغرها ، بدا ضجر نفسها من استحقار في

بنظرة عينها . انها لا تملك اى سبب آخر لذاتها ، نعم انها كالناس ،
غير ان عيونهم تقترحها وينفرون منها . آه من الدمامة ، لراحة
معها ! وإذا ما احسنت بضعتها ، ثارت نفسها واعتلج قلبها ،
واصبح نهبها لأقسى الهموم والغموم ، فنفتت حقد الكمين في
وجه الخليفة الحسن) .

فهذه الصورة الشعرية الجميلة تشهد لتوفيق فكرت ببراعته
في التصوير وقدرته على تفهم خبايا النفوس ، كما تدل على انه
يتلقى الحياة بعقله اكثر مما يتلقاها بحسه . وهذا الكلام لا يقتدر
عليه إلا من تمرس بأدب الاوربيين . وقد ضمن اشعاره بمجموعة
سميها (رباب شكسه) اى القيثارة المحطمة ، واظهر ما يميزها
انها شعر بالتركية يحسن فيه صاحبه تقليد الفرنسيين وان لم يفته
ان يصور بيئته بالألوان الزاهية ، ولا شك انه بذلك قد حطم
قيثارة الشعر القديمة أو أضاف اليها أوتارا جديدة .

وله مجموعة شعرية صغيرة هي (خلوقك دفترى) اى دفتر
خلوق ، وفيها يبذل النصيح لولده خلوق ، فيدعوه الى المحامد
ويزهأه عن المقابح ويناجيه وليكن بشعر عال . وفى عام ١٨٩٤
تزلزلت الأرض فهلك من اهل استانبول خلق كثير . وانفق ان
وقعت هذه الفاجعة بعد مولد خلوق بمدة غير مديدة ، فزلزلت

مهده ، وكانت اول تجربة قاسية احس بها الوليد في دنيا دخلها
بالأمس القريب . فتحركت الشاعرية في قلب ابيه الذى قال
(ذبلت الوجوه حزنا وهلعا ، واصبحت الديار ومن فيها كالفرش
المبثوث ، اما من قدر له البقاء منهم فعاجز ذليل . وقد أحنى
الخشوع والانكسار رموسا كانت مرفوعة ، حتى رموس المآذن
نكست في الأرض . وان مثل هذه الصدمة لتوقط الناس من
غفلتهم . ولاكن ، أكل هذا العذاب المهين لتنبية الغافلين ، لله
ما أقساه درسا !)

ثم يلتفت الى ولده فيقول (انت ضيف أيام سود ، ولن
تكون ايامك سياحة سهلة سعيدة تفعم الفؤاد سرورا . وفي
حياة هي تبه محنة وبلاء ، لتلك السياحة السعيدة خيال يطوف
بالنفوس ليس إلا . وما نهاية السير الخيث الى السراب البعيد
إلا عناء يذهب هباء منثورا ، ومن كد حق السكد ، كسب
الحياة ، ولا بد أن تخسر قليلا لتكسب كثيرا . وان من جاهد
في طلب المعاني ليخطو خطوات يثقلها الخوف وإن كانت مجيدة
مشرفة . وما ذاك إلا لأن الزلازل من خلفه والزلازل بين يديه)
ومن شعره التعليمي منظومة (فى خلوقك دقترى) بعنوان
(دونك باشى) اى رأس الجمل وهى سهلة العبارة لأنه يخاطب

بها الصغار لحكمة فيها ويقول (يحكى ان جملا هيكلا كان له رأس .
 وأى جمل بلا رأس ! انما هو مثل ضرب فاستمعوا له . وقد
 حمل هذا الرأس الفاسد الخاوى اطراف النهار ، شتاء وصيفا ،
 في الوعر والسهل والجبل والبرية والدوية ، فرزحه حمل رأسه .
 فإلى من يشكو هذا الجسم الضخم ما يكابد من أوجاع . وصادف
 غرابا فأفضى اليه بأمره ، قال الغراب لقد وهبك الله رأسا
 فاصبر على مقدور القضاء . فتعجب السنام وتحرك الذنب ، لا
 نقل الله العقل من رأس الى ذنب ! واصاخ الناس لشكوى
 هذا الجمل ثم ملوا طولها ، فأين يذهب ومن يستمع له ؟ ومضى
 الجمل المسكين فى سكون لأنه لم يجد ملتفتا إليه ، فندس رأسه فى
 حفرة ثم تمطى وهو يقول : الى الجحيم ايتها الجيفة ! وسوف
 يقطع الرأس الظالم فى يوم من الايام)

ولم يكن توفيق ففكرت معلما ولا شاعرا وحسب ، وانما
 كان مربيا عظيما كذلك . ولا نعرف شاعرا تركيا ففكر ونظم
 للجيل الجديد كما فكر ونظم . فقد وقف جهدا عظيما على الاخلاق
 والتربية والتلقين والتهذيب ويعتبر (خلوقك دفترى) أول
 وأروع كتب التربية . (١)

(١) ساطع ، فكرت وتربية (معلم) ص ٢٨٤ (استانبول ١٣٢٣)

ومن كبار الكتّاب ومدكورهم عمر سيف الدين ، الذى أتقن القصة القصيرة ايما اتقان وكان رائع الدياجة جيد السبك حسن التعبير ، درس فى المدرسة الحربية ، ولما تخرج ضابطا اشتغل بتدريس الفنون العسكرية . كما خاض الغمرات فى حرب البلقان . وعرف بقوة النفس وشدة البأس قبل ان يرتفع عن سن الحداثة فعرف بين لداته بـ (دلى عمر) أى عمر المجنون . كان آية من آيات الله على قلة امتدكاره ، لا يعرف الحزن ماهو ، فما انهملت عينه بعبرة . لا ينظر إلا الى الجانب المشرق الضاحك من الحياة . وكان ملولا قريبا الرضا من الغضب ، وفيه ما ينسب الى العباقره من شذوذ^(١) وقد تضلع من الفرنسية حتى نشرت مقالاته إحدى الصحف الباريسية . وقال شعرا ، غير أن قصصه من الأهمية بمكان لأنه صور فيها حياة الترك واستعان على اختيار موضوعاته وأشخاصه بتاريخ قومه وتقاليدهم التى ورثها بعضهم عن بعض قديما . وهذه قصة له تسمى (يذبه ايتجىلى قافتان) أى القباء ذو اللؤلؤ الوردى . وفيها يتجلى روح عمر سيف الدين واتجاهه الفكرى ، كما انها صورة حية لتركى قح هو

Mahmud Kemal Inal, Son Asir Türk Sairleri, (١)
Ş 1309 Cüz 7

أحسن مثال لأبناء جلدته .

كان الديوان ذو القبة الشام اعرق سكونا و اقل نورا من
ذى قبل . وقد طاب فيه النسيم وتسربت أضواء الربيع اليه
زاهية ، ثم امتزجت بخضرة الجدران فارتدت عنها وهي داكنة .
وتربع الوزراء على حشايا الحرير ، وللخمول والذهول أثر
عليهم ، فغرقت نواظرهم فيما امتد أمامهم من تهاويل البسط
وأصباغها . أما الصدر الاعظم ، فقبض على لحية البيضاء بيد
نخيلة ، واستغرق في تفكير مظلم ، وغاصت عيناه الذابلتان في
أبعد الاغوار ثم قال

نحن في مسيس الحاجة الى رجل عظيم الجرأة شديد
البأس أيها السادة الوزراء . وما دمنا نريد أن يكون رسولنا ،
فليكن من رباطة الجأش وثبات الجنان بحيث لا يهاب الموت
ولا يسكت بحال على ما يمس بالسوء كرامة الوطن و رغبتنا منه
ألا يكسر من زهوه ، ولا يغضى على القذى .

— هذا هو الحق الذى لا ريب فيه .

واعتدل الصدر الاعظم فى جلسته ، ودعم يده بركبته ،
وأدار بصره مليا فى كل وزير على حدة
— عليكم ان تطلبوا مثل هذا الرجل ، فأنا لا اذكر هذه

الصفات لأحد من اعراف ، ففكروا عليكم ان تهتدوا إليه .
واهتزت فجأة قلنسوة على يمنة الصدر الاعظم بعد أن كان
لها سكون حجر من أحجار القبور . ثم استدارت إلى اليسار
شيئا فشيئا .

— اعراف رجلا يصلح لهذه المهمة اتم الصلاحية ، كان
أبوه من رفاقي ، إلا أنه لا يقبل وظائف الدولة .

— ومن هو ؟

— محسن أبي .

— أين مقره وما صناعته ؟

— هو ميسور الحال ، يزجي الوقت بالمطالعة ، بيد أنه شديد

النفار من صحبة العظام ، شديد الزهد في المجد والجاه .

— عجبا ولم ١٩

— انه جسور ، جسور لا يخشى في الحق لوماء لائم . ولا

يرهب الردى ، وقد خاض حروبا كثيرة ، وللسيوف جراحات

ما زال أثرها ظاهرا في وجهه .

— ألا يصلح ليكون رسولا ؟

— لست ادري .

— سر إليه وأوقفه على جلية الأمر .

- والله ما اعلم يا سيدي ، أيقبل شرف المشول بين يديك
ام يأبى الحضور .

- كيف يأبى الحضور .

- قد لا يجيء ، انه لا يأبىه لشيء في الدنيا ، فالأمير والحقير
عنده سواء .

- أليس محبا لوطنه ؟

- وهل في ذلك ريب !

- مادام الأمر كذلك ، فنحن انما نطلبه لخدمة الوطن
لا لخدمتنا .

- تفضل بالتجربة يا سيدي .

وانفذ اليه الصدر الاعظم نائبه في المساء ، بعد أن كتب
يؤيد ضرورة المحيى لأمر وطنى على اعظم جانب من الأهمية .

وفي حجرة صغيرة ضئيلة النور ، لها من قماش الهند الصفيق
أستار مسدولة ، كان الصدر الاعظم في الصباح الباكر يطالع
أوراقا تركها له كاتبه . فاخبر بمقدم محسن چلبى .

- ادخلوه على هنا .

وبعد هنيئة اجتاز الباب المحلى بالصدف رجل ربعة مفتول
الشارب ، قد برقت أسرة وجهه ، والتمعت عيناه النجلا وان تجت

حاجبين اسودين مقرونين . وانتظر منه الصدر الاعظم ما يعهد
من سجود العميد وخضوعهم وخنوعهم ، ولما رأى من الرجل
ما ليس في الحسينان ، ثبت مشدوها في مجلسه على أريكته يا طالما
قبل الزوار حافها ، واحتبس عليه القول . فلم يذكر أنه رأى
رجلا بارز الصدر مرفوع الرأس مثله ، وهو الذى ألف رؤية
الوزراء منحني الظهر مطأطئ الرءوس في حضرته ، قال محسن
چاي بصوت هادى :

- لقد طلبت حضورى ، فماذا انت قائل ياسيدى ؟

- سأقول شيئا .

- تفضل بالكلام

- تفضل بالجلوس هنا يا بنى

وجلس محسن چاي في المكان المشار اليه من غير ما خجل
ولا وجل . وقال الصدر الاعظم في نفسه وهو ممسك بأوراقه
المطوية ، أى رجل هذا ، لعله مجنون .

والواقع من الأمر أنه كان رجلا تام العقل صائب الرأى ،
له من المال ما يكفيه سؤال السكريم واللثيم ، يستغل ضيعة عظيمة
خلف غابه (حاميجه) ويبيع ألبان ما شيتها ، فيحيى حياة
الشرفاء ، ولا يسترضى أحدا ولا يقبل المن من أحد . يرفق بالفقراء
والضعفاء والغرباء ، ولا يأكل إلا مع ضيف يواكله ، وهو

ثقي نقي إلا انه لا يعرف التعصب في الدين . وقلبه عامر بالايمان
وحب الوطن . يفهم معنى كرامة الوطن وقداسته حق الفهم .
وشعاره الوحيد ألا يسجد إلا لله ولايصبح عبدا لعبيد من عباد
الله وقد عرف بين الناس بالعلم والكرامة . وكان شاعرا وإن
لم ينظم قصيدة قط ، ولم يقرأ قصائد المدح . وقد ذرّف على
الأربعين من عمره . حاد عن كل طريق تؤدى إلى المجد والرفعة .
فهذه الطرق التي يحف بها الذهب وينثر فيها الزهر ، وبذكر
حسنها بحسن الجنة ، لن تفضى في رأيه إلا الى مواطن الاقدام
حيث يتخذ الانسان محرابا له من طرف ثوب متسخ يقبله
وللانسانية عنده منزلة لانسامي ، فالانسان خليفة الله في أرضه .
وقد كرمه الرحمن وخلقه في أحسن تقويم فهو بذلك اكرم
المخلوقات ، ولا يليق الرياء إلا بكلب يلعق قدم صاحبه . وكان
شديد النفور من هؤلاء الذين يحرصون كل الحرص على التصعيد
في قمم الجاه ، وهؤلاء المنسلين كالأفاعى من بروج الهوان . ومن
ثم كان أنسه بالوحدة ورغبته عن معاشره الناس . وفي زمان
الحروب . كان ينهد الى الميدان لقيادة فرقة من الغرباء . وقد
ادهش تبسطه وحريته في جلسته الصدر الاعظم ، وان لم يغضب
- نريد انفاذك رسولا الى تبريز يابنى .

- انا ؟

- نعم

- لأننا لا نجد أحدا سواك

- لم التحق قط بوظيفة من وظائف الدولة .

- ولماذا ؟

فوقف محسن چلبی وقد ارتسمت على وجهه بسمه ضئيلة .
لأن لی عنقلا أحنیه امام احد ، ولا اقبل یدا ولا
طرف ثوب ، فی حین ان اهل الحل والعقد جميعا یجنون الرقاب
تذللا وتزلفا ، ویقبلون الید والقدم خضوعا واستخذاء ، ولا
كرامة ولا خلاق لمن فی كنفهم من عبید وندماء وأتباع . وإذا
مارأوا رجلا حرا عزیز النفس له وازع من ضمیره ، سعوا
لل قضاء علیه ، وإلا فلماذا طعن احمد باشا یاسیدی ؟

... -

فحرق الصدر الاعظم علیه الأرم ، وبرقت عیناه ، وضغط
على مافی یده من أوراق ، إلا انه تمالك نفسه فلم یجتد . وكان
إذا احتدار تجف منه خداه ؛ ولم تمر بسمعه مثل تلك المهجة الخشنة
التي یخاطبه بها محسن چلبی حتى من زملائه ایام كان وزیرا وحاكما .
وقال فی نفسه : اهذا الرجل یجنون ؟ وان لم یكن یجنونا الیس

هذا منه قحة وسوء أدب وخروجاً على العرف والتقاليد ؟
 واشتد بريق عينه ، وتمنى لو ضرب عنقه ، وكاد يرفع صوته بنداء
 الحجاب . وسمع صوتاً من أعماق نفسه فجأة وكأما يأتي من
 مكان مجهول يقول : انت لا تصبر على ان يقال لك بعبارة
 صريحة انك وصلت الى ما وصلت اليه من رفعة وعظمة بطريق
 الرياء والمداجاة ، وان هذا المائل ليس انساناً ، واسكنه كلب
 يلحق الاقدام وسعترى ينحنى تحت الذل والصغار . ووضع
 الأوراق التي في يده جانبا ، وأدام النظر الى محسنٍ حلبي الذي
 كانت له هيئة ابطال الشاهنامه ، بما في وسط جبهته العالية من
 أثر لضربة سيف ، وخديه اللذين تجرى فيهما حمرة الدم ، وعنقه
 الغليظ الابيض ، وأنفه الكبير المعقوف ، ثم هذه العمامة
 الصغيرة . وعرف فيه الصدر الاعظم أحسن من تناط. به تلك
 المهمة ، فهو يأبى الضيم ولا يرهب الحمام . وحرك قلنسوته قليلاً .
 - سنبعمك رسولا منا الى تبريز .

- ولماذا لا تبعث أحداً من رجالك وهم كثير ؟

- أنعلم من هو الشاه اسماعيل الخيبيث . (١)

(١) هو الشاه اسماعيل الصفوي المتوفى سنة ١٥٢٤ الذي يعتبر =

— نعم اعلم

— أنحب وطنك .

— نعم احبه

فاعتدل الصدر الأعظم في جلسته وأسند ظهره .

— حسنا ، هذا الحديث لا يعرف للسفراء حقا ولا حرمة ،

== المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية في ايران . كان منه نسل الامام جعفر الصادق . فعول على ان يجعل المذهب الشيعي مذهبا رسميا لدولته ويمحو المذهب السني محوا تاما . وما علم أئمة الشيعة بذلك من عزمه حتى اشفقوا من جراته ، وفضلوا ان تبث الدعوة الشيعية في الناس رويدا رويدا ، الا انه ابى هذا الرأي وهدد بالقتل كل من عصاه . وأمر المؤذنين فقتلوا اشهد ان عليا ولي الله . وحى على خير العمل . وقد اشتد العداوة بين الايرانيين والأتراك منذ عهد السلطان بايزيد الثاني حين ثار الشيعة في آسيا الصغرى فأخذ على ايديهم وانخن القتل فيهم هو وولده سليم ، وهلك منهم عشرة آلاف انسان . كما عقد السلطان سليم الديوان وقرر ان الشاه اسماعيل يفرق كلمة المسلمين ويفسد الدين ، فاستفتى في قتاله وقاتله . وقد استحکم هذا العداوة المذهبي بين تركيا وايران دهرًا طويلا . وان هذه القصة الخيالية لتشير اليه .

والمناصفة على اشدها بيننا وبينه، وهو يريد ان ينال من سفيرنا ما لم
يستطع ان ينال منا في حومة الوغى ، وقد يحكم بالتعذيب والقتل ،
لانه لا يخاف الله ، وان كل اهانة توجه الى رسولنا انما توجه
الى دولتنا . فلزام على رجلنا ألا يخشى الموت ، ولا يدفع شره بالشر
ويرد سهمه الى عنقه ، وأنت محب لوطنك ، فهل تقبل هذه
التضحية في سبيله .

- نعم ياسيدى ولسكن بشرط واحد .

- وما هو ؟

- ما دمت اقوم بهذه المهمة على سبيل التضحية ، فلا أجر
على تضحية . ونيل الأجر على مثل هذه الخدمة الوطنية لا يخرج
عن كونه ربحا شخصيا لا أكثر ولا أقل . لا أطلب أجرا ولا
أريد منصبا ، هذا شرطى .

- ولسكن كيف ذلك يابنى ؟ لقد كان رسول الشاه
اسماعيل يلبس فاخر الثياب ويركب فاره الجياد ، ومن خلفه
الخدم والحشم ، فلا بد أن يكون رسولنا أعظم منه أهبة وأجل
موكبا ، ولا غنية لك عن بضعة آلاف من خزانة الدولة .

فسكت محسن چلبى ، ونظر إلى الامام ، ثم رفع رأسه .

- كلا ، انا لا أقبل من خزانة الدولة دانقا واحدا ،

وسأفق على ثيابي وجيادى وغلبانى من صلب مالى ، وسألبس
شيئا لم يره الشاه اسماعيل قط .

— وما هو ؟

— قباه من الحرير الهندى المزركش والمخلى باللؤلؤ والوردى .

— ومن أين لك هذا المال الوفير يابنى ؟

وكان حقيقا بالصدر الاعظم أن يعجب ، فلم يبق فى استانبول
إلا من سمع عن هذا القباه الثمين منذ شهر ، وقد أوضح له محسن
حاجبى تلك الكيفية التى يتمكن بها من شرائه .

— سأرهن ضيعتى ودارى ، واستسلف التجار عشرة آلاف

دينار ، فانفق الفين على الجياد والغلمان وابتاع القباه بالباقي
من المبلغ .

— وماذا تصنع بالقباه بعد عودتك ؟ انه مظهر من مظاهر

العظمة والترف ليس إلا . ستخسر مالك وتصبح فقيرا معدما .

— كلا ، ان التاجر الذى ابتعت منه القباه سيشتريه بسبعة

آلاف دينار بعد ستة أشهر ، وسأفك الرهن بها ، أما إذا عاجزت

عن أداء ديونى فلتكن حلائى فداء للوطن ، انهب الوطن شيئا ،

فإنه يهبنا كل شىء .

.....

وحاول الصدر الاعظم ان يستبقه لياكل معه فأنى ، ولما
خرج شيعة إلى البهو .

وفي غضون ستة أشهر كان محسن حلبي قد رهن ضيعته وداره
وبستانه وحلاتمه ، واقترض المال من التجار ، وهيا الجياد
والغلمان ، وكانرا غاية الغايات في العظمة . وترك زوجته الشابا
مع ولديه في دار أحد أقربائه بعد أن أعطاها نفقة ستة أشهر .
ثم حمل الرسالة ومضى . فطار صيته في أرجاء الاناضول ، وتحدث
الناس عن جمال قبائه وجلال موكبه حتى وصل خبره الى ديار
الشاه اسماعيل . ودخل محسن حلبي قلعة تبريز ذات يوم بفتحامة
وعظمة ، فاعجب الناس برسول استانبول ، وتحدثت المدينة
والمجالس والقصر عن القباء حديثا ذا شجون . أما الشاه اسماعيل
فلم يكن يعلم شيئا عن اللؤلؤ الوردى ، وان كان قد سمع عنه في
الأمثال والقصص . وكأنما أحس في نفسه بشيء من ذلك الرسول
الذى تدل هيئته على الثراء والترف ، فوطد عزمه على أن يستحقره
ويمتنه . وكان قد أمر الجلادين بالوقوف خلف عرشه قبل
السماح للرسول بالدخول عليه ، كما أمر برفع ما أمام عرشه من
حشايا الديباج وبسط الحرير ، وكان الوزراء على يمينته والقواد
على يسرته .

ودخل محسن حلبي من الباب العظيم ثابت الخطى مرفوع
الرأس منتفخ الصدر، واخرج الرسالة من حضنته فقبلها ووضعها
على رأسه ثم مد بها يده الى الشاه الذي كان غارقا في طيات من
الحرير ذي الألوان فسكأنه على عرشه الذهبي نسر عجيب .
وامتقع وجه الشاه لأن الرسول لم يقبل قدمه وحملت عيناه ،
وتناول الرسالة . وتلفت محسن حلبي فلم يجد شيئا يجاس عليه ،
فابتسم وقال في نفسه ، اعلمهم يريدون مني ان أقف إجلالا ،
وفكر في الرد على هذه الاهانة فخلع القباء وفرشه أمام العرش .
فذهل الحاضرون وبدت الحيرة في عيونهم ، ثم تربع على القباء
الثمين وقال بصوت جهوري .

... تلك رسالة من دولة الترك العظيمى التي لم تستعبد منذ
خلاق الله الدنيا ، وما وقف رسول الترك اجلالا امام حاكم اجنبي ،
وليس في الدنيا من يدانى الترك في حسبهم ونسبهم .

وكان محسن حلبي يصبح بتركته الجافة ، والشاه يكاد ينشق
غيظا ، فرجفت يده بتلك الرسالة التي لم يفتحها ، وشهر الجلادون
سيوفهم وعيل صبر الحاضرين فتمتم بعضهم متذمرا ، وما ان أتم
الرجل كلامه حتى قام من غير استئذان واتجه الى الباب فورا ،
اما الشاه فجمد في مجلسه كأنه حجر ، بعد ان ذاب غروره في

(جالديران) (١) تحت نظرات محسن حلبي النارية ا وبينما كان
محسن حلبي يرم بالانصراف قال الشاه لندمائه ، وقد بلغت منهم
الحيرة ما بلغت منه .

-- اعطوه قباؤه هذا

فيادر أحد القواد الى القباؤه المفروشه امام العرش ولحق

بالرسول التركي

-- خذ هذا فقد نسيته .

فوقف محسن حلبي والتفت الى الباب الذي خرج منه وقال

بصوت مرتفع يسمعه الشاه :

(١) معركة وقعت عام ١٥١٤ بين الفرس بقيادة الشاه اسماعيل
الصفوي وبين الترك بقيادة السلطان سليم الاول وقد كسفت الشمس
قبلها بيومين فاستدل المنجمون بذلك على سعد سليم ونحس اسماعيل ،
لان الشمس وهى رمز ايران ، كسفت امام الهلال وهو رمز تركيا ،
وكادت الدائرة تدور على الترك فى أول الامر لطول سفرهم وقلة
ازوادهم ، الا ان مدافعهم عصفت بالفرس عصفاء ، وجرح الشاه
اسماعيل جراحا مشدنة ، وكاد يقع فى الاسر لولا ان استنقذه احد
رجاله . وكان نصرا عظيما للترك تغنى به من يدعى خوجه اصفهانى فى
مدحتين قدمهما الى السلطان سليم . وكانت احدهما بالفارسية الدارجة
والاخرى بالجفتانية .

- كلا ، انا لانسى ، ولستكنى تركته لكم ، لأنكم لاتملاكون
شيئا فى قصركم لتجلسوا عليه رسول دولة عظمى .

وعاد محسن حلي الى بلاده خالى الوفاض ، ولما وافى مدينة
اسكندرا قال لغلمانه .

- يا بنى لقد وهبتكم هذه الجياد بما عليها من لجم وسروج ،
وطابت لاكم نفسى بهذه الثياب المزركشة والختناجر المرصعة ،
فساحونى سماحكم الله .

وتنفس الصعداء ، وقبل ان يدخل بيته ركب البحر الى قصر
الصدر الأعظم ، وهناك أوقفه على كل ماحدث .

- أريد شراء قبائك يا بنى فأين هو ؟

- لم احضره

- هل بعته فى بلاد العجم ؟

- كلا لم أبعه .

- هل سرق منك !

- كلا .

- ماذا صنعت اذن ؟ !

- لم أصنع شيئا

.....

والح الصدر الأعظم عبثا في السؤال عن القباء . فلم يكن
محسن حلبي من الحففة بحيث يفخر بما صنع . ولم يذكر عن القباء
شيئا في الغد لمن أراد ان يتناعه منه بسبعة آلاف دينار . ولم
يعلم احد شيئا عن مصير القباء في استانبول التي تحن شوقا الى
سماع خبره . أما في قصر تبريز ، فقد مسح عليه ذيل النسيان
وطمس قصته ظلمات التاريخ . واما محسن حابي الذي كان زيا
في يوم من الايام ، فقد عجز عن فكك ضيعته وما يملك من
الزهن ، وان استطاع بيع سرج نفيس تبقى له ، واشترى بشمه
بستانا صغيرا كان يزرعه ويحني ثماره وينفق على داره وعياله .
وقد شوهد وهو يبيع الحضر في سوق اسكدار الى اخريات
ايامه . وعاش فقيرا يغص بمرارة الحرمان ، غير انه كان موفور
الكرامة مرفوع الهامة ، أمينا على سر تضحيته في سبيل الوطن
هذه قصة القباء بعد ان طرحت منها بعض الجمل للايجاز ،
وتصرفت تصرفا يسيرا في ترجمة عبارات تنبوع الذوق العربي
وهي مثال رائع لفن عمر سيف الدين القصصي الذي يطاعنا منه
على اللفظ المنضد والمعنى المرصف . وقد قال شعرا ، إلا ان
منشوره يبر في الجودة موزونه ، وقد عوجل الى رحمة ربه في
السادسة والثلاثين من عمره سنة ١٩٢٠ .

وفي ذلك العهد المظلم عهد عبد الحميد ، مسمت الحاجة الى رآب
الصدع ولم الشعث واصلاح الحال التي افسدها الحكم الجائر
والسياسة العمياء الخرقاء ، فظهر اتجاه فكري وطني لاهياء
الحضارة التركية التورانية بقتلها بحثا ودرسا ، والاستعانة بها في
خلق روح جديدة وحمامة عارمة واعجاب بالمجد التليد تذكر في
الترك بأنه سليل الأكارم الذي كان عزيز الجانب في الغابر على
ضعف شأنه في الحاضر ، وتحجب اليه عزة الامس ، بقدر ماتبعض
اليه ذلة اليوم ، فيأين العبودية بعد السيادة ، ويعمل لنيل الحق
بالشورة على الظلم . واطاع الترك على ما قام به العلماء المستشرقون
من بحوث أرتخوا فيها ما كان لأسلافهم من حضارات مشرقية .
وقد ترجم نجيب عاصم كتابا فرنسيا لسكاهان بعنوان (مقدمة
لتاريخ آسيا) وهو كتاب مشهور ألف عام ١٨٦٦ وتحدث فيه
صاحبه عن الحضارات التركية القديمة في أواسط آسيا ، فكان
لهذه الترجمة أثر في نشأة الوطنية الثقافية (١) ، وان هذه النزعة
لتظهر بوضوح في شعر محمد امين بك (١٨٦٨ - ١٩٤٤) قاله
ابان تلك الحرب التي قامت بين الترك واليونان (انا تركي ، فالجنس

جنس مجيد ، والدين خير الدين ، والنفوس تلهبها نار الحمية ،
والانسان عبد للاوطان ، ولا استكاثرة لسليل الترك فلأَمْضِ لطيبي .
لا أحميد عن كتاب محمد ، ولا أمكن عدوى من دخول وطني .
لا ان يخرب بيت الله (١) فلأَمْضِ لطيبي . هذه البقاع فيها مستقر
لأجدادي ، وهذا الجانب من الأرض دارى وبلادى . ان وطنى
فى كنف ربى ، الوطن لا يجد من يذود عنه ، فلأَمْضِ لطيبي . الله
شهيد على وفائى ، فحب وطنى يملأ نفسى ، ولا شىء سواه فى عيني ،
ان ينال العدو منالا من بلادى ، فلأَمْضِ لطيبي . بالقميص
الابيض امسح عبرتى ، وبالحجر الاسود اسنن شفرتى ، ولوطنى
اطلب كل عز ورفعة ، لا بقاء للانسان فى الدنيا فلأَمْضِ لطيبي)
أما من زعم على هذه الحركة القومية الفسكرة فنيا كوك آلپ ،
وهو من أهل ديار بكر ، تلك المدينة التى حكمها العرب والفرس
زمنًا طويلا ، ثم دخلت فى حوزة الترك فى القرن السادس عشر
فكانت مركزا للحضارة التركية بين الفرس والعرب . وقد سكنتها
عناصر غير تركية ضاقت بحكم الترك ذرعا . فنارت قبائل الكرد
على الحكومة المركزية ، وأراد الأرمن ان يطر حوا نير السلطان .

(١) يريد بلاد الترك .

وفي هذه البيئة الغضبي ولد هذا الزعيم ، والمشاهد ان المبادئ
الثورية توجد في الاقاليم الواقعة على الحدود (١) وقد التحق
بالمدرسة الحربية ، الا أنه اظهر شغفا عظيما بالأدب ، وصرف
كل عنايته في مطالعة كتبه ، كما أنس منه مدرس التاريخ ميلا
خاصا الى الافكار الحرة ، أما العلوم الأخرى التي تتطلب استظهارا
واستذكارا ، فلم يكن فيها من المجيدين ، وشأنه في ذلك شأن
معظم النبغاء الذين لا تظهر ألمعتهم الا في نواح محدودة . ودرس
الفرنسية كضرورة ثقافية لا غنية لمثله عنها ، كما قرأ العربية
والفارسية ، وكان شديد الاعجاب بالغزالي في كتابه (المنقذ من
الضلال) لبعده شأوه من سلامة المنطق واتساع الافق . وكان في
ديار بكر جماعة من أهل الرأي والعقيدة ، أمرهم السلطان عبد الحميد
بمغادرة استانبول لمبادئهم الثورية ، فوصل ضيا كوك آاب اسبابه
باسبابهم وتشبه بهم ، وصادف ان قدم هذه المدينة طبيب كردي
يدعى عبد الله جودت ، وهو رجل رقيق الدين ثوري المذهب
يعتق مذاهب فلاسفة الغرب ، فقد ألف جمعية سرية كانت نواة

Uriel Hyde, Foundations of Turkish Nationalism, (١)
P21 (London 1950)

للجمعية المعروفة بجمعية الاتحاد والترقي (١) وسرعان ما تمكنت
الألفة بين ضيا كرك آلپ وعبد الله جودت ، وجمعت بينهما
وحدة الهوى ، فانخرط ضيا في تلك الجمعية السرية كإلفته صاحبه
الطبيب الى مسائل السياسة ودراسة الجماعات . وكان ضيا شاعرا
فقال شعرا في هذه الآونة أى عام ١٨٩٥ يدعو به الناس إلى
الثورة على الحكم الظالم . وقام في نفسه ان يرحل الى استانبول
ليتابع الدراسة ويتمرس بحياة السياسة فيها . إلا أن أسرته أبنت
عليه ذلك . وحاولوا إرغامه على الزواج . فأخذ الأسى واليأس
من الفتى كل مأخذ ، وأثر الموت على الحياة فاطلق الرصاص على
رأسه ، والعجب ألا يصاب في مقتل ، وداواه صديقه عبد الله

(١) هي جمعية من صفوة القوم تألفت في مدينة سلانيك ه وقد
جرت العادة باجتماع كل خمسة من أعضائها للتشاور فيما حزب من
الامور ، كما كان من حق كل عضو ان يختار خمسة من الاعضاء الجدد
ولم يكن لهذه الجمعية رئيس ولا سجلات . وكانت اصلا تفرعت عنه
جمعيات متفرقة في ارجاء تركيا . كما ضمت كثيرا من الموظفين ورجال
الجيش على الخصوص . وانعقدت الصلات بينها وبين جمعية العثمانيين
الجدد التي كانت قد تألفت من قبل في باريس وسويسرا . اما غرض
هذه الجمعية الرئيسي ، فاسقاط السلطان عبد الحميد ، والظفر بالدستور
والحكم النيابي .

جودت ، وان تعذر استخراج الرصاصه من حجمته . واستطاع
أن يرحل في النهاية مع اخيه الى استانبول . وهناك اشرق الأمل
في نفسه فواصل الدرس والتحصيل ، بيد أن نشاطه السياسي لم
يخف على جواسيس عبد الحميد فسهجن عاما ثم أبعده عن العاصمة
وارغم على البقاء في ديار بكر . وجمع حوله نخبة من الشباب ،
فلقنهم تعاليمه واصدر جريدة تسمى (دجلة) وفي سنة ١٩٠٩ دعتهم
جمعية الاتحاد والترقي إلى سلا نيك . ولما انتقلت إلى استانبول ،
انتقل ضيا معها واشتغل بتدريس الفلسفة وعلم الاجتماع بجامعة
استانبول . ولما اعلنت هدنة الحرب العالمية الأولى نفى إلى جزيرة
مالطه مع رفاقه من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي وعاد من منفاه
ثم مات في الخامس والعشرين من اكتوبر سنة ١٩٢٤ بعد أن
امتد به العمر ليشهد الغاء السلطنة والخلافة .

ولم يكن عظيم العناية بالفلسفة ، وانما كان شغفه بالسياسة
والاجتماع ، وفي رأيه ان اشتغال الترك بالتفكير النظري سابق
لاوانه ، فإن أمة تعيش في نضال حرب لا يخدم اواره ، وقد ساءت
حالتها الاقتصادية الى حد لا غاية بعده ، لا يجد ابنا وها من الفراغ
ما يتسع للاشتغال بهذا الترف العقلي الذي يعدمون فيه كل فائدة

عملية (١) وجاء في مقال له قوله (كان غرض الفلسفة أول أمس هو الجمع بين العلوم ، فكانت كالمسقط العام ، وبالأمس هامت في ما وراء الطبيعة ، واتخذت شكل علم الجمال ، أما اليوم فقد ارتدت إلى أفقها الخاص ، وبدأت تقدر القيم السياسية والاخلاقية التي توجه حياتنا الاجتماعية ، وتخلق قيما جديدة قد تسمو بالانسانية .
فالفلسفة اليوم هي علم الاخلاق العام ، ولا تسكتشف ولا تحلل وإنما وسيلتها الخلق والتقدير)

فهو ذلك المصلح الرشيد الذي حسن تقديره و اصاب نظره ، ولم يختر من الوسائل إلا التي تصل به الى غاية ينشدها ، فلا يشغله ورم الظاهر عن خواء الباطن ، وضيا كوك آلب مفكر عملي و وطني غيور يريد الخير لوطنه من أقرب طريق . وقد تحدث كثيرا عن الأمة والمجتمع ، لأنه يؤمن بالجماعات ولا يؤمن بالأفراد ، ويريد من الفرد أن يفنى في الجماعة ، فيقول في إحدى قصائده (التعدد في الاجساد ، أما القلوب ففيها الاتحاد ، الوجود للمجتمع ولا وجود للأفراد . لا إله الا الله)
فقد تكلف الشطط وهو يشبه فناء الفرد في الجماعة بفناء

الصوفي في الذات الالهية ، ومهما يكن من شيء فالمبالغة لا تفهم
إلا على أنها مبالغة وهذا ما يستملح في الشعر والأدب . والمجتمع
عنده مصدر المثل العليا والتشريع الخلقى القويم ، وان يكن الفرد
محباً لذاته ، فان المجتمع لا يسعى إلا إلى تحقيق مصلحة افراده ، وفي
قصيدة له بعنوان (وفا) يظهر الفرق بين الفرد والأمة بقوله
(نحن الأتراك ، خلية نحل مهذبة مدبرة في السلم ، ونسور كواصر
في الجبال إذا تحدرت عليها دماء المحاربين ، نحن كافر اد لانطوى
القلوب على ضغينة وان كنا لا ننسى لبلادنا ثأراً . لا كيان لنا
كأفراد ، أما كأمة فنحن نملأ سمع الزمان . نحن اهل الدعوة
والسكون في بلادنا ، وأهل البطش والتجسدة على حدودنا .
الواحد منا قانع راض ، وفيما حرص وطماح للاعلاء من شأن
الوطن . وميولنا متباينة كأفراد وأمة ، فلنا صبر واخبات ،
وبأس وعرامة ، وما اوسع البون بين حلمنا وليننا ، وبين صولتنا
وشدتنا . اما فيما يمس شرفنا فالفرد والأمة سواء ، وكلنا في العهد
أهل وفاء ، ان الوفاء مقدس والاثرة رياء)

فهذه موازنة صحيحة بين نفسية الفرد والجماعة ، اراد أن
يشير بها إلى هوان شأن الفرد وحده ، وعلو قدره إذا انضم إلى
قومه . وكأنما يشبهه بقطرة الماء منفصلة عن بحرها وذرة الغبار

منقطعة عن جملها ، ثم ينظر الى الوفاء كواجب و واجب على الفرد
والجماعة . ولا يرتضى ان يكون الدين والجنس وحدهما اساسا
للقومية ، فيقول ان وطننا ليس تركيا ولا التركستان ، وانما هو
منطقة خالدة واسعة ، انه توران . وله كتاب يسمى (توركجيلك
اساسارى) بمعنى أسس القومية التركية . وهو من قسمين نظري
وعملي ، والأول تاريخي يتحدث فيه عن الترك واقوامهم ونظمهم
الاجتماعية ومدنيتهم بوجه عام ، اما الثاني فيضع فيه منهجا لحياء
القومية التركية . ويقول ضيا كوك آلب ان العناية بالترك
والتركيات قد ظهرت في أوربا قبل ظهورها في تركيا . ولذلك
مرحلتان متتاليتان : ففي المرحلة الأولى اعجب الاوربيون بالفنون
التركية الجميلة ، فزينوا متاحفهم وقصورهم بالطنافس التركية
والمنسوجات المزركشة ، وما تأنقت فيه يد المهارة من رسوم
ونقوش وأوان جميلة ، وتنافس المتنافسون في اقتناء هذه النفائس
التركية وبذلوا المال الجزيل في شرائها ، كما رسم الرسامون
الاوربيون صوراً للترك والحياة التركية ، وذكر الكتاب والشعراء
بلاد الترك وأهلها في شعرهم ونثرهم ، وهذا ما يعرف عند الفرنسيين
بـ Turquerie اما في المرحلة الثانية فتوفر علماء الغرب على دراسة
تاريخ الترك ومدنيتهم في شتى نواحيها ، فاخرجوا للناس كتباً يثبتون

فيها بما لا يقبل الشك ان للترك سابقة في المجد ومشاركة في كل
 مظاهر الحضارة (١) وهذا ما يسمى Turcologie . وكان رأيه
 تحليل اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية ، فأورد في
 شعره ونثره الفاظا تركية اصيلة قليلة الدوران في الشعر التركي ،
 ولم يفتن بذلك بل جاء بكلمات غريبة انتقاها من لهجات تركية
 في قلب آسيا ، ولا غرو فقد كان الرجل نفورا بتركيته التورانية
 لا العثمانية ؛ وبما لا ريب فيه ان التعصب لمبدأ معين يسوق حتما
 الى التعصب على المبادئ الاخرى . وله قصيدة تسمى وطن
 يقول فيها (بلد ، يؤذن المؤذن بالتركية في مسجده ، ويفقه القروي
 ما يقول في صلاته . بلد ، في مدرسته يرتل القرآن بلغة الترك
 ليعلم الكبير والصغير ما احل الله وما حرم . هو ذا وطنك يا فتى
 الترك . بلد ، لا مطعم فيه لبلد آخر ، تؤلف بين اهله وحملة
 الفكر واللغة والعادة . وعند حدوده يهب ابنائه الروح عن
 طيب نفس . هو ذا وطنك يا فتى الترك ، بلد ، تنفق أمواله في
 أسواقه ، ولا يوجه الحركة العلمية والفنية الا الترك ، وكل حرفة
 تحمي الاخرى ، وللترك المصانع والبواخر والقطر . هو ذا وطنك
 يا فتى الترك)

(١) ضيا كوك آلب، توركجيلك اساسلى، ص ٥ (أقره ١٣٣٩)

هكذا يريد ضيا كوك آلپ احياء القومية التركية والاعلاء
من شأن وطنه ، وهو كباحث اجتماعي لا يركن دائما إلى ذلك
المنهج الاستقرائي الذي يعتبر الوسيلة الصحيحة او حيدة لبحث
المسائل الاجتماعية ، كما يبني الرأى على الاستنتاج والاستدلال
من غير نظر إلى الحقائق التاريخية والإقتصادية والاحصائية ،
وبذلك يختلف اختلافا واضحا عن الاوربيين من علماء الاجتماع ،
فجره هذا فى الاجايين إلى مجرد اللعب بالألفا . وله ولوع
بذكر المصطلحات المتقابلة ، يحل بها معضلات المجتمع . وفى وهمه
ان اراد صيغة من الصيغ كاف لكشف الغامض وشرح وجهة
النظر ، وما يلوح عليه انه يطرح النظرية ثم يلتمس البراهين
لدعمها ، وفى النهاية نراه يجهل كثيرا من الحقائق التى تعتبر حجة
عليه لاله ، ويضطر إلى مسخ حقائق غيرها لتأييد ما يذهب اليه .
اما تفكيره النظرى المطلق فكان موضع تجريح رفاقه . (١)

واعرف له بمجموعتين من الشعر تسمى الاولى (بيكى حيات)
بمعنى الحياة الجديدة والاخرى (قزل الما) اى التفاحة الحمراء .
وقد ضمن المجموعة الاولى شعره الذى نظمه لاصلاح المجتمع ،

Uriel Hyde, Foundations of Turkish Nationalism, (١)
P 156.

وهو آراء وخواطر نعدم فيها الخيال والوجدان والجمال الأدبي،
وأي فن في شعر عن الدولة والأسرة والدين والعلم والقوم والمدنية.
فهذه المعاني انتاج عقل لا فيض خاطر ، وصاحبها شاعر بالوزن
والقافية لا بالروح والعاطفة . وله منظومة مشهورة في (قزل الما)
يقول المستشرق الايطالي روسي انها تعبير غنائى لذلك الميل الذي
سيطر على الوطنية التركية من عام ١٩١٢ الى عام ١٩١٨ (١).

وقد صادفت آراء ضيا كوك آلب وتعاليمه هوى في نفوس
بعض المثقفين فاخرجوا مجلة (كادرو) أى الاطار ، وتبارت
الأقلام واعلنت الآراء في الاصلاح الاجتماعى والاحياء القومى.
وشطوا كثيرا ، فزعموا ان اعرق مدنات العالم في القدم هى
المدنية التركية ، وان الترك اول جنس بشرى ظهر على وجه
الأرض ، وما يجرى هذا المجرى من مبالغات يعوزها الدليل
ولا نصح في الافهام .

...

والى جانب هذه النزعة القومية المتطرفة ظهرت نزعة اسلامية
رشيدة أمل اصحابها اصلاح الحال بالرجوع الى تعاليم الاسلام

Rossi, La Nuova Turchia, P129

(١)

والتمسك بعروته الوثقى ، ففي القرآن نور يهدي في الظلمات
وصلاح الدين والدنيا ، ولن تقوم قائمة للمسلمين عامة ولا للترك
خاصة ، الا اذا أقاموا الدين ووقفوا عند الحدود ، وما يذكر
ان انصار هذا الرأى لا يميلون الى القومية التركية لان الاسلام
لا يفضل جنسا على جنس فالعرب والعجم سواء في ظل منارته
السامقة ، وهم يريدون وحدة اسلامية تجمع شمل المسلمين وتوآف
بين قلوبهم ولا يحملون بالتورانية ولا العثمانية كغيرهم ، وفي ذلك
يقول شاعرهم محمدا كف بك مخاطبا الالبانيين (اى قومية كانت
للاسلام ؟ القومية ما القومية ! لو التفقتم حول دينكم بقوة
واعتصمتم به . البانيا ما هي ، الها محل في الشريعة السمحاء ؟ ان دفع
قومكم الى الأمام لن يعد الا كفرا . اى فضل لعربي على تركي
أو اللاز (١) على شركسى ، و اى فرق بين كردى وعجمى وصينى ؟
هل كان للمناصر وجود في بلاد الاسلام ، انى يكون هذا ! ان
النبي يلعن فسكرة القومية)

وفي رأى محمد عا كف ان للمسلم عالمه الخاص به ، وكل ما فى

(١) لاز اسم قبيلة من اصل جورجى تسكن اقليميا فى الركن
الجنوبى الشرقى من البحر الاسود ، والمراد هنا الفرد من هذه القبيلة .

الخارج غريب عن تقاليده وروحه معادله . ثم يقر بأن كل العلوم والفنون من هذا العالم المتحضر ، الا ان الذاهبين اليه لا يعودون الى وطنهم بهذا الخير ، بل بكل الشرور ، ثم يقول ان الاخذ بالمدينة الاوربية هو السبب في هذا الانحلال الخلقى والشقاق العائلي والتقليد الأعمى للغربيين ، فلا خلاص من هذا الشر المستطير الا باحترام التقاليد وتقويم الخلق واصلاح المؤسسات الدينية على الخصوص . فشخصية محمد عاكف شخصية ادبية اسلامية لها ما يميزها ، ومن ثم وجب ان نخصها بما تستحقه من دراسة . ولد في استانبول سنة ١٨٧٣ لأب يشتغل بالتدريس في جامع الفاتح ، فأدبه ابوه ولقنه العربية وعلوم الشرع ، ونشأ الفتى نشأة دينية قوية وعمر قلبه بالتقوى منذ نعومة اظفاره . ومات عنه ابوه وهو في الخامسة عشرة من عمره ، فدخل المدرسة الاعدادية ، وتوضح فيه أثر أبيه لأنه توفر على دراسة العربية والفارسية وظل وفيما سلك تلك التعاليم الدينية التي احيط بها علما في حداته سنه ، ثم انتقل الى المدرسة العالية ليدرس البيطرة ، فنضج تفكيره ورق شعوره واظهر الولوج بالأدب والشعر ، وجرى على مألوف الشعراء في اول عهدهم بنظم القريض فتطلع الى شاعر يحتذيه مثالا ، وكان هذا الشاعر معلم ناجي . ومن قول

محمد عاكف في صباه (يابلبل العرفان ، يافتيق اللسان ، لك أنغام
تخير الوجدان . ان هذا الغناء صفوة النفس ، فهو محرم في حريم
الروح . إن العوالم كلها تحت قدمي ، ويصل الى اللاهوت خيالي .
والآباد تضيق عن أشواقى ، ففكرى يفسح فى الفضاء)

فهذا شعور صوفي من ذلك النمط القديم الذى أجاد فيه معلم
ناجى ، وقد تلمذنا عاكف لناجى فى المدرسة ، الا انه لم يقلده فى
شعره الحديث الطراز ، واسكنه قلده فى غزلياته ، ولما درس بجامعة
استانبول ، كان أول درس له (توحيد) لمعلم ناجى ، فأمله على
الطالبة ، واستغرق شرحه لهم كل الوقت المحدد للدرس ، وهذا
دليل على اعجاباه بمعلم ناجى ^(١) ثم درس الفرنسية وأخذ بطرف
من آدابها . وملك عليه الأدب الفارسى نفسه فترجم كثيرا من
الشعر الفارسى ونشره فى مجلة (ثروت فنون) وكان سعيدى
الشيرازى أحب شعراء الفرس اليه ، فقبس من معانيه ، ونظم
القصيدة الطويلة أحيانا وهى تفسير بيت لسعدى .

ومحمد عاكف متأثر فى شعر الرثاء بعبد الحق حامد ، فهو
يقول فى مرثية له (أيها النور الذى مضى ليالحق بأصله ، انت من

Fevziye Tansel, Mehmed Akif, Hayati ve Eserleri, (١)
Ş 10 (İstanbul 1945)

يتمثل لي بكل سبيل وان غاب تحت أمطار الظلال ، فلا يفتقد
عنى طرفة عين . يامن يعمر قلبي بذكره ، ان بيننا عالما غير هذا
العالم ، انت تنعم فى سمائك ، وانا المعذب فى أرضى . كل نعمة
شكوى ونواح فى مسامعى . فانفاس هذا الناي الصدوح شكوى
ونواح ، وخرير ذاك الغدير شكوى ونواح ، وزفيف الرياح
شكوى ونواح ، وزفرات ذكراك شكوى ونواح ، وابت
تملا السموات بالبسمات) فهذا الرثاء شديد الشبه برثاء عبدالحق
حامد لزوجته فاطمه خانم فى (مقبر) ، وقد أحسن عاكف فهم
شعر حامد وتدوقه حتى استطاع أن ينقده نقد الخبير البصير ،
ولولا ذلك لما تشرب فى روحه ولا تأثر به .

وإذا تجاوزناه فى عهد التسكوتين ، ونظرنا إليه فى عهد الكمال
وجدنا الترك يسمونه شاعر الاسلام ، فهو من هؤلاء الذين
دعوا إلى الوحدة الاسلامية ، ومريد للشيخين محمد عبده
وجمال الدين الأفغانى ، وقد ترجم إلى التركية تلك الرسالة التى
رد بها ردا منيفا على هانوتو ذلك الوزير الفرنسى الذى انتقد
الدين الخفيف^(١) كما ترجم عن الأستاذ الامام تفسير سورة

(١) فى عام ١٩٠٠ نشر المسمى هانوتو وزير الخارجية الفرنسية =

العصر . وما يدل دلالة قاطعة على نظره الى الشعوب الاسلامية
كوحدة لا انفصال بين عناصرها ، تتبعه الأحداث التي تقع في
كل قطر اسلامي ، وشعوره بوقعها على حسه الأدبي ، ففي الجزء
الأول من ديوان (صفحات) قصيدة من براعات محمد عاكف
يتحدث فيها عن مظفر الدين شاه فيقول (لا يغرنك ما تسمع من
أصوات تنادى بك مظفرا ، انها جميعا أصوات الخوثة . واهلم
علم اليقين انها زفرات تصعد لها قلوب المظلومين . سيأتى ذلك اليوم
الذي تلقى بك فيه لعنة الاله من عليائك . لك قصر منيف من
ظلم تحسبه محكما منيعا . الا فاعلم ان القصور ان تسكون موثلا

== مقالا في جورنال دوبارى بعنوان (مواجهة الاسلام والمسألة
الاسلامية) وقد ترجم هذا المقال وظهر في المؤيد ، أما الغرض
الذي كان يسعى اليه هانوتو ، فتعريف الحكومة الفرنسية والشعب
الفرنسي ، تلك الفروق التي تميز المسلمين من غيرهم في المستعمرات
الفرنسية ، ودعوتها الى تحديد موقفها من رعايا المسلمين . ووازن
هانوتو بين الأديان والحضارات ، وعرض لفكرة الألوهية في الاسلام
والمسيحية ثم ادعى ان الاسلام يدعو أهله الى التوكل والتوكل ،
ففند الامام محمد عبده آراءه . والكلام في ذلك يطول فراجع :

Charles Adams, Islam and Modernism in Egypt, 186
(London 1933)

لمن عدم الأمان ، وان ابوانك هذا الذي خرب البلاد سوف
يهوى من سمائه ، وتسويه بالتراب هدماً قدرة القادر وهيبته .
كيف لا يخرب ذلك الذي جعل من ايران مقبرة انعم لقد جمعت
من ايران مقبرة ، ومزقت ثوب الآمال فكان اكفانا (١)
وهو إذا تحدث عن الشرق ، لا يتغنى بمجده الغابر بقدر
ما بأسف ويتلف على حاله في الحاضر ، وهذا منه صدق واخلاص
ورغبة اكيدة في الاصلاح الذي لا يتأتى القيام به على الوجه
الأكمل قبل معرفة كل ناحية تمس الحاجة الى ريم رثها وسد ثغرها
فشاعرنا يذكر الحقائق عارية ما ان يواربها ، ويصارع القوم

(١) هو مظفر الدين شاه للقاجارى المتوفى سنة ١٩٠٧ ، كان ظلوماً
متلاعفاً فاستسلف من الروس ما لا جزى بلا منحهم حق السيطرة على جمارك
الدولة ، حتى يتوفوا من ايران ما لهم عليها ، فساء ذلك الشعب الايراني
الذي أعلن العصيان ورفع لواء الثورة بعد ان ضاقت في وجهه سبل
العيش لاحتكار شركة انجليزية انتاج التبغ الايراني وتجارته ، وأراد
مظفر الدين شاه ان يطيب خاطر الساخطين ، فأصدر بيانا يهدم فيه
بمزل رئيس الجمارك البلجيكي فرضوا عن ذلك بعض الرضى ، ثم عادوا
الى الثورة مطالبين بالدستور والحكم النيابي وما زالوا بمظفر الدين شاه
حتى ظفروا منه بطلبتهم .

بالحق وان كرهه اهل الرياء والنفاق ، ويقول في قصيدة طويلة
تسمى الشرق (يقولون قد طوفت في الشرق شرقا وغربا فماذا
رأيت ؟ رأيت بلادا عمها الخراب ، وأسرا تفرقت أيدي سبا ،
والناس فوضى لاسراة لهم . رأيت الجصور وقد تهممت والقنوات
وقد انسدت والطرق وقد اقفرت . وتلك الوجوه المتجمدة ،
والجباه التي جففها السكسل ، والأذرع التي لاتعرف العمل . رأيت
الظهور المنحنية والرقاب النحيلة ، وذماء لاتغلي حماسة . وشاهدت
الرأس الذي لا يفكر والقلب الذي لا يحس والوجدان الصدى .
وعرفت الجور والاسر والتسلط والتحكم والرياء والتذلل
والنقااص والمقايص . المسواقد باردة ضربت عليها العنكبوت
نسيجها ، اما النار فتحرق الاشجار ، الأئمة لا يؤتم بهم ، الوجوه
كالحة متسخة والرموس لاتسجد . والاخ يقتل اخاه في الدين
باسم الغزو . لاعمل في النهار ، ولا غدا ليلساء ان مضميت مضميت
وانا ابكي ، وان تلبثت تلبثت وانا ابكي . وما وجدت في الارض
رجلا يضحك ، ولا نورا في السماء يبسم . وللمتألمين عويل يأتي
من الأعماق . والآفاق طوق احمر في عنق الاسلام المنحني ا)
فهو المسلم المحب لآخوته في الدين والباكي بعين غزيرة على
سوء حالهم وهوان شأن بلادهم ، والسكثير من شعره شرح لآية

كريمة أو حديث شريف يتخذ منها عنوانا لقصائده ، فهدى
المسلمين بعد ان يهتدى بنور الاسلام . وكانت مصر من تلك
البلاد الاسلامية التي جعلها موضعا لعنايته فقد زارها في أواخر
سنة ١٩١٢ ومكث بها شهرين وجعل يشتمو بها من عام ١٩٢٢
الى عام ١٩٢٥ ، ثم اتخذها مستقرا له ولم يعد الى استانبول الا
سنة ١٩٢٦ وهي السنة التي كانت وفاته فيها . كما طبع بمصر الجزء
السابع من ديوانه (صفحات) وشغل نفسه طوال هذه الأعوام
بتدريس الفارسية والتركية بجامعة فؤاد الأول في القاهرة . وقد
وصل أسبابه بأسباب الامير عباس حلیم باشا فانصلت بينهما
او اصر المودة ، ووجد الشاعر من الامير تكريمة وتقديرا . اما
الباعث له على الرحيل الى مصر فضيق بالمقام في تركيا ويأس
خيم على نفسه فأراد ان يسبح في الارض ملتسما تفرجا لهمه ،
كما وجد في السياحة جهادا يذكره بقوله تعالى (والذين جاهدوا
لنهديهم سبلانا) وقد اشار الى ذلك في رسالة له فقال (كلا ،
اليأس حس مشتموم انكد ، فلنباعد بينه وبين قلب عامر بالايمان ،
واذ ماخذل التوفيق انسانا ومات في سبيل امل يحققه فإن موته
حياة اخرى . قيل لئمة تسمى ، الى اين ؟ قالت الى الحج ، قيل
كيف تخرجين الى الحج على ضعف سوفك ؟ فقالت ان حال

ضعفى بنى وبين بلوغ بيت الله ، فليكن فى السبيل اليه موتى)
وكره محمد عاكف ان يقيم فى القاهرة ، وذكر سبب ذلك فى
رسالة له بتاريخ ، مارس سنة ١٩٢٦ فقال هبط مصر يونان
ويهود وأرمن وطلبيان وروس ، وبهم جميعا من جهد الفاقة، مالا
يخفى ، ثم اصبحوا اليوم من اهل الثراء والحول والطول . امامن
جاء مصر من بلادنا فإن بعضهم على حال نعوذ بالله منها وانى
لأحسب ان اعتكافى بمدينة حلوان يعينى على تحقيق رغبتى فى
عدم رؤيتهم حتى لا تذهب نفسى حسرات ا) (١)

وفى الجزء الخامس من ديوانه قصيدة اهداها الى الامير
عباس حليم باشا وسماها (فى الافصر) ومن قوله (النسيم راكد
وشدة القىظ لا تكاد تحتمل ، اما الشمس فى الطفل ، وقد احدثت
انحدارا وتيدا من ربوة كثيرة شجراتها هوذا الوادى المنخفض
يحتضن النيل ، وموجاته الزمردية تمتد امام ناظرى الى مالا نهاية ،
وهى تقور وتمور كأنها سراب الحياة . فما هذا القدر القارع البض
وامتداده المديد الذى تعانقه الشمس من سمانها بعد ان عبرته
من شرق الى غرب . وكان على يسرتى نخلة وحيدة أويت الى

Fayziye Tansel, Mehmed Akif, Hayati ve Eserleri, S124 (١)

ظلالها المتفرقة المتخرقة . ما أجمل أن يمتد البصر من هذا
المكان الى الفضاء ، وقد ارتفعت الدور على الشطين كالآجنحة .
وإذا تأملت صدره البديع ، حلق الخيال بك كل محلق في عالم غير
هذا العالم ويسم الوادى القديم وتبسم أمواهه ورغبتها ان تثب
منه وتخرج عنه)

هكذا يصف محمد عاكف جمال الاصيل والنيل ليخلص منه
الى ذكر ماتعمر به الاقصر من خرائب ، فيناجيا ويناجى مصر
واهلها فيها (تلك الهياكل التي ملأت منها العين صبوحا وجست
خلالها ، هي حرص ضعيف عنيف لهذا الانسان على ان يكون
من الخالدين ! لقد اراد ان يرفع له في الفضاء ظلا ضميلا ، فالتخذ
من كل صخرة حجر قبر لآلف حياة ! اما هذه الاصنام ، فقد
اقام منها اشباحا مخيفة اولئك الذين كانت الارض تسجد عند
اقدامهم ، والعروش تهتز لتعبيس في وجوههم . غير ان الزمان
مد يد الكبرياء الى هؤلاء الطغاة البغاة ، فلم يبق منهم الا أنف
مجدوع او ساعد مكسور . وامتلا الرحب بأشلاء من انقاض
لتكون عبرة لمعتبر ، فما على الوجوه مهابة ولا في الجباه غرور ،
ومحا البلى كل اثر للملاح والسماة)

فبما كف بك لا يكتفى بجعل شعره صورة لما تشاهد عينه ،

واكثه يذكر الفناء والبقاء ويعجب لغرور هذا الانسان الذي
يعتو ويستكبر ويحلم بالخلود ، فيدركه الموت ويجدع منه ذلك
الانف الذي طالما شتمخ به . وان هذا التفكير ليذكرنا على الفور
بنزعة الدينية التأملية ، فهو انما يرى الظالمين في غمرات الموت
وينظر كيف كان عاقبتهم ، ثم ترق لجبال النيل والأصيل
شاعريته فيقول (والآن اوشكت الشمس ان تنطفئ ، فارتعشت
منها الاشعة في الافق ، وركز وميضها الاخير في ماء النيل عمودا
نورا نيا حاجت له الامواج وماجت . ثم اتخذت من الجبل ستارا
لها يحجبها ، ومضت لتجتلي حسنما على آفاق اخر . وسكب المغرب
روحه المعذبة وهو حزين حزين ، وهبط الغسق على الارض
رويدا رويدا ، وتربد وجه النيل فهو مصفر ، اما عمود النور
فهو داكن محمر)

اما اخريات اعوامه في مصر فكانت اعوام ياس وامي ،
فقد رأى الفجيعة في حاميته وصديقه الاعز الاكرم الامير عباس
حليم باشا ، وجزع عليه جزعا شديدا ونكد عيشه بعده ، وتحدث
عن همه وبلواه في كتاب له الى كريمة الامير فقال انه سم تكاليف
الحياة واختار الاعتزال عن شئها بعد ان نقض يده من كل

خير فيها (١) وعاج يوما بدار الامير ليقف وقفة ويسكب دمة
على ايام غر وليال بيض وبشاشات من العيش فقال في شعر
جميل حزين (انت قصر (كاشن) نعم) ولسكن القلوب كسيرة
موجعة . لقد وقفت لماض لي فيك احبي ذكراه ، لا لفرحة ولا
نشوة . ايت شعري فإنتى لست ادري ، انى عتمة صدرك بقية
من نور الحبيب ا)

وعاد الى استانبول عام ١٩٣٦ وفيها ثقلت عليه العلة ونزلت
به صرعة الموت . فتقدمت جنازته حشود من علية القوم وطلبة
الجامعة الذين وقفوا على قبره وانشدوا (نشيد الاستقلال) وهو
من اروع منظوماته ، فكانت احسن تحية اسمعت روحه في
عليين . وهذان هما البيتان الاولان منه (افرخ روعك ، ان هذا
العلم الاحمر السابح في الشفق لن ينطفىء حتى ينطفىء آخر موقد
في وطني ، انه نجم امي وسيتألق ، انه لي ، انه لأمي ليس إلا)
اما المعاني التي تقلب فيها شعره ، فيمكن تقسيمها الى قسمين ،
ماقال قبل عام ١٩٠٨ وماقال بعده . ففي اول مرة قال في الغزل
والحكمة وتناول الموضوعات الدينية ، ثم وجه اهتمامه الى
الاجتماعيات وعرضها في سياق قصصي . واستمد هذه القصص

(١) Fevziye Tansel, Mehmed Akif, Hayati ve Eserleri, S142

مما وقع له في حياته ، ومن التاريخ الاسلامي ، فقويت حجته واحسن ضرب المثل . وهو مشرق الديباجة رصين العبارة وله ولوع بايراد التراكيب الفارسية والعربية . وقال عن نفسه انه شاعر واقعي موضوعي ، لا وجود في شعره لذلك الخيال العالي ، فاذا رأى حجرا سماه حجرا ، ولم يقل انه حجر سماوي ، واذا رأى خشبا سماه خشبا ولم يقل انه عرش (١) وهو لا يغير الاشياء بالخيال لينقلها الى ما وراء الطبيعة ، ولا يكتنه بصورها كما يشاهدها ، وهذا هو موضع الاعجاب من شعره ، ان كان في شعره موضع للاعجاب (٢)

* * *

اما آخر شخصية في هذه المدرسة الادبية الحديثة ، حسين سيرت بك . وهو شاعر لطيف التخيل سهل الشريعة مفتن بالطبيعة يتغنى بمحاسنها ، ولا يستطيع نزوعا عن ذكرها في شعره لأنها عنده مصدر الهام ، وتقول الأنسة فروزان ايشمان انه من اشد شعراء ثروت فنون تعلقا بالخيال ، وكانما قدم هذه الدنيا

(١) يريد الاشارة الى ذلك التشابه بين (نخفه) و (تخت) في اللفظ مع الاختلاف في المعنى .

Fevziye Tansel, Mehmed Akif, Hayati ve Eserleri, S194 (٢)

ولد حسين سيرت سنة ١٨٧٢ وكان يسمى حمد الله في اول الامر إلا ان توفيق فسكرت كره هذا الاسم الذي يذكر بأسماء المشايخ واقترح ان يسمى حسين سيرت . كان يقرأ ناصح كمال في صباه بعيداً عن عين الرقباء وتتلذذ لرجائي زاده محمود اكرم بك فرق قلبه للشعر وعالج النظم وهو في حدود الثالثة عشرة من عمره ، كما شغل نفسه بمائل السياسة بدافع من شاعريته ، ودرس الفرنسية ، فتهياً له ان يجد عملاً في وزارة الخارجية عام ١٨٩٥ . وكان اشتغاله بالسياسة وبالاعليه ، فقد نفي وهو في ريق شبابه وهرب الى مصر واوربا ، ومرت عليه الاعوام بعد الاعوام وهو نازح الدار وفي نفسه حرسوق الى الاهل والوطن . فصقل الالم وجدانه وظهر في شعره ظهور الوجوه الحزين في المرأة الصافية ، ومن قوله (مضت الشهور ، لابل تصرمت الاعوام ، وقد احلوسكت آفاقي ، واصفرت اوراق الامل في شجرته

Fürüzan Isman, Hüseyin Siret, Hayati, Eserleri (١)
ve Sahsiyeti, S6 (Ankara 1950)

وقد تفضل سيرت بك فأعارني هذه الرسالة غير المطبوعة لاعتمده
عليها في الكتابة عنه ، فله مني الشكر والدعاء .

بقلبي . ولنور القمر يجيء في بعض الليالي للسؤال عني ، والوحدة
بالقرب مني تنتظرنى وحيدا منفردا . يا لها ليلة خائنة ترشق قلبي
بخنجرها الاسود)

وهو الذى يقول فى الفراق (لقد انفصل اليوم طريقانا ،
فسيمضى كل منا فى طريق على حدة . لا بد ان نرحل كهذه
الشمس . هبط الظلام ووقب الليل ، فما الذى اذبل وجهك وكان
كزهرة فى ضياء القمر ! وكان الوداع يبكي فى صوتك الرقيق ،
وكأني بريح الخريف ترف فى انفاسك . وفى المساء انحدرنا الى
سحيق الاعماق وبرح الخفاء ، وتقرر ان تعيش من غيرى . فاذا
ما بقى جنبنا يتمايكابد الحشرات ، وانفصل روحانا المتصلان ،
ورأيت تابوتى محمولا على اكتاف واهية فان تجد خلفه دمة ولا زهرة
ولن تسمع صوتا حزيننا عند قبرى . ما أشبه حياتى بظل غمامة باكية !
إن الليالى تنن كالنأى فى رأس سرورة . ولا بد من فاتحة تسكتب على حجر
قبرى البالى . وهذا القمر الذى احبه يسكب عليه قطرة من نور .
لقد مضت الليالى الخاوية بأكدارها وحسراتها . وقدمت الى كأس
من لخب ، فاحترقت ، ومازلت احترق فى كل ليلة بنار الهجران !)
فهذا شعر له قاله عام ١٩٤٢ وهو فى السبعين من عمره ،
وذكر به ماضيه وما عصفت بقلبه من لوعة الفراق . ثم نظر

نظرة الوداع الى دنيا صحبها طويلا حتى مل صحبتها وبكى على
عمر له ضاع فيها. وان سيرت بك لشبيهه بتوفيق فكرت بك ، فكلاهما
عابس يانس ملتاع ، إلا ان سيرت بك يوازن بينه وبين توفيق
فكرت بقوله ان بعض الادباء يذهبون الى انه مقلد لفكرت
او متأثر به ، وهذا خطأ صراح ، فان فكرت شاعر موضوعي ،
اما هو فشاعر ذاتي يترنم بخواج نفسه . وفكرت يصور العالم
الخارجي الذي يقع تحت حبه أجمل تصوير وأدقه ، فهو
فنان لا يضرب له في الأدب التركي ، كما انه رسام ماهر أجال
ريشته في لوحات بديعة ، وأشعاره مما يعرف عند الأوربيين
بالروائع الصغيرة ، ويقر سيرت بأنه جهد أن يصل إلى هذه
الدرجة من الكمال إلا انه لم يصل ، ثم يقول ان وجه الشبه
الوحيد بينه وبين فكرت أنه كاد يبلغ مبالغه في بعض
أشعاره (١)

وكان حسين سيرت معجبا بمعظم شعراء الفرنسيين ، أما
أحب شعراء الترك اليه فنضولى البغدادي ، وقال انه حاول ان
يدخل على شعره رنة للأسى أعجب بها في شعر فضولى ، ولا يدري

Fürzan Isman, Hüseyin Siret, Hayati, Eserleri (1)
Ve Sahsiyeti, S31

الى اى حد كان توفيقه فى ذلك ، الا انه يقطع بأن رجائى زاده
أكرم قد أحسن فى ذلك كل الاحسان فأكسب شعره روعة
وجمالا ، وبلغ من حبه لفضولى ان يقول فى شعر له مزهوا
بنفسه : انا سلطان الألم كفضولى . ويقول احمد هاشم (١) عن
سيرت بك انه شاعر قوى الشعاعية ، غير ان الضعف باد على
تلك اللغة التى ينظم بها ، فهو عجمى اللسان ، ونثره أفضل من
شعره ، لأنه يمتاز فيه بقدرته على تحكيم المنطق والانيان بأفكار
جديدة لا عهد للناس بها . أما قول احمد هاشم ان حسين سيرت
عجمى اللسان فالغرض منه انه يستعمل الكثير من الألفاظ
والتراكيب الفارسية . والحق انه يشبه فى ذلك غيره من شعراء

(١) شاعر مقل رقيق ولد سنة ١٨٨٥ وقضى سنة ١٩٣٣ . كان
قوى الشعاعية على نقص فى الاداة ، فلقد وقع فى اخطاء العروض
ولم يسل شعره من ضعف فى بعض المواضع ، غير انه مع ذلك فان
موهوب ، يستقى من نبع الهامة فيأت بالرقيق الانيق وشعره فى
مجموعتين الاولى « كول ساعتلى » اى ساعات البحيرة ، والاخرى
« بياله » بمعنى الكأس . ونثره خير من شعره لسلامته وسلامته . راجع
Serif Hulusi, Ahmet Hasim, Hayati ve Secme Siirleri
(Istanbul 1947)

مدرسته الأدبية كتوفيق فكبرت مثلا . ومهما يكن من شيء
فإن إيراد الألفاظ الفارسية والكثيرة في الشعر التركي مما تتأذى
به نفوس هؤلاء المجددين الذين يريدون شعرا قوميا في لغة
بومية لا أثر بها لألفاظ أجنبية .

ويقول محمود كمال إينال إن كل شيء يفقد جماله على مر الأيام
بحكم الطبيعة ، ثم يعجب لشعر سيرت في شيخوخته لأنه ظل
محتفظا بأشراق الديباجة ورقة الحس ، وازداد حسنا على حسن .
وتابعته على ذلك فروزان ايشمان ^(١) وهذا حسبنا غير جائز ،
فلا دليل على أن الشعراء في شبابهم أشعر منهم في شيخوختهم ،
وإذا ذكرنا أن الشباب أشد ميلا من الشيخ إلى شعر الغزل ، فليس
من الحتم أن يكون المنغزل أرق قلبا ولا أجمل شعرا من المتأمل
أو الحالم أو الباكي على لياليه المواضى .

ومن شعر سيرت بك في الطبيعة قوله (القمر بين السحاب
المنفتق يهيم في الأحلام والأوهام ، والديباج المزركش يستر
البحر ههنا وههنا . وقد اعتلت النسائم ، ونامت الأرض
والسماه ومرواح الطبيعة في كل جانب ، وبدت النجوم في وجه
الآفاق الحالم كاهها دموع حسرة تذررها العين قطرة قطرة . أنها

Mahmud Kemal Inal, Son Asir Türk Sairleri, S1726(١)

تتالق تحت نقاب رقيق ، وتنفر من النظر اليها فتختفي عن العيون .
وصفحة الماء اللامعة المجلوة ، تسكن نائمها ولا يبدو شرع
عليها . ولا يسمع لليل زمزمة ولا همهمة !

فهذا المثال من الشعر يدل على ان الاسبى يملاً نفسه ويتجاوزها
الى ما تشاهد عيناه ، فهو يرى في النجوم قطرات دمع على حين
رآها غيره من الشعراء خفقات قلب عاشق أو ومضات أمل
ضاحك في ليل يأس حالك . ومن غزل قاله في مارس سنة ١٩٣٧
(لم استوف تلك الآلام التي قدر لي ان اكبدها حتى ولا في الغربية !
لا تحسبن هذه النار منطفئة حتى ولا في آخر الدهر . إن نشوة
حسنك لتضحك في شتى ألوان الأزاهير ، وفيضك يتجلى حتى في
فيض الطبيعة . انى عاشق لحسن ازلى ، وانا محترق بناره حتى في
الجنة . ان فاتنى مشاهدة وجهه . لقد سحرتنى ليالى الهم والغم
والهجران ، فأنا أنشده حتى في ليلة الوصال . لو رأيت طيفا في
المنام ، ما صحوت حتى قيام الساعة ، وزهدت من أجله حتى
في النعيم المقيم !)

وسيرت بك ينحو في هذا الغزل نحو القداماء ، ويمزج الحقيقة
بالخيال ، مستمدا من تعبير الصوفية قداسة وروحانية .

ومن بدائعه قوله في البلبل (السكون ساكن في كل رجا

من الارحاء ، وغابة خضراء انا فيها ذلك الضيف المستوحش
الوحيد . هذا الصمت الملىء بالانعام يشبه الطائر النائم ، وفي
مطرح بصرى بحيرة من الاحلام . اى ماتم لحبيب يلقى ظل
الاسى على هذا المرج البهيج . للربيع نفحات تحملها النسيمات ،
فتعطر خيالى المسام الخالم . وبينما كنت اتفكر وانا حزين بين
الاشجار ، إذ سمعت نواحا للبلبل ينسكب فى روحى ، وكأ أنه توجع
الوداع فى ليلة الأحزان . وقد اخذت القشعريرة جسم الطبيعه
فى تلك اللحظة . واخذ الهلال يفتح كوة الافق رويدا رويدا ،
ثم اطل ينظر من بين الاشجار وهو يهيم فى الخيال)

هذا ما عندى فى حسين سيرت بك ، ومن أسف ان تنقطع
وسيلتى الى الاطلاع على معظم آثاره الأدبية ، فما قرأت له الا
(ليسان كرينان) اى الليسانى الهاربة . وله (باغ بوزومى) اى
جنى العنب و (قارغه لر) بمعنى الغربان .

وبحسين سيرت بك ، نختتم الحديث عن الأدب التركى فى
العصر الحديث ، ولعله آخر شعراء العهد الماضى الذين امتد بهم
عمرهم المبارك إلى اليوم ، فكأننا بذلك قد أرخنا الأدب الى يومنا
هذا ، وذلك حسبنا ، وان كنا لا ندعى الاحاطة بكل شيء ، فلا شك

في ظهور اتجاهات أدبية أخرى لاعلم لنا بها ولا خبر عندنا عنها
فالزمن في حركة مستمرة تنطور لها العقول على الدوام، ولا يمكن
لابد من ذكر الكليات قبل الجزئيات، وتقديم الأصول على
الفروع (١)

١٠٠، ولقد يكون من المفيد ان نعرض بكلمة لاستبدال الحروف
اللاتينية بالحروف العربية على أنه مظهر من مظاهر ذلك التجديد الذي
شمل نواحي الحياة الادبية والثقافية بفضل مدرسة ثروت فنون .
اما الغرض الرئيسي من ذلك فالتشبه بالغرب، وقد اختمرت الفكرة
في رؤوس المثقفين والعوام على السواء . واول من طرحها على بساط
البحث وشغلها الصحافة، حسين جاهد وهو كاتب وصحفي من رفاق
توفيق فكرت، وقد واجهت هذه الفكرة معارضة شديدة من جانب
بعض المفكرين، فاشفق أنصار الحضارة الاسلامية من انفصال الترك
عن العالم الاسلامي، وتعذر كتابة القرآن بهذه الحروف . اما انصار
القومية التورانية، ففكر هو ان تصدع الوحدة الثقافية التركية،
فإن ثلاثين مليوناً من الأتراك الذين يعيشون في روسيا يستعملون
الحروف العربية . كما أظهروا الحشية على ضياع تراث الترك الثقافي،
فن المحال ان تنقل مؤلفات ستة قرون من حروفها العربية الى
الحروف اللاتينية، وبدأت أولى محاولات تغيير الكتابة، بكتابة

== ابتدعها اسماعيل حقي ، كما اقترح انور باشا كتابة حديثة لتيسير
قراءة الحروف العربية ، الا ان هاتين المحاولتين لم تصادفا نجاحا ولا
ذبوعا . وقد انعقد مؤتمر من الشعوب التركية في مدينة باكو
عام ١٩٢٦ ووافق على ان تحل الحروف اللاتينية محل العربية ،
فاستعملت رسميا عام ١٩٢٨ . وهذه الحروف الجديدة تكفل النطق
الصحيح بلهجة واحدة هي لهجة استانبول ، وليس لها تلك الفائدة
الجزيلة التي كان الاتراك يحلمون بها . فلا غنية لمتأدب تركي عن معرفة
القراءة بالحروف العربية ليطلع على التراث الادبي القديم وليس في
الامكان نقل جميع السكتب القديمة من حروفها العربية الى الحروف
اللاتينية . وما يذكر ان هذه السكتابة الحديثة توقع القارىء في اللبس
احيانا امام الالفاظ العربية والفارسية وما اكثرها في اللغة التركية .

الأدب الشعبي

ليس شيء أدل على شيء من أدب الشعب على نفسية الشعب وعقليته . تلك حقيقة لا مريية فيها ، الا ان ادباء الترك قد ذهلوا عنها ، فرأوا أن الأدب هو ما كان صائرا على النهج الفصيح ، وانه ان خرج على الطريقة المتوارثة والمعاني والأغراض المعروفة لا يكون أدبا . اما أول من اثار اهتماما بالأدب الشعبي من ادباء الأتراك ، فمحمد امين بك ومن لف لفه . ومرجع الفضل في الدراسات التركية الشعبية الى عالمين اوريين هما قونوش المجري وياكوب الألماني ، فتتلذ لهم في مؤلفاتهم ادباء الترك من الأجيال الخالفة بعد أن عرفوا للدراسات الأدبية الشعبية قيمتها وجدواها . وفي هذا الصدد يقول قونوش انه كان يجوس ذات يوم في طرقات مدينة بشت ، فعاج بدكان للحلوى وفيه قابل تاجرا تركيا مطربشا ، وأخذنا بأطراف الأحاديث بينهما ، وقد سر التاجر عليه بالتركية وجريانها على لسانه الحاضر ، كما طرب قونوش لطلاوة حديثه الذي حجب اليه اعتياد التحدث بالتركية . ودارت

الأيام فقرأ صدرا صالحا من أدب الترك الا انه لم يكن شديد
الاعجاب بما يقرأ من أدب وتاريخ ، وتبين له ان اللغة التي يقرأها
لا تشبه لغة الحديث كثيرا ، ففي الجملة المؤلفه من ثلاثين كلمة مثلا
وجد عشرين كلمة عربية ، وسمع كلمات فارسية ، ولم يجد من
التركية الا ثلاث كلمات ، فانصرفت نفسه عن هذا الخلط والمزاج .
ويبما كان يقرأ على استاذه صحيفة من تاريخ نعيما دار بينهما
الحوار الآتي :

— ما السبب في ان لغة العثمانيين ليست اللغة التركية ؟ اني
لأعجب للشعب التركي ، هل بلغ من سعة العلم هذا الحد الذي
يستطيع معه ان يعرف العربية والفارسية ؟

— اعلم يا بني ان للعثمانيين لغتين ، احدهما لغة المتعلمين
والسادة وهي مركبة من ثلاث لغات كما قلت ، والاخرى لغة
الشعب اى غير المتعلمين ، وتتميز لغة الشعب بقصر جملها وقلة
الالفاظ العربية والفارسية فيها ، ولا يعزبن عن بالك ان لغة
العوام الغليظة الخشنة لا اعتبار لها ولا قيمة عند الترك .

— عجبنا ولماذا ؟

— لأنها لغة الشعب التركية الخالصة التي خلت من الالفاظ
الفارسية والعربية .

- كيف تكون اللغة غليظة خشنة ياسيدى ؟ فقد يوصف
الانسان بالغلظة ، ولا يصح فى الفهم أن تجرى هذه الصفة على اللغة .
- فى رأى العثمانيين انك إذا كتبت بالتركية (كيجه كوندوز)
بدلا من (روزوشب) بالفارسية أو ليلا ونهارا بالعربية فأنت
جاف العبارة غليظها

- فى رأى ان تلك العبارة التركية ارق واجمل من العبارتين
السالف ذكرهما .

- أنت على صواب ، الا ان أرباب القلم من اهل استانبول
ليسوا على هذا الرأى ، وعندهم ان التعبير العربى والاضافة
الفارسية اجمل واوقع فى النفس وادخل فى لغة الأدب .

- اليس للأمة التركية ادب شعبى ؟

- لها قليل من هذا الأدب فيما اعلم .

- ولكن ألا تعتبر مجموعة امثال احمد و فيق باشا ، ولطائف

نصر الدين خوجه المشهورة والمترجمة الى لغات الغرب من
الأدب الشعبى ؟

- نعم ، هذا كل مالدى الترك من ادب شعبى ، ولا علم لى

بشئ غيره .

- لا أظن ان أمة من الامم لا تملك ادبا شعبيا ، ولو كانت

مسلمة أو مسيحية أو وثنية . فأدب الشعب هو تفكيره وابتسامته
ومسرة روحه ، وأنين ألمه ، وزهرة سعادته . الا يتفكر الشعب
التركي ، الا يرفع القروى آهاته وزفراته الى السماء ، الا ينفخ
الطيب من زهرة زاهية أرجة في بستانه ، اليس لبلبله صداح عذب
يشجيه . كلا كلا ، لا اصدق ان الترك لا يعرفون الأدب الشعبي .
- قد تكون على حق ، وقد اكون مخطئا في زعمى ، وأرى
من الخير ان ترحل الى بلاد الترك ، وهناك تبحث عن الآداب
التركية وتفحص ، والله اسأل أن يسدك (١)

فيؤخذ من هذا الحوار أن هناك فرقا واضحا بين لغة العوام
ولغة الخواص وبالتالي بين أدب يتألق المتأدبون في اختيار عباراته
المنضودة ، وأدب للعامة هو التعبير الساذج عن الأفراح والآتراح
الذى لا يتكلفونه حتى يتكلفوا البسمات والعبرات . وهذا الأدب
العامى لا يحظى بشيء من عناية العلماء والأدباء ، فقد رأينا أحد
الجهابذة الاعلام المشتغلين بالتركيات يشك في وجوده ويجهله
جهالة تكاد تكون تامة .

١٠، قونوش ، تورك خلاق ادبياتى ص ١٥ و ١٦ و ١٧

(استانبول ١٩٢٥)

ولنبداً بذكر الأمثال التي يسميها الترك (اتالرسوزى) بمعنى
كلمة الآباء أو الأسلاف ، ولها عندهم حرمة ومنزلة ، فقد جاء
في كتاب تاريخي تركي قديم هو (اوغوزنامه) ان للأمثال بين
الناس سيرورة تكاد تشبه سيرورة آيات القرآن الكريم . وهذه
مبالغة تدل دلالة أكيدة على تعلقهم بها ورغبتهم في تناقلها . كما
جاء في بعض الأمثال (ما استحق ان يكون له اب من لا يتعظ
بالأمثال) وفضلا عما تتضمنه من حكم فانها تشير الى كثير من
حقائق التاريخ وطباع الشعوب . وقد مر بنا أكثر من مرة ان
العثمانيين ينظرون الى التركي في قلب آسيا نظرهم الى جلف قدم
لاحظ له من رقة اهل الحضرة . فقد جاء في أمثالهم قولهم (لا يخضوضر
العشب في موضع مر به جواد التركي) و (لا تغضب التركي ،
فلا بد من طويل زمان حتى يسكت عنه الغضب) و (لقد نصبوا
التركي أميرا فقتل أباه ، وكان ذلك أول ما صنع) و (قد يصبح
التركي من العلماء ، الا انه لن يكون انسانا) فهذه أمثال تشير الى
الغضاظة والغلظة ، وتصور الجفاء والعنجهية في أقصى الغايات .
ومن أمثالهم أيضا (لا عمل للتركي إلا امتطاء صهوة فرسه ، وفي
ظنه انه أمير) و (المدينة سجن للتركي) وفي هذين المثلين زراية
على الترك من سكان البراري وتهكم بتلك الحياة البدائية التي انقطع

العثمانيون عنها ونسوها نسيانا تاما بعد أن نزحوا الى الغرب
وأخذوا بحضارة الفرس الاسلامية فرقت طباعهم واتسعت
مداركهم ، وعرفوا الخصب والنعيم بعد الجذب والشظف . ومن
قولهم في الحكم وسياسة الملك (تفسد السمكة من رأسها)
و (قد يكون الأمر من الظالمين ، ولا كذب في هذا) و (القوالون
بالحق يطردون من تسع مدن) و (لا يمس الرسول بالأذى)
فهذه الأمثال تدل على ان الرعية لا تفسد الا بعد فساد راعيها ،
وان العسمة ليست للأمرء ، وقولة الحق تؤذى نفوس أهل
الباطل والحاكم الجائر عدو لقائلها . اما الرسول فانما يصدع بما
يؤمر ويحرم قتله . وقد جمع احمد وفيق باشا الأمثال التركية في
مجموعة سماها (اتا لرسوزى) (١) . ولشناسى افندى كتاب في

(١) هو احمد وفيق باشا الاديب اللغوى المؤرخ ورجل الدولة .
ولد سنة ١٨٢٠ وتبوأ أعلى المناصب ، فعمل في السلك السياسى . وكان
السكرتير الاول فى السفارة التركية ببساريس وبطرسبرج ووزيرا
مفوضا بطهران ، ثم تولى وزارة الاوقاف . ورأس الوزارة وكانت
ولاية روسه آخر ما اسند اليه من رفيع المناصب . ومات عام ١٨٩٠ .
وقد ترجم لمولايير عن الفرنسية . والف « فذلكه » تاريخ عثمانى ، وهو
تاريخ للعثمانيين الى عهد السلطان عبد العزيز . وله « لهجه عثمانى »
وهو معجم تركى قيم .

الأمثال العثمانية سلف ذكره (١) أما علماء الأوربيين الذين عنوا بالأمثال التركية فمنهم البارون شلشتا الذي جمع قدرا من الأمثال وأوردها بنصها التركي مع ترجمة لها بالألمانية والفرنسية تحت عنوان (أمثال عثمانية) إلا أنه تحفظ فقال ان بعضها عربي وبعضها الآخر من أصل تركي شرقي، ولسكنها دارت على السنة العثمانيين منذ القدم فاعتبرت عثمانية (٢) ولد ميتريادس مجموعة أخرى تسمى (ضروب أمثال عثمانية وفرنسوية) جاء فيها بالنصوص التركية مع ترجمتها الى الفرنسية (٣) والمجموعة الثالثة لديفيس وهي تحتوي على أكثر من اربعمائة مثل مع ترجمتها الى الإنجليزية (٤)

وبعد الأمثال نذكر تلك الأغانى التي تنغى بها الأمهات ليهدن بها أطفالهن، ويسمىها الترك (نقى). وهي كالأمثال لا يعرف

(١) راجع ص ٣٩٤

O. Freih V. Schlechta Wssehrd, Osmanische (٣)
Sprichwörter, S4 (Wien 1865)

(٣) ديمتريادس، ضروب أمثال عثمانية وفرنسوية (قطنطينيه

(١٣٠٥)

Davis, Osmanli Proverbs and Quaint Sayings (٤)
(London 1898)

قائلها ولا تاريخها ، ولا يفوتنا ان نقول ان بعض شعراء الترك قد نظموا أغاني من هذا القبيل في لغة ادبية كضيا كوك آلب في (قزل الما) تحت عنوان (حرم الشهيد) ومن قوله (نم يا ولدى العزيز ، فأمامك ايام لليقظة ، وان الأمس ليتطلع الى العدو ويرعاه لقد استشهد ابوك وفي آثاره مجد وموؤد دفتبع آثاره ، نني ، واطلب حينما يوم الانتقام ، نني . نم يا ولدى العزيز ، ان البرق يخطف ، وجاء ابوك الشهيد وهو ير مقنا . الدم الاحمر دافق من جرحه . انتظر حتى أضمم هذا الجرح ، نني ، لاتبك ، البكاء لي انا ، نني) وان النظرة العجلى في هذه الأغنية لكافية حق الكفاية للاقتناع بأنها من الشعر العالى الذى قد لا تفهمه الأم ولا طفلها ، وانما اراد الشاعر أن يقول فى معنى عن له فتخيل اما تغنى لطفلها . ومثل هذه الاغنية ليست من الشعر الشعبي فى كثير ولا قليل ، ومن بجانبه الصواب ادخالها فى هذا الصدد . اما وجه ذكرها هنا فللموازنة بينها وبين تلك الاغاني الساذجة التى تترنم بها الام التركية لتسكن طفلها . ويقول انور بهنان شاپليو ، ان قونوش لم يتنبه الى تلك الحقيقة فى كتاب له عن هذه الاغاني فتردى فى الخطأ^(١)

Enver Behnan Sapelyo, Halk Ninnileri, S 44 (١)
(Istanbul 1938)

واليك احدى هذه الاغانى الشعبية (ولدى الصغير ، ننى . ولدى
الصغير الصغير ، ننى . لقد وضعت الخمص فى الوعاء ، وافعمته
حتى كاد يطفح ، ولو لم يكن لى ولد لقتلت نفسى . اصيدك ايها
الغراب ، وانزع منك جناحك ، لاصنع منه المراوح ، ثم ابيعها
للسغار . ولو لم يكن لى ولد لقتلت نفسى) .

فما اعظم البون بين اغنية ضيا كوك آب وهذه الاغنية التى
تخاطب الطفل على قدر عقله وتصور له مايجول فى خياله المحدود
بعبارة سهلة لالبس فيها تصلح اتم الصلاحية للترتيل والتنغيم ولا
تحتوى على لفظ واحد غير تركى . وهذه اغنية اخرى (اذا قلت
ننى طلع النهار ننى ، وجاء الربيع وتفتحت الأزهار ، لا أقول
لولدى انت زهرة ، ان الزهرة قصير عمرها ، ننى)

ومن القصص الشعبي قصة الطفل الحجرى ، ومضمونها ان
رجلا وامراة كانا متحابين فى حياة زوجية سعيدة ، ولسكن عقم
الزوجة كدّر عيشها وساء زوجها ، فاخبرها برغبته فى تزوج
اخرى ، فاغضت على القذى وطوت نفسها على الامسى واستسلمت
للقضاء ثم قالت له : ما انت صانع فاصنع ، انت وما تشاء .
فهجرتها الزوج ولا ذنب لها . ودارت الايام فضاقت بوحدها
ووحشتها ، ثم التمت لسكربتها التنفيس ، وذهبت الى رجل صانع

اليد فمحت لها من الحجر كهية الطفل ، وعادت به الى دارها
فرحة مسبشرة فقمطته واضجمته في المهد . واصبح من عاداتها
ان تجلس كل ليلة عند رأس مهد هذا الطفل الحجري ، فتحرك
المهد وتغنى للطفل حتى مطلع الشمس ثم تبكي بكاء مرا . ودعت
الله ، خالق الوجود من العدم وواهب الروح للذئاب والاطيار ،
بقولها : هبني ولدا لا كون له اما ، وارضه بلباني واغني له على
مهده ، واقطه بقمط احمر ، واذا بكى سكتته فنام ، واضمه الى
صدرى واسهر على تربيته ، لقد هجرني زوجي ، وانا اليوم وحدى
فهبني انيسا لروحي ، وانفخ فيه من روحك ، لاربيه واغني له .
وظفقت تغني بهذه الاغنية (الطفل الحجري ينظر الى من مهده ،
تني ، ولبنى الدانيء يدفق له ، تني ، ستستعر النار في موقدي باذن
ربي ، تني ، وهبك المولى روحا ، تني)

ومضت في الغناء ، فرحمها الرحمن واستجاب دعاءها فكان
لطفها الحجري روح ، وبزغت الشمس فنثرت عليه ذهبها وهو
يستهل ويخلج ذراعيه وساقيه . فضمته الى صدرها وارضته ،
وسبجت بحمد ربها . ثم انطلقت الى زوجها وخبرته ما كان ،
لحمد الله على نعمائه . وعاد الى دارها مع زوجته الثانية ، ونعم
عيشه وعيش زوجته (١) .

Enver Behnan Sapelyo, Halk Ninnileri, s 100, 101 (١)

وقد جرت الاغانى على لسان هذه الام ومنها (ان فى السماء
 ممالك ، وقلبي يحترق ، نى . حماك ملاخنكار ساكن قونيه ، نى (١)
 اولياء الله فى هذه الدنيا كثير ، وهم جميعا اولياء عندنا ، نى ، حماك
 حيدر اسد الله نى (٢) ، النجول يطيب فى وجه السماء نى . لقد
 حيرنى حسنة ، نى . حماك حاجى بايرام الساكن فى انقره نى (٣)
 ان أخالى يمر من هذا الطريق ، وقد استندنا معا الى حجر نى ،
 حماك حاجى بكتاش الساكن فى قير شهر نى (٤) . اما اناتنى
 مرادى واما قبضت روحى ، نى . لا أريد هذه العافية ، نى ، لو
 كان لى ولد فأرسلته الى من يعلّمه القراءة والهجاء ، نى . لو علقت
 هذا العلم الاحمر الاخضر ، واظهرته لعمك وخالك ، نى ، اما
 انلتنى مرادى واما قبضت روحى ، نى ، انا لا أريد هذه العافية
 نى)

فهذه الاغانى التى تجرى على لسانها من كلام العوام الذى
 نعدم فيه كل اثر للصنعة والفن ، وتتصور به عقلية تلك الام

(١) هو مولانا جلال الدين الرومى وقبره فى قونيه .

(٢) هو على كرم الله وجهه .

(٣) راجع ص ٧٦ .

(٤) راجع ص ٥٢ .

الساذجة التي تدعو الاولياء ان يحموا وليدها ، وتحلم به وهو في المكتب يتأدب . وهي تفيد الباحث اللغوى لما تتضمنه من لهجات . والباحث الاجتماعى لما تشير اليه من عادات ، أما مؤرخ الادب ، فهي عنده جزء لا يتجزأ من ادب الشعب ، وقد تكون موضع استدلال ونظر ، فيذهب انور بهنان شاپليو الى ان هذه الاغنى تتميز بقدر من الشعارية والرقه لانصافه فى اغنى الامم الأخرى ، ومن ثم فهي من اقوى الادلة على استعداد فطرى للشعر عند التركيات (١) .

ومن شعر العوام تلك المنظومات التى تسمى (توركو) وبعضها يتألف من اسئلة واجوبة ، وهذه منظومة حشيت ظرفا تدور على حوار بين ام و بنتها (- بنتى بنتى ، بنتى يا ذات الكف الخضيب ، ان صير فيا يطلب يدك ، اتحين ان ازوجه بك ؟ - اماه لارغبة لى فيه ، الصير فى كثير المال ، وبعده يكلفنى - بنتى بنتى ، بنتى يا ذات الكف الخضيب ، ان بقالا يطلب يدك ، اتحين ان ازوجه بك ؟ - اماه لارغبة لى فيه ، البقال كثير الفاكه ، وبأكلها يكلفنى . - بنتى بنتى ، بنتى يا ذات الكف الخضيب ، ان قصابا يطلب يدك ، اتحين ان ازوجه بك ؟ - اماه

Enver Behnan Sapelyo, Halk Ninnileri, S15 (١)

لارغبة لى فيه ، القصاب كثير اللحم ، وبشر يحبه بكلمنى . - بنيتى
 بنيتى ، بنيتى يا ذات السكف الخضيب ، ان حلاجا يطلب يدك ،
 اتحبين ان ازوجه بك ؟ - اماه لارغبة لى فيه ، الحلاج كثير
 القطن ، ويندفعه يكلفنى - بنيتى بنيتى ، بنيتى يا ذات السكف الخضيب ،
 ان حائكا يطلب يدك ، اتحبين ان ازوجه بك ؟ - اماه لارغبة
 لى فيه ، الحائك كثير الثياب ، وبحوكها يكلفنى . - بنيتى بنيتى ،
 بنيتى يا ذات السكف الخضيب ، ان سكير ا يطلب يدك ، اتحبين
 ان ازوجه بك ؟ - اماه ، السكير لا عمل له ، فاذا تزوجنى ، لم
 يكلفنى بعمل !) فهذا الشعر من اضاحيك السكلام ، ولن يكون
 الا تعبيرا ساذجا عن الفرح والمرح . واليك منظومة اخرى
 تختلف عن الاولى بوقوع الحوار فيها بين أب وابنته (اتباع لك
 قلنسوة يا بنيتى ، كلا يا أبت ، كلا كلا . اتباع لك حذاء يا بنيتى ،
 كلا يا أبت ، كلا كلا ، اقدمك الى زوج يا بنيتى . أبى العزيز ، العزيز
 العزيز . اتباع لك جوربا يا بنيتى ، كلا يا أبت ، كلا كلا . اتباع لك
 ساعة يا بنيتى ، كلا يا أبت ، كلا كلا . اقدمك الى زوج يا بنيتى ،
 أبى العزيز ، العزيز العزيز . اتباع لك خاتما يا بنيتى ، كلا يا أبت ،
 كلا كلا . اتباع لك قرطا يا بنيتى ، كلا يا أبت ، كلا كلا . ازوج
 كتابا بك يا بنيتى ، أبى العزيز ، العزيز العزيز . اتباع لك سوارا

يا بئيتي ، كلا يا أبت ، كلا كلا . ازوج شابا وسيميا بك يا بئيتي ،
ما أطيّب هذا واحبه الى نفسي ا

ومن شعر العوام ما يقال له (ماني) وهي منظومات من بيتين
يقولها القائل على البديهة في مناسبة من المناسبات ليجد من
يطارحه مثلها . وتسمى هذه المطارحة (ماني آتمق) بمعنى طرح
الماني . ونسوق الامثلة لذلك مما جاء به قونوش في كتابه عن
الادب الشعبي عند الترك ، فقد ذكر انه ركب قاربا للزهة
فازدحمت القوارب على صفحة الماء ، ورأى منها ما يحمل الرجال ،
وما يحمل النساء ، واصغى الى تلك المطارحات الشعرية (١) فاذا
قائل يقول (انظر الى البدر ، انظر الى النجم ، وانظر الى فتاة
على السطح . البدر لي والنجم لي ، وفتاة السطح لي) فرد عليه
صوت من قارب آخر (هذه القادمة بنت من ؟ انها قرمزية
القيام ، وقد تفتحت وردة في جبينها ، فظننتها كوكب السحر) قال
ثالث (لا يحصد الزرع قبل ان يستحصد ، ولا يشرب الماء السكر
يقولون كف قلبك عن الحبيب ، والحبيب عن جميل ا) ثم
قال رابع (في الرياض الحان ، والزهر يتفتح لمقدم الصيف ،

(١) قونوش ، تورك خلق ادبياتي ، ص ٥٦ .

لا اسمي حبيبي زهرة ، فان الازهار قصيرة الاعمار)
وصادف ان سقط منديله في الماء ، ومارأت ذلك احدى
الفتيات حتى قالت (منديلي الأخضر ، لقد وجدت الآن أليفا
لي ، فليبق عندك منديلي ، ولتمسح به الدماغ)
فمثل هذه المطارحة لا يقتدر عليها إلا طاق البديهة الذي يضع
لسانه حيث شاء ، ولاريب في انها تدل على سلامة الملكة ومضاء
السليقة . ومن الشعر العamy ما يسميه الترك (دستان) وهي كلمة
فارسية بمعنى قصة او اغنية والدستان يدور على قصة في الغالب
ويتغنى به هؤلاء الشعراء المتجولون الذين يتغنون بالاشعار وهم
يعزفون على القيثارة ، ويشاهدون بكثرة في المشارب خصوصا
تلك المشارب الكائنة بحى من احياء استانبول يعرف بسوق
الدجاج . ومن ادباء الترك من ينسب هذه الاشعار الى ادب
الصعاليك او الرعاع (كلخن بك ادبياتي) (١) ويقول طاهر النجوى
ان جميع الامثلة التى نملكها من المائى والدستان لا تحوى هذا

(١) كلخن بمعنى حجرة موقد الحمام فى الفارسية ، وإذا ما نسب
الملك أو السيد إلى موقد الحمام فالمراد انه صلوك بأوى إلى حجرة
موقد الحمام لانه لا يملك دارا .

القدر الكبير الذى كنا ننتظره من الفاظ الرعاع ، فلغتها لغة
 الكتابة وصيغتها تقليدية ، والدستان بخاصة غزير المعنى فإن
 (نصيحت دستانى) مثلاً متأثر بفلسفة الزهد ، والادب القديم
 واضح الاثر فى شعر هؤلاء الشعراء المعروفين بالعشاق وان بدا
 فى صورة غير مصقولة ^(١) وسنورد هنا (دستان) نشره
 المستشرق الالماني ليمان وهو مناظرة بين متزوج وعزب ^(٢)
 (لقد فكرت فى صفات المتزوجين والعزاب ، ثم صغت هذا
 الدستان واسألهم جميعاً ان يضربوا عنى صفحا جميلا ، فأنا من
 بينت لهم فى نظم بديع . وعتب المتزوج على العزب باذى بدء
 وقال له ما باللك ؟ افصح ، فكرهنيمة ياخرب الدار ، ابيضع انسان
 نفسه فى مثل هذا الموضوع ! قال العزب ، ماهذه اللائمة التى تغلظها
 على ، ان كانت العزبة عندك ذنباً فجاهرنى ، واسكن هذه الدنيا
 لانتثبت على حال ، وكل فى طريق يمضى . قال المتزوج ، انما تمضى
 فى طريق ذى عوج ، وهذا منك خروج عن طاعة الله . وإذا

Tahir Alangu, Calgili Küllhanbey Edebiyati Ve ^(١)
 Nümuneleri, S11 (Istanbul 1943)

Enno Littmann, Ein türkisches Streitgedicht über ^(٢)
 die Ehe. (A Volume of Oriental Studies, (Cambridge 1922)

ماشئت ان تكون للاجلال والاكرام اهلا ، فدع عنك هذه
العزبة وتأهل مثلي . قال العزب : اقطع عنى غرب لسانك والزم
حدك ، ولا تحسبن الناس جميعا بلهاء مثلك . فكل من لا يسعى
الى سلك هذا الطريق ، لا يسلم لحظة من الشر والبلاء . قال المتزوج
اتظن ان عزبتك تمنجيك من المحنة والشقاء ؟ اما انا ففي مكنتي
ترجية الوقت مع الاهل والولد . قال العزب : الزوجة تطالب خبزا
وملحا ، وفي المثل : يريد كل شىء مبرءا من كل عيب . فإذا اخطأت
واعطيتها مائة ، طلبت مائتين ، ومعظم النساء على هذه الحال . قال
المتزوج : هذا هرام من القول وهذا ، فاعتمد على صديق صدوق ،
وابحث عن تقنع بالقليل ، وسيعطيك ربك ما قسم لك . قال العزب :
كلامك يا هذا لا وزن له عندى . انا لا اضع الغل بيدي فى عنقي ، ولا
اجعل من الدنيا سجنا لى . قال المتزوج : هذا غلط وشطط ، لن
تكون دارك سجنا ، فإذا وجدت من توأملك ، اصبحت دارك
جنة . قال العزب : انا أميز الخبيث من الطيب لأرمدى بالزواج
نفسى ، وبغيتى ان امضى حرا طليقا حيث شئت ، واقم حيث
يطيب لى المقام . قال المتزوج : لو كنت تعرف تلك اللذاذة ،
لفضلت النعيم على الجحيم ، فانتقضت على حكمك وانثنت عن
عزمك ، وتزوجت قبل الغد . قال العزب : تلك اللذاذة لا دوام

لها أكثر من شهر ستة ، فإذا انقضت أشهر العسل ، تغيرت
الحال فجأة وحلت الاتراح محل الافراح . قال المتزوج : صدقت
وقلت صوابا ، ولكن الله بكل شيء عليم ، ولذلك فهو يهبك
غلاما زكيا ويسعدك ويسعد صاحبك . قال العزب لإطاعة لى
بهذه المشقة ، فللطفل صياح ونواح الى الصباح ، ولأمه كذلك
ولولة وعويل ، فزد عن نفسك هذا البلاء . قال المتزوج : ان
يكن ذلك متعبة ، فانه امر الله ولا يسمعنا الا الاذعان له . الانسان
يكبر على المدى ، وسيصبح هذا الطفل شابا فتيا . قال العزب :
ولكن العمر ليس بشيء ، فإن الواحد يصبح اثنين وثلاثة ،
وتعيلهم صعب عسير . ان الانسان ليعجز عن فتح عينه من
ثقل نفقتهم ! . قال المتزوج : كلامك مغلوط ، ان رزقهم على
رهبهم ، والعزبة اشد بلاء من ذلك ، فقد يسلم العزب روحه وهو
وحيد . قال العزب : وأى شأن لى مع الزوجة ، لى فى كل يوم
من النساء خمس او عشر ، فأنا أقضى صباحى حيث قضيت مسائى ،
هذا مرتع لهوى وملعب صبوانى . قال المتزوج : لابقاء لهذه
الحال ، فقد تشق عليك العلة يوما ، وتجد ان مسكنك الاخير
نزل او موقد حمام ! قال العزب : هذا القول لا اكترث له ،
لا انتف ريش طائر غريب عنى ، ولا اضع رأسى تحت سيجل

الزواج ، لئلا افسد حالي وانغص عيشي . قال المتزوج : لقد قالوا
خيرا وشرا ، ومعظم ما قالوا مين وبهتان ، قالوا ان أثنى الطائر
هى التى تعتش ، ففكر مليا فى هذا المثل واجره على لسانك . قال
العزب : اغرب عن وجهى ايها المخبول ، المرأة سبب البلايا
والرزايا ، ان تحكم العقل لاتستثنى من النساء واحدة . قال المتزوج :
افقه ما نقول يا جيفة منقنة ! لاناخذهن بذنوب واحدة ، فإن منهن
من يفضلن الملائكة . قال العزب : اسمع يا شديد الغباء : اتنكر أن
فيهن الخرفاء والبلاء التى يهرب الشيطان لا الملك من شرها
وكيدها ، وقد اعجل عن ان ينتهل ! قال المتزوج : اخلص لله
نيتك ، لاتخف ولا تحزن ، وليكن على ربك تكلانك ، وابحث
عن رضعت لبنا حلالا تجدها ، ولا تخش الندم على هذا الصنيع .
قال العزب : ان المرأة تنفذ كل رغبة لها ولها كلام لين يرقق
قلبك ، فنقول ودمعها يجرى فى كل شهر : لا ثوب لى . كن منصفنا
واجبى ، اللروح طاقة باحتمال ذلك . قال المتزوج ، هذا صحيح
فى حقيقة الأمر ، وليكن علينا ان نعرف السبب ، فالرجل يضرب
المرأة ويفسدها وهذا ما اتفقت عليه كلمة العقلاء - الاختيار
لا يغض شىء من قيمتهم ، اما الأشرار من نساء ورجال فلعنة
الله على اجدادهم ، والعيب فى المرأة والرجل جميعا !

فهذه المناظرة من الشعر العامى لا تنحط كثيرا عن شعر
الفصحاء فى اشراق الدلالة وعضوبة المورد ، وقد تناولت
موضوعها المستطرف أحسن التناول فلم تدع مجالاً لقائل سواء
اكان جادا أم هازلا .

وهؤلاء الشعراء المغنون الذين ينشدون هذه الاشعار العامية
ويعرفون بالعشاق ، انما هم خلفاء امثالهم من الترك الاقدمين فى
أواسط آسيا المعروفين بـ (اوزان) . كانوا يعزفون على قيثارة
يسمونها (قوپوز) وكان الواحد منهم شاعرا مغنيا طبيبا ساحرا
كاهنا ، إلا ان بضاعتهم كسدت بفض السكساد بظهور الاسلام
فى الترك ، فاقصروا على الغناء والترقىل فى الأعراس والمآتم (١)
وكان هؤلاء العشاق هيئة منظمة لها رئيس يعين لسكل عاشق
ذلك المشرب الذى يعرض فيه شعره والحانه وتمثيلياته . وكانت
الحكومة هى التى تنتخب هذا الرئيس ، ولاغرو فقد كان للعشاق
أثر عظيم فى نفوس العامة ، وهذا ما ألجأ الحكومة احيانا الى
تكليف رئيس العشاق ببيت الدعايات التى تريدھا فى سواد الناس .
وفى عهد محمود الثانى وعيد المجيد وعبد العزيز ، عينت الوظائف

لعشرين او ثلاثين من هؤلاء العشاق الذين كانوا يرتلون اشعارهم
ويتمثلون في حضرة السلاطين كما كانوا من اصحاب الحظوة عند
الامراء وصفوة القوم^(١) ويشبه العشاق بعض الشبه هؤلاء
القصاصين الذين يسميهم الترك «مداح» : والمداح في الاصل هو
من يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ويقص سير اهل بيته وصحابته
وكان المداح التركي قديما يستمد قصصه من السيرة النبوية ، وقد
مر بنا ان المداحين كانوا يقصون قصصا كثيرة من تاريخ سيدنا حمزه
الذي صنفه حمزوى^(٢) غير ان هذا المداح تغير في العصور المتأخرة
عما كان عليه في العصور المتقدمة ، فاضحى ذلك المغنى المضحك
الهنز الال الذي يحذق تقليد الناس من شتى الاجناس ، ويبعث المرح
والسرور في نفوس المستمعين وهو يلوى لسانه بالتركية كاليهود
والغجر ، ويرتضخ لسكنة غربية كالتتار واهل اذربيجان . وقد
اشتهر من هؤلاء المداحين في القرن الماضي لوله جى احمد ، وحاجى
وسوسه وكوزهل ابراهيم ، ومداح اسمه شكرى طالماداعاه السلطان
عبد الحميد الى قصره ليستمع منه ما يعجبه ويطر به .

Fuad Köprulu, Türk Sazsairleri s 452 iii (١)
(Istanbul 1941)

(٢) راجع ص ٨٨ .

وقد جرت عادة المداحين بالعمل في المشارب السكثيرة الزحام،
فبعد الغروب بنحو ساعة يجلس المداح، أو الخوجه كما يسميه
الأتراك خلف منضدة على منضدة قليلة الارتفاع في صدر المكان
وقد أمسك عصا يثق بها الأرض وهو يرفع صوته بقوله (حق
دوستم حق) أي الله صفني الله. ويمدح السلطان ويدعو له ثم
يقص قصته على غرار ما جاء في الف ليلة وليلة، وهي في الأغلب
قصة سيده تصادف شابا وسيا في طريقها فيخفق له قلبها، وتدعوه
إلى دارها أثناء غياب زوجها. ويمضى إليها فتاها، فيدخل عليها
خدرها بعد صعب وعقاب، وهو لا يدري أمن الملاح هي أم
من القبايح، وكثيرا ما يكون قبحها مجالا طيبا للمداح يظهر فيه
قدرته على الهزل والتنادر، وكثرة ما في جمعته من مضحكات. وينعم
العاشقان برهة بنشوة الوصال، ثم يعود الزوج إلى داره فيطرق
بابها، وهنا يتفنن المداح في وصف ما يبدو على العاشقين من
حيرة شديدة وهلع يخلع القلوب، وكيف تتسع الحيلة للمرأة
فتخفي الفتى وهو مرتعد الفرائص ذاهب اللب لا يكاد يتماسك.
ثم ينتهي أمره بهربانه بعد أن يتوب التوبة النصوح ويغظ
الإيمان على ألا يعود لمثلها. وقد يكون موضوع القصة أخلاقيا،
فيرغب المداح في الفضائل ويزع عن الرذائل، كما قد يتحدث عن

خبث بعض الدراويش وظلم القضاة وأكلهم للسحت ، وكثيرا مايقص المداح على المستمعين نوادر نصر الدين خوجه ومضحكاته (١) ، ولا غرو فإن لها بين الترك أعظم الرواج حتى قيل ان الكتاب الذي يتضمن نوادره ، أكثر الكتب تداولاً عند الترك بعد القرآن (٢)

وقد انضم الى هؤلاء المداحين فرق تمثيلية بلغ عدد أفرادها مائتي شخص بين موسيقيين ومغنيين وراقصين ولاعبين ، فكانوا مظهرًا من أهم مظاهر الحياة التركية في القرن السابع عشر على الخصوص ، ومن رؤساء هذه الفرق أيوب پهلوان ، وكان شاعرا موسيقيا مضحكا ، ومن تمثيلياته القط والفار ، والفار والسنجاب ، وعتاطى الآفيون ، والمدخن ، والأوزو الدجاج والغربان والبط . وكان الرجال يقومون بأدوار النساء . أما هذه التمثيليات فالهزل غالب

(١) هو نصر الدين خوجه الذي عاصر علاء الدين الثالث آخر سلاطين السلاجقة في قرمان ، والسلطان بايزيد الاول (١٣٨٩-١٤٠٤) وتيمورلنك . وبظن انه ولد في مدينة آق حصار حيث دفن كما يذهب بعض الباحثين الى انه جحا المعروف عندنا بلطافة .

(٢) Ubicini, La Turquie Actuelle, P314 (Paris 1855)

عليها وان لم تخل من دراسات لعادات الشعب وعيوب المجتمع
ومن قصص الترك الشعبية تلك القصص التي يبرز فيها الشعر
بالبثر وتحدثنا عن الملوك والأبطال والعشاق مثل قصة عاشق
غريب وعاشق عمر وناشق كرم وكوراوغلي وشاه اسماعيل .
ومن أهم ما يستحق الذكر من أدب التركي الشعبي، خيال الظل
والقره كوز . واجماع المؤرخين منعقد على أن الترك في آسيا
الشرقية عرفوا خيال الظل من الصين، والصين أهل حذق وصناعة
فكانوا يرسمون على قماش أو ورق أو ما أشبهه صوراً للإنسان
والحيوان ، ليحصلوا بذلك على ستار يزدان بالصور والنقوش ،
ثم يلغون به ما يشبه المصباح الكبير ، ويوقدون شموعاً في المصباح
فيبدو ما على الستار من صور كأنها أشباح واضحة الشكول .
ويدار المصباح حول نفسه فتتعاقب تلك الصور أمام الرائي .
وقد ضرب الترك المثل بدورانه فقالوا يدور كما يدور مصباح
الخيال (١)

والفرس أول من أخذ عن الترك خيال الظل ، وله ذكر
في الشعر الفارسي في إحدى رباعيات الخيام (يالهذا الفلك

Georg Jacob, Geschichte des Schattentheaters (١)
S 26 (Berlin 1907)

الدوار الذي يدور بنا كأنني به فانوس الخيال ، فالشمس مبعث الضوء وهذا سيكون مصباح ، أما نحن فصور وأشباح في غدو ورواح) وقال فريد الدين العطار (كان رجل تركي صاحب ستارة ، وكان عظيمًا في علمه منقطع القرين في فنه ، يحسن النقش على الستار ، وحيثما يسر يجد رزقا ، وهو على الدوام يلعب ، ويخفق من الألوان صورا تعجب . فكان اذا ابلى الزمان له نقشا اسرع فاستبدل به غيره ، وصوره يختلف بعضها عن بعض شكلا ولونا ، اما العابه فيعرضها في سبع ستائر برقشها وزينها)^(١) فيؤخذ من شعر فريد الدين العطار أن اللعب بخيال الظل كان حرفة يتخذها عجم الترك ويطوفون بها في البلاد . وقد مضوا بخيال الظل الى مصر . وفي القرن الثالث عشر الميلادي تغزل شاعر مصري في حسناء تلعب بالخيال فقال :

أرتنا خيال الظل والستر دونها
فأبدت خيال الشمس خلف غمام
تلاعب للاشخاص من خلف سترها
كما لعبت أفعالها بأنسام

(١) Sabri Siyavusgil, Karagöz , s 27 (Istanbul 1941)

وفي القرن الثالث عشر أيضا ذكره محي الدين العربي بدمشق
 وشرح به تعاليمه الصوفية فقال ان عالم الخيال رمز لهذا السكون
 المخلوق ، أما الستار فرمز لقدرة الخالق على اظهار نفسه واخفائها،
 وقال ابن اياس ان السلطان جقمق أمر باحراق شخوص خيال
 الظل ، وان السلطان الملك الناصر كان يطيب له استدعاء من
 يدعى أبا الخير ليشاهد منه العباب الخيال . وذكر الشاعر حمدي
 خيال الظل في يوسف وزليخا ، وقيل عن السلطان محمد الفاتح
 انه أمر بطرد اللاعبين بالخيال من قصره . ولما فتح السلطان
 سليم الأول مصر عام ١٥١٧ واطردت أموره واستقامت بعد
 قتل طومان باي ، تحركت فيه يوما نشوة النصر ، واستدعى لاعبا
 ماهرا بالخيال ، ثم أمره بتمثيل شنيق طومان باي على باب زويله
 وصلبه بعد انقطاع الجبل به مرتين ، فشاهد ما احب أن يشاهد ،
 وبلغ به الاعجاب مبلغه ، ووصل الرجل بثمانين ديناراً وخلعة ،
 وأظهر الرغبة في أن يعود هذا اللاعب معه الى استانبول ليدخل
 البهجة على نفسه ولده الأمير سليمان (١) ولما اعتلى سليمان العرش
 خير ستائة من هؤلاء اللاعبين الذين استقدمهم أبوه من مصر ،

بين البقاء في تركيا والعودة الى مصر (١) .

ومن ثم يذهب الباحثون الى أن الأتراك العثمانيين، عرفوا خيال الظل من المصريين ، الا ان مؤرخى الأتراك لا يميلون الى هذا الرأى وحجتهم ان العثمانيين عرفوه فى زمان متقدم هو عند بعضهم عهد السلطان اورخان (١٣٦٢ - ١٣٥٩) ومهما يكن من اختلاف المؤرخين ، فما يصح عقلا أن يعرف خيال الظل بهذه البلاد المتجاورة فى زمان واحد أو أزمنة متقاربة ، ولا مانع من أن يكون اللاعبون المصريون قد زادوا اللاعبين العثمانيين علما بهذه الألعاب فأتسع انتشارها وظهر التحسن فيها . وقد أقبل الترك اقبالا عظيما على مشاهدة خيال الظل فى ليالى رمضان بخاصة . ولم تكن الرغبة الشديدة فى مشاهدته مقصورة على الصغار دون الكبار ولا على الغوغاء دون أوساط الناس وصفوتهم . وقبلها خلت منه حفلة عرس أو ختان ، فلما احتفل السلطان محمد الرابع بختان الأميرين مصطفى و احمد كان خيال الظل بهجة الحفلة ، ولما زوج السلطان احمد الثالث بابنته امة الله عثمان باشا ، شاهد المدعوون الى حفل الزواج ألعاب الخيال فى

Georg Jacob, Geschichte des Schattentheaters, s79(١)

عدة أماكن . وكان لبعض هؤلاء اللاعبين حظوة عند السلاطين
كحسن زاده الذى كان يلعب بالخيال مرتين فى الاسبوع أمام
السلطان مراد الرابع ، ويقال انه كان واسع العلم بالعربية والفارسية
لطيف النظر فى الموسيقى . وقد أراد السلطان ابراهيم أن يكافئ
أحد هؤلاء اللاعبين على حسن صنيعه فاسند اليه منصبا رفيعا ،
وكتب على قبر أحدهم هذا البيت (ان الستار هبة وهبها الله للفنان ،
حتى يظهر عليه مخلوقات الرحمن ، ويجعل من المظهر وسيلة الى
المنجبر) .

أما المعانى التى طرقها اللاعبون بالخيال ورمزوا اليها فانها
تشبه ما طرقه شعراء الترك على مر العصور ، فكانت الأعياب
الخيال فى أول الأمر تتناول المعانى الصوفية ، ثم مثلت قصص
العشاق كقصة خسرو وشيرين وطاهر وزهرة ، حتى أصبح
الخيال نقدا للمجتمع وتبصيرا بالمخاسن والمساوىء . وفى القرن
السابع عشر ، وجد الى جانب خيال الظل أو تطور عنه ما يعرف
بـ (قره كوز) ويفترق عن الخيال ، بأن شخصه دى تتحرك
من خاف ستار . ومعنى قره كوز أسود العين وهى صفة الغجر ،
واليه تنسب اللعبة لأنه الشخصية الرئيسية فيها ، وتلونها شخصية
حاجى واد . وفى رواية أن قره كوز وحاجى واد حداد وبناء

كانا على عهد السلطان اورخان ، ولما أراد السلطان أن يشيد
مسجدا في بروسه كلفهما بالعمل ، الا انهما أكثرا من المزح
وتنادر كل منهما على صاحبه ، وتحلق الصناع حولهما ليسمعوا
مضحكاتهما فاهملوا العمل . واغضب ذلك السلطان فأمر بقتلهما ،
ثم أدركه الندم وأخذه الحزن ، ورأى هذا من حال السلطان
رجل يدعى شيخ كشتري كان من المقر بين اليه ، وأراد أن يسرى
الحزن عن نفس مولاه ، فصنع دمتين من الجلد كهيتتهما ولعب
بهما من خلف ستار وهو يقول ما كانا يقولان من مستملع
الفكاهات (١)

وقد جرت العادة بأن تبدأ تمثيلات القره كوز على النحو
الآتي : يلتقى القره كوز وحاجي واد ، ويتجادبان أطراف الحديث
ثم يتفقان على الاشتراك في عمل يدربجا ، ويبدو القره كوز
جاهلا شديدا الجهل بطيء الحس خا مد الفطنة ويظهر معهما أشخاص
من جميع الأجناس كاليهود والأرمن واليونان ، فيتكلمون
التركية بلهجة يستغرق لها الحاضرون في الضحك . وللقره كوز
قصص كثيرة كقصصة البيارستان والزورق والكاتب . اما لغته

فقد تسمو وتبلغ في السمو لغة الحريري والبديع ورموز
العوفية ، وقد تسف فتنحط الى عبارة السوقة . وما يذكر ان
حاجي واد يغني قبل بدء التمثيل بالعربية ثم بالفارسية ، فيتغنى
بقول القائل :

احن شوقا الى ديار

لقيت فيها جمال سلمى

يالا يالا آه ، يल्ली وای

لقيت فيها جمال سلمى

ثم يقول بالفارسية (منذا في هذه الارض البعيدة ، ينف
الى البشرى بوصل حبيبي يالا يالا آه ، يल्ली وای ، ينف الى
البشرى بوصل حبيبي) .

واليك هذه التمثيلية من تمثيلات القره كوز وهي بعنوان
(قره كوز عاشقاني) بمعنى القره كوز كشاعر :

يدق حاجي وادباب القره كوز فلا يسمح بحبيبا ، وبعد مدة
ليست بالقصيرة ، يرتفع صوت زوجة القره كوز .

زوجة القره كوز - من هذا ؟

حاجي واد - انا ياسيدتي

زوجة القره كوز - أنت الطارق يا حاجي واد چاي !

حاجى واد - أجل ياسيدتى .

زوجة القره كوز - أتريد شيئا ؟

حاجى واد - لم أر القره كوز منذ ايام طوال ، فافلقتى ذلك
واحزنتى ، واقدمنى لمعرفة الخبر .

زوجة القره كوز - انه فى خير وعافية . وهل يصيب الفساد
الباذنجان المر (١) ، نحن نشتر النهار بطوله ، ان نى منه ما قد
كفانى ، فلو توفاه الله اليه وراحنى من شره .

حاجى واد - كفى عن هذا الكلام ياسيدتى ، لارأينا فجيحة فيه .

زوجة القره كوز - لقد بلغ السكين العظام ، ياطول ما صبرت !

لقد جن جنونا فى هذه الايام .

حاجى واد - كيف هذا !

زوجة القره كوز - لقد حمل فى يده كتابا ، وجعل يهذى

ويقول : اصبحت شاعرا .

حاجى واد - واين هو الآن ؟

زوجة القره كوز - وهل يكون الاهتا ، انه قابع فى الحجرة

١٠ ، مثل يضرب للشئ الخبيث أو الفاسد الذى لا يتصوره

العقل اشد خبثا ولا فسادا .

الداخلية لا يخرج منها ويده كتاب .

حاجي واد - سيدتي ، إنني اعنتك فاصفحي عني ، أخبريه
بمجيئي ، وليبسط الى حتى اناقله الحديث .

ويظهر القره كوز فيشتم صديقه ويغاظ عليه اللائمة لتقصيره
في السؤال عنه أثناء غيبته ، ثم يقول انه اصبح شاعرا ، إلا ان
حاجي واد يفهم منه أنه اصيب بالصمم (١) .

القره كوز - يا هذا ما اضعف ادراكك ، اريد لأقول اتى
قد أصبحت واحدا من هؤلاء الذين يزرون ويغنون في المشارب .

حاجي واد - لقد فهمت الآن ماتعني ، تريد ان تقول انك
اصبحت شاعرا ، اليس كذلك ؟

ويسأل القره كوز صاحبه عن علمه بالشعر ومذاهبه ، فيظهر جهلا
فاضحاً مضحكاً . ثم يسمعه القره كوز من منظوماته ، فيدتهحسن
ما يسمع ويشهد له بأنه قد دخل في زمرة فحول الشعر .

القره كوز - وماذا تريد أن تقول أيضا أيها الغبي ؟

حاجي واد في هذا المشرب ثلاثة من فطاحل الشعراء ،

١٥. صاغر في التركيبة بمعنى الاصم ، وهي قريبة الشبهه من

شاعر .

من طارحهم الشعر فغلبهم ، نال عشرين دينار او كسوة (١) كيف
الا تثق في قدرتك ؟

القره كوز - وهل في ذلك ريب

وفي المشهد الثاني يظهر عاشق قلوبي وهو يتغنى بأغنية فيعارضه
القره كوز ، وكلما قال احدهما بيتا في معنى من المعاني ، جاوبه
صاحبه وطارحه .

قلوبي - (اقدم ايها العاشق ، وسل عن صفة الحميا معاقر دنها
في هذه الدنيا ، سل من ائلمته نخر الشعر واخذت فيه مأخذها
واذا ما أردت ان تسأل العثقاء خبرا ، فسل من بسط جناحه
ليصل الى قلة قاف بعد ان حلق على سبعة بحور) .

القره كوز - (سل عن متعة الدنيا وبهجتها ، ذلك الغنى الملى
المتلاف . اما عن خشية الردى فسل ذلك الفأر الذي تردى في
المصيد) وإذا قلت القحة ماهي ، فتعال يا عاشق قلوبي . وسل
عنها ذلك الشاعر الذي يغلب في المطارحة ثم يهرب بعار وشنار) .
قلوبي - بخ بخ ا بسط يدك الى ياقره كوز لأقبلها ، لقد غلبتني ،

١٠ ، كانت الجوائز تمنح للمتصرف في المطارحات من هؤلاء الشعراء

راجع (Georg Jacob, Die Akserai-Schule, S8 (Berlin 1899)

وسأنادى صاحبي ، فطارحه الاشعار .

القره كوز - وليكن اين هذا الذهب ؟

قلوبى - ماهذا الذى تسمونه (اوسكى) لا أستطيع الفهم (١)

القره كوز - ان العشاق من أمثالنا يسمون الذهب (اوسكى)

ويقنع قلوبى القره كوز بضرورة مطارحة صاحبيه والتغلب

عليها ، ويمضى فى طلبهما . اما حاجى واد فيزف اليه التم - انى

بانتصاره على الشاعر .

القره كوز - لن يكون هؤلاء من الشعراء امامى !

حاجى واد - سنرى ياقره كوز ، ان الرجل لآت فى التو

والساعة .

القره كوز - ليحضر حتى ينال نصيبه .

ويأتى عاشق درونى ، فيجل القره كوز اعظم اجلال ، ويقول

شعرا فيرد القره كوز عليه بقوله (إذا انت لم تدر ما هوى العشاق

فإنك فى عداد الحيوانات ! من يعشق حبيبا غليظ القلب فهو

بصلة مقشورة ! افتح عينيك ياقره كوز لتلا يخذلك قوم لاوفاء

لهم . لا تخش احدا ، ان الامتحان سهل يسير . (٢)

١٠ Oski فى الارمنية بمعنى ذهب .

٢٠ هذه المطارحة تسمى الامتحان عند الترك .

دروني - الصفح والفقو ياسيدي ، ان مثل لا يطارح مثلك
الشعر ، سأمضي واستحضر صاحبي . ويأتي شاعر ثالث فيلقى على
القره كوز اغزا ، ومن عجائب المصادفة ان يكون القره كوز قد
سمع بهذا اللغز من حاجي واد . وهو في المبخرة ، وبذلك يفوز
القره كوز على من يساجله .

وكان القره كوزو تمثيلياته وسيلة تتخذ أحيانا لاحاطة السلطان
او العظيم علما بأمر دقيق من الأمور يفضل فيه التلويح على التصريح ،
فإذا اراد اصحاب الحاجة مثلا ان يذكره بحاجتهم وكلوا الى
القره كوز ان يتحدث بلسانهم ويكنى عن مطالبهم . ومثال ذلك
ان كريمة محمد على باشا الكبير رأس الأسرة المالكة المصرية ،
استزارت عقيلة الصدر الأعظم ، وشاهدت الزائرة التركية
يمثليات القره كوز في قصر الأميرة المصرية ، فعرفت كثيرا من
عاداتها واساليب حياتها ، لأن التمثيل كان مصورا لبيتها كما كان
القره كوز يتحدث عنها وعن حاشيتها^(١) اما حال القره كوز في تركيا
اليوم ، فيقول ريتر انها لا تدعو الى اليأس ، رغم منافسة الحياة
له ، فإن بعضا من اللاعبين المهرة يمارسون هذه الحرفة ولكن

Mme Kibrizli-Mehemet-Pacha, Trente ans dans (٤)
les Harems d'Orient P 103 (Paris 1892)

الى جانب حرفتهم الاصلية ، وغنى عن البيان انهم لا يمجدون من
الفرص لعرض العايم ما كان يحد اسلافهم من قبل غير انهم اذا
عرضوها ، ملسكوا على المشاهدين اعجابهم . وجدير بالذكر أن
شيوخ الجيل القديم وحدثان الجيل الجديد يستوون في هذا
الاعجاب بالقره كوز . (١)

Hellmut Ritter, Karagös, Türkische Schattenspiele (١)
S 12, Zweite Folge (Istanbul 1941)

المصادر التركية

- ضيا كوك آلپ ، تورك مدنيتى تاريخى ، استانبول ١٣٤١ ،
كوپربلى زاده محمد فؤاد ، شهاب الدين سليمان ، يكي عثمانلى
تاريخ ادبياتى ، برنجى جلد ، استانبول ١٣٣٢ ،
شهاب الدين سليمان . تاريخ ادبيات عثمانيه ، استانبول ١٣٢٨ ،
فاتق رشاد . تاريخ ادبيات عثمانيه ، برنجى جلد ، استانبول ،
عبد الحليم ممدوح . تاريخ ادبيات عثمانيه ، استانبول ١٣٠٢ ،
معلم ناجى . اسامى ، استانبول ١٣٠٨ ،
معلم ناجى . عثمانلى شاعرلىرى ، استانبول ١٣٠٧ ،
ضيا باشا . خرابات ، برنجى جلد ، استانبول ١٢٩١ ،
رجائى زاده محمود اكرم . تعليم ادبيات ، استانبول ١٢٩٩ ،
محيى الدين . يكي ادبيات ، استانبول ١٢٣٠ ،
محمد توفيق . قافله شعرا ، استانبول ١٢٩٠ ،
على نور الدين . كلام الملوك ملوك الكلام ، استانبول ١٣١١ .

قسطمونیلی لطیفی . تذکره لطیفی « در سعادت ۱۳۱۴ » .

احمد مختار . شاعر خانلرمز « استانبول ۱۳۱۱ » .

أبو الضیاء توفیق : نمونه ادبیات « استانبول ۱۳۰۸ » .

« . . . نفعی » استانبول ۱۸۸۷ م .

طیار زاده احمد عطائی . تاریخ عطا ، دردنجی جلد

« استانبول ۲۹۳ » .

شمس الدین سامی . قاموس الأعلام ، یدی جلد « استانبول

۱۳۰۶ » .

نامق کمال بك . تخریب خرابات « قسطنطنیه ۱۳۰۴ » .

توفیق فسکرت . رباب شکسته « استانبول ۱۳۲۶ » .

جودت باشا . تاریخ جودت ، بشنجی جلد « در سعادت

۱۳۰۹ » .

احمد راسم . عثمانلی تاریخی ، برنجی جلد « استانبول ۱۳۳۰ » .

شیخ غالب . حسن و عشق « بولاق ۱۲۵۲ » .

دیوان نسیمی « استانبول ۱۲۸۶ » .

دیوان فطنت ، « استانبول ۱۲۸۶ » .

دیوان ایلا خانم « بولاق ۱۲۶۰ » .

کلیات اشعار روحی بغدادی « استانبول ۱۲۸۷ » .

- کلیات فضولی « استانبول ۱۲۹۱ » ،
دیوان فهم ، نسخه مخطوطه بمسکته جامعه فؤاد الاول
رقم ۱۴۸۸ ترکی
فاضل بك . زنان نامه « مخطوط » ،
« . خوبان نامه »
اسماعیل حبیب ، تورك تجدد ادبیاتی تاریخی « استانبول ۱۳۴۰ » ،
قونوش ، تورك خلق ادبیاتی « استانبول ۱۹۲۵ » ،
نعیم . تاریخ نعیم ، اوچنجی جلد « استانبول » ،
دیوان کلشن افکار واصف اندرون « استانبول ۱۲۸۵ » ،
لامعی . نفحات الانس
دیوان شناسی « قسطنطنیه ۱۳۰۳ » ،
شناسی ، ضروب أمثال عثمانیه « قسطنطنیه ۱۲۸۷ » ،
رشاد ، کمال « استانبول ۱۳۲۶ » ،
نامق کمال ، أوراق پریشان « استانبول ۱۲۸۸ » ،
« . وطن یاخود سلسله « استانبول ۱۲۸۹ » ،
سلیمان شوکت ، یکی کوزه ل یازیلر ، برنجی جلد « استانبول
۱۹۲۸ » ، اوچنجی جلد « استانبول ۱۹۲۷ » ، درنجی جلد « استانبول
۱۹۲۳ »

- «استانبول ۱۹۲۷، دردنجی جلد «استانبول ۱۹۲۳» ،
 نامق کمال ، رؤیا «استانبول ۱۳۲۶» ،
 عا کف . عا کف باشا «استانبول ۱۲۹۰» ،
 عبد الحق حامد ، بالادن برسس «استانبول ۱۳۲۷» ،
 «حجله «استانبول ۱۳۰۳» ،
 «مقبر ، اولو «استانبول ۱۳۴۰ - ۱۹۲۲» ،
 «طارق یاخود اندلس فتحی «استانبول ۱۲۹۶» ،
 علی اکرم ، رجائی زاده محمود اکرم بك «استانبول ۱۳۳۹» ،
 رجائی زاده محمود اکرم ، زمزمه «استانبول ۱۳۰۶» ،
 «تفسر «استانبول ۱۳۰۳» ،
 «تقدیر الحان «در سعادت ۱۳۰۱» ،
 معلم ناجی ، خرده فروش «استانبول ۱۳۰۲» ،
 «دمدمه «استانبول ۱۳۰۳» ،
 «آتش پاره «قسطنطنیه ۱۳۰۳» ،
 توفیق فسکرت بك ، خلوقك دفترى «استانبول ۱۲۲۷» ،
 ساطع ، توفیق فسکرت وتریبه «معلم» «استانبول ۱۳۲۳» ،
 ضیا كوك آلپ ، یکی حیات «استانبول ۱۹۱۸» ،
 «تورکچیلک اساسلى «آنقره ۱۳۲۹» ،

محمد عاكف بك ، صفحات ، برنجى كتاب ، استانبول
، ۱۹۲۸ ، بشنچى كتاب ، ۱۳۳۶ ، يدنجى كتاب ، مصر ۱۹۲۳ ،
ديمتريادس ، ضروب أمثال عثمانیه و فرانسويه ، قسطنطينيه
، ۱۳۰۵

حسين سيرت ، ليال كريزان ، پارس ۱۹۰۴ ،

Hamit Zubeyir Kosay, Elamca - Turkece Dilakrobaligi;
(Ankara 1937)

Resat Ekrem, Sumer Türkleri (Istanbul 1939)

Agah Sirri Levend, Edebiyat Tarihi Dersleri, Tanzimata
Kadar (Istanbul 1939)

Agah Sirri Levend, Tanzimat Edebiyatı (Istanbul 1936)

« « « , Servetifünun Edebiyatı (Istanbul
1938)

Mustafa Nehat Özön, Son Asir Türk Edebiyatı Tarihi
(Istanbul 1945)

Suheyh Unver, Fatih Külliyesi ve Zamani ilim Hayati
(Istanbul 1946)

Saffet Sitki, Fatih Divanı (Istanbul 1944)

Cavid Baysun, Cem Sultan, Hayati ve Siirleri (Istanbul
1946)

- Prof Dr. Ali Nihad Tarlan, Vavuz Sultan Selim Divan
(Istanbul 1946)
- Gölpınarlı, Fuzulî Divanı (Istanbul 1948)
- Mahmud Kemal Inal, Son Asir Türk Sairleri, cüz
7, 9, 10 ve 11 (Istanbul 1940)
- Ihsan Sungu, Tanzimat ve Yeni Osmanlılar (Istanbul
1940)
- Murat Uraz, Sair ve Edpilerin Hayatı (Istanbul)
- Dr. Rıza Tevîk, Tevfîk Fikret (Istanbul 1945)
- Faruk Nafiz, Tevfîk Fikret (Istanbul 1937)
- Sabiha Sertel, Tevfîk Fikret (Istanbul 1946)
- Fevziye Abdullah, Tansel, Mehmed Akif, Hayatı ve
Eserleri (Istanbul 1945)
- Abdülhak Hamid, Makber (Istanbul 1944)
- Agah Sirri Levend, Nabi 'nin Surnamesi (Istanbul 1944)
- Ahmet Refik, Lale Devri (Istanbul 1932)
- « « İlk Türk Matbaası (Istanbul 1929)
- Ismail Hikmet, Ziya Paşa (Istanbul 1932)
- Ibrahim Necmi, Abdülhak Hamit ve Eserleri (Istanbul-

1932)

Mithat Cemal Kuntay, Namik Kemal (Istanbul 1944)

Enver Behnan Sapelyo, Halk Ninnileri (Istanbul 1938)

Tahir Alangu, Calgili Kahvelerdeki Kùlhanbey
Edebiyati ve Nùmuneleri (Istanbul 1943)

Fuad Kùprùlü, Türk Sazsairleri iii (Istanbul 1941)

Sabri Siyavusgil, Karagöz (Istanbul 1941)

المصادر الفارسية والعربية

بديع الزمان فروزان فر ، مولانا جلال الدين محمد دهران

، ۱۳۱۵

سعدى الشيرازى . (كلستان) كليات سعدى د بمبي ۱۳۳۵ ،

دكتور قاسم غنى . تاريخ تصوف در اسلام د طهران ۱۳۲۲ ،

دكتور رضا زاده شفق . تاريخ ادبيات ايران د طهران ۱۳۲۱ ،

مير على شير نوائى . مجالس النفايس ، بسعى واهتمام على اصغر

حكمت د طهران ۱۳۲۳ ،

عبد الله رازى ، تاريخ ايران د طهران ۱۳۱۷ ،

عبد الرحمن الرافعى بك . تاريخ الحركة القومية . جزءان

د القاهرة ١٩٢٩ ،
الدكتور عبد الوهاب عزام بك . قصة الأدب في العالم ،
الجزء الاول ، القاهرة ١٩٤٣ ،
الدكتور زكى مبارك - المدائح النبوية ، القاهرة ١٩٣٥ ،
الاستاذ حمزه طاهر . التصوف الشعبي في الادب التركي ، فصلة
من مجلة كلية الآداب المجلد الثاني عشر ، الجزء الثاني ديسمبر ١٩٥٠

المصادر الاوربية

Bittner, Der Einfluss des Arabischen und Persischen
auf das Türkische (Wien 1900)

Vambery, Uigurische Sprachmonumente und das
Kudatku Bilik (Innsbruck 1870)

Von Hammer Purgstall, Geschichte der osmanischen
Dichtkunst, B1,3,4 (Pesth 1836)

Yoseph Von Hammer, Baki's Diwan (Wien 1828).

Hachtmann, Europäische Kultureinflüsse in der
Türkei (Berlin 1918)

Hachtmann, Türkisch Wie man es erlernt und lehrt

(Stuttgart)

Carl Von Sax, Geschichte des Machtverfalls der
Türkei (Wien 1913)

Paul Horn, Geschichte der persischen Litteratur
(Leipzig 1901)

Paul Horn, Geschichte der türkischen Moderne
(Leipzig 1902)

Menzel, Die türkische Literatur (Die orientalischen
Literaturen, Berlin 1925)

Babinger, Die Geschichtsscheiber der Osmanen
(Leipzig 1927)

Wickerhauser, Deutsch - Türkische Chrestomathie
(Wien 1853)

O. Freih V Schlehta Wssehrd, Osmanische
Sprichwörter (Wien 1865)

Goerg Yacob, Geschichte des Schattentheaters
«Berlin 1907»

Georg Yacob, Die Akserai - Schule "Berlin 1899,,

Hellmut Ritter, Karagös, Türkische Schattenspiele

Zweite Folge (Istanbul 1941)

Cornelio Di Marzio, *La Turchia Di Kemal* (Milano
M c M xx vi)

Rossi, *La Nouva Turchia* « Firenze 1939 »

Cahun, *Introduction a l'histoire de l'Asie* « Paris 1896 »

Basmadjian, *Essai sur l'histoire de la littérature
ottomane* « Paris 1910 »

Barthold, *Histoire des Turcs d'Asie Centrale*
(Paris 1945)

Youannin et Van Gaver, *Turquie* « Paris M D cccx L »

Navarjan, *Les Sultans Poètes* « Paris 1936 »

Haidar Bammate, *Visages de L'Islam* « Lausanne 1946 »

Nicolas, *Les Quatrains de Khèyam* « Paris 1867 »

Moustapha Djelaleddin *Les Turcs, anciens et
modernes* « Paris 1870 »

Carra de Vaux, *Les Penseurs de L'Islam* V, 1, 4.
(Paris 1973)

Assad Effendi, *Précis historique de la Destruction
du corps des Janissaires par le Sultan Mahmoud en*

1826, Traduit par Caussin de Perceval "Paris M D
ccc xxx iii,,

Clément Alzonne, Istanbul "Paris 1947,,

Ubicini, La Turquie Actuelle "Paris 1855,,

Edmond Fazy et Abdul-halim Memdouh, Anthologie
de L'amour turc "Paris mcmv,,

Dorys, Abdul - Hamid Intime "Paris 1903,,

Seignobosc, Turcs et Turquie "Paris 1920,,

Mme Kibrizli - Mehemet - Pacha, Trente ans dans
les Harems d'Orient "Paris 1892,,

Le Prince Arfa - Od - Dogleh, Poésie et Art Persans
a Monaco "Monte-Carlo 1919,,

Taderini, Letteratura Turchesca, Traduit de l'Italien
en Francois par l'Abbé de Courmand "Paris 1789,,

Davids, Grammaire Turke, Traduit de l'Anglais par
Sarah Davids «Londres 1836,,

Thornburry, Turkish Life and Character, V,1(London
m. Dccc Lx)

Eyrenol, Revolutionary Turkey "Ankara 1936"

- Halide Edib, Conflict of East and West in Turkey
«Lahore 1935»
- Wells, The Literature of the Turks «London 1891»
- Ikbal Ali Shah, Islamic Sufism "London 1933»
- Luke, The city of Dancing Dervishes "London 1914,,
- Penzer, The Harem "London 1936,,
- Brockelmann, History of the Islamic Peoples (London
1949)
- Birge, The Bektashi Order of Dervishes "Hartford
1947,,
- Gibb, A History of ottoman Poetry 6 volumes
"London 1910,,
- Gibb, Ottoman Literature (London 1901)
- « The History of the Forty Vezirs (London 1886)
- Hughes, A Dictionary of Islam (London 1885)
- Browne, A Persian Anthologie (London 1927)
- Field, Persian Literature (London)
- Lybyer, The Government of the ottoman Empire in

the time of Soleiman the Magnificent (Cambridg 1913)

Garnett, Turkey of the Ottomans (London 1911)

Monroe, Turkey and the Turks (London mDcccviii)

Wittek, Turkish Reader (London 1945)

Heyd, Foundations of Turkish Nationalism (London
1950)

Ronart, Turkey To-Day (London mcmxxxviii)

Blochmann, Contributions to Persian Lexicography
(Calcutta 1862)

Charles Adams, Islam and Modernism in Egypt
(London 1933)

Lane-Poole, Turkey „London 1908”

ثبت باسماء السلاطين و تاريخ حكمهم

تاريخ تملكه	اسم السلطان
٥٦٩٩-١٢٩٩م	عثمان
٥٧٢٦-١٣٢٦م	اورخان
٥٧٦١-١٣٥٩م	مراد الاول
٥٧٩٢-١٣٩٠م	بايزيد الاول « ييلدير يم »
ثم مضت فترة من الزمن قدرها احد عشر عاما تنازع فيها العرش اولاد السلطان بايزيد الاول وهم الامير سليمان والامير عيسى والامير موسى والامير محمد ، وقد بدأت بعد موت بايزيد الاول سنة ٨٠٥ هـ - ١٤٠٣	
٥٨١٦-١٤١٣م	محمد الاول « حلي »
٥٨٢٤-١٤٢١م	مراد الثاني
٥٨٥٥-١٤٥١م	محمد الثاني « الفاتح »
٥٨٨٦-١٤٨١م	بايزيد الثاني

تاريخ تملكه	اسم السلطان
١٥١٢م - ١٩١٨م	سليم الاول «ياوز»
١٥٢٠م - ١٩٢٦م	سليمان الاول «القانوني»
١٥٦٦م - ١٩٧٤م	سليم الثاني
١٥٧٤م - ١٩٨٢م	مراد الثالث
١٥٩٥م - ١١٠٠٣م	محمد الثالث
١٦٠٣م - ١١٠١٢م	احمد الاول
١٦١٧م - ١١٠٢٦م	مصطفى الاول
١٦١٨م - ١١٠٢٧م	عثمان الثاني
١٦٢٣م - ١١٠٣٢م	مراد الرابع
١٦٤٠م - ١١٠٤٩م	ابراهيم
١٦٤٨م - ١١٠٥٨م	محمد الرابع
١٦٨٧م - ١١٠٩٩م	سليمان الثاني
١٦٩١م - ١١١٠٢م	احمد الثاني
١٦٩٥م - ١١١٠٦م	مصطفى الثاني
١٧٠٣م - ١١١١٥م	احمد الثالث
١٧٣٠م - ١١١٤٣م	محمود الاول
١٧٥٤م - ١١١٦٨م	عثمان الثالث

تاريخ تملكه	اسم السلطان
١١٧١ هـ - ١٧٥٧ م	مصطفى الثالث
١١٨٧ هـ - ١٧٧٣ م	عبد الحميد الاول
١٢٠٣ هـ - ١٧٨٩ م	سليم الثالث
١٢٢٢ هـ - ١٨٠٧ م	مصطفى الرابع
١٢٢٣ هـ - ١٨٠٨ م	محمود الثاني
١٢٥٥ هـ - ١٨٣٩ م	عبد المجيد
١٢٧٧ هـ - ١٨٦١ م	عبد العزيز
١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م	مراد الخامس
١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م	عبد الحميد الثاني
١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م	محمد الخامس
١٣٣٦ هـ - ١٩١٨ م	محمد السادس

والغيت السلطنة في اول نوفمبر سنة ١٩٢٢ ثم اعلنت الجمهورية في ٢٣ اكتوبر سنة ١٩٢٣ تحت رئاسة مصطفى كمال باشا . والغيت الخلافة في الثالث من مارس سنة ١٩٢٤ . وفي عام ١٩٣٤ سمي مصطفى كمال باشا نفسه ، انا تورك ، أى جد الترك .

فهرس

٧	كلمة العماد الاصفهاني
٩	مقدمة
١٩	الترك
٣٧	نشأة الادب التركي
٤٥	سلطان ولد
٤٨	يونس امره
٥٤	عصور الادب التركي
٦٥	الادب القديم ، الدور الاول ،
٦٦	عاشق باشا
٧١	سليمان حلبي
٧٥	شيعي
٨٤	احمدى
٨٩	القاضي برهان الدين

٩٦	احمد داعى
٩٩	سيميى
١٠٦	رفيعى
١١٠	صلاح الدين الكاتب وولده
١١٩	السلطان مراد الثانى
١٢١	شيخ زاده
١٣٠	السلطان محمد الفاتح
١٣٤	احمد باشا
١٤١	سنان باشا
١٤٧	الامير جم
١٥٦	حمدى
١٦٨	نجاتى
١٧٦	مهري خاتون
١٨٢	زينب خاتون
١٨٥	مسيحى
١٩٤	السلطان سليم الاول
١٩٨	كمال باشا زاده
٢٠٥	الادب القديم: « الدور الثانى »

۲۰۹	سہی بك، لطیفی، عاشق چاہی احمد عہدی
۲۱۰	السلطان سليمان القانونی
۲۱۴	لامعی
۲۲۴	ذاتی
۲۲۷	خیالی بك
۲۳۰	فضولی
۲۴۶	یحیی بك
۲۵۴	باقی
۲۷۴	روحی البغدادی
۲۷۸	خاقانی
۲۸۵	سعد الدین
۲۸۸	پجوی
۲۹۰	نعمی
۲۹۶	شیخ الاسلام یحیی افندی
۳۰۲	فہیم
۳۰۶	نابی
۳۱۴	قورچی بك
۳۱۷	نعمیا

۳۲۱	تدبیر
۳۲۷	غالب
۳۳۳	کافی
۳۳۹	فطنت خانم
۳۴۴	فاضل بک
۳۵۲	واصف اندرونی
۳۶۰	لیلی خانم
۳۶۶	العصر الحدیث
۳۶۸	مترجم عاصم
۳۶۹	خواجه اسحق
۳۷۱	بهجت مصطفی
۳۷۶	عاکف باشا
۳۸۱	ادهم پرتو باشا
۳۸۴	شناسی افندی
۳۹۵	ضیا باشا
۴۰۸	نامق کمال بک
۴۲۶	عبد الحق حامد بک
۴۴۳	رجائی زاده محمود اکرم بک

٤٥٤	معلم ناجي
٤٦٧	خالد ضيا بك
٤٧٦	توفيق فسكرت بك
٤٨٨	عمر مميف الدين
٥٠٥	ضيا كوك آل پ
٥١٥	محمد عاكف بك
٥٢٧	حسين سيرت بك
٥٢٧	الادب الشمعي
٥٧٣	المصادر
٥٨٦	ثبت بأسماء السلاطين وتواريخ حكمهم

فهرس الاعلام

	(١)
احمد والسلطان، ٢٢٣	
احمدى ٨٥ ر ٨٧ ر ٩٠	
احمد باشا ١٣٠ ر ١٣١ ر ١٣٢ ر	ابراهيم باشا ١٩٨ ر ٣٢١
١٣٣ ر ١٣٤ ر ١٣٥ ر ١٣٦	ابن تغرى بردى ٢٠١
١٢٧ ر ١٢٨ ر ١٢٩	ابن خلدون ١٩
احمد راسم ٥٧٤	ابن كمال ١٩٨
احمد مختار ٢١٠	ابو الضيا توفيق ٥٧٤
احمد والامير، ١٨٦	ابو تمام ٢٦٤
احمد بك ٢٩٨ ر ٢٩٦	ابو الفتح ١٣٠
احمد المصرى ١٢٣	ابو منصور الحلج ١٠٠
احمد هاشم ٥٢١	ابو نواس ٢٢٨
احمد وفتيق باشا ٥٤٢	آتش ٤٧٢
آدم ١٠٥	

الشومريون ٢١
القردوسي ١٥٧ ر ١٥٩
الفونس دوديه ٤٦٨
الغوري ٣٤٦
الكسندر دوما ٤٢٥
المسيح عليه السلام ١٨٦
اليصابات ١٢
أمير حلب ٢٩٤
اميل ٣٩٥ ر ٤٠٢
أنيس بهيج ٤٥
آق شمس الدين ٨٣ ر ١٣٥
ابجد ٤٥٠
أورخان ١٦٥ ر ١٦٧

(ب)

باير ٢٦
باصماجيان ٥٩ ر ١٥٠ ر ١٨٠
٢٢٥ ر ٣٠٤ ر ١٦٥

اده بالي ٦٥
ادريس ١٩٥ ر ٢٠٠
أرسطو ١٢
الحسين دالامام، ٢٢١
أسعد افندي ٢٤٠ ر ٢٧٢
استياج ٣٥
اسكندر ٩٧ ر ١٥٥
اسكندر بك ١٧٦
اسماعيل الصفوي ١٩٤ ر ٢٠٠
٥٠١
اسماعيل آغا ٣٩٧
اسماعيل حبيب ٣٧٥ ر ٣٨٦
٥٢٠ ر ٤٠٣
اسماعيل حقي ٥٣٦
اسلام بك ٤١٤
اقليدش ١٢
آكاه سري ١٦٨ ر ٢١٤

(ب)

پاول هورن ۳۸۸۱۹۶
پجوى ۲۸۹۲۸۸
پبرى زاده ۴۳۵

(ت)

تلماك ۴۰۲
تودرىنى ۱۷۸
توفيق فسكرت بك ۴۷۵۲۳۷
۴۸۸۴۳۵۲۵۷۴۵۷۱
تيمورلنك ۹۹۹۵۲۸۵

(ج)

جامى ۲۱۷۱۳۱۵۹۱۲۱۶۲۱۷
جان جاك روسو ۳۹۵
جب ۲۰۱۱۶۰۱۴۳۸۳۵
۲۰۷۲۰۸۲۶۴۲۳۲۵
۳۰۸۳۲۹۳۰۱

باقى ۲۵۵۲۶۱۲۶۲۰۷ ر

۳۷۰

بايزيد الاول، ۱۱۹۷۱ ر
۱۷۱۹۸۱۲۳ ر
الثانى، ۱۳۱۹۷ ر

۴۹۶

براون ۸۰۱۰
برهان الدين والقاضى، ۴۳
دشاکر، ۹۴
بهاء الدين ۲۱۵۴
پرام ۲۳۱۹۸
بلطجى باشا ۳۰۷
بلاکه قاغان ۲۴
بوستان زاده محمد افندى ۲۵۷
بوغراخان ۲۶
بول بورجيه ۴۶۸
بيجان ۱۱۵

حملى ۱۶۷	جاويد بيسون ۱۵۰
حسين سيرت ۵۲۷	جزرى قاسم باشا ۱۳۰
حسين قبطان ۳۵۶	جلال الدين الرومى ۴۶۷۴۱۴۰
حسين واعظ النكاشى ۲۴۳	۵۰ ر ۶۷ ر
حس ۲۳۰	۶۹ ر ۵۰۳ ر
حشمت ۳۴۱۳۴۰	۵۴۷
حمزه طاهر ۵۳	جم والامير ۱۴۷
حمزه ۸۹۸۸	جمال الدين الافغانى ۵۱۸
حمزوى ۸۸	جمشيد ۱۷۰
حكيم على باشا ۳۳۴	جنكيز خان ۲۵
(خ)	جودت باشا ۵۷۴۲۳۸
خاقانى ۲۸۰۱۷۹	جوهرى ۳۹۸
خالده اديب ۶۰	(ح)
خالده ضيا بك ۴۷۵۴۶۸	حاجى بايرام ۷۶
خسرو ۲۶۱۲۰۹۸۴۸۰	حاجى بكتاش ۵۲
خواجه جهان ۱۳۰	حافظ الشيرازى ۱۳۵
خواجه اسحق ۳۶۹	حالت افندى ۳۶۲

خورشید ۸۱

خیر الله افندی ۴۲۷

(د)

دارا ۱۶۹

دافیدز ۱۸۷

داود خلیل ۳۹۶

درویش افندی ۳۴

دلارام ۹۸

دلر با ۴۱۸

دلی عمر ۴۸۸

دو کوردمانش ۴۴۹

(ر)

رجانی زاده محمود اکرم بك

۴۴۱ ر ۴۴۴ ر ۴۴۸ ر ۴۴۹ ر ۴۵۲ ر

۵۷۶

رستم باشا ۲۴۷

رشاد بك ۳۸۵

رشاد کمال ۵۷۵

رشید باشا ۴۲۸ ر ۳۷۸

رفیعی ۱۰۶ ر ۹۹

روحی البغدادی ۲۷۵ ر ۲۷۷ ر

۵۷۴

(ز)

زلیخا ۱۵۸ ر ۱۶۲ ر ۲۰۱ ر ۲۴۱ ر

۲۴۶

زینب هانم و خاتون، ۱۸۳ ر ۴۳

(س)

ساره برنار ۴۳۳

سان جورج ۱۸۴

سعد الدین ۱۴

سعدی ۱۲۷ ر ۱۳۰ ر ۲۰۰

سلطان ولد ۵۳ ر ۴۵

سلیم، الأول، ۱۹۴ ر ۱۹۵ ر ۲۰۱

شريفى ۱۱
شمس الدين سامى ۵۱۶ ر ۲۱۳ ر

۲۷۱

شناسى افندى ۱۶۱ ر ۲۸۸ ر ۲۹۳ ر

۴۲۶ ر ۴۰۹ ر ۳۸۴

۵۷۵

شهاب الدين سليمان ۵۶ ر ۱۱۹ ر

۱۳۰ ر ۱۳۱ ر

۱۴۱ ر ۲۳۳ ر

۱۷۳ ر ۱۷۴ ر

۱۸۵ ر ۲۰۰ ر

۲۵۷ ر ۴۰۰ ر

۴۲۳ ر ۵۷۳

شيرين ۸۰ ر ۸۴ ر ۲۱۶ ر ۲۰۹ ر

شيخى ۵۵ ر ۷۶ ر ۷۵ ر ۷۷ ر ۸۴ ر

۸۵ ر ۹۱ ر ۱۰۰ ر ۳۳۸ ر

۳۹۲

۲۸۵ ر ۲۸۶ ر، الثانى، ۲۵۵ و الثالث

۲۸۴ ر ۳۵۱ ر ۳۵۵ ر ۳۶۸ ر

سليمان ۹۷ ر ۱۵۵

سليمان حاجى ۷۰ ر ۹۱ ر ۱۶۵ ر ۸۲۷ ر

سليمان القانونى ۱۲ ر ۲۰۰ ر ۲۰۱ ر

۲۰۲ ر ۲۰۷ ر ۲۴۳ ر

سليمان والامير، ۷۷

سليمان والنبي، ۳۵۵ ر ۵۴۷

سليمان رشاد ۳۴

سليمان شوكت ۵۷۵

سليمان قبطان ۴۱۸

سنان باشا ۵۶ ر ۱۴۱ ر ۱۴۲ ر

(ش)

شارل الثامن ۱۵۰

شاهنامه ۲۸۳

شتاين جاس ۱۷۱

(ع)

صديقي ١٣٤

عاشق باشا ٦٦٥٥

صنيع الله افندي شيخ الاسلام

عاشق عمر ٣٩٨

٢٥٧

عاصم افندي ٣٦٨

صلاح الدين ١١٢١١٠

عاكف ٧٦٦٤١٨٣٧٧٣٧٦

(ض)

عبد الحق حامد ١٩٩ ر ٢٠٠

ضيا باشا ٤٠٣٢١١٠٣٥٣

٤٣٢٤٢٦٢٠١

٤٢٨٤٠٢٣٩٩٣٩٥

٤٣٨٤٣٧٤٣٥

٥٧٣٤٤٣٤٤٢٤٤١

٤٤٣٤٤٠٤٣٩

ضيا كوك آلب ٥١٣٥١٢٥٠

٥٠٧٤٧٨٤٥٨

٥٧٦

٥٧٦

عبد الحميد ١٩٦ ر ٤٤٠ ر ٤٤١

(ط)

٤٧٩٤٧٨٤٦٧٤٦٥

طابديق امره ٥٢

٥٠٧٥٠٦

طهاسب ، الشاه ، ٢٢٨

عبد الحلیم مدوح ٥٦ ر ١٢١ ر ١٩٦

طوطي ٢٥٧

٥٧٣

علي نور الدين ١١٩ ر ١٢٠ ر ٥٧٣

٥٧٥ ر ٥٧٤

علي نهاد تارلان ١٩٦

عمر الخيام ١٢١

عمر سيف الدين ٤٨٨ ر ٥٠٢

هيسي وعليه السلام، ١٢٤ ر ١٢٥

١٧٠

(غ)

غالب والشيخ غالب، ٣٢٧ ر ٣٣٠

٥٧٤

(ف)

فاروق نافذ ٤٧٧

فاطمه هانم ٤٣٠ ر ٤٣٩ ر ٤٤١

٤٤٣ ر ٤٤٦

فاضل بك ٣٤٦ ر ٣٤٧ ر ٣٤٨

عبد الحق ٤٢٧

عبد الرحمن الثالث الأندلسي ٤٣١

٤٣٢

عبد المجيد والسلطان، ٣٦٤ ر ٣٦٦

٣٧٣ ر ٣٧٤

عبد الله بن بايزيد ١٧١

عبد الله جودت ٥٠٧

عثمان الأول والسلطان، ٣٤٤ ر ٦٥

٦٦

عرفى الشيرازي ٢٧٣

عشق واسم قى، ٣٣٠

علي بك ٤٢٣

علي اصغر حكمت ١٩٦

علي اكرم ٥٧٤ ر ٥٧٥ ر ٥٧٦

٥٧٧

علي قوشجي ١٥١

١٥٥٠١٥٤١٠٠٠٩٩

١٧٣١٧٢١٥٨١٥٦

٣٤٢١٨٩١٨٨١٧٤

٣٤٥٠٣٤٤٣٤٣

فؤاد ٤٠٧

فنون ٤٠٢

فهم ٥٧٥٣٠٥٣٠٢

فيثاغورس ٣٨٩

فيليب ملك اسبانيا ١٢

(ق)

قاضي العسكر ١٣٤

قسطنطيني لطيفي ٥٧٤

قوتلوغ قاغان ٢١

قوچي ٣١٨٣١٧٣١٦٣١٥

قونوش ٥٧٥٠٣٥٠٣٥٤٠

قورقود ١٩٤

٣٥٠٣٤٩٣٤٤

٥٧٥٤٠٦٣٥٢

فاتق رشاد ٤٥٦٢٣٢٢٥٦٢٥٥

فتح الله عارف ٢٨٥٢٨٤

فخر الدين كركاني ٢١٩

فرجيل ٤٢٩

فرخشاد ٨١

فرهاد ٨١

فريد الدين العطار ٥٦١

فضولي ٣٢٤٣٢٢٢٣٢١٢٣٠

٥٧٥

فريدون بك ٢٧١

فضل الله ٢٣٣١٠٠

فضل الله بن محمد التبريزي ١٠٠

فطنت هانم ٣٣٩٠٣٤١٢٤٠

٣٤٥٣٤٢٣٤٢

فون هامر ٩٨٩٧٩٦٧٦٢٢

محمود اكرم بك ٤٤٣٢٩١
محمود السلطان، ١٦٤٣٦٤٣٥٨
٣٨٢٣٧١٣٤٠
محمود بن بايزيد ١٧١
محمود عثمان النقاش ٢١٥
محمود كمال اينال ٥٣٢
محي الدين ٢٢٤٣٣٢ ر ٢٦٤ ر
٥٧٣١٥٥٣٤٢٥٣٤
مختار بك ٤١٧
مراد السلطان، ٩٨٧٥٨٠ ر
٢٧٣٢٥٦١٠٠
مراد الثاني ١٢٠٧٨ ر ١٢١
مراد الثالث ٢٥٥٢٨٨ ر ٣١٣
مراد الرابع ٢٧٣٢٨٩ ر ٢٩٩
٣٠١
مشتاق بك ٢٩٤
مصطفى ٢١٣
مصطفى باشا ٣٠٧

محمد ما كف ١٦٥١٥ ر ٥١٧
٥٢٦٥٢٥٣٦٢٤٣٥١٩
محمد النبي صلعم، ١٨٩٣٧٢ ر ٩٥
٣٥٥٣٤٣
محمد الاول «السلطان» ٩٥
محمد الثاني «الفاتح» ١٣١٣٠ ر
١٣٥١٤٣٣٣٣٣٢ ر ١٣٥
٢٩ ر ٣٤٤٣٣٤١٩
٤٢٠
محمد الثالث ٢٥٥١٣٠
محمد الرابع ٣٠٧
محمد عبده ٥١٨
محمد توفيق ١١٩ ر ٥٧٣
محمد علي باشا ٢٧٨
محمد يازيجي أوغلي ١١٣
محمد نيازي ١٣٠ ر ٥٣
محمود وأخواله امير عبد الله ١٧١
محمود باشا ١٣٠

(ن)

نابی ۵۰ ر ۵۶ ر ۵۹ ر ۱۶۲ ر ۱۶۴ ر

۳۰۵ ر ۳۰۶ ر ۳۰۷ ر ۳۱۳ ر

۳۱۴ ر ۳۱۵ ر ۴۱۸ ر

ناجی ۰۸ ر ۰۷ ر ۰۸ ر ۴۳ ر ۴۶ ر

۴۶۵ ر ۴۶۷ ر

نامق کمال بك ۴۵ ر ۴۰۷ ر ۳۰۸ ر

۳۰۹ ر ۳۲۸ ر ۴۰۲ ر ۴۰۳ ر

۴۰۴ ر ۴۰۹ ر ۴۱۶ ر ۴۱۸ ر

۴۱۸ ر ۴۲۰ ر ۴۲۵ ر ۴۲۸ ر

۸۲۴ ر ۴۴۳ ر ۴۴۴ ر ۵۷۴ ر

۵۷۵ ر ۵۷۶ ر

نامی ۱۷۶ ر ۱۷۷ ر ۱۷۸ ر

نجاتی ۵۵ ر ۵۷ ر ۱۷۲ ر ۱۷۴ ر

۱۷۵ ر ۱۷۶ ر ۱۹۰ ر

نجینی ۱۱

ندیم ۵۶ ر ۵۷ ر ۲۵۸ ر ۲۵۹ ر

مصطفی و الامیر، ۲۴۷

مصطفی ۳۷۱

مصطفی جلال الدین ۲۰۹

مصطفی فاضل باشا ۴۰

مصطفی التانی ۳۱۹

مظفر الدین شاه القاجاری ۵۲۰

ممتاز افندی ۴۰۷

معلم ناجی ۱۳۴ ر ۵۵۴ ر ۵۶ ر ۸۲۵ ر

۵۷۳ ر ۵۷۶ ر

مولانا جنون ۲۳

مهری خانون ۱۷۷ ر ۱۷۹ ر ۱۸۰ ر

موسی ۹۵

مولیر ۴۰۲

میر علی شیر نوان ۱۹۶ ر ۲۹ ر

مولانا جنون ۳۳۰

مؤیدی ۱۳۴

میلورانسکی ۹۴

وونی ۲۲

(لا)

لا لا محمد باشا ۲۸۸

لامعی ۲۱۴ ر ۲۱۵ ر ۲۱۹ ر

۲۲۲ ر ۲۲۳ ر

لافونتین ۳۹۱

(ی)

یادرنتیف ۲۳

یازیحی اوغلی ۱۱۸

یازیحی اوغلی احمد ۱۱۰

یازیحی اوغلی محمد ۱۱۰

یحیی ۲۱۱ ر ۲۱۷ ر ۲۴۹

یزید بن معاویة ۳۶۲

یونس امره ۴۸ ر ۴۹ ر ۵۰ ر

۵۱ ر ۵۲

۳۲۱ ر ۳۲۶

نسیمی ۴۳ ر ۹۹ ر ۱۰۰ ر ۱۰۱ ر ۱۰۲

۱۰۳ ر ۱۰۵ ر ۱۰۶

نصر الدین خوجه ۵۵۹

نعیبا ۵۷۵

نقعی ۵۶ ر ۵۷ ر ۲۹۰ ر ۲۹۵ ر ۳۰۷

۷۴۷

نقشبنده ۲۱۵

«ه»

هاختمان ۵۹

هاینه ۱۱

هومیروس ۴۲۹

واصف الاندرونی ۳۵۲ ر ۳۶۰

۵۷۵

(و)

والترسکوت ۴۲۵

يوسف ١٥٨٠٩٧ ر ١٧٤١ ر ١٩٢٢ ر

٢٤٩٢٠١

يوسف ضيا باشا ٣٥٦

يحيى أفندي ٣٠٠ ر ٢٩٦

يحيى بك ٢٤٧ ر ١٤٦

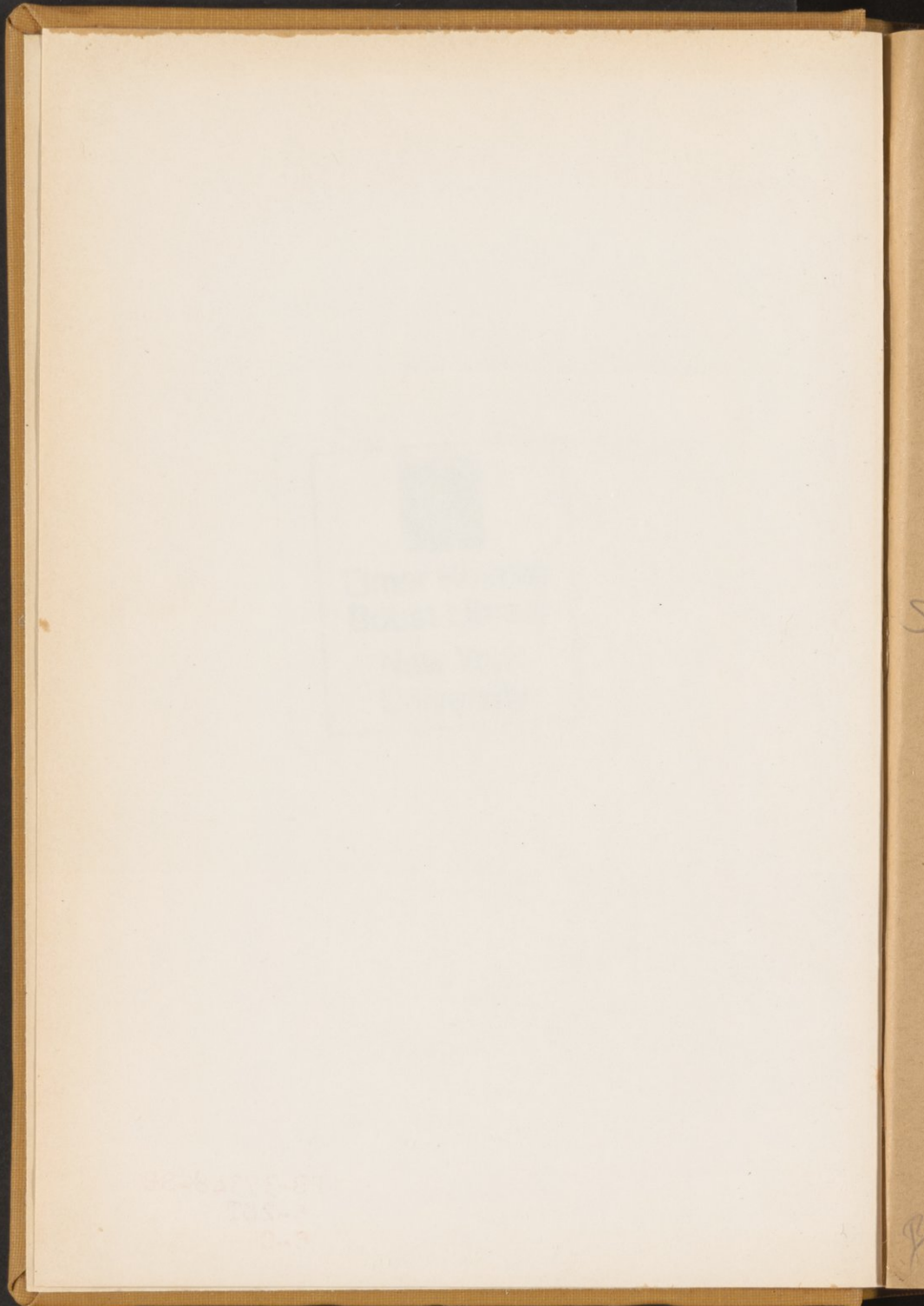
يوسف خاص حاجب ٢٧٠٢٦

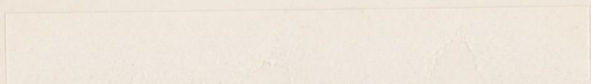
هذا الفهرس من عمل حضرة الأستاذ عصام محمد سليمان فاشكره
الشكر الذى هو أهل له من المؤلف

تصويبات

الصواب	الخطأ	ص	س
عصية	عصية	٢٢	١٦
طر بزون	طر بزون	٣٦	٤
اول	اولا	٥٦	١٣
لثلا	لا	١٣٢	٣
بوستان	وستان	١٣٨	١٤
فشوه	وفشوه	١٤١	٧
شكا	شكى	١٥٨	٣
Literature	Litterature	١٨٨	١٤
لسانه	قلبه	٢٠١	١٣
سما	سمى	٢٠٦	٩
سنة	عام	٢٣٥	١
باحما جيان	باحما جيان	٢٦٤	٦
النظر	النظر	٣٣٨	٥
الاسيوى	لاسيوى	٤٠١	٥
يزيدها	يزدها	٤٤٩	١٨
حلي	لبى	٩٠٤	٨

*PB-37348-SB
5-20T
C-C







**Elmer Holmes
Bobst Library
New York
University**

NYU - BOBST



31142 03291 6564

PL205 .M565 1951

Tarikh al-